

إحياء علوم الدين

للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفخر الرازي
وفلسفته في الإحياء
بمقدم

الدكتور عبد الرحمن طهطا
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتيب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة (القديري)

From the Library of
Muhammad S. Hozien

الجزء الرابع

مكتبة وطبعة "كرياض فوترا" - سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كتاب التوبة ﴾

(وهو الأول من ربيع للنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدر كل خطاب . وبعمده يتم أهل النعم في دار الثواب . وباصمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دولهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السمداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إليه توبة من يوقن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . وزجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونمزع الخوف رجائنا مزج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونضلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة نقدنا من هول اللطع يوم العرض والحساب . ونمجد لنا عند الله زلفى وحسن مكاب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستر العيوب وعلام العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام الريدين ، ومفتاح استقامة السائرين ، ومطلع الاسطاء والاجتهاد للقرين ، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد ، الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمى واجرم ، ففى شفتيه يرفه من أخزم ، ومن أشبه آباء لما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ النعم ، وتقدم على ماسبق منه وتقدم . فمن اتخذ قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير ذاب اللاتسكة القرين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك النيان . والتجرد للشر شيطان ، والتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، وقد ازدوج في طينة الإنسان شائتان ، واصطحب في سجينتان ، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حشد الإنسان ، والصر على الطيفان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللاتسكة بالتجرد لمحض الخير فغارج عن حيز الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم هجنا محكما لا يخلصه إلا إحدى التارين

﴿ كتاب التوبة ﴾

[الباب التاسع

والأرجون في استقبال

التهار والأدب فيه

والعمل]

قال الله تعالى - وأتم

الصلاة طرفي التهار -

أجمع القسرون على

أن أحد الطرفين

أراد به التجر وأمر

بصلاة التجر واختلوا

في الطرف الآخر قال

قوم أراد به القرب وقال

آخرون صلاة المشاء

وقال قوم صلاة التجر

والظهر طرف وصلاة

المصر وللقرب طرف

وزلنا من الليل صلاة

المشاء ثم إن الله تعالى

أخبر عن عظيم بركة

الصلاة وشرف فائدتها

ونمحتها وقال - إن

الحسنات ينهبين

نار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خبايا الشيطان وإليك الآن اختيار أهون التائبين ، والبادرة إلى أخف التشرن ، قيل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطراب . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الواقع وجب تقديمها في صدر ربيع النجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسبلها واعلمتها وغمراتها والآفات للنافعة منها والأدوية للبسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيها عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صفائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تنظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من اللطام وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة ، الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من اللذين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وقول ، فالعلم الأول والحال الثاني والقول الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاءً اطراءً استلزاماً في الملك والملكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة حتمية يقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبة تألم فإن كان فواته يفعله تأسف على الفقد القلبي فيسمى تألمه بسبب فله القوت لمحبوبه ندماً فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضى والاستقبال أما تعلقه بالحال فيا تترك للذنوب الذي كان ملاصقاً وأما بالاستقبال فيا عزم على ترك الذنب القوت للمحبوب إلى آخر العمر وأما بالماضى فيا فتلاقي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلاً للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الحريات وأعنى بهذا العلم الايمان واليقين فإن الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب محرمات مهلكة واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستبلاله على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يصير باثراً نوراً الايمان أنه صار محبوباً عن محبوبة كمن يده في عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه باقتضاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى سيرة وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران باراته للاشفاض لتدارك فالعلم والندم والقصد التعلق بالترك في الحال والاستقبال والاتفاق للماضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالآخرة والتابع المتأخر وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة (١) » إذ لا يغلو الندم عن علم أو حبه وأمره وعن عزم يابجه وتوابعه فيكون الندم محفوفاً بطرفه أعنى ثمرته ومثمره . وهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فإن هذا يمرض لجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلهب وصعد

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات أي الصلوات
الحسن يذهب
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كعب
ابن عمرو الأنصاري
كان يبيع الخمر فأنت
امراً يتبع ثمراً قال
لها إن هذا الخمر ليس
بعيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
قالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى
نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
رود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفعل
الرجل بالنساء إلا
ركبه غير أنهما يجامعا
قال عمر بن الخطاب

في السكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله تسترى التوبة بتديل الحركات للذنوبة بالحركات الحمودة ولا يتم ذلك إلا بالحلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقاول في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وفضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (١) والآيات وهو واضح بنور البصرة عند من اقتضت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستنئيا عن قائد يقوده في كل خطوة .. فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهدي إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام .. فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما جوزة ذلك فيتعجز . فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده يختصر وخطاه قاصرة ومن سعيده شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيقتبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معصية وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجترى * بأدنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء . ولو لم تحسه نار فاذا سمته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصرة إلى التوبة ماهي ثم إلى الوجوب مامعناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ماهو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لو لا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لو صفه بكونه واجبا معني . وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا أجلا وعاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجه علينا غيرنا أو لم يوجهه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشق لامحالة محول بينه وبين ما يشتهي يحترق بنار القراق وتار الحميم وعلم أنه لا ميمد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الثاني والاكتئاب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمعجزة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إغراس عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله للبدين عن حضرته سبب كونه محبوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البدواجب للوصول إلى القرب وإنما يتم الانصراف بالمع والندم والعزم فانه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصرة وأما من لم يترشح لمثل هذا اللقاع للترفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع له

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر الزني يأبها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن ماجه من حديث جابر يأبها الناس توبوا إلى ربك قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف .

فقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال أنتظر أمر ربي وحضرت صلاة الصبر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام الصبر . فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أين أبو اليسر فقال هاأنذا يا رسول الله قال شهدت منا هذه الصلاة قال نعم قال انذهب فاتها كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذا له خاصة أولا عامة ، قال بل لباس عامة فيستند العبد لصلاة القنجر باستكمال الطهارة قبل طلوع

عالم رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فلا حظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين
 فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر على العموم
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى النصوح الخالص لله
 تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذاً من النصح وبذل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
 لا ذنب له» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هه أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل
 في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهب
 راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أوامشاه الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه
 فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لم يمت فاستيقظ فأذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه
 تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته» (٢) وفي بعض الألفاظ قال من شدة فرحه
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد - ويروي عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم
 عليه السلام هنأته لللائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرأت عينك
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى
 الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك التوب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعائهم منهم ليبت كما ليبتك ومن
 سألني الغفرة لم أجعل عليه لأني قريب محب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين
 ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منقاد من الأمة على وجوبها لإدمعنا
 العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن
 قد تدهش الغفلة عنه فعلى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
 في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك
 في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي
 فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لاهمال عقيب حقيقة العرفة بمافات من العمر وضاع
 في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب .
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بغوات المحبوب وله مبدل إلى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم
 تحت الوجوب لاجتماع أن العلم بحلقه العبد ومجده في نفسه فان ذلك محال بل العلم بالندم والتمل
 والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وقوله - والله خالقكم وما تملكون - هذا هو الحق
 عند ذوي الأبصار وما سوى هذا ضلال . فان قلت أغفلس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم
 وذلك لا يناقض قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود
 بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب
 الثواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد في زوائد
 للسند وأبي جلى بسند ضعيف من حديث علي بن الله يحب العبد المؤمن للفقير الثواب (٢) حديث
 هه أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من
 حديث ابن مسعود وأنس زاذ مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الفرح أنهم أنت عبيد
 وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث
 أبي هريرة مختصراً .

النجر ويستقبل الفجر
 بتجديد الشهادة كما
 ذكرنا في أول الليل ثم
 يؤذن إن لم يكن أجاب
 للؤذن ثم صلى ركعتي
 الفجر قرأ في الأولى
 بعد النافعة قل يا أيها
 الكافرون وفي الثانية
 قل هو الله أحد وإن
 أراد قرأ في الأولى
 - قسولوا آمناً بالله
 وما أنزل - الآية في
 سورة البقرة وفي
 الأخرى - ربنا آتنا
 بما أنزلنا واثبتنا
 الرسول - ثم يستغفر
 الله ويسبح الله تعالى
 بما ييسر له من العدد
 وإن اقتصر على كلمة
 استغفر الله لذنب
 سبحان الله بحمد رب
 آتى بالقصود من

في الاختيار الذي له فان الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الحواطر للتعاضد في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول فانجزم الإرادة بعد تردد الحواطر للتعاضد وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فافذا حصل انجزم الإرادة فخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لاهالة إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتصل الحركة فتكون الحركة فخلق الله بعد حصول القدرة وانجزم الإرادة وهما أيضا من خلق الله وانجزم الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والتم بعدم اللوانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه الحوادث يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الإرادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا يبتعث هذا اليل انبعثا تاما مالم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في اللآك ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب آخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم والليل الطبيعي أبدا يستتبع الإرادة الجازمة والقدرة والإرادة بد استتبعها الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والسكن من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تنول من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتول من الحياة ولكن لا يستعد المهل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لأن العلم يول الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا الجسم حي عالم ولا يدخل في الوجود إلا يمكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التثيير لأن تثيره محال فهما وجد شرط الوصف استند المهل به لقبول الوصف لحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيبا والمبد مجرى هذه الحوادث للربة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى التي هو واحد كلح البصر ترتيبا كليا لا يثير وظهورها بالتفصيل مقدر لا يتبداها وعنه البارة بقوله تعالى - إننا كل شيء خلقناه بقدر - وعن القضاء الكلي الأزلي البارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة كلح البصر - وأما الباد فاتهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جهة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما إليه ميه يسمى الادراك والرفة فاذا ظهرت من باطن لللكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحبوبون عن عالم القيب واللكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكنت ونودى من وراء حجاب القيب وسراقات لللكوت ومارمت إذ رميت ولكن الله رمى وماتت إذ قتلت ولكن قاتلهم بمنهم الله بأيديكم وعند هذا تحير عقول القاعدين في محبوبة عالم الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل إنه اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم القيب واللكوت لظهر لهم أن كل واحد منهم من وجهه وأن القصور شامل للجسم فلم يدركوا واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط عليه بهوانه وتحام عليه ينال باشراف النور من كوة نافذة إلى عالم القيب

التسبيح والاستغفار.

ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إلى أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها شقي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايي وترفع بها شاهدي وتزك بها عملي وتبين بها وجهي وتلقي بها رشي وتحصني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانًا صادقًا وقيمنًا ليس بعدن كفر ورحمة أنال بها شرف حكمائك في الدنيا والآخرة اللهم إلى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء

وأنه تعالى - عالم التيب والشهادة لا يظهر على غيره أحدا إلا من ارتضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والسبب وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسبتاتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم عبقثان لاخالقه إلا الله ولا مبدع سواه . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إصالح ذلك إلى الأنهم بئال ، فاعلم أن جماعة من المياني قد هموا أنه حمل إلى البلية حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا هموا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ونعرفه باللسان الذي صدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسه وقع يد بعض المياني على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية المياني فاختلعت أجوبتهم فقال الذي لس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمسى لخشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لس الأذن لسرى هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قالما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم يجهلون قصروا عن الإحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا للثال واعتبر به فانه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يناطح علوم الكاشفة وبحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم المبدؤ وإرادته وقدرته للتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمل .

(بيان أن وجوب التوبة على الفور)

أما وجوبها على الفور فيستلزم فيه إذ معرفة كون المصالحات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل الكروء فان هذه المعرفة ليست من علوم الكاشفات التي لا تملك بمصل بل هي من علوم العامة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهده مالم يصير باعثا عليه فالعلم بضرب الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقط لهذا الجزء من الإيمان وهو للراد بقوله عليه السلام ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (١) وما أريد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم الكاشفة كالعلم بقاء ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينفيه الزنا والمصالح وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبدعا عن الله تعالى موجبا للعتق كما إذا قال الطبيب هذا سم فلا يتناوله فإذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا يعني أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فان العالم بالسلم لا يتناوله أصلا فالعلم بالمصالح بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والوجود أدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصود الشارب مقام الأظفار في البشرة عن الحب حتى يتميز عن البهائم للرمة للزينة بأرواتها للسكرحة الصور بطول عبالها وأظفارها وهذا مثال مطابق فلا يمان كالانسان (١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء
ومرافقة الأنبياء اللهم
إني أزل بك حاجتي
وان نصر أروضف
عملي واقتدرت إلى
رحمتك وأسألك
بإقاض الأمور وبإعاق
الصدور كما تحب بين
البحر أن تحب بين
عذاب السعير ومن
دعوة التبور ومن فتنة
التبور اللهم ماقصر
عنه رأي وضف فيه
عملي ولم تلبه نفي
وأمنيتي من خير
و: رته أحدا من
عابك أو خير أنت
مطيع أهدا من خلقك
فأنا راعب إليك فيه
وأسألك إليه بأرب
العالمين . اللهم اجعلنا
هادين مهدين خير

وقد شهادة التوحيد بوجد البطلان بالسكية كعقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كائن مقطوع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فزايده الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي معها وتوحيها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تنقطع شعيرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إنسان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروع لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناحية ملك الموت وخيف عليه سوء الحاتمة لاما بقي بالطاعات على نوال الأيام والساعات حتى رسيخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعزين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الحرف فتند ذلك تنقطع أصولك وتتأثر أوراقك وينكشف غرورك بالشاركة في اسم الشجرة مع النخلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا انجلي القبار أفرس تحك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الحاتمة وإنما اقتطع نياط المارقين خوفا من دواعي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأفلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيئته كالصبيغ التهمك في الشهوات الفرية إذا كان لا يخاف الموت بسبب مصته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصبيغ يخاف الرض ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء الحاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والبياد باقه وجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كالمأ كولات للضرورة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تقير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فإذا كان الحاتمة من الهلاك في هذه الدنيا للنفضة يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى القور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتجأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل القور والمبادرة لتفاديلته المنشر على هلاكه لا ينفوت عليه إلا هذه الدنيا القانية فتناول موم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان الخوف من هذا السم قوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي قواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تصرم أضعاف أعمار الدنيادون عشر عشر مدته إذ ليس لمدته آخر ألبنة فالبدار البدار إلى التوبة قيل أن تعمل موم الذنوب بروج الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الإحياه فلا ينبع بعده ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يفرنك لفظ الإيمان فنقول المراد بالآية الكافر إذ بين لك أن الإيمان يضع وسيعون بأوا أن الزاني لا يزن حين يزن وهو مؤمن فالحجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الحاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الشخص القاعد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع يساق إلى الموت المدمم للروح التي هي أصل فلا جاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع ولا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل فمعلوم المسكافة وعلم العامة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة

صالحين ولا مضلين حربا
لأعدائك وسلسا
لأولئك نخب عجبك
الناس وضادى
بصدائك من خالك
من خقتك المهم هذا
الدعاء مني ومنك
الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان إن الله
وإننا إليه راجعون ولا
حول ولا قوة إلا بالله
العللى العظيم ذى
الحبل الشديد والأمر
الرشيد أسألك الأمن
يوم الوعيد والجنة
يوم الخلود مع المقربين
الشهود والرك السجود
والموقين بالهدود إنك
رحيم وهدود أنت فضل
ما تريد مسبحان من
تططف بالمر وقال به
سبحان من لبس الجهد

التابع وعلوم العاملة إذا لم تكن بائنة على العمل فعدمها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عمها الذي تراد له قامت مؤبدة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم .

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد أئمة)

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - فعمم الخطاب . ونور البصيرة أيضا يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق البعد عن الله القرب إلى الشيطان ولا ينصور ذلك إلا من عاقل ولا تسكل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والنصب وسائر الصفات للذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأرباب وأصله إنما يتبع عند مراقبة البلوغ ومبادئه فظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والقول جنود اللانكس فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما إلا آخر لأنهما ضدان فالطارد بينهما كالطارد بين الليل والنور والظلمة ومم غلب أحدهما أزهج الآخر بالضرورة . وإذا كانت الشهوات تسكن في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على اللسان ووقع القلب به أنس وإلف لاحالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويصر عليه الزرع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ ألبانه من أيدي أعدائه شيئا فشيئا على التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأعجز الدين وعده حيث قال - لا تحسبن ذريته إلا نفيلا - وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات والامتنع للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق ذل الشهوة وخفيره الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عادة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عادة اللانكس فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان نبيّا كان أو غيبيا فلا نظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل :

فلا تحسبن هذا لها القدر وحدها سجيّة نفس كل غايّة هند

بل هو حكم أزل مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم يتبدل السنة الإلهية التي لا مطلق في تبدلها فادن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فإذا بلغ مسلما تابا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفائه بفهم معنى الإسلام فانه لا يثنى عنه إسلاما أبويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قلب حدود الله في التبع والاطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكرتون إذ ههنا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستثنى عنها أحد من البشر كالم يستثنى آدم خلقه الولد لا تنسح لما لم يسع له خلقه الولد أصلا ، وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل جسر فلا تخلو عن معصية بخوارحه إذ لم تخل عن الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلقي بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا تخلو عن المم بالذنوب بالقلب فان خلقي بعض الأحوال عن المم فلا تخلو عن سوس الشيطان بإيراد الحواطر للفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلّاه فلا تخلو عن علة وصورته العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نفس وله أسباب وتزلف أسبابه بالتشاغل بأشياء داهية جوع عن طريق إلى ضده وللراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النفس وإنما يشاءون

وتكبر بمسبحان الذي
لا يثنى التسبيح إلا له
مسبحان ذي الفضل
والتسبحان ذي الجود
والكرم مسبحان الذي
أحصى كل شيء بعلمه
اللهم اجعل لي نورا في
قلبي ونورا في قبري
ونورا في ممّي ونورا
في بصري ونورا في
شعري ونورا في بشري
ونورا في ظمّي ونورا
في دمي ونورا في عظامي
ونورا من بين يدي
ونورا من خلفي ونورا
عن يميني ونورا عن
شمالي ونورا من فوق
ونورا من تحتي اللهم
زدني نورا وأعطني
نورا واجعل لي نورا.
ولهذا الدعاء أثر
كثير وما رأيت

في القادر فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام «إنه ليمان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» (١) الحديث ، ولذلك أكرم الله تعالى بأن قال - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فان قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من المهوم والخواطر قص وأن الكمال في الخلو عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله شمس وأنه كما ازدادت المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب نقصان الرجوع والتوبة ولكن هذه فضائل لا فراش وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع فالمراد بقولك التوبة واجبة في كل حال . فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدريك ماضي وكل شهوة ابتغها الإنسان ارتفع منها ظلة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلة إلى وجه المرأة الصبيحة فان تراكت ظلة الشهوات صار ربنا كاصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خيشا كما قال تعالى - لا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - فإذا تراكم الرين صار طبعاً يقطع على قلبه كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصلح بعده وصار كالطوبوع من الخشب ولا يكتفي في تدريك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من هو تلك الأرباب التي انطبت في القلب كالإكتفى في ظهورها للصورة في المرأة قطع الأنفاس والبخارات السوداء لوجهها في المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأرباب وكما يرتفع إلى القلب ظلة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتتمضي ظلة الصبية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (٢) فاذن لا يستثنى البعد في حال من أحواله عن هو آثار السيئات عن قلبه مباشرة حسنة تضاد آثارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاه وجاهل ثم أظلم بأسباب عارضة فما التصديق الأول ففيه يطول الصلح إذ ليس شغل الصلح في إزالة الصلح عن المرأة كشغله في عمل أصل المرأة فهذه أشغال طويلة لا تقطع أصلاً وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له معنيان : أحدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرّب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يقولوا الحق فقامت لتركوا المعاصي ورفضوا الدنيا بالسكينة ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالسكينة فانه محافضة للمعاشي لم يتفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياة والحراثة والحرب يستغرق جميع العمر من كل واحد فاجتاحت إليه جميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لابد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والقيام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريد بها فانه لا يتوصل إليها إلا بها ، فأما من رضى بالنقصان والحرمات عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال المين والأذن واليد والرجل شرط في جود الإنسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا

أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر وبركه هو من وصية الصادقين بعضهم بعضا يحفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد للمسجد للاستسلا في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله - وقول رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا - ويقول في الطريق - اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشأى هذا إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء

(١) حديث إنه ليمان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغر الزني إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي داود والبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار والدعوات (٢) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر زيادة في أوله وأخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رباضة النفس .

ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلى في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كساحل على وضوء وكفرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين وبد ورجل فأصل الواجبات الداخلة في قوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السموات التي بها ينتهى الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنهى الحياة وفيه معنى الأنبياء والأولياء والعلماء والأئمة فالأئمة والأئمة على ما كان حرصهم وحواله كان تطوافهم ولا أجله كان رضفهم لا لذ الدنيا بالسكينة حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه جاء إليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للأخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تتم في الدنيا فلم لاتضع رأسك على الأرض فرى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رمية للحجر توبة عن ذلك التمتع ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغلته التوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى زعه (١) وشغلته شركه نله الذي جده حتى أعاد الشرك الحلق (٢) لم يعلم أن ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رأى مؤثرا في قلبه آرا يمنعه عن بلوغ الشام المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج حرمه روجه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما كله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجها فلم تاب عن شربه بالتدارك في حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقرى صدره عرفه ذلك السر أن قوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبكر الله وبكتمان السرور بالله وإياك مرة واحدة أن ترك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يترك الله السرور ، فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم ييك الماقل فلما بقي من عمره إلا على تفويت ماضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمنى ماضى من جهله وإيماء قال هذا لأن الماقل إذا ملك جوهرة نفيسة وصنعت منه بغير فائدة بكى عليها لاهالة وإن صنعت منه وصار صناعها سبب هلاكه كان يكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بكل نفس جوهرة نفيسة لاخلف لها ولا يدل منها فانها سالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتتقذ من شقاوة الأبد بؤى جوهرة أفس من هذا فاذا ضيعتها في الفعلة قد خسرت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى مصيبة فقد هلك هلاكا فاحشا ، فان كنت لا تبكى على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يفرح الصاب بها أنه صاحب مصيبة فان نوم الفعلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فمئذ ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك . قال بعض السافرين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقى من عمره ساعة وإنك لاتستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بخلافها فخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستتب فيها

(١) حديث زعه صلى الله عليه وسلم التوب الذي كان عليه في الصلاة تقدم في الصلاة أيضا (٢) حديث زعه الشرك الجديد وإعادة الشرك الحلق تقدم في الصلاة أيضا .

ولا صمة خرجت افتاء
سخطك وإتفاء
مرصاتك أسألك أن
تفقدنى من النار
وأن تغفرلى ذنوبى
إنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت. وروى أبو سعيد
الخدري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجهه الكريم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل السجدة أو دخل
سجدة الصلاة يقول:
بسم الله والحمد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لى ذنوبى وافض لي

ويتدارك نضره فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فقيل لأجل القرب الذي يطلبه منه أنه يقول عند كشف القطاء للعبد ياملك الموت أخرني يوما أعترضه إلى ربى وأتوب وأتوب وأتوب صالحا لنفسى فيقول فبيت الأيام فلا يوم فيقول فأخترنى ساعة فيقول فبيت الساعات فلا ساعة فيخلق عليه باب التوبة فيترعرع بروحه وتردد أنفاسه في شر أسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل لعنائه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة، وكذلك هذا يقال - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتقدم عليها ويعو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الربن على القلب فلا يقبل الحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يابى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك الباردة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ربنا وطعما فلا يقبل الحو . الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالحو ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فما هلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسوية القلب تعدا وجلاؤه بالطاعة نسبة إلى أن يحتفظه الموت فيأتى الله بقلب غير سليم ولا يتجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيائته فأمره خطير . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرير يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدها إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك واتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاها . والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فأتاك على الوفاء أو أضعتك فأتاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو فوجيء أوف بهمكم - ويقول تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

(بيان أن التوبة إذا استجتمت شرائطها فهي مقبولة لا محالة)

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فانا نظرون بنور البصائر للسمعون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتمم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما فطوته السلامة بكدورة تهرق وجهه من غيرة الذنوب وظلمته ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغيرة وأن نور الحسنة يمجو عن وجه القاب ظلمة السيئات وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كالأطعمة لا تظلم الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون ، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله للثوب لأن يكون لباسه فالقلب بالمظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الحسنة يوسخ الثوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجد له أصلا .

أبواب رحمتك ويقدم رجله الجني في الدخول واليسرى في الخروج من المسجد أو السجدة فسجادة الصوف بمنزلة البيت والمسجد من صلي صلاة الصبح في جماعة فإذا سلم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والشاء الحسن لا إله إلا الله ولا نبيد إلا الأعداء نصليهم ولا دين ولو كره الكافرون ويقرب هو الله الذي

بالصابون والماء الحار ينظفه لاحتالة قاستعمال القلب في الشهورات يوسخ القلب وغسله بماء الدمع وحرقة الندم ينظفه ويظهره وزكيه ، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير . وأما القبول فبذول قد سبق به القضاء الأزل الذي لا مرد له وهو للمسي فلاحا في قوله - قد أفلح من زكاه - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من للشاهدة بالبر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمر لأحدهما لفظ الظلبة كما يستمر للجهل وللآخر لفظ النور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا شعوره ولم يعلق به إلا أسماءه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفاته ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى بقلبه إذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب ينسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يفرس الوسخ لطول تراكمه في تجاريف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلته فثالث ذلك أن تراكم الذنوب حتى تصير طبعا وريثا على القلب فثقل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا بل يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتكبر به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو القابل على كافة الخلق القليلين على الدنيا المرصين عن الله بالكيفية فهذا البيان كاف عند ذوي الصائري في قبول التوبة ولكننا نمسد جناحه بنقل الآيات والأخبار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوفق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفر عن السيئات - وقال تعالى - غافر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ^(١) » . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم تاب الله عليكم ^(٢) » وقال أيضا « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عنه تابا منه فارا حتى يدخل الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الدامة ^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بهظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسيء الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم تاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بالنظر لو أخطأتم وقال ثم تبتم (٣) حديث إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسل ولأن نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحرته فإذا نظر الله إليه أنه أحرته غفرله الحديث وفيه صالح المرى ، وهو رجل صالح لكنه مضى في الحديث ولأن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله ليغفر العبد بالذنوب بذهبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كفارة الذنب الدامة أحمد والطبراني وفيه الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك الشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما إلى آخرها فإذا فرغ منها يقول : اللهم صل على محمد وعلى محمد النبي وآل محمد وصلاة تكون لهم رضاء ولحمه أداء وأعطه الوسيلة والمقام الحمد الذي وعدته وأجزه عنا ما هو أهل وأجزه عنا أفضل ما جازيت نبي عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح

ويروى « أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه^(١) ويروى أن الله عز وجل لما لمن إبليس سأله النظرة فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا حجت عنه التوبه فساد الروح فيه^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للماء الوسخ^(٣) » والأخبار في هذا لأخصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن السيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا -

في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر الذين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أي إن وضعت عليهم عدلي عذبهم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصحبوا تائبين وأمسوا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه حيت عنه في أم الكتاب . ويروى أن نبيان أنبياء بنى إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لأن عدت لأعذبك قال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصحني لأعودن قصصه الله تعالى وقال بعضهم إن العبد يذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتنى لم أوقع في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه قال فيففر له . ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرغان فقال له إن لحنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا ينطق فاعمل ولا تيأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى - إن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلف - فقال إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا وقد بلغني أن توبة المسلم كسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدكم إلا عن بني مهمل أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرق أفئدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم اللغزة أي اللغزة من لوازم التوبة وتوابها لا محالة ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في الرآء فرى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطلعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت إليك أقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا فأحببتك فأحببتك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير

محمد في الأربع وصل
على جسد محمد
في الأجساد واجمل
شرائف صلواتك
ونواي برصك
ورأفك ورحمتك
وعنتك ورضوانك
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك اللهم
أنت السلام ومنك
السلام وإليك يود
السلام لحنا ربنا
بالسلام وأدخلنا دار
السلام تباركت يا ذا
الجلال والاعكرام
اللهم إني أصبحت
لا أستطيع دفع ما أكره
ولا أملك قم ما أرجو
وأصبح الأمر بيد
غيري وأصبحت مرتبنا
بمهل فلا قصير أقرر
منى اللهم لا تشمت بي

(١) حديث أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع لم أبده له أصلا (٢) حديث إن الله لما لمن إبليس سأله النظرة فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أوردته المصنف بصيغة ويروى كذا ولم يزه إلى الله صلى الله عليه وسلم فقد كرهه احتياطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للماء الوسخ لم أبده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواء الترمذي وتقدم قريبا .

جنون وتبهدوا من غيري ولا يكم وإيهم هم البلغاء الصالحون العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولت قلوبهم في اللسكوت وجاءت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسل الورع فاستمذبوا مرارة الترك للدين واستلوا أخشونة الضمير حتى ظفروا بعجل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة ودمعوا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى زلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة القنطرة وأقلعوا برح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن المزايا والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لأعماله . فان قلت أقول ما قلته العترة من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لأعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالماء ونجس وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد العترة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة كمكفرة للصبيحة والحسنة ماحية للسبيحة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدرة منسمة بخلافه لوسبقت به الشيعة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لأعماله . فان قلت لما من تأجب لإلا هو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول لشك في القبول كشك في وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كإسائي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كإشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشك في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته وجودة عقاقيره وأدوية فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لأعماله على ماسائي في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتخصيص ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها والله للوفيق للصواب برحمته

(بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات البدن)

اعلم أن للانسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب محابب القلب وغواياها ولكن تنحصر مشاركات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لأن طبيعة الانسان محنت من أخلاط مختلفة فاقضى كل واحد من الأخلاط في المجهود منه آثرا من الآثار كما يجتفى السكر والخمر والحل والافتران في السكبيين آثارا مختلفة . فأما ما يقتضى النزوع إلى الصفات الربوية فمثل الكبر والفخر والمجربة وحب اللبس والثناء والمز والتمنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكفاية حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يقتضيه منه جملة من كبار الذنوب غفل عنها الحق ولم يصدوها ذنوبا وهي الهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لكثير الناس كما استعبداه في ربع الهلكات . الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يقتضى الحسد والبغى والحيلة والحداد والأسر بالفساد وللنكر وفيه يدخل النسي والتفاني والدعوة إلى

عدوى ولائسى في
صديق ولا يحصل
مصيب في ديني ولا
تجمل الدنيا أكبر همي
ولا تسلط على من
لا يرعنى اللهم هذا
خلق جديد فاتحه
على بطانتك واخته
لي يغفرتك ورضوانك
وارزقني فيه حنة
تقبلها مني وزككها
وضفها وما عملت فيه
من سيئة فاغفر لي إنك
غفور رحيم ودود
رضيت بالله ربا
وبالاسلام ديناً وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا
اللهم إني أسألك خير
هذا اليوم وخير
ما فيه وأعوذ بك من
شره وشر ما فيه
وأعوذ بك من شر

البعد والضلال . الثالثة الصفة البهيمة ومنها يتشعب الشره والسكب والحرس على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا والواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . الرابعة الصفة السبعة ومنها يتشعب القضب والحقد والتهم على الناس بالضرب والقتل والفسخ واستهلاك الأموال ويترفع عنها حمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة فالصفة البهيمة هي التي تقلب أولاً ثم تتلوها الصفة السبعة ثانياً ثم إذا اجتمعا استتملا العقل والجذاع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تقلب الصفات الربوية وهي الفخر والعز والموال وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنها بهائم تنفجر الذنوب من هذه النابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالسكر والبدة والنفاق وإضمار سوء الناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فانه واضح . قسمة ثانياً : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين البدن وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد لها ينطلق بالبدن خاصة كترك الصلاة والسوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقته النفس وغصبه الأموال وشمته والأعراض وكل متناول من حق الغير فاما شئ أوطرف أموال أو عرض أو دين أو جوارح وتناول الدين بالاغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهنيج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعل بعض الوعاظ يتغلب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركاً فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر «الدواوين ثلاثة ديوان يغفر ودويان لا يغفر ودويان لا يترك فالدويان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الدويان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الدويان الذي لا يترك فظالم العباد (١) » أي لا بدوان يطلبها حتى يبقى عنها : قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغار وكبار وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضئيف إذ قال تعالى - إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً - وقال تعالى - الذين يجتنبون كبار الإثم والفرحاشى إلا الله - وقال عليه السلام «الصالحات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهما» إن اجتنبت الكبائر (٢) » وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهما» إلا الكبائر » وقد قال صلى الله عليه وسلم فبارواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإثم الك باقة وعقوق الوالد بن وقتل النفس والميئنة القموس (٣) » واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «سبع وقال ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن» إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أودع الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها ككلمة القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها أقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عذوقه - إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه - فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب للكي

طوارق الليل والتهار
ومن بنتت الأمور
ولجاة الأقدار ومن
شرك طارق يطرع
إلا طارفاً يطرع منك
غير يارحم الدنيا
والآخرة ورحمهما
وأعوذ بك أن أزل
أؤزل أو أزل أو أزل
أو أظم أو أظم أو أظم
أو أظم على عز جارك
ونجل تناؤك وقدست
أسمائك وعظمت
نماؤك أعوذ بك من
شرب ما يلبغ في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يخرج فيها
أعوذ بك من حسنة
الحرس وشدة الطمع
وسورة القضب وسنة
الفضلة وعاطي الكلفة
اللهم إني أعوذ من

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر ديوان لا يغفر ديوان لا يترك فالدويان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الدويان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الدويان الذي لا يترك فظالم العباد (١) أي لا بدوان يطلبها حتى يبقى عنها : قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغار وكبار وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضئيف إذ قال تعالى - إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً - وقال تعالى - الذين يجتنبون كبار الإثم والفرحاشى إلا الله - وقال عليه السلام «الصالحات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهما» إن اجتنبت الكبائر (٢) » وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهما» إلا الكبائر » وقد قال صلى الله عليه وسلم فبارواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإثم الك باقة وعقوق الوالد بن وقتل النفس والميئنة القموس (٣) » واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «سبع وقال ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن» إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أودع الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها ككلمة القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها أقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عذوقه - إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه - فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب للكي

الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار (١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكروه

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكروه وشهادة الزور وقذف المحصن والمين الفموس والسحر وشرب الخمر والسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وكل الربا والزنا واللواط والقتل والسرقة والفرار من الزحف وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ماورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجنبوا السبع اللوثيات قالوا يا رسول الله وما هي؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات ولهما من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس إنما هي أربع لا تتركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت يابسون لي أن لا تتركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الحرام أم الفواحش وأكبر الكبائر وفيه موقوف على عبد الله بن عمر وأعظم الكبائر شرب الخمر وكلاهما ضعيف وللبراز من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال الشرك بالله والإلحاد من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل المساء ومنع الفحل وفيه صالح بن حبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو لمن الإشراف بالله وفيه والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأزهري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث وأما إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم يقل وله أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يفتني الرجل من ولده وسلم من حديث جابر بن عبد الله بن عمر أن الكفر ترك الصلاة وسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد من أرى الربا الاستطالة في عرض السلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه قال سمعني رسول الله يقول قال لعبدان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذه القصة من حديث أبي بكره أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تبها رجل ثم نسبها سكت عليه أبو داود واستغفري البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لا صغيرة مع إصرار وفيه أبو شيبة الحراساني

مباهاة الصخرين
والإضرار على القلبين وأن
أنصر ظالمنا أو أخذ
مظلوماً وأن أقول في
العلم بغير علم أو أحمل في
الدين بغير يقين أعوذ
بك أن أشرك بك وأنا
أعسم وأستغفر لك
لأعلم أعوذ بعفوك
من عقابك وأعوذ
برضائك من سخطك
وأعوذ بك منك
لأحصى ثناء عليك
أنت كما أشئت على
نفسك اللهم أنت ربى
لا إله إلا أنت خلقتني
وأنا عبدك وابن
عبدك وعلى عهدك
ووعده ما استطعت
أعوذ بك من شر
ما صنعت أبوء بنعمتك
على وأبوء بذنبي فأغفر لي

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس ، وهي التي يحق بها بطلان أو يبطل بها حقا ، وقيل هي التي ينقطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سوا كامن أو أكل . وميت غموسا لأنها تمس صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الخلق . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما أو أكل الربا وهو يلم . واثنان في الفرج هما الزنا والواط . واثنان في الدين هما القتل والسرقة . وواحدة

في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من الثنين والشرية من الضربين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين . قال وجملة عقوقهما أن يفسا عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألأ حاجة فلا يعطيهما وإن يسأه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل فأما فقه الدين وقطع الدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لأنك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالبسة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه السلم ^(١) وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الحدرى وغيره من الصحابة : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا ندها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(٢) . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل منهي الله عنه فهو كبيرة وكشف النطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى

والحديث منكسر يعرف به . وأما الموقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشرار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشرار بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر والزنا واليمين الغموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متمتدا وأشياء مما فرضها الله ونقض العهد وقطيعة الرحم . وروى ابن أبي الدنيا في الثوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لأصغرة مع الإصرار وإسناده جيد فقد اجتمع من الرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضا لأصح إسناده كما تقدم وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ماورد في الرفوع وماورد في الوقوف والبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضا فيه عن ابن عباس قال كل منهي الله عنه كبيرة ، والله أعلم ^(١) حدث من الكبائر السبتان بالبسة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه السلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربي الربا استطالة في عرض السلم بغير حق كما تقدم ^(٢) حديث أبي سعيد الحدرى وغيره من الصحابة إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا ندها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد والبخاري بسند صحيح وقال من الوقفات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وقال صحيح الإسناد .

إنه لا يضر الذنوب إلا أنت . اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا . اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة أصبنا وأصبح للكل فلول العظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيها لله الواحد القهار . أصبنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أئمتنا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان

الكبيرة والراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لامطعم في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مهم ليس له موضوع خاص في اللغة وإلا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الصفات وامان ذنب الا وهو كبير بالاضافة إلى مادونه وصغير بالاضافة إلى ما فوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالاضافة إلى النظرة صغيرة بالاضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة إلى ضربه صغيرة بالاضافة إلى قتله ، نعم للانسان أن يطلق على ما نوعه بالنار على فضله خاصة اسم الكبيرة ، ونفى بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما جهل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب التهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته ثم يكون عظمياً وكبيرة لا محالة بالاضافة ، إذ منصوبات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من أفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا بعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى - إن تجنّبوا كبار ما تهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات كفارات لما يبين» إلا الكبائر» فان هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يصلح استظامه وإياها إلى ما يصلح أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطعم في معرفة حد حاصراً أو عدداً جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن إلا بالسباع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن أردت بالكبائر عشرًا أو خمسين أو مئتي ، فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ « ثلاث من الكبائر (١) » وفي بعضها « سبع من الكبائر (٢) » . ثم ورد « أن السنين بالسية الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما عاصر فكيف يطعم في عدد ما لم يعد الشرع وربما قصد الشرع إيهامه ليكون العباد منه على وجل كما أنهم ليله القدر لعظم جد الناس في طلبها ، نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فمعرّفاً بالظن والتقريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصفات فلا يبدل إلى معرفة . ويانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الترائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدوا عبيداً ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو القصد الأقصى يمتثل الأنبياء ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو العليّ بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة (٣) » فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً بالعبادين لأنهم وسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبي بكره ألا نبشكم بأكبـر الكبائر ثلاثا الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طلب في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبادة بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عددهن سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللواتي (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ مرفوعاً وروى الحقيق في الضعفاء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لاخرته الحديث وإسناده ضعيف .

للنار بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في دعوته ملئك وجاته يا حي عسى للوحي يا حي يميت الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله إلهي إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور

واللعن من الدنيا بالآخرة عيثان النفوس والأموال فكل ما يسهل بمعرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر
 ويليها ما يسهل باب حياة النفوس ويليها ما يسهل باب المعاش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب ،
 حفظ العروة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود التراجع
 كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها للعل فلا يجوز أن الله تعالى يمت نبياً يريد يسهل
 إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بمعصيتهم عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم بهلاك
 النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما يمنع من معرفة
 الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر ، ذل الحجاب بين الله وبين المبدوء الجهل
 والوسيلة للقرية له إليه هو العلم والفرقة وقربه بقدر معرفته وبسده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي
 يسمى ككراً الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة فان هذا يشاعن الجهل فن عرف الله لا يتصور
 أن يكون آثماً ولأن يكون آسواً يتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله
 وبسببها أشد من بعض وظائفها على حسب تفاوت الجهل . وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله
 وشرائعه وبأوامره ونواهيها ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما يلي منها ما دخل تحت ذكر
 الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يلي أنه لا يدخل وإلى ما يليك فيه وطلب دفع الشك في القسم
 للتوسط طمع في غير مطمع . الرتبة الثانية : النفوس إذ يقاها وحفظها تدوم الحياة وتحصل للفرقة
 بالله قتل النفس لعمالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصد عن التصود وهذا
 يصد وسيلة للتصود إذ حياة الدنيا لا تاراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه
 الكبيرة قطع الأطراف وكل ما ينفض إلى الهلاك حق الضرب وبسببها أكبر من بعض ويقع في
 هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات
 انقطع النسل ودفع للوجود قريب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا يغوث أصل الوجود ولكن
 يشوش الأنساب ويطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا يتنظم المعيش إلا بها بل كيف
 يتم النظام مع إباحة الزنا ولا يتنظم أمور البهائم عالم يتميز الفعل منها بإنات يختص بها عن سائر
 الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا
 في الرتبة دون القتل لأنه ليس يغوث دوام الوجود ولا يمنع أصله ولبيته يغوث تميز الأنساب
 ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى القتال وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة
 داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه وعظم أثر الضرر بكثرته . للرتبة الثالثة : الأموال فانه ما يعايش
 الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي أن تحفظ
 لتبقى يقاها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن ترحيمها
 فليس يعظم الأمر فيها ، نعم إذا جرى تناولها بطريق بصير التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من
 الكبائر وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهي السرقة فانه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف
 يتدارك . الثاني أكل مال اليتيم ، وهذا أيضاً من الخفية وأغنى به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن
 فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظم الأثر فيه واجب بخلاف النصب فانه ظاهر
 يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان اللودع خصم فيه يتصف نفسه . الثالث : تخويفها بشهادة
 الزور . الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين المنفوس فان هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز
 أن تختلف التراجع في تحريمها أصلاً وبسببها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

إعالم ما في الصدور
 يا سمع يا قريب يا مجيب
 الدعاء يا لطيف يا شامخ
 يا رؤوف يا رحيم يا كبير
 يا عظيم يا الله يا رحمن
 يا ذا الجلال والإكرام
 اللهم لا إله إلا هو والحق
 القيوم وعتت الوجوه
 لحي القيوم يا حي
 وإله كل شيء يا لها
 واحدا لا إله إلا أنت
 اللهم إني أسألك باسمك
 يا الله الله الله الذي
 لا إله إلا هو رب العرش
 العظيم فتعالى الله الملك
 الحق لا إله إلا هو رب
 العرش الكريم أنت
 الأول والآخر والظاهر
 والباطن وسعت كل
 شيء رحمة وعلما
 كهـمـيـمـيـم عـقـي
 الرحمن يا واحد يا قهار

وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافليس في إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل النصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالنصب وغيره وعظم الحيانة والصبر إلى أن أكل دافق الحيانة أو النصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن يخص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيقي بما ذكره أبو طالب الحكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محظوظ كما أن النفس مهظوظة بل لاخير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإيجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فينبغ ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فلتوقف فيه مجال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية وتناولها مراتب وأعظمها تناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يبدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات المحس وهو الذي نريد بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالتقياس بمجردة لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويحمله بالشهادة عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته لحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من الصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فضلمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضررهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلالهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم يقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسعته كبيرة فليلحق بالكبائر . فإذا رجح حاصل الأمر إلى أن نفي بالكبيرة مالا تكفره الصلوات بحكم الشرع وذلك مما أقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه أو التوقف فيه بضه مظنون للنفي والاثبات وبضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذن لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فان قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فاعلم أن كل مالا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن ينطبق إليه الإجهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنياه حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأصنامها كالسرقة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات المحس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإجهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر

يعزز بإجبار بأحد
يا صمد يا ودود يا غفور
وهو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين
اللهم إني أعوذ بك من
المكثون المحزون
للنزل السلام الطهر
الطاهر القدوس القدوس
يادهر يادهور ياديهار
يا بد يا زل يا من لمزل
ولا يزال ولا يزول وهو
يا هو لا إله إلا هو يا من
لا هو إلا هو يا من
لا يمل ما هو إلا هو
يا كان يا كينان
يا روح يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا مكنونا

فلا تجردون على الصفات اعتقاداً على الصلوات الخس وكذلك اجتناب الكبائر بكفر الصفات بموجب قوله تعالى - إن تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبوا مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن واقعتها فكيف نفسه عن الوقوع يقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقوع أشد تأثيراً في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في إطلاعه فهذا معنى تكفيره فإن كان عيناً أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للجزء أو كان قادراً ولكن امتنع لحوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً وكل من يشتهي الحمر بطبعه ولو أيسح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصفات التي هي من مقدماته كسباع اللاهية والأوتار، ثم من يشتهي الحمر وسباع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الحمر ونطقه في السباع بمجاهدته النفس بالكف ربما تنجو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السباع فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من التشبهات فلا يحرف تفصيلها إلا بالنس ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة : فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرائك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ^(١) » قيل مازك السنة قبل الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف بقائه فهذا أمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كل واحد على حد جامع فيبقى لاجتماعيهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا بمن يجنب الكبائر والورع عن الصفات ليس شرطاً في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخصم رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع اللاهية ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب وضرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الخنق النبيذ حدثته ولم أرد شهادته فقد جله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفاً وإثباتاً لا تدور على الصفات والكبائر بل كل الذنوب تقدر في العدة إلا لاملأخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كاللصية والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسباع الفرية وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والفلان وضربهما بحكم الغضب زائداً على الصلوة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعلم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا تصح أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعزل الناس ويتجرد لأموال الآخرة وبجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمعته مع المحاظاة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لزم وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسباع اللاهية واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والحلوة بالأخبنيات وأمثال هذه الصفات من هذا القبيل فإلى مثل هذا التجاه ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصفات التي لا ترد الشهادة بها لو اطلب عليها لا يرد في رد الشهادة كمن اتخذ اللصية وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كأن اللباس بصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشرطي والترتمم بالنساء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصفات والكبائر .

(بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم القيب والملكوت وأعلى بالدنيا حالك قبل

لكل كونه أهياً
شراهما أدنأى
أصبوت يا بجلي عظامي
الأمور - فإن تولوا
قل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم - ليس كنه شيء
وهو المسيح البصير -
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعلم آل محمد كما
باركت على إبراهيم وآل
إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم إني
أعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يغشع
ودعاء لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة
الدجال وعذاب القبر

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرائك بالله وترك السنة ونكث الصفقة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الاسناد .

الموت وبالأخرة حالناك بعد الموت فذالك وآخركم صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فاننا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في البقعة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في بقعة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعلى بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير وبكثير من إله كنت فطنا ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أحتم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن مؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أسبّ الزيت في الزيتون فقال إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سيبت في صفرك لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سيبت في صفره وقال له آخر رأيت كأنني أفقد الدرّ في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنيما ننسئ بالمثل أداء للنسئ في صورة إن نظر إلى معناه وجد صدقا وإن نظر إلى صورته وجد كاذبا فال مؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج وجد صدقا فانه لم يختم به قط وإن نظر إلى معناه وجد صدقا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو اللع الذي يراد الختم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلّفوا أن يتكلموا للناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أنّ المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من المثل الذي لا يحقه إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثل لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير مابرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصمعا، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فانه لا ينهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن ههنا زلّ من زلّ في صفات الهيبة حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد ورد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بمحمود نظره على ظاهر المثل وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالمولود يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح فيصور الملحد الأحق بكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول بإسباحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف يتقلب العرض جسما وهل هذا إلا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال وما يعقلها إلا العالمون - ولا يدري السلكين أن من قال رأيت في منامي أنه جى بكبش هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المبر صدقت والأسر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لأن

(١) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنيما يمزى إلى على بن أبي طالب

(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على

صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالمولود يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح متفق عليه من

حديث أبي سعيد .

ومن فتنة الحيا والهايات
اللهم إني أعوذ بك من
شر ما علمت وشر ما لم
أعلم وأعوذ بك من
شر محسوس وبصري
ولساني وقلي اللهم إني
أعوذ بك من القسوة
والقفلة والذل والسكنة
وأعوذ بك من الفقر
والكفر والفسوق
والشقاق والنفاق وسوء
الأخلاق وضيق
الأرزاق والسمة
والرياء وأعوذ بك من
الصمم والبكم والجنون
والجذام والبرص وما شئت
الأسقام، اللهم إني أعوذ
بك من زوال نعمتك
ومن تحوّل عافيتك
ومن حطّاه نعمتك ومن
جميع سخطك، اللهم
إني أسألك الصلاة على

للمذبح وقع اليأس منه فإن للعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن النوكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على مافي اللوح المحفوظ عرفة بما في القروح المحفوظ بمثل ضربه له لأن التألم إنما يحتمل المثال فكأن مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفًا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل بقوله يؤتى بالهوت في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من اللوت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبتت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب المؤمن بين أربعين من أصابع الرحمن» عن سرعة القلب. وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض فالقصود أن تعريف توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال فلنضهم من المثل الذي نضربه معناه لاصوره. فنقول: الناس في الآخرة ينقسمون أصنافا وتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة متفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولاتفارق الآخرة في هذا المعنى أصلا ألين فاندبر الملك واللكوت واحدا لملك له وسنة الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا يتبدل لها إلا بإذن من عز ناعن إحصاء أحد الدرجات فلا تنجز عن إحصاء الأجناس. فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضروة إلى أربعة أقسام هالكيين ومعمدين وناجيين وقائرين. ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويغيب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المذبذبون ويغلب بعضهم فهم الناجون ويخلص على بعضهم فهم الفائزون فإن كان للملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق للملك معاندًا له في أصل الدولة ولا يجذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغلب إلا متعززا له بربة الملك لكنه لم يقصر ليغلب ولم يخدم ليخلص عليه ولا يخلص إلا من أبى عمره في الخدمة والنصرة ثم يبنى أن تكون خلق الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك الهالكيين إما تحقيقا بحز الرقة أو تسكيلا بالثلة بحسب درجاتهم في العاندة وتغيب للمعدين في الحفة والشدة وطول الدة وقصرها وأعاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فنقسم كل ربة من هذه الرتب إلى درجات لأخصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمعدبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من مخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزيعها عليها: الرتبة الأولى وهي رتبة الهالكيين. معنى الهالكيين الآيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضاء الملك وإكرامه فلا تنقل عن معاني المثال وهذه الدرجة لانكون إلا للجاحدين والمرضين المتجربين للدنيا المسكين بالله ورسله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا يتأتى أصلا إلا بالمعرفة التي يعبر عنها

(١) حديث إن آخر من مخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكانا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة.

محمد وعلى آله وأسألك
من الحسب كله عاجله
وأجله ما غلب منه
وما لم أعلم وأعوذ بك
من الشر كله عاجله
وأجله ما غلب منه
وما لم أعلم وأسألك الجنة
وما قرب إليها من قول
وعمل وأعوذ بك من
النار وما قرب إليها من
قول وعمل وأسألك
ماسألك عبدك ونيك
محمد صلى الله عليه
وسلم وأستعذك بما
استعذك منه عبدك
ونيك محمد صلى الله
عليه وسلم وأسألك
ما قضيت لي من أمر أن
تجعل عاقبة رعدا
ترحمك يا أرحم
الرحمين يا حي يا قيوم
ترحمك أستغني

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم للسكران والمكذبون هم الآيئون من رحمة الله تعالى أبدالآباد وهم الذين يكذبون رب العالمين وأنبأته الرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لاهالة وكل محجوب عن محبوبه فحول بينه وبين ما يشتهي لاهالة فهو لاهالة يكون غمراً نار جهنم نار الفراق ولذلك قال المارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجائنا للحور العين وإنما مطالبنا باللقا ومهرنا من الحجاب فقط ، وقالوا من يبد الله بعوض فهو لئيم كأن يبد الله بقطعة من الخبز أو لحاف نار به بل المارف يبد الله بقلبه فلا يطلب إلا ذاته فقط ، فأما الحور العين والقواكه فقد لا يشتهي وأما النار فقد لا يشتهي إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار الفراق نار الله الوعدة التي تطلع على الأقدمة ونار جهنم لا تغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام تستحق مع ألم القواد ولذلك قيل :

وفي قواد الحب نار جوى أحر نار الجحيم أبرد

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد رؤى من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لقرط غلبة ما في قلبه ويرى الغصن يستولى عليه الغضب في القتال فتصبيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار ^(١) » واحتراق القواد أشد من احتراق الأجساد والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيوف إلا من حيث إنه يفرق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام فهو أشد إيلاماً إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم يستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على السكره والصلو جان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ولم يعد ذلك أما وقال العدو في الليدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين المهرية والحلواء وبين فصل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأثر المهرية والحلواء ، وهذا كله فقد للذي يوجد به يصير الجاه محبوباً ووجود للذي يوجد به يصير الطعام لذيقاً وذلك لمن استرقت صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا ياسبها ولا يبلها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤهلها إلا بالبدو الحجاب وكما يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الآذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا يصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لصاحبه قوله تعالى - إن في ذلك لذكر لمن لم يكن له قلب - فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً من القلب ، ولست أعني بالقلب هذا الذي تنكتفه عظام الصدر ، بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق وعرشه والصدر كرسية وسائر الأعضاء عاله ومملكته وقله الخلق والأمير جميعاً ، ولكن ذلك السر الذي قاله الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربي - هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائع المعنى للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين

(١) حديث الغضب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تنكفي إلى قصى
طرفه عين وأصلح لي
شأنى كله يا نور
السماوات والأرض
يا جمال السماوات
والأرض يا محمد
السماوات والأرض
يا بدیع السماوات
والأرض إذا الجلال
والاکرام يا صريح
للسرخين يا غوث
السنين يا منتهى
رغبة الراغبين
والفرج عن الكرويين
والروح عن العمومين
ومجيب دعوة
الضطرين وكاشف
السوء وأرحم الراحمين
وإله العالمين منزول
بك كل حاجة يا أرحم
الراحمين اللهم استر
عوراني وآمن روعاني

الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى التمسكين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمة للعالمين على اللفظ أكثر من رحمة للتمسكين في التأويل لأن الرحمة على قدر الصية ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله بؤيته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكته يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولتعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أطل من علوم للعالمات التي تصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فذلك لم نوردنا . الرتبة الثانية : رتبة اللعدين وهذه رتبة من نحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمتقضاءه فان رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يجيد إلا الله ومن اتبع هواه فقد أخذ إلهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل بمعنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تدرأ الكيفية غير الله ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشرع وأحد من السيف مثل الصراط الوصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضى لهالة نقصان في درجات القرب ومع كل نقصان نار نار الفراق لذلك الكمال الثالث بالنقصان ونار جهنم كما صفاها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وبخفته وتفاوته بحسب طول المدة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقتله وإذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى - وإن مكتم إلا واردتها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - ولذلك قال الحافظون من السلف : إنما خوفا لأننا نيقنا أنا على النار واردون وشككتنا في النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان^(١) قال الحسن باليقين كنت ذلك الرجل . واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر الدد وأن الاختلاف بالشدة لآهية لأعلاء وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كأن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقتلها وكثرة السيئات وقتلها . أما عدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكتبتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بوله تعالى - وما ربك بظلام للعبيد - وبوله تعالى - اليوم نحصى كل نفس

وأقلى عتراتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي ، اللهم - إني ضيف قفو في رضاك ضيعي وخذ إلى الجبر بناصيتي واجعل الإسلام منهي رضائي ، اللهم إني ضيف قدوني اللهم إني ذليل فأعزني ، اللهم إني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إني تلمس سرى وعلاتني فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم مافي نفسي فأغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا ييسر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسطلي عن أنس وأبو ظلال ضيف واسمه هلال بن ميمون .

بما كسبت - وبقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وبقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك يعدل لاظم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيا أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتي غضبي (١) » وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار. فتقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائض : أعنى الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا سفاثر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط فانه إذا حوسب ربححت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما سبى من ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للسفاثر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الليزان بعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب الجين أو بالمقرين ونزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تقليدي كما بين العوالم يصدقون بما يستمؤمن ويستمرون عليه ، وإيمان كسفى يحصل بانسراح الصدر بنور الله حتى يكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم المقرين النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللائ الأعلى وهم أيضا على أصناف فتمهم السابقون ومنهم من دونهم ، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات التعارف في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلاله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإعما يخوص فيه الفواصون بقدر قواهم بقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهاية لمازله فالسالكون سبيل الله لانهاية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيماننا تقليديا فهو من أصحاب الجين ودرجته دون درجة المقرين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الجين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقرين ، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائض كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصادقة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثواب المسؤول كالنسي لم يتوسع أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر عظيم عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لنزول إيمانه فيفتح له بسوء الحظمة لاسيا إذا كان إيمانه تقليديا ، فان التقليد وإن كان جرما فهو قابل للإعحال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الحظمة ، وكلاهما إن ماتا على الإيمان يذبذبان إلا أن يحقو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل إليه المفلدون في درجات أصحاب الجين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين ،

(١) حديث سبقت رحمتي غضبي مسلم من حديث أبي هريرة .

أنه لن يصفى إلا ما كتب لي وإرضا بما قسمت لي إذا الجلال والاكرام اللهم بإهدى المضلين وبارحم المذنبين ومقبل عثرة العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات ربيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من نشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لإله إلا هو أنت الوكيل

في الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف (١) » فلا تظن أن الراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بشعرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من المثل إلا التل في الوزن والتقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشرة عشره بل هو موازن تمامًا للأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لما يثقله فروسه السالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح السالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيتك عشرة أمثاله كان صادقاً ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر بل بفضة أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصلي بالتقوى والبدوى ويقول ماهذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إن أعطيتك عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصلي ولكن لا سبيل إلى تحقق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فتندرك ينكشف له الصدق والمعارف عاجز عن فهم التقليد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات (٢) » كما ورد في الأخبار والسواآت من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثاله الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن فهم الصلي تلك الموازنة وكذلك تفهم البدوي وكان أن الجوهري مرحوم إذا بلى بالبدوى والتقوى في تفهم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبداء الأبله في تفهم هذه الموازنة قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عالمين الجهال وغنى قوم افتقر وعزیز قوم ذل (٣) » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم قصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو العلي بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة (٤) » فلا تظن أن البلاء بلاء أبوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم إذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فراراً ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر (٥) » فاذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاهدين ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا ينك الأولياء عن ضروب

وإليك الصبر يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشبه عليه الأصوات ويا من لا تغاطه السائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يتبرم بالخلق الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسئلك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعملاً لا ينفذ وقرّة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد وأسألك حبك

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات مع من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عالمين الجهال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلعب به الصبيان وفيه أبو البختري وإسمه وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة الترمذى وصححه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت ليارسول الله أي الناس أشد بلاءً فذكره دون ذكر الأولياء ولطبراني من حديث فاطمة أمه الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر البخاري من حديث ابن مسعود .

من الأيذاء وأنواع البلاء، لاخراج من البلاد والسماية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل للفرقة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون للناس عن الجبل الكبير جوهره صفيرة عند الجاهلين من البغويين الضيعين. فاذا عرفت هذه الدقائق فأت من بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً برجلين لأن الحمار يشترك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسراً يلمى عرض على السموات والأرض والجبال فأين أن يجعلته وأشقق منه فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارق به الحمار وسائر البهائم فمن دخل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز الحواس فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الله مدركاً في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لعمالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى أعلى الأقطار في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأتمم عليه كافرًا لأنعمه ومتعرضاً لنقمة إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة فإن البهيمة تخلص بالوقت. وأما هذا فعنده أمانة ترجع لعمالة إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومصدرها تلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هي بطت إلى هذا القالب الثاني وغربت في مستطع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارتها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة. والزاهرة المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المربع والمصير للكل إليه إلا أنها تأسه رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم - فيبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد اغلبت وجوههم إلى أفتيمهم واتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهد طريقه، فعوض بالله من الضلال والتزلزل إلى منازل الجبال فهذا حكم اقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحداً. ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغائبين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة حيث لا تبقى رقة ولأمال لا ينفع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله. وعلامته أن لا يظن على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسايط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال. ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة، فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار. وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كاذر كافي الموازنة بين أعيان الأموال وبين التقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فيقودون العباد هو الدوان الذي لا يترك فأما بقية السبائك فيتمسارح الغفو والتسكير إليها في الأمر إن العبد لو يوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقض من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول

(١) حديث أخرجه من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان الحديث تقدم.

وحب من أحبك
وحب عمل يحرب إلى
حبك . اللهم بملك
الغيب وقدرتك على
خلقك أحياناً ما كانت
الحياة خيراً لي وتوفى
ما كانت الوفاة خيراً لي
أسألك خشيتك في
الغيب والشهادة وكلمة
العدل في الرضا والغضب
والقصد في التقى والفقر
ولذة النسظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وفقة
مضلة . اللهم اقم لي
من خشيتك ما يحول
به بيني وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ماتهمون به علينا
مصائب الدنيا . اللهم
ارزقنا حزن خوف

للاشك ياربنا هذا قد فئت حسنة وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وسكوا له صكا إلى النار وكما بهلك وبسيرة غيره بطريق القصص فكذلك ينجم للظالم بحسنة الظالم إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستعله فقال لأنفل ليس في حقيقته حسنة أفضل منها فكيف أجوعها وقال هو وغيره مذنوب إخوان من حسنى أريد أن أزين بها حقيقته فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في العاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم يظهر أسباب يضاها حكم الطبيب على مريض بأنه عوت لأحالة ولا يقبل العلاج على مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه حين فإن ذلك ظن يسبب في أكثر الأحوال ولكن قد تتوق إلى الشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء ونحو الأسباب التي ترتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الحقى للفوز إلى النجاة بالفوز والرضا ومحامض إلى الهلاك بالنضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز الفوز عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والنضب على الطبع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الاعتقاد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضى العفو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والنضب جزاء على الأعمال والأوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى - وما ربك بظلال للعبيد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وسئل ذلك صحيح فليس للإنسان إلا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما راغوا أزاع الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما به تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا واضحا من الشهادة بالمرصاد البصر يمكن الفلظ فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير ضغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الفلظ فيها وإنما الشأن في افتتاح بصيرة القلب وإلا فابرى بها بعد الافتتاح فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب التؤاد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة التاجين وأغنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم يقصروا فيعبدوا وبشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا نصبة فلا وسيلة فخرهم ولا جانية تبعدهم فاهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل يزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين اللقامين عبر الشرع عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق (١) فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف الزوار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنهم العصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن شبيب عن عمر بن عبد الرحمن الذي عن أبيه مختصرا وأبو معشر نجيب السندی ضعيف ويحيى ابن شبيب لا يعرف وللحاكم عن حديثه قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

الوعيد وسرو
رجاء للعود حتى
نجد لمة مانطلب
وخوف مانته نهرب
اللهم ألبس وجوهنا
منك الحياء واملا
قلوبنا بك فرحا واسكن
في قلوبنا من عظمتك
مهابة وذلل جوارحنا
لخدمتك واجعلك
أحب إلينا مما سواك
واجعلنا أخشى لك من
سواك نسألك تمام
الصحة تمام التوبة
ودوام العافية بدوام
الصحة وأداء الشكر
بحسن العبادة اللهم
إني أسألك بكل كلمة الحياة
وخير الحياة وأعوذ بك
من شر الحياة وشر
الوفاة وأسألك خير
ما بينهما أحمي حياة

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على العبد كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم فهذا مظلون وليس بمسئمين والأطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوة ويعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنهما المامات بعض الصبيان تصفونهم من عصفير الجنة فأنتكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم العارفون دون التلقدين وهم القربون السابقون فإن التلقد وإن كان له فوز على الجملة بنقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم القربون وما يلي هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره فاصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أحمله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والحمر والحلى والأساور فاتهم لا يحرمون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا القادة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحمة وعلى وجعفر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (١) حديث عائشة أنها قالت لمامات بعض الصبيان عصفور من عصفير الجنة فأنتكر ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال المصنف والأخبار في حق الصبيان متعارضة . قلت روى البخاري من حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة فقيل يارسل الله وأولاد الشركين قال وأولاد الشركين وللطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد الشركين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف برويه عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان وللنسائي من حديث الأسود ابن سريع كان في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية ، وفيه إلا إن خياركم أبناء الشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أفرايت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد الشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود مامن نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن أبي ذر عن أبي ذر عن المؤمنين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين في النار وله من حديث عائشة قلت يارسل الله ذراي المؤمنين فقال مع آباءهم قلت بل عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذا رأيت المشركين قال مع آباءهم قلت بل عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسل الله أين أطفائي منك قال في الجنة قلت بل عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأتين أطفائي قبلك قال في النار قلت بل عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصب بن جثامة في أولاد المشركين هم من آباءهم وفي رواية هم منهم .

السعداء حياة من
تحب بقاءه وتوفى وفاة
الشهداء وفاة من يحب
لقائه ياخير الرازيين
وأحسن التوابين
وأحكم الحاكمين
وأرحم الراحمين ورب
العالمين ، اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وارحم ما خلقت واغفر
ما قدرت وطيب
ما رزقت وتعمم أنعمت
وتقبل ما استعملت
واحفظ ما استعظمت
ولا تهتك ما سترت فانه
لا إله إلا أنت استغفرك
من كل لذة تفرذ كرك
ومن كل راحة تفسر
خدمتك ومن كل
سرور تفسر قربك
ومن كل فرح تفسر
بجالتك ومن كل

ولذلك قيل لرابعة المدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة قتالت الجار ثم الدار فعولاء قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال الماشق
المتهم بمشوقه السوفى هم بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه
لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بأنه فنى عن نفسه ومناه أنه صار مستغرقا بغيره
وصارت همومه ما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لتغير محبوبه حتى يلتفت إليه لانفسه ولاغير
نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قررة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر
كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكف إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه
وبصره فتد ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فانه لا يحجب
على التحقيق وبرقه ينكشف الغطاء فتد ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة لمسى
الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات والله اللوفق بلطفه.

(بيان ما تعظم به الصائغ من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الإصرار والواظبة وذلك قبل الصغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع
استغفار فكبيرة واحدة تصرم ولا يتبعها مثله لو تصور ذلك كان الطوع عنها أرجى من صغيرة يواظب
البد عليها ومثال ذلك نظرات من الماء تقع على الحجر على نوال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب
عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل »^(١) والأشياء
تستبان بأمدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للنصرم قبل النفع في تنوير
القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما
يتصور الهجوم عليها بنية من غير سوابق ولو احمق من جملة الصائغ قلما يرى الزاني بنية من غير
مراودة ومقدمات وقلما يقتل بنية من غير مشاحنة سابقة ومعادة فكل كبيرة تكتنفها صائغ
سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بنية ولم يتفق إليها ودعما كان العفو فيها أرجى من صغيرة
واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه البعد من نفسه
صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نور القلب عنه
وكرهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الآلف به وذلك يوجب شدة
الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحدور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما
يجرى عليه في الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل
فوقه يخاف أن يقع عليه وللنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطأه »^(٢) وقال بعضهم الذنب
الذي لا يفر قول البعد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لملحه بجلال
الله فاذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنظر
إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها
وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لاصغيرة بل كل مخالفة نهى كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بغير معاملتك
اللهم إني أستغفرك من
كل ذنب ثبت إليك
منه ثم عدت فيه اللهم
إني أستغفرك من كل
عقد عقدته ثم لم أوف
به اللهم إني أستغفرك
من كل نعمة أنعمت
بها على قوتها بها على
مصيبتك اللهم إني
أستغفرك من كل عمل
عملته لك غافلا ما ليس
لك اللهم إني أسألك أن
تصلى على محمد وعلى
آل محمد وأسألك
جوامع الخير وفوائده
وخواتمه وأعوذ بك من
جوامع الشر وفوائده
وخواتمه اللهم احفظنا
فيا أمرتنا واحفظنا
عما نهيتنا واحفظ لنا
ما أعطيتنا يا حافظ

(١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
(٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا
عبد الله بن مسمود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فقد ذكر هذا
وحديث لله أفرح بثوبة البعد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا
الوجه موقوفا ومرقوعا .

رضى الله عنهم للتابعين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشرر كما تمدحها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللوقات إذ كانت معرفة الصغاية بحلال الله أتم فكانت الصغائر عديم بالاضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والخالفة يكبر بقدر معرفة الخائف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد النكس من ذلك نعمة والفتلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من اللذنين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بتقارفه إياه كما يقول أمارأيتي كيف مزنت عرضه ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتي كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخلجته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول العامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غيبت في ماله وكيف استحقته فهذا وأمثاله تكبره الصغائر فان الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحبل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب يده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن يشكر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجي شفاؤه . ومنها أن يهاون بستر الله عليه وحله عنه وإهماله إياه ولا يدري أنه إنما يعمل مقنا ليزداد بالإهمال إنما فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكمن الغرور بالله كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يديننا الله بما نقول حسبه جهنم يصلونها فيبش السير - ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكر بعه إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جنايته على ستر الله الذي سده عليه وتخريك لرجة الترفيع اسمه ذنبه أو أشهده ضله فيما جانيان انضمتا إلى جانبته فقلظت به فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهمة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاخش الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين بيبس أحدكم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه ^(١) » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهلك الستر فالظاهر كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذب ذنبين ولذلك قال تعالى - للناققون والناققات بعضهم من بعض يأمرون بالفسك وينهون عن العروف - وقال بعض السلف ما انتهك الرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصيتهم يهونها عليه . ومنها أن يكون الذنب علما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الاريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الانكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراس وتمد به بالسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم عالا يقصده، نه إلا الجاه كمل الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيحوت العالم ويقي شره مستطير في العالم آماداً مطولة فطوي لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر « من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها لا يتقص من أوزارهم شيئاً ^(٢) » قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يلقى من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس يدل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . بالفظ كل أمتي وقد تقدم (٣) حديث من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم في آداب الكسب .

الحافظين وبإذا كر
الذاكرين وبإذا كر
الشاكركين بذكرك
ذكركوا وبغضك
شكروا وبإغيات يا غيبت
يا مستغاث يا غيبت
للمستغاث لا تنكثي إلى
نفسى طرفه عيين
فأهلك ولإلى أحد من
خلقك فأضيق أكلائي
كلامه الوليد ولا تغل
عنى وتولى بما تتولى به
عبادك المالحين أنا
عبيدك وابن عبيدك
ناصيتي يدك جار في
حكك عدل في
مضاؤك ناقد في مشيتك
إن تعذب فأهل ذلك
أنا ، وإن رحم فأهل
ذلك أنت فأهل اللهم
يا مولاي يا الله يارب
مأنت له أهل ولا تغفل

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويغرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن طالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فصل في الإصلاح دهرها فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل له إن ذلك لو كان فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار . فهذا يوضح أن أمر العلماء مخطر فطهرهم وظيفتان : إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤهم كالتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل والليل إلى الدنيا وقع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويتقيد به العلماء والموام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يتدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من المحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالرجع وإما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر)

فد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدًا وذلك الندم أورثه العلم بكون للعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولشكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام وتساميها علامة ولدوامها شروط فلا بد من ثباتها . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسببها . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والسكران استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبتهم وبكائه وأى عزيز أزعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من العاصي وأى خبر أصدق من الله ورسوله ولوجوده إنسان واحد يسمى طبيا أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سموت منه لظال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعز ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من العاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها لآلئ الدنم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فاتهم أرقق أثمة (١) « ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالليل كراهية وبالرغبة نفرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله يقول توبة عبد بعد إعدان اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزني وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالذنوب هي أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتأثر شره وفلجت أعضائه فإذا قدم إليه عسل فيمثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لافهم وجد للشهادة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا شبهه بفوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بثل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متأونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى اللوث

اللههم يارب يا الله
ما أنا له أهل إنك أهل
التقوى وأهل المغفرة
يا من لا تضره الذنوب
ولا تنقصه المغفرة هب
لي ملائيك وأعطني
مالا ينقصك ياربنا
أفرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلين توفني
مسلمًا وألحقني
بالصالحين أنت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وأنت
خير الغافرين ربنا
عليك توكلنا وإليك
أئبنا وإليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم السافرين
ربنا آتنا من لذك
رحمة وهي لنا من
أمرنا رشدا ربنا

(١) حديث جالسوا التوابين فاتهم أرقق أثمة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله وهو ابن أبي الدنيا قال التوبة قال جالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى النادم أقرب وقال أيضا فلو عظم إلى فلوهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمة وأرق قلبا .

وينبى أن يجد هذه المرات في جميع القنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في الصل التفر من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من الصل بل بمافي ولم يكن ضرر التائب من مرتته وزناه من حيث إنه مرفقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما القصد الذي يثبت منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضى وهو تدارك ما فرط وبالسبب وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشروط صحتها تعلق بالماضى أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنس أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة وسنة وشهر اشهر او يوما يوما ونفسا نفسا وينظر إلى الطاعات ما الذى قصر فيه منها وإلى المعاصي ما الذى قارف منها فان كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهل بشرط النية فيضبطها عن آخرها فان شك في عدد ما فات منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه أداه ويقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بظالم الظن ويصل إليه على سبيل التحرى والاجتهاد . وأما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشغل بقتائه ، وأما الزكاة فيجب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة في مال السي فؤدى ما علم بظالم الظن أنه في ذمته فان أداه على وجه يوافق مذهب بأن لم يصرف إلى الأنساف الخائفة أو أخرج البذل وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فان ذلك لا يجزئيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك بطول ويحتاج فيه إلى تأمل شافى ولازمة أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من الغلاء . وأما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أقبل ضلوه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس ضلوه أن يكتب من الحال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال ضلوه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يجزئ به فانه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » (١) والمجر الطارىء بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها . وأما المعاصي فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن ممعه وبصره ولسانه وبطنه ويبدو رجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفضل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميع صفاتها وكبائرها ثم ينظر فيها فسا كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بظلمة الأياد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنباء ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر ومجامع ملاء وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالنوبة عنها بالندم والتحرر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث اللذة وبطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذنا من قوله يُرَفِّقُ « اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها » (٢) بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر جماع الملائه بجماع القرآن وجماع الدنيا الذكر وبكفر القعود في المسجد جنبيا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة وبكفر من الصلح عمدا بأكرام الصلح وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقيله بأن يكتب مصحفا ويحمله وقفا وبكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وأما القصد لدولك

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذى من حديث أبى ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب وبضنه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

أتما في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والصمتة من المعصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإبداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن القلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر

الطريق المضادة فإن المرض جالج بضده فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمصيبة فلا يجوزها إلا نور رفع إليها بحسنة تضادها والتضادات هي التناوبات فذلك ينبغي أن تسمى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقيق من التلطيف في طريق المو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في المو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدينار رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحزن إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم يشوب بسببه قلبه عن الدنيا ليكون كفارة له إذ القلب يتجاف بالهموم والضموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم »^(١) وفي لفظ آخر « إلا الهم يطلب للعيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تسكفها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه »^(٢) ويقال إن الهم الذي يدخل على القلب والبدا يعرف هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول الطلوع . فان قلت لم الإنسان غالباً بعالمه وولاه وجهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمت به تمت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة شكلي قال فسأله عند الله قال أجرماته شهيد فاذن الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم الأبدان ففيها أيضاً مصيبة وجنابة على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً فالتعلق بمنى حق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والامتنان بالחסنات التي هي أمدادها فيقابل إبداءه الناس بالاحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق علىه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالعبية والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتناق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد موقوف لنفسه موجود لسيده والعائق بإيجاد لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقابل الأعدام بالأيجاد وهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير وهو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتناق رقية ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجمه ولم يكفره ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أغنى به الإبداء المحض . أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إيمانه وأمن عاقبته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمداً موجبا لقتصاص بالقتصاص فإن يعرف فجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء غفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة إلا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كالوزني أو شرب أوسر أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيحد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويتنص من الوالي استغفار حق الله تعالى بل عليه أن يشتري بستر الله تعالى ويقيم حداً على نفسه بأنواع المجاهدة والتذيب فالعفو في بعض حقوق الله تعالى قريب من التائبين التائبين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع وموقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى « أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين سبقونا بالإيمان ولا نعمل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي وللمن تولدنا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواننا وخالاتنا وأزواجنا وفريقاتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات أرحم الراحمين يا خير الغافرين ولما كان الدعاء مخ العبادة أحببنا أن نستوفى من ذلك فيما صالحنا نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم وفي لفظ آخر إلا الهم في طلب العيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضيف تقدم في النكاح
- (٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تسكفها أدخل الله عليه العموم وتقدم أيضاً في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحنن .

فقال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزينت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يارسول الله إني قد زينت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به لحفر له حفرة ثم أمر به فحفر فشكل الناس فيه فريقين فقال يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول مأتوبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو ستمت (١) وجاءت المأمدية فقالت « يارسول الله إني قد زينت تطهرني فردها فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردني لملك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً فوائه إني لجلبي فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فأذهبي حتى تضي فلما ولدت أنت بالصبي في خرقه فقالت هذا قد ولدته قال أذهبي فأرضعي حتى تظمي فلما نظمته أنت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت ياني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فحفرها فأقبيل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتضخ الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال مهلاً ياخالد أو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (٢) .

وأما القصص وحده التذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه وإن كان للتناول ملا تناوله بنصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترويج زائف أو سر عيب من البيع أو هضم أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لآمن حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجها بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به إذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ ويجب على الحيات والدوايق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقتس قبل أن يناقتس فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب الظالم واحدا واحدا وليطوف في نواحي العالم وليطأهم وليستأجرهم أو يؤد حقوهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فاتهم لا يقدر على طلب العاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب الظالم ولتسكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تنف بها حسناته حمل من السيئات أرباب الظالم فهلك بسببها غيره فهذا طريق كل تائب في رد الظالم وهذا واجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريافيني أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في العاصي في متسع الأوقات هذا حكم الظالم الثانية في ذمته . أما أمواله الحاضرة فلا بد إلى المالك ما يعرف له مالاً معيناً وما لا يعرف له مالاً معيناً أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجترأ ويتدق بذلك القدر كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بمشاققة الناس بما يسوؤهم أو يميمهم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو أذى قلبه بفعله من أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة وأما من وجدته وأحله بطيب قلب منه فذلك كفرارته وعليه أن يعرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربها وقوله لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث المأمدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله صلى الله عليه وسلم : لقد تابت توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه قوت القلوب وعلى قله كل الاعتقاد وفي البركة فليدع هذه الدعوات منفرداً أو في الجماعة إماماً أو مأموماً ويختصر منها ما يشاء [الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع التهار وتوزيع الأوقات]

فمن ذلك أن يلازم موضعه الذي صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في هذا الوقت وترك السلام له أثر ظاهر بين جمده أهل

وتعرضه له فالاستحلال للمهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاستحلال
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة بأخذها من حسناته أو محمله من سيئاته فإن كان في جملة جنايته على
 الغير مالم ذكره وعرفه لتأذي بغيره كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا
 عيوبه يظلم أذاه مهما شوقه به فقد انسده عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم
 تبقى له مظلة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلة اللبث والناثب . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المحنى عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال
 بقيت المظلة عليه فإن هذا حقه فعليه أن يتألف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
 حبه والشفقة عليه مايستعمل به قلبه فإن الإنسان عبد الاحسان وكل من نهر ببيتة مال بحسنة
 فإذا طاب قلبه بكثرته تودعه وتطهقه صحت نفسه بالاستحلال فإن أبي إلا الاصرار فيكون تطلعه به
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرجه
 وسرور قلبه بتودعه وتطهقه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك
 منه عوضا في القيامة يحكم الله به عليه كمن أتلّف في الدنيا مالا لجاه بثمنه فامتنع من له السان من
 القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالتبض منه شاء أم أبي فكذلك يحكم في صعيد القيامة
 الحاكم بين وبين أعدل القسطين وفي التفتي عليه من الصالحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 أهل الأرض فدل على راهب فأثاء فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 فقتله فشكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها
 أناسا يبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
 جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
 فجاءهم حكماً بينهم فقل قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسوا فوجدوه أدنى
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) « وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب
 منها بشير فقبل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير فقبل له ، فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا بالرجحان
 ميزان الحسنات ولو بمثل ذرة فلا بد للناثب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالمأخوذ .
 وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعتقد مع الله عقدا مؤكداً ومجاهدةً بهد وثيق أن لا يعود
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلاً فيعزم عزمًا جزماً
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن ضلّبه
 الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائباً مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للناثب
 في أول أمره إلا بالعزيمة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فإن كان له مال موروث
 حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فإن رأس المعاشي أكل الحرام
 فكيف يكون تائباً مع الاصرار عليه ولا يكفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات

للسائلة وأرباب القلوب
 وقد نذب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى
 ذلك ثم قرأ الفاقة
 وأول سورة البقرة إلى
 للفلج والأيمن
 ولهمكم إله واحد وآية
 الكرسي والأيمن
 بعدها وآمن الرسول
 والآية قبلها وشهدنا
 وقال اللهم مالك الملك
 وإن ربكم الله الذي
 خلق السموات
 والأرض إلى الحسين
 ولقد جاءكم رسول إلى
 الآخر وقال ادعوا الله
 الآيين وآخر الكهف
 من إن الذين آمنوا
 وذا النون إذ ذهب
 مغاضباً إلى خير الوارئين
 فسبحان الله حسين
 تمسون وحين تصبحون

(١) حديث أبي سعيد الخدري التفتي عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو . متفق عليه كما قال الصنف من حديث أبي سعيد .

في المأكولات واللبنات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يمتل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يتمكن الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والنصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولغز الصدة في هذا انقام مجمل بل قول لمن قال لا تصح إن عنت به أن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلها سبب لقتله وهول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولستنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب إلى أنها لا تصح إن أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجهه لأجل المعصية فإن العلة شاملة لها إذ من يتوجه على قتل ولده بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لأن توجهه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجه العبد بفوات محبوه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مغفوة للمحبوب من حيث أنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث إن المعصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تantal إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض التائبين فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول هول إن المقدر لا يصح أي لم ترتب عليه الجزاء وهو الملك وتحقيق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمره الندم تكفير ماسبق ترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم إلا لكونها معصية وذلك يتم جميع المدعى وهو كلام مفهوم واقع يستلحق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لخطأ الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي يحق على أهل الملك وحرمه ويحسب على دابته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استظام الذنب واعتقاد كونه مبيدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثرت التائبون في الأعصار الحالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة المعصية والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكملها جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لا اعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والزنا والظالم ومظالم البعاد لعله أن ديوان البعاد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كافي تفاوت

وسبحان ربك إلى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بذات الصدور وآخر
سورة الحشر من
لو أنزلنا ثم سبغ ثلاثا
وثلاثين وهكذا بحمد
مثله ويكبر مثله وثمها
مائة بلاية إلا أنه وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يشتغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
قصور وقصور ونعاس
فإن النوم في هذا الوقت
مكروه جدا فان غلبه
الوهم فليقم في مصلاه
قائما مستقبل القبلة
فإن لم يذهب النوم
بالقيام فليخطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتعلق بالبادكا يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجيح شرب الخمر عنده يثبت منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل ونداما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صنيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن الفرية أو عن النظر إلى غير الحرم أو ما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا يمكن ووجه إمكانه أنه مأمون إلا وهو خائف من معاصيه ونامم على فعله ندما إما ضغينا وإما قويا ولكن تكون قلة نفسه في تلك العصبة أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والفقة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون ملما بتحريك الزم ولا قويا عليه ، فان سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضنف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك العصبة وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما للبية وثلب الناس والنظر إلى غير الحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقطع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف انبعاث الزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخص العنان بالكيفية بل أجاهده في بعض المعاصي ذماني أغلبه فيكون قهرى له في البعض كتمارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم ولتليل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله وترك الفسق لله فان أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تصمد بصلاتك القرب إلى الله تعالى ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بأن يقول لله تعالى على أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا ملئ في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فانا أقهره فيها أقدر عليه ، وأرجو بجماعتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرض شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورت الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها مماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالتدر الذي يسجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمرضى الذي حذره الطبيب الفا كرهة فانه قد يتناول قليلا ولكن لا يستكرهها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون ماتا به عنه مخالفا لما بق عليه إما في شدة العصبة وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب وذاؤه بمنه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي . فان قلت هل تصح توبة العن من الزنا الذي ذرعه قبل طريان العنة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يبعث التوب على الترك فبما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد اندم بنفسه لا بتركه إياه . ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي ذرعه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة في إقامة استقبال القبلة وترك السلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله هذه الرعاية فقد أحكم بنيه وتبني أوقوت النهار جميعا على هذا البناء فلذا قارب طلوع الشمس يتسدى بهراء الساعات العشر

لكانت حرقه الندم تنفع تلك الشهوة وتخلبها فأنى أرجو أن يكون ذلك مكفراً لذنبيه ومجانياً عنه
سيئه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن بطراً
عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه نائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغاً
أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستجبل أن تبلغ قوة الندم إلى حق الصنيع وهذا البلغ
إلا أنه لا يحرره من نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئاً بقدر نفسه قادراً على تركه بأدنى خوف والله
تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فسواء يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله
ترجع إلى أن ظلمة اللصبة تنمحي عن القلب بشيئين : أحدها حرقه الندم ، والآخر شدة المجاهدة
بالتوك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى
على محوها دون المجاهدة ولولا هذا قلنا إن التوبة لا تقبل مالم يمش التائب بعد التوبة مدة مجاهدة
نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا بد من ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً فان قلت
إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن الزنوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه زنوع إليه وهو
مجاهدها وعينها فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبي الحواري
وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك
الآخر أفضل لأنه لو قر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عريضة الفتور عن
المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق في أن
الذي انقطع زنوع نفسه له حالتان : إحداهما أن يكون انقطاع زنوعه إليها بفتور في نفس الشهوة
فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه المجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو
دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأغنى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبذ بإشارة اليقين
وتنفع الشهوة للنبذة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً وقول القائل إن هذا
أسلم إذ لو قر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل له خطأ وهو كقول القائل
المتين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والفلس أفضل
من الملك القاهر القابع لأعدائه لأن الفلس لا عدو له والملك ربما يفلب مرة وإن عاب مرات وهذا
كلام رجل سلم القلب قصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو شرطه اتحام
الاغترار بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة
من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتتكسر أعضاؤه عند السقوط على
الأرض وآمن من أن يضنه السكاب ويستدعي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والسكاب إذا كان
قوياً عالماً بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد . الحالة الثانية : أن يكون بطلان
الزنوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغاً وقع هيجان الشهوة حتى تأدت بأدب
الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من
المجاهد القاسي لهيجان الشهوة ولحمها ، وقول القائل ليس لتلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة
بتقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصوداً لئنه بل للتصديق قطع ضراوة المدوحي لا يستجرك إلى شهواته
وإن هجم عن استجراك فلا جدك عن سلوك طريق الدين فادأقرته وتحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت
في المجاهدة فأنت بمدى طلب الظفر ومثاله كمثل من قهر المدو واستر به بالإضافة إلى من هو مشغول بالمجاهد
في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله أيضاً مثال من علم كلب الصيد يراضى الفرس فيمنا ثمان عنده
بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجاح بالإضافة إلى من هو مشغول بمسألة التأديب بمدو لقدزل

وهي من طبع الحضر
عليه السلام عليها
إبراهيم التيمي وذكر
أنه تلمها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
وبنال بالمداومة عليها
جميع التفرق في
الأذكار والدعوات ،
وهي عشرة أشياء
سبعة سبعة الفأحة
والمودتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
السكران وسبحان الله
والحد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر والصلاة
على النبي وآله وسبح
لنفسه ولوالديه
والمؤمنين والمؤمنات
ويقول سبحان الله
في وهم عاجلاً وآجلاً
في الدين والدنيا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأنصى ولم يعلوا أن ذلك طلب للخلاص من عواقب الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماتها بالكيفية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فنجس عنه فقال هذا محال فكذب بالسرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع اللهكات . فان قلت لساوئك في تأييد أحد هاتين التوبتين ولم يشغل بالتفكير فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فأيهما أفضل . فأقول أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبا بين عينيك . وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام التوبة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يجبر عن حال نفسه فقط ولا يجمع حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا قصان بالإضافة إلى المهمة والارادة والجد الحديث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يجمع أمر غيره بل طريقه إلى الله نفسه ومثاله أحواله وقد يكون طريق المبدئ إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور اللذنب ودكره والتفجع عليه كالنفي في التبتدئ لأنه إذا نسيت لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسوء الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى العاقل كاللذنب بالإضافة إلى سالك الطريق قصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يجرى على غير سلوكه فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له آتوار المعرفة ولوامع التيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق السافر عن الطريق إلى بلد من البلدان هاجر طال تعب السافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسر من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبيك متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع ، نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطلل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى بمن الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والقصد والمائق وطريق السلوك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع اللهكات بل حول شرط دوام التوبة بأن يكون كثير الفكر في النعم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شافيا فليبين أن بطلان فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر بما حرك رغبته فطلب العاجل لا يرضى بالأجل بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فليبتدئ أيضا قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكي لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد يتزولون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات والآلة بأهم فاتهم ما يشاءوا إلا لارشادهم فطهير التلبس بما تنتفع أنهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويغضو معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهلا للأمر على المرید ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشعر ^(١) » وفي لفظ « أما أسبو لأنس » .

مأنت له أهل ولا تفعل ربيا يا رسولنا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم وروى أن إبراهيم التيمي لما قرأه بعد أن تعلمها من الحشر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى للملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقبل له كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المبيعات أقبل على التيسيع والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع الشمس قدر رمح .

(١) حديث « أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشعر ذكره مالك بلاغا بغير إسناد وقال ابن عبد البر

ولا تسحب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يسقط ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن «كعب كعب»^(١) لما أخذ تمره من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تنصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يذهب منقطه ترك الفصاحة ونزل إلى لكتته بل الذي يعلم شاة أو طائراً يصوت به رغاء أو صفيراً تشبه باليسق والطائر تطلق في تلمحه فأياك أن تخفل عن أمثال هذه الدقائق فانها منزلة أقدم العارفين فضلاً عن العاقلين، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه.

(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات، الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيندارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا زلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها هو السابق والخيرات المستبدل بالبنات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون للشتهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أو زارهم فوردوا القيامة خفافاً»^(٢) فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزول إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المرفة ففتن زاعها ولم يشغل عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه لم يجهدها وردها ثم تفاوتت درجات النزاع أيضاً بالكثرة والقلّة وباختلاف اللذة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريباً من توبته يبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن مجمل طال جهاده وصبره وتعبات استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة فائتاء عوجها حسنة حتى قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وإن كان لا يشكر عظم أمره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتبيح الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية ويقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طريقها على نفسه ويسمى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلل توبته في الابتداء. الطبقة الثانية: تائب يسلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كباثر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تنعّبه لاعتنا عمد وتجريد قصد ولكن يتنزل بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزمها على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من

لا يوجد في اللوط إلا مرسلاً لإيناده له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنساطي وقد طال بحثي عنه وسألى عنه العلامة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسنداً (١) حديث أنه قال للحسن كعب كعب لما أخذ تمره من الصدقة ووضعها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للمفردون للشتهون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأن أقصد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة التداوم إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب» ثم صلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه قد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسلي الركعتين وهاتين الركعتين تبين فائدة رعاية هذا الوقت وإذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثراً ونورا وروحاً وأنساً إذا كان صادقاً والذى يجده

أسبابها التي تعرض لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال النورية لأن تصميم عزم وتعمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي فلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى ينقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكيفية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع الغفرة - فكل للمم بقع صغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المفعو عنه قال تعالى - والذين إذا ضاؤوا فاحشة أو ظمروا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فأثني عليهم على ظلمهم لأنهم لم يندمهم ولولمهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبي كرم الله وجهه « خياركم كل مفتقن تواب » (١) وفي خبر آخر « المؤمن كالسنبلة في عيها نواويل أحياها » (٢) وفي الخبر « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » (٣) أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة الصيرين ومن يؤسس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤسس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من القواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالقفية الذي يؤسس للثقة عن ثقل درجة القفاه بغثوره عن التكرار والتعلق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والقفية في الفقيه في الدين هو الذي لا يؤسس للحلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المخططات قال النبي ﷺ « كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون » (٤) وقال أيضا « المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رفته » (٥) أي واه بالذنوب رافع بالتوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فلما وصفهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلب الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لمجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة والشهوات وهو يود لو أقدره الله تعالى على قهرها وكفاه شرها هذا أمثبه في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتقدم ويقول ليتني لم أقصه وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تحول نفسه وسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس السائلة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - فأمرهم من حيث مواظبتهم على الطاعات وكراهتهم لما طاعوا مرجو

(١) حديث على خياركم كل مفتقن تواب البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث للمؤمن كالسنبلة تقي أحياها وتميل أحياها أبو يعلى وابن جبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل وكلها ضعيفة وقالوا تقوم بدل تقي وفي الأمثال للرامهرمزي إسناده جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستغفبه والحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون . قلت فيسه على ابن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث المؤمن واه رافع غيرهم من مات على رفته الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقلا فسيعد بدل غيرهم .

من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يفسرأني هاتين الركنيتين في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آية الرسول والله نور السموات والأرض إلى آخر الآيات تكون نيته فيها الشكر لله على نعمه في يومه وليته ثم صلى ركعتين أخريين قرأ العوذتين فيها في كل ركعة سورة وتكون صلاته ههنا ليستعين بالله تعالى من شر يومه وليته ويذكر بعد هاتين الركعتين كانت الاستعاذة يقول أعود بالله عليك التامة من شر السامة والهامة

ففى الله أن يوجب عليه وعاقبته عظيمة من حيث تسوية وتأخير فرعاً يختطف قبل التوبة ويقع أمره في الشبهة فإن تدارك الله بفضل جبر كرمه وامتن عليه التوبة التحق بالسائق وإن غلبته شقوته وقهرته عبثوته فبختى أن يحق عليه في الحاقعة مسبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تندر على التفتحه مثلاً الاحتراز عن شواغل التعلل دل تندر على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيذهب الرجاء في حقه وإذا برست له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادته الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات يحكم بتقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية وارتباط حصوله النفس القوية بتسحق للناسيب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكيف لا يصلح لمصاحب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الإنسى صارت قهية بطول التفقيه فلا يصلح الملك الآخرة ونعيمها والقرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهراً بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب ولذلك قال تعالى - وقس ماسواها فأنهمها فجورها وتواها قد أفلح من زكاه وقد خاب من دساها - فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب قدماً والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنهم من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (١) فاذن الحوف من الحاقعة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة ما قبله إذ يمكن أن يكون للوث متصلاً به فليراقب الأشخاص والإدفع في المذخور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر . الطبقة الرابعة : أن يتوب ويحرم مدة على الاستقامة ثم يعود إلى معارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينعمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة الصرير وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الحاقعة وأمره في مشيئة الله فأنتم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشملهم عموم العفو بسبب حتى لا تطلع عليه كالاستحليل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كترًا فيتفق أن يحجم وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم فطلب للفرقة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وور كواب البحار وطلبها بمجرد الرجامع خراب الأعمال كطلب الكنوز في الواضع الحربة وطلب العلوم من تعلم لللائكة ولت من اجتهد تعلم ولت من أبحر استغنى ولت من صام وصلى غفر له فالتناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جباراً زعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كترًا يجد تحت الأرض في بيته الحرب بعد عند ذوى البصائر من الحق والفرورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر للفرقة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل للفرقة بعد عند أبواب القلوب من المتوهين والمعجب من عقل هذا المتوه وتروجه حماقة في صفة حسنة إذ يقول إن الله كريم وجته ليست

(١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل في الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وشهر يختلف فيه

وأعوذ بأصمك وكلتك
التامة من شر عبادك
وشر عبادك وأعوذ
بأصمك وكلتك التامة
من شر ما يجري به الليل
والنهار إن ربى الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
ويقول بعد الر كثنين
الأولين اللهم إني
أصبحت لأستطيع
دفع ما أكره ولا أملك
تفع ما أرجو وأصبحت
مرتها بعمل وأصبح
أمرى يد غيرى فلا
قصير أقصر منى اللهم
لا تشمت بى عدوى
ولا تنسى بى صديقى
ولا تجعل مصيبتى فى
دينى ولا تجعل الدنيا
أكبر همى ولا مبلغ
على ولا تسلط على من

تضيق على مثل ومهريق ليست تضره ثم تراه يركب البعير ويقتحم الأعراف يطلب الدينار وإذا قيل
 إن الله كريم ودنانير خزانته ليست تقصر عن قهرك وكذلك برك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك
 فساء برزقك من حيث لا تحسب فيستحق قائل هذا الكلام ويستهيء به ويقول ما هذا الموص
 السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته
 ولايتبدل لسنة الله ولايملئ الثرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لايتبدل لها فيها جميعاً
 وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم
 في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم القصور عن كسب المال ومقتضا القصور عن العمل للمالك
 القيم والتمتع الدائم وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من جهد في الآخرة وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد
 في غالب الأمر في الدنيا وينسئ قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فهو ذاقه من العنى
 والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون
 داخلًا تحت قوله تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم بتأيسرنا نحن وفارحنا فارجعنا
 نعمل صالحاً - أى أيسرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فارحنا نسعى وعند
 ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فهو ذاقه من دواعى الجهل والشك والارتباب السائى
 بالضرورة إلى سوء الثقل والتائب.

(بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما
 عن قصد وشهوة غالبية أو عن الملم بحكم الانفاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والتندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كذا كرنا طريقه فإن لم تساعده
 النفس على العزم على الترك للعبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثانى
 وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليجوها فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فالحسنات الكفارة
 للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولكن الحسنات على عمل السيئة وفيها يتعلق بأسيائها
 فأما بالقلب فليتكفر بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبيد الأبق
 ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيها بينهم فما للعبد الأبق الذنب وجه
 للتسكير على سائر العباد وكذلك يضم بقلبه الحيرات للسجين والعزم على الطاعات . وأما باللسان
 فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفرلى ذنوبى وكذلك ينكر
 من ضروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات
 والصدقات وأنواع العبادات وفى الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتمعت بشمانية أعمال كان العفو عنه
 مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهى التوبة والعزم على التوبة وحجب الأفاعل عن الذنب وتحوقوف العقاب
 عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهى أن تصلى عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله
 تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم . وما وفى
 بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين^(١) وفى بعض الأخبار تصلى أربع ركعات^(٢)

لا يرحم الله من أتى أعود
 بك من الذنوب التى
 تزيل النعم وأعوذ بك
 من الذنوب التى توجب
 النقم ثم صلى
 ركعتين أخريين بنية
 الاستخارة لكل عمل
 يعمل فى يومه وليلته
 وهذه الاستخارة
 تكون بمعنى الدعاء
 على الإطلاق وإلا
 فالاستخارة التى وردت
 بها الأخبار هى التى
 يصلها أمام كل أمر
 يريد به وبمراً فى هاتين
 الركعتين - قل يا أيها
 الكافرون - وقل هو
 الله أحد - وبقر أدعاء
 الاستخارة كما سبق
 ذكره فى غير هذا
 الباب ويقول فيه
 كل قول وعمل أريده

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من
 حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم
 يستغفر الله لا يغفر الله لفظ أبى داود وهو فى الكبرى لقسائى مرفوعاً وموقوفاً قلل للصفحة
 بالأثر لإرادة الوقوف فذكرته احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كتابى (٢) حديث التكفير
 بصلاة أربع ركعات ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأَتبَّعها حسنة تكفرها السر بالسر والملائنة بالملائنة » (١) ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس فأقضى على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة القداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات » (٢) وهذا يدل على أن مادون الزنا من معالجة النساء صغيراً وإجسلاً الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فصل الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجهتد في دفعها بالحسنات ، فإن قلت فكيف يكون الاستغفار نافعاً من غير حل عقدة الأصرار ، وفي الخبر « للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتبرئ » بآيات الله (٣) وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت ربيعة المدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن المصرد كرها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هاتكنا (٤) . فنقول : الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الثقة أستغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وأبَّاه في سؤال الغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فاضلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة » (٥) وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدية فقام نادماً فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأترل الله عز وجل - وأقم الصلاة طرفي النهار - الآية وإنسانه جيد (١) حديث إذا عملت سيئة فأَتبَّعها حسنة تكفرها السر بالسر والملائنة بالملائنة البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء فأُحْدِثُ في فيه توبة السر بالسر الحديث (٢) حديث إن رجلاً قال يا رسول الله إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليهن حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة القداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٣) حديث للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتبرئ . بآيات الله ابن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمتبرئ . بره وسنده ضيف (٤) حديثاً بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفضه الترمذى من حديثه أنزل الله على أنانين الحديث وضعفه وابن مردويه في تخميره من قول ابن عباس (٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تهدم في الدعوات .

في هذا اليوم اجعل فيه
الحسنة . ثم يصلى
ركعتين أخريين يقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
حبك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأشياء عندي واقطع
عنى حاجات الدنيا
بالشوق إلى لقاءك وإذا
أقررت أعين أهل
الدنيا بدنياهم فأقرر
عيني بمبادتك واجعل
طاعتك في كل شيء
منى يا أرحم الراحمين
ثم يصلى بعد ذلك
ركعتين يقرأ فيهما
شيئاً من حربه من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى آخرها ، ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء . فإن عصى قال يارب استر عني فإذا فرغ من العصية قال يارب تب علي فإذا تاب قال يارب ارزقني العصمة وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الحائق ثم يستغفر الله ثم تصغيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فتند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الأفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الوالاة ثم محادثة السرو هو الخلة ولا يستغفر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غفاه ، والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرضه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقال ، إنما يكون حبيبا إذا كان في جميع ما ذكر في قوله تعالى سالتون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيه يكرهه حبيبه ، والنقص أن لتوبة مرتين إحداها تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا للتكفير أيضا درجات فبعضه نحو لأصل الذنب بالكيفية وبعضه تخفيف له وتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يغلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل الشاهدة وأرباب القلوب معرفة لأرباب فيها أن قوله الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كالا تخلو شعيرة تطرح لليزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لساكت الثانية مثلها ولكن لا يرجح لليزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال بل ميزان الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يثقل برفع كفة السيئات فذلك أن تستغفر ذرات الطاعات فلا تأنيها وذرات العاصي فلا تنفها كالمرأة الحرقاء تسكسكس عن الغزل تعالا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خطأ واحد وتقول أي غي يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى الفتوة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خطيا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التصرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عبد الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بنية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشخص ما في عثمان الغري : إن لسان في بعض الأحوال يجزى بالذكر والقرآن وقلي غافل . فقال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعود الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع . سفع جملة من الماضي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا جمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستمادة إذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نمود بالله وإذا تعود الفضول قال لعن الله فيمضي في إحدى الكلمتين وسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة بضاعفها وبؤت من لدنه أجرا عظيما - فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغفلة واللحن والفضول هذا تضميف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضميف الآخرة كبر لو كانوا

إن كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يتنقل في أنواع العمل من الصلاة والتسلاوة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لعياله فليحضر لحاجته ومهامه بعد أن يصلي ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلي ركعتين ليقه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقه الله سوء الدخول بعد أن يصلي على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يمكن في البيت

يملكون - فإياك وأن تلج في الطاعات بمجرد الآفات فتفتري رغبتك عن المبادات ومن هذه مكيدة روجها الشيطان لمصلحة على الغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل النطق للخفايا والسر الرفاي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الحلق في هذه الكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وساقط بالحريات . أما السابق فقال صدقت يملكون ولكن هي كلفحق أردت بها طاعة لا جرم أعذبك مرتين وأزعم أنك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بثقل الملح عليه . وأما الظالم للغرور فاستشعر في نفسه خيلاء القطة لهذه الدقة ثم هجر عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تموييد اللسان بالذكر فأشغف الشيطان وتولى بجمل غروره فتمت بينهما المشاركة والواقعة كالأبل: وافق شن طبقه . وافقه فاعتقه . وأما القصد فلم يقدر على إرغامه بأشراك القلب في العمل ونطق النقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كاله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخبر فكان السابق كالخائف الذي ذمت حياته فتركها وأصبح كاتباً والظالم التلخف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً والقصد كالذي هجر عن الكتابة فقال لأنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائكة مذموم بالإضافة إلى الكاتب بالإضافة إلى الكناس فاذبحرت عن الكتابة فلا ترك الحياكة وكذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا نحتاج إلى استغفار كثير فلا نطق أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لأن حركة لسانه فإن سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فكيفنا ينبغي أن تفهم ما يندم ومحمد ما يعمد وإلا جهلت معنى مقال القائل الصادق: حسنات الأبرار سيئات القربين . فإن هذه أمور ثبتت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستغفر درات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تخفروا منها شيئاً فعمل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تخفروا منها شيئاً فعمل غضبه فيه وخبأ ولايته في عبادته فلا تخفروا منهم أحداً فعمله ولي الله تعالى وزاد وخبأ إجابته في دعائه فلا تركوا الدعاء فربما كانت الأجابه فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قسبان : شاب لاصوبة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصيب ربك من شاب ليست له صوبة »^(١) وهذا عز نادر : والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصريين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفضه وإبطاله ولا يطل الشيء إلا بضده ولا سبب للاصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم العاقلون لاجرم أنهم في الآخرة هم المحاسرون - فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يجمع من حلالة العلم ومراة الصبر وكما يجمع السكتنجين بين حلالة السكر ومحوسة الحل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقطع الأسباب للهيجة للصفراء فكيفنا ينبغي أن نفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فاذن لهذا الدواء أصلان : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بينهما .

(١) حديث يوجب ربك من الشاب ليست له صوبة أحمد والطبراني من حديث غيبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

أحد يسم أيضاً ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وإن كان متفرغاً فأحسن أشغاله في هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة فإن كان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر وإلا فليصل ركعات بطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يحتم القرآن في الصلاة بين اليوم والليلة وإلا فليصل أعداداً من الركعات خفيفة بفاحة الكتاب وقل هو الله أحد وبآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير -

فان قلت أنفع كل علم لحل الاصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم جعلتها أدوية لأعراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن ضمن كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الاصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنه تعرضاً للأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسباباً يتوصل إليها بالاختيار على مآربه مسبب الأسباب وهذا هو الايمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويعجز عليه الهلاك وهذا وزانه عما نحن فيه الايمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سبباً هو الطاعة والشقاوة سبباً هو المعصية وهذا هو الايمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الايمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقذ المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا بلبس ولا يكذب فان إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الايمان ، ووزانه عما نحن فيه العلم بصديق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بأن كل ما يقوله حق وصديق لا يكذب فيه ولا خلاف . الثالث أنه لا بد أن يصفي إلى الطبيب فيما يحذر عنه من تناول القواكه والأسباب للضرر على الجملة حتى يلبس عليه الخوف في ترك الاحتيا . فتكون شدة الخوف باعثاً له على الاحتيا . ووزانه من الدين الاصنام إلى الآيات والأخبار الشتملة على الترهيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما ينطق إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث بها لحوف القوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصفي إلى الطبيب فيما يحضره مرضه فيما يارم فيه نفسه الاحتيا عنه ليعرفه أو لتفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتيا عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عيب فليس يتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتهما وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ماسبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكلم كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويعبر ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقهم عما يسهلهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء وبطلون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كأن الذي ظنهم على وجه برص ولا مراة معه لا يعرف برصه ما لم يعرف غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة قسيساً متديناً يعلم الناس دينهم فان الحق لا يولد ولا يجهل إلا بالهدى بتبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع والدنيا دار الرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكلف شره كما يسلم الطبيب للمريض الذى لا يحمى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقده بالسلاسل والأغلال ويكلف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرضى القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداهان المرض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذا الآية قرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التى ذكرناها بعد طلوع الشمس وصلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم واليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها فما باله يبطل ولا يتم بحمد الله تعالى . قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فإذا ارتفعت الشمس

وتنصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما تنصف الصريين الظهر وللقرب صلى الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلاة الضحى إذا رمضت الفضل» وهو أن يام الفضيل في ظل أمه عند حرّ الشمس، وقيل الضحى إذا ضحيت الأقدام بحرّ الشمس وأقلّ صلاة الضحى ركعتان وأكبرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل نفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك

(١) حديث مامن يوم طلع فجره ولالية غاب شفقها إلا ولمكان يجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف إن لله ملكا يتأدى في كل ليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا صاحبه الحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فحجابوا بينهم هذا كروا الحديث .

فذلك معنى قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ يَدَيْهِ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلّت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها^(١) » وفي حديث مجاهد « القلب مثل الكف للفتوحة كلما أذنب العبد ذنباً اقتبض أصبح حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع^(٢) » وقال الحسن : « إِنَّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ حِدَا مِنْ الْعَاصِي مَعْلُومًا إِذَا بَلَغَهُ الْعَبْدَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَمْ يَوْقِهِ بَعْدَهَا لِحَرْمِ الْأَخْيَارِ وَالْآثَارِ فِي ذِمِّ الْعَاصِي وَمَدَحِ التَّائِبِينَ لِأَنْصَحِي فَيُبْنَى أَنْ يَسْتَكْتِرَ الْوَاعِظُ مِنْهَا إِنْ كَانَ وَارِثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْهَى دِينَارًا وَلَادِرْهَا إِنْ خَلَفَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَوَرِثَهُ كُلَّ عَالِمٍ بِقَدْرِ مَا صَاحَبَهُ^(٣) . النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من العاصب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما قيمه من الاخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرضاه عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبط من جوارى فانه لا يجاورني من عصائي قال فالتفت آدم إلى حواء باكياً وقال هذا أول شؤم للعصية أخرجا من جوار الحبيب. وروى أن سليمان بن داود عليها السلام لما عوقب على خطيئته لأجل القتال الذي عُد في داره أربعين يوماً وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمساكنها منه فسلم ملكه أربعين يوماً فهرب تأمها على وجهه فكان يسأل بكفه فلاطمع فإذا قال أطمعوني فاني سليمان بن داود شيخ وطرد وضرب . وحكى أنه استظم من بيت لأمرائه فطردته وصفت في وجهه . وفي رواية أخرجت عجوز جرة فيها بول صبته على رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الحوت قلبه بعد انقضاء الأربعين (أيام العقوبة) قال فجات الطيور فمكتت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألوكم بما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذرکم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى أن الاسرائيليات أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستمعصم قال فتبأ الله يركة تقواه فكان نبيا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعكم الله على علم الغيب قال بركي العاصي لأجل الله تعالى . وروى أن الريح كانت تسير سليمان عليه السلام فنظر إلى قصبة نظرة وكان جديداً فكانه أعجبه قال فوضته الريح فقال لم فعلت هذا ولم أتركك ؟ قالت إنما نطبعكم إذا أطلعت الله .

حق يقضى مما نذب إليه من زياره وأعياده بعض فيه وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهره وباطنه وقلبا وقالا وإلا فيا طنا وترتيب ذلك أنه يصلى مادام منشرحاً وقسمه حجة فان سُم يُزَل من الصلاة إلى الصلاة فان مجرد الصلاة أخف على النفس من الصلاة فان سُم الثلاثة أيضاً يذكر الله بالقاب واللسان فهو أخف من القراءة فان سُم الذكر يدع ذكر اللسان ويلزم بقلبه الرافعة والرافعة إلى القلب ينظر الله تعالى إليه فما دام هذا العمل ملازماً لقلبه فهو مراقب والرافعة عين

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة من فوائم العرش فاذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدي وابن جبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف للفتوحة . قلت هكذا قال المصنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد به قول مجاهد وكذلك ذكره المفسرون من قوله وليس يعرفون وقد رويناه في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف ديناراً ولاديرها إنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث عمرو بن الحارث قال مارك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولاديرها ولا عبداً ولا أمةً وسلم من حديث عائشة مارك ديناراً ولاديرها ولا شاة ولا بيرة روى حديث أبي الدرداء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولاديرها إنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال تقولك لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنهم عنه غافلون - لم خنت عليه الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتدري لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأمنني بهم جميعا - وبما قلت - اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تبأسوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأناؤه الشيطان ذكر به فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسرار بل القرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار ، نعم كانت سعادتهم في أن عوجوا بالقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثمًا ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على ألسنة المصلين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر عندهم أن تتجمل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يجيب العبد من الصواب فهو بسبب جناياته قرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فيفني أن يخوف به فان الذنوب كلها تتجمل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب بصيه ^(١) » وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب بصيه وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارق عقل لا يعود إليه أبدا ^(٢) » وقال بعض السلف ليست اللذة سوادا في الوجه وقصا في السال إنما اللذة أن لا تخرج من ذنب إلا وقفت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللذة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفى للخير وسرله الشر قد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيجرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء للتكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل بمقتة الله تعالى ليقته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشى في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يمشى في وسط الوحل ويكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويحانها حتى يقع في ذنب وذنين فضعها يخوض في الذنوب خوفا وهو إشارة إلى أن الذنب لا تتجمل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من خير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورتك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حمارى وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فأرى بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمررت ابن الجلاء الدمشقي فأشذ يدي فاستجيت منه قتلتي يا أباعد الله سبحانه الله نتجيت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحسنة كيف خلقت فلتار فتمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فتوقيت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان النابلسي الاحتلام عقوبة وقال لا يفتوت أحد أصلا جماعة إلا يذنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم ^(٣) » وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما صنع

(١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب بصيه ابن ماجه والحاكم وصححه وإسناده واللفظه إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنبا فارق عقل لا يعود إليه أبدا تقدم (٣) حديث ما أنكرتم من زمانكم فيها أنكرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

الذكر وأفضله فان عجز عن ذلك يضاهي علمته الواسوس وزاحم في باطنه حديث النفس فليتم في اليوم السلامة ولا فكترة حديث النفس نفس القلب ككثر الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز عن ذلك قال سهل بن عبد الله أسوأ الناس حديث النفس والطالب يريد أن يتبرأ باطنه كأي يتبرأ ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخيل له من ذكر ماضى ورأى وسمع كخص آخر في باطنه فيفيد الباطن بالمراقبة والراعية كأي فيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد

دليلاً إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذته مناجياً (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علاون في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائماً ذات يوم أصلي فغاص قلمي هوى طاولته فسكرتني حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غشاه في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجند وكان قد وجه إلى فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فصاررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلو لآتي دعوت الله لك وتبت إليه عنك فلقيت الله بذلك اللون قال فصبرت كيف علم بذلك وهو ينفذ وأنا بالرقة . واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجهه قلبه فإن كان معيداً أظهر السواد على ظاهره ليُزجر وإن كان شقياً أخفى عنه حتى يهكم ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم القلب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاءه وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يحاقب على كفرانه وأما الطمع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزءاً على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته .

النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والنيسة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليرض لمواقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تنكر على قال لا تنضب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو القنى وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يستند منه (٣) » وقال رجل لعمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون مسلماً في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال ألزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول غايل النضب فتهام عنه وفي السائل الآخر غايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل غايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رحيماً كن لك بالجنة عيافاً فكأنه نفرس في آثار القضاة والعاظلة . وقال رجل لآدم أوصني فقال: إياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النفس وما أرام بالناس بل غسوا في ماء اليأس فكأنه نفرس في آفة الخناطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر حل السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تذكرني فكشبت إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال غريب تفرد به هكذا العقيلي وهو عبد الله بن هاني . قلت : هو منهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما أضع باليد إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذته مناجياً غريب لم أجده (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تنكر على قال لا تنضب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

أن يصل من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة . يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وجد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يبعثهم إذا فرغوا أن يناموا طلباً للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس ترتخ وضوء القلب بلبسة النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الإنباء

ومن الناس رضا الله بسخط الناس كفاء الله مؤنة الناس ومن الناس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس (١) والسلام عليك فانظر إلى قهها كيف تعرضت لآفة التي تكون الولاء بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتب إليهم مرة أخرى : أما بعد ؛ فاتق الله فانك إذا اتقيت الله كمالك الناس وإذا اتقيت الناس لم يغفروا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناصح أن تكون عنائته مصروفة إلى تفرس الصفات الحفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواظب الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوغل فيه تضيق زمان . فان قلت : فان كان الواظ يتكلم في جمع أوساله من لا يدري باطن حاله أن يظنه فكيف يفعل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب الفل . ومثاله ما روي أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير عليك بالجهاد فانه رهبانية الإسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء وعليك بالصمت لإلصاق خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركتيك ولا تجادلهم فيمفتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأخف فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلتك فان الصلوة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تخاطب ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لاتضحك من غير عجب ولا تمشي في غير أرب ولا تسأل عماليتك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن بصمت يسلم ومن يقل الخير يفهم ومن يقل الشر يأتهم ومن يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لوجهك للوت عليه فرائته غيبة فالزمه وكل ما لوجهك للوت عليه فرائته مصيبة فاجتنبه . وقال موسى لخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن قناعا ولا تكن ضرابا واتزع عن اللجاجة ولا تعش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعب الخطاين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللخاف أوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف الصفح أن تمدنه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا بالإلابة منه وترك كثرة الكلام بالإلابة لا بد منه وترك مخالطة الناس بالإلابة لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، خلف بما خولك الله وأخذر بما حذر الله وخذ بما يدبك لما بين يدك فعد للوت يأتيتك الخبر اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ، فان الهول الأعظم والأمور المقلطت أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إماما بالنجاة وإماما بالطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربع ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يفر من لا علم عنده فكُن فيها يأمر المؤمنين كالمدوي جرحه يصير

(١) حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم كفاء الله مؤنة الناس وكله الله إلى الناس الحديث الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يسم .

من نوم النهار تجدد
في الباطن نشاط آخر
وشفا آخر كما كان
في أول النهار فيكون
للسادق في النهار نهاران
يقتنهما بخدمة الله
تعالى والدؤوب في العمل
وينبغي أن يكون
انتباهه من نوم النهار
قبل الزوال بساعة
حتى يتمكن من
الوضوء والطهارة قبل
الاستواء بحيث يكون
وقت الاستواء
مستقبل القبلة ذا كرا
أو مسجبا أو تاليا قال الله
تعالى - وأنم الصلاة طرفي
النهار - وقال - فبسط
عبدك قبل قبيل طلوع
الشمس وقبل غروبها -
قبل قبيل طلوع
الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الهاء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدي بن أرطاة أمابعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أوليؤه فمعتهم وأما أعداؤه فمعتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله : أمابعد ، قد أمكنتك القدرة من ظلم البعاد فإذا همت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لآتئ إلى الناس شيئا إلا كان زلاعا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل أخذ للمساكين من الظالمين والسلام . فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة وعظ من لا يدري خصوص واقته فهذه اللواعظ مثل الأغذية التي يشترك السكاة في الانتفاع بها ولأجل قد مثل هؤلاء الوعاظ انهم باب الاتعاط وغلبيت الماصي واستشرى الفساد وبلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسباعا وينشدون آياتا ويشكفون ذكر ماليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب بل القائل متكلف والتشع متكلف وكل واحد منها مدير ومتكلف ، فاذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر وجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره . وإنما يتناول ذلك إما لضعفه عن مضمرته وإما لشدة غلبة شهوته فله - بيان فاذكرناه هو علاج الشفة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضررته لما كوله مضرة فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يثيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسل عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير قوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك حال الشهوة في العاصي كالشباب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخوفات التي جاءت فيهم من كتاب الله تعالى ويستقرسوله صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب للبهجة الشهوة ومبجج الشهوة من خارج هو حضور للشهية والنظر إليه وعلاجه الحرب والمزلة ومن داخل تناول للذات الذميمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بالصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة واتسار أو عن جماع وتقليد فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكير فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لعمالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونته الصبر وابتعث الدواعي لطاب العلاج وتوفيق الله وتيسر من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاعتناء واستشعر الخوف فانتظر الثواب وصدق بالحق فيسيبره الله تعالى ليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحق فيسيبره الله لعسرى فلا ينجي عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الأنبياء إلا الشرح طرق الهدى وإتمامه الآخرة الأولى . فإن قلت فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون إلا بالنظر في العالم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكان من أصر على الذنب لمصر عليه إلا لاله غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان اذ كل مؤمن مصدق بأن النصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور : أجدها أن العقاب الوعود غيب ليس مجاهر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر تأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباغية على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال أخذة بالخلق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتناء والإلفال والمادة طيبة خامسة والزروع عن

وقبل غروبها صلاة
المصر - ومن آتاه
الليل فسيح - أراد
المشاء الأخيرة
سوأطراف النهار - أراد
الظهر والغرب لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
الآخر غروب الشمس
وفيه صلاة المغرب
فصار الظهر آخر
الطرف الأول والمغرب
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
بالبقطة والله كر كما
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم
الليل وبلى في أول
القول قبل السنة
والفرض أربع ركعات

الماحل لحوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى - كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فيها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها ففطر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يثق أحد بإدخالها، وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها ففطر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد بإدخالها فيها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها ففطر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد » (٢) فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون الضباب متأخراً إلى اللآل سيبان ظاهراً في الاستمرار مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يهرب في مرضه ماء الشلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تقلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهن عليه الألم المنتظر. الثالث أنه مامن مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحنان وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يوسف التوبو والتكفير في حيث رحاؤه التوفيق فتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان - الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو متقعد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها فهو يذنب ويتنظر العفو عنها اتكالاً على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجهة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان ، نعم قد يقدم الذنب بسبب خاسر يقدم في أصل إيمانه وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فإن كان المحدث عن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطلب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبال به فهذا هو الكفر . فإن قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شركائه فلما يدره لكل الساعة قريب والتأخر إذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألد الأعياء عنده تركه مع أن الموت أله لحظة إذ لا يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذنه بقول ذي لم تهم معجزة على طبعه فيقول كيف يليق بمقتل أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ولا يشهد له الإعرام المطلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بتقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير يبين ما يلج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبداً لا أبداً وإذا كنت لا أطيق أم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدورها وتنفذها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة وأما تسويف التوبة فيما لجه بالسكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن السوف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فله لا يثق وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم ومحمد بن حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة .

بتسليمه واحدة كان
بصليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
صلاته الزوال قبل الظهر
في أول وقتها وبحاج
أن يراعى لهذه الصلاة
أول الوقت بحيث
يفطن للوقت قبل
للذين حين ينهب
وقت الصكرهية
بالاستواء فيشرع في
الأذان وقد توسط
هذه الصلاة ثم يستعد
لصلاة الظهر فإن وجد
في بطنه كدراً من
عاطلة أو جمالة
اتفقت يستغفر الله
تعالى ويتضرع إليه
ولا يشرع في صلاة
الظهر إلا بعد أن يجد
الباطن عائداً إلى حاله

فلا يقدر على الترك غذا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال إلا لفظة الشهوة والشهوة ليست تخارقه غذا بل تضاعف إذ تأكد بالاعتقاد فابست الشهوة التي أكدتها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك السوفون لأنهم يظنون الفرق بين التائبين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدأ شاق وما مثاله السوف إلا مثاله من احتاج إلى قلع شجرة فراهقوه لا تتعلم إلى مشقة شديدة فقال أواخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما شبت ازداد رسوخها وهو كطالع عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعف فأخذ ينتظر العلة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف . وأما للمع الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعباله قراء منتظر من فضل الله تعالى أن يرزقه العو على كثر في أرض خربة فإن إمكان النفق عن الدنبت مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع التهب من الظلمة في بده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفعها وإخفائها فلم يعمل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلم غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حق لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة . وقد حكى في الأسفار أن مثل ذلك وقع فأننا أنتظر من فضل الله مثله فتتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجهل إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدق ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لك هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد بمجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولست فيه حيلة وأنت سمعته في وجوب صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألد الأطمعة فيقول أتركه لا محالة لأنني أقول إن كذب فلا يغوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق تفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاغته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد بمجهول لعل له غرضا فبا يقول فليس في العقلاء إلا من صدقنا اليوم الآخر وثبتت نوابا وعقبا وإن اختلفوا في كفيته فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يني أبد الآباد وإن كذبوا فلا يغوتك إلا بعض شروعات هذه الدنيا القانية للسكرة فلا يبقى له توقف إن كان غافلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالقدرة وقدرنا طارأ لا ينقطع كل ألف سنة حبة واحدة منها لقنيت القدرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا فبكيف يفتر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد ابن سليمان التوحى المعري :

قال النجم والطبيب كلاهما لا تبت الأموال قلت إليك
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخاسر عليكما

ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قالت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصت وهلكت أى الماقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت هذه الأمور جلية وألكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفنته وما علاج القلوب لردّها إلى التفكير لاسيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله . فاعلم أن الله تعالى من الفكر

من الصفاء واللاهون
حلوة الناجاة لا بدأن
يجردوا صفو الأنس في
الصلاة ويتكبدون
يبسیر من الاسترسال
في اللباس وصير على
بواطنهم من ذلك عقد
وكدور قد يكون ذلك
يجرد الخاطلة والمجالسة
مع الأهل والولد مع
سكون ذلك عبادة
ولكن حسنات الأبرار
سيات القرين فلا
يدخل الصلاة إلا
بصد حل العقد
وإذهاب الكدور وحل
العقد بصدق الانابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكدر
بمجالسة أهل والوالدان
أن يكون في مجالسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وعدائنها وحسرات العاصين في الخمران عن التعمم للقيم وهذا خسر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وعامان إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر ينم عنه ذلك ، وأما علاج هذين للناعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما جده تألما بذكره مع استحضار ألم موافقته فكيف تصبر على مقاماته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مفعولاً لذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريرة الدور وهي مشوبة بالمكدرات لما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن العاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمرقته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن لمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما يضاف إليه من نعم الآخرة ، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصير عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تعود والخير عادة والشر لجة فالذن هذه الأفكار هي الهيجة الخوف للمهجج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار وعطو العاطو وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لاندخل في المحصر فيصير الفكر مواظقا للطبع فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذي أوقع اللواقظ بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التاليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقدر يرى في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال لمي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن السكر على ماذا بنى ، فقال رضي الله عنه بنى على أربع دعائم : على الجفاء والمعنى والفئلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت الملباء ومن عمى نسي الذكر ومن غفل حاد عن العبد ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والدمامة وبدأ له من الله ما لم يكن يحسب ، لما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، للتفرد برباءه الكريم ، بالتوحد بصنفاً المحمود والملاء ، بالبدء بصفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء ، والشكر على البلاء والنعماء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه مصادرة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتعاقب عن التصرم ولا تقضاء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وماها أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإسمان من أسمائه الحسنين إذ سمى نفسه صبوراً وشكراً فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

غير راكن إليهم كل
الرحكون بل يسترق
القلب في ذلك نظرات
إلى الله تعالى فكون
تلك النظرات كفارة
لتلك الهالة إلا أن
يكون قوى الحال
لا يجعيه الخلق عن
الحق فلا يتنقد على
باطنه عقدة فهو كما
يدخل في الصلاة
لا يجدها ويجد باطنه
وقلبه لأنه حيث
استروح نفس هذا
إلى الهالة كان
استرواح نفسه منغمر
بروح قلبه لأنه مجالس
وتخالط وعين ظاهره
ناظرة إلى الخلق وعين
قلبه مطالعة للحضرة
الإلهية فلا يتنقد على
باطنه عقدة وصلاة

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة مابه الإيمان ومن به الإيمان والقاعد عن معرفة الصبر والشكر قاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك مابه الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لا ارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميته باختلاف منتقلاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان مواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وقال تعالى - ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يصلون - وقال تعالى - أولئك يؤثرون أجرهم مرتين بما صبروا - وقال تعالى - إنما يوفى الصابرون وأجرهم خير حساب - فإمن قربة لإلا وأجرها بتقدير و حساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى « الصوم لي وأنا أجزى به » فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصر على الصبر فقال تعالى - بل إن صبروا وتقاوا وأثروا منكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع للصابرين بين أمور لم يحصها لتبرم فقال تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المثبتون - فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان ^(١) » على ما سألني وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أتم عليه أحب إلى من أن يوافق كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بضعكم بضعاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكامل نوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم - ^(٢) » الآية وروى جابر أنه سئل ^(٣) عن الإيمان فقال « الصبر والسباحة » ^(٤) وقال أيضاً « الصبر كزمن كنوز الجنة » ^(٥) وسئل مرة « ما الإيمان فقال الصبر » ^(٦) وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » ^(٧) معناه معظم الحج عرفة

رواية يزيد الرقاشي عن أنس وزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والحطاب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الإيمان فقال الصبر والسباحة الطبراني في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن السكندر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً عن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وي زيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

يرواهما التي ذكرناها
تحل الصدق وتهيب
الباطن لصلاة الظهر
فيقرأ في صلاة الزوال
بقدر سورة البقرة
في النهار الطويل وفي
الصغير ما يتيسر من
ذلك قال الله تعالى :
وعشوا حين تطهرون
وهذا هو الإطهار فان
انتظر بسد السنة
حضور الجماعة لفرض
وقرأ الدعاء الذي بين
الفريضة والسنة من
صلاة الفجر غسن
وكذلك ماورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا به إلى
صلاة الفجر ثم إذا
فرغ من صلاة الظهر
يقرأ الفاتحة وآية
الكرسى ويسبح

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصل له مرفوعاً وإعما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال أؤمنون أنهم فسكو فقال عمر نعم يا رسول الله الحديث الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو مشكور الحديث عن عطاء (٣) حديث في الصبر على ماتركه خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي .

وعهد وبكر ثلثا
 وثلاثين كما وصفنا ولو
 قدر على الآيات كلها
 التي ذكرناها بعد
 صلاة الصبح وعلى
 الأعداء أيضا كان ذلك
 خيرا كثيرا وفضلا
 عظيما ومن له همه
 ناهضة وعزيمة صادقة
 لا يستكثر شيئا لله
 تعالى ثم يحج بجي
 الظهر والعصر كما يحج
 بين المشاؤون على
 الترتيب الذي ذكرناه
 من الصلاة والتلاوة
 والذكر والراقبة
 ومن دام سهوه ينام
 نومة خفيفة في النهار
 الطويل بين الظهر
 والعصر ولو أضيأ بين
 الظهر والعصر ركعتين
 بقرأتهما ربع القرآن

عليهم السلام فأنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بحد آخر يخلط الصوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة القواء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام بينهما تضاد مقتضياتهما ومطالبتها وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى فضله وسعة جوده أكرم بهي آدم ورفع درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكيين : أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمونة الملكيين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة قابلية لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، إلا الأذني . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تفرقه تضار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الإنسان كالرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فاقتصر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده وقويه بمجنود له تروها وأمر هذا الجند يقال جند الشهوة فتارة يصف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضا يختلف في الحقائق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثة دينا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجل ومعرفة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحرب الله تعالى ، ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعثة الدين في مقابلة باعثة الشهوة ، فإن ثبت حق قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضعف حق غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال المشتهة عمل يشمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعثة الدين الذي هو في مقابلة باعثة الشهوة وثبات باعثة الدين حال ثمرها المعرفة بدواوة الشهوات ومضادتها لألحباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى يقينه أغنى المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعثة الدين وإذا قوى ثباته تحت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يترك الشهوة إلا بقوة باعثة الدين للضاد لباعثة الشهوة وقوة المعرفة والألاعان تنجي مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان للسكان هما التكفلان بهذين الجنسين باذن الله تعالى وتيسيره إياهما ، وهما من السكرام السكاكين وهما للملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرف أن رتبة الملك الهادئ أعلى من رتبة الملك اللقوى لم يخف عليك أن جانب اليقين هو الذي أشرف الجانبين من جنين الدست ، ينبغي أن يكون مسلما فهو إذن صاحب اليقين والآخر صاحب الشك . ولا يجد طوران في الفظة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغة معرض عن صاحب اليقين ومضى إليه يكتب أعراضه سيئة والفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب أقباله حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فثبتت عليه سيئة والمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بأبائهما فذلك مما كراما

أوقروا ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحي هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بشرين ركعة قرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان سائما وإن لم يكن سائما فأى وقت تخير فيه التمس . وفي الحديث « السواك مطهرة للفم مرضاة قرب » وعند القيام من الفراش يستحب قيل إن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضففا ، وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ بين

كاتبين أما الكرام فلا تتفاح العبد بكرهما ولأن اللاتسكة كلهم كرام وبررة وأما الكاتبون فلا تياتها الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطبوعة في سر القلب ومطبوعة عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتها وكنتهما وخطهما وصحافتها وجملة ماتملقهما من جملة عالم الغيب واللكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم اللكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطبوعة عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم «من مات قد قامت قيامته»^(١) وفي هذه القيامة يكون البدو حده وعندها يقال - ولقد جثمتوا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق الثقلون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والموال والموال لهو هو والقيامة الصغرى ولجميع أحوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فان أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت ييلة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده قد حصلت الزلزلة في حقله لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض يزلزلة مسكنه لا يزلزلة مسكن غيره فحسبته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان - واعلم أنك أرض مخلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بدتك قطعا فاما بدن غيرك فليس بحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدتك ظرف ومكان وإنما تخاف من زلزلة أن يززل بدتك بسببه وإلا فاهواء أبدا مزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يززل به بدتك فخطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدتك قطف فهم أرضك وترايك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وصمك وبصرك وسائر خواصك نجوم بجائك ومفيض العرق من بدتك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فاذا اهتدم بالوت أركان بدتك قد زلزلت الأرض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم قد حملت الأرض والجبال فكدت كدك واحدة فاذا رمت العظام قد سفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند اللوت قد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل صمك وبصرك وسائر خواصك قد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشقق دماغك قد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجرت من هول اللوت عرق جبينك قد فجرت البحار تفجيرا فاذا انتفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطبقتان قد عطلت العشار تعطيلافا فارتقت الروح الجسد قد حملت الأرض فكدت حتى ألفت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأحوال ولكن أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يغوتك من القيامة الكبرى شيء مما يحسك بل ما يخص غيرك فان بقاه الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لاها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فلا يجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشقق رأسه قد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماؤه فمن أين ينفعه بقائه السماء لتغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والموال بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الحصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال - واعلم أن هذه الصغرى وإن طوفا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فان للإنسان ولادتين: إحداهما الخروج من الصلب والقراب إلى مستودع الأرحام

(١) حديث من مات قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

الصلاتين في صلاته في
عشرين ركعة في كل
ركعة آية أو بعض آية
تقرأ في الركعة الأولى
- ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب
النار - ثم في الثانية
- ربنا أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وأصرنا
على القوم الكافرين -
ثم - ربنا لا تؤاخذنا
بإثامنا ولا تأخذنا
بإثامنا ولا تأخذنا
بإثامنا ولا تأخذنا
بإثامنا - الآية
ثم - ربنا آمنا بما
أنزلت - ثم - أنت
ولينا فاغفر لنا - ثم
- فاطر السموات
والأرض أنت ولي -
ثم - ربنا إنك تعلم

فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنبهة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه الصمد بالموث إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم قس الآخر بالأولى فما خلقكم ولا بكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لآلئكم من ثمرة مما كنتم تعملون - فالقرب بالقيامة بين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والقرب بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتقار بالأعور إلى الدجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأحوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تتكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالموث واعظا ^(١) » أو ما سمعت بكريه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت ^(٢) » أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعا الغافلين الذين لا ينظرون إلا لصيغة واحدة تأخذهم وهم يغضمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فأبتهم الرض نذرا من الموت فلا يبرزون وأبتهم الشيب رسولا مه فما يبتغون فإحسرة على العباد ما أبتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفظنون أنهم في الدنيا خالدون أم لم يروا كما هلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كل أن كل ما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ولترجع إلى الغرض فان هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم السامعة . فقول قد ظهر لنا الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنه في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والإعراض ولعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على معصية الكرام الكاتبين البررة الأخبار أن يكتب على الصبي سيئه وحسنه على صبيغة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فبإلها بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع البين والبرين والصدقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

ما تخفى وما نعان - الآية ثم - وقد رب زدني علما - ثم - لا إله إلا أنت سبحانك - ثم - رب لا تدزني فردا - ثم - وقد رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ثم - ربنا هب لنا من أزواجنا - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين - ثم - أعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور - ثم - رب أو زعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على - الآية من سورة الأحقاف ثم - ربنا اغفر لنا

(١) حديث كفى بالموث واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريح بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أغنى على سكرات الموت .

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(١) وأشار إلى أصعبه الكريمين صلى الله عليه وسلم .

(يان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقة بالصدقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشغال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد القادمين ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين : أحدهما أن يطلق على الصدقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر والراد باليقين للمعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن للصبي ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك النصيحة والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال «من أقل ما أوثقتهم الإيمان وعزيمة الصبر» الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال الثمرة للأعمال لاهل للمعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه الصبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شرطى الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشرطين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقديرغ أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى تسمين . باعث من جهة الشهوة ، و باعث من جهة الغضب فالشهوة اطلب القنيد والغضب للهرب من الألم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار والصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربيع الإيمان فهكذا يبنى أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فان اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(يان الأسامي التي تجدد للصبر بالإضافة إلى ما ماعنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل الشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالعمل كتأطى الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتال كالصبر عن الضرب الشديد والرض العظيم والجراحات المأنة وذلك قد يكون محمدا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتبات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى غفة وإن كان على احتال مكروه اختلقت أساميها عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والمعلم وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى ربح الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتال التقي سمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقابلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وإن كان فى كظم التليظ والغضب سمى حلا ويضاده التدمر وإن كان فى نائمة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وهى صاحبه كتمان وإن كان عن فضول الغيب سمى زهدا ويضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

ولاخوانا الدين -
الآية ثم - ربنا عليك
توكلنا - ثم رب اغفر
لى ولوالدى ولمن دخل
يمنى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد
الظالمين إلا تيارا -
مهما يسلّ فليقرأ هذه
الآيات وبالحفاظة على
هذه الآيات فى الصلاة
مواظبا للقلب واللسان
يوشك أن يرقى إلى
مقام الاحسان ولورد
فرد آية من هذه فى
ركعتين من الظهر أو
الصبر كان فى جميع
الوقت مناجيا لمولاه
وداعيا وتاليا ومصليا
والدعوى فى العمل
واستيعاب أجزاء الثمار
بلادة وحلاوة من
غير سامة لا يصح

الحرس وإن كان صبرا على قدر يسير من الحفظ سمي قناعة وضادته الشدة فأكثر أخلاق
الأيان داخل في الصبر وذلك لما مثل عليه السلام مرة عن الإيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفة» (١) وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا قال تعالى
- والصابرين في البأساء - أي الصلبة - والفرءاء - أي الفقر - وحين البأس - أي المحارقات - وأولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ للماني من
الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحققها من حيث رأى الأسامي مختلفا والذي
يسلك الطريق للستيم وينظر بنور الله يلحظ للماني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلحظ الأسامي
فإنها وضعت دالة على للماني فالعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع
لا بد وأن يزل وإلى الترفيقين الإشارة بقوله تعالى - أفمن ينشئ مكيًا على وجهه أهدى أمن يمشي
سويا على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يخطوا فيها غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانكسارات ، نسال
الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال : أحدها أن يقهر داعي الهوى فلا يتبقى
له قوة للنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر غفر والواصلون إلى هذه الرتبة
هم الأقلون فلاجرم هم الصديقون للقرآن الذين قالوا ربنا انقم استقامتنا هؤلاء لازموا الطريق
للاستقيم واستوتوا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإيام بنادى للتأدي
- بأبها النفس المظمتة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى
وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد لئلاسه من المهادنة
وهؤلاء هم العافلون وهم الأكثرون وهم الذين استسلمت شهواتهم وغلبت عليهم شهوتهم فحكروا
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله وإليه الإشارة بقوله تعالى
- ولوشئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة غفرت صفاتهم وقيل لمن تصدرا رشاها - فأعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط
والفرور بالأمان وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الوفا والأحقق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (٢) وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق
إلى التوبة ولكنني قد تضررت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال إن
الله غفور رحيم كريم فلاحاجة به إلى توبتي وهذا السكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل
عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في يدهوته كسل
أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ المحور وحملها وعمله عنده الله تعالى
محل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه بفاحش جنائته يشبه أنه سخر
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يتسلط عليه وإنما استحق السلم أن يكون متسلطا
لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكفار أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجبل
بالدين وباعث الشياطين وحق للسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر اللئ الشريف

إلا ليد تزكت نفسه
بكال التقوى
والاستعانة في الزهد
في الدنيا واتزع منه
متابعة الهوى ومتيق
على الشخص من
التقوى والزهد الهوى
بقية لا يدم روحه في
العمل بل ينشط وقنا
ويسأم وقنا ويتأوب
النشاط والكسل فيه
ليقاء متابعه شيء من
الهوى بنقصان تقوى
أومعة دنيا وإذا صح
في الزهد والتقوى فإن
ترك العمل بالجوارح
لا يتر عن العمل بالقلب
فمن رام دوام الروح
واستحالة الدؤوب في
العمل فليحسب مادة
الهوى والهوى روح
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يسر وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الفرور .

الذى هو من حزب الله وجند لللائكة للمعنى الخديس الذى هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكفار بل هو كمن قصد لللك النعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلحه إلى أبهى أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنعته لأن الهوى أبهى إله عبد في الأرض عند الله تعالى والضل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون للحرب سجلاً بين الجندين قتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد مثله لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يظلب جميع الشهوات أو لا يظلب شيئاً منها أو يظلب بعضها دون بعض وتزبل قوله تعالى - خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأثماء بل هم أضل سبيلاً إذ الهيمة لم تخلق لها البرقة والقدرة التي بها تبحر مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقاً للدبر يقينا ولذلك قيل :

فلم أر في عيوب الناس عيباً كنعص القادريين على التمام

ويقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجاهدة جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك صبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت القوى وقوى التصديق عانى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره الليسر - ومثال هذه التيسرة قدرة الصارع على غيره فان الرجل القوى يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة أعياه ولا قلوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديداً لا يتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود اللائكة وجنود الشياطين ومهما أذعن الشهوات واهتمت وتسلبت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواظبة أورت ذلك مقام الرضا كلياً في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ^(١) » وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع به وما له وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وتقل ومكره ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه تقل والصبر على الأذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يده ولده وهو يصبر على ما كذا وكذا يقصد حربه بشهوة محظورة قهرج غيرة فصر عن إظهار القبرة وسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر للمكروه هو الصبر على أفى ناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يغفل إليك أن جميعه محمود بل الراد به أنواع من الصبر بخصوصة .

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما هو الذى يوافق هواه .

(١) حديث اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم .

تزول متابعته والتي عليه السلام ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعته فقال « أعوذ بك من هوى متبع » ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته قال « وشح مطاع » ودأقى متابعة الهوى تنين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعاً للهوى باستعلاء مجالسة الخلق ومكالتهم أو النظر إليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى تتبع وهذا شغل من ليس له شغل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يوافق به بكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة المشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأشعار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والزكون إليها والانهماك في ملاذها الباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطين فإن الانسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعوائف لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما تحت أبواب الدنيا على الصعابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَهْلِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ - وقال عز وجل - إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ يَعِدُوا لَكُمْ فَاصْدُرُوا - وقال صل الله عليه وسلم « الولد مبخلة بحنة عزه (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يشعر في قلبه نزل عن النبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إني لما رأيت ابني يشعر لم أملك نفسي أن أخذه (٢) » . ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرج بها ولا ينجمك في التمتع واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه بئذ اللونة للخلق وفي لسانه بئذ الصدق وكذلك في سائر ما أتم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تمتدح والصبر على الحجابة والصدف إذ لا تولد غيرك أسير من الصبر على صدقك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطلمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهاذا عظمت فتنة السراء . النوع الثاني مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والعماسي أو لا يرتبط باختياره كالصائب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزائه كالنفس من المؤذي بالانقاص منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والعبد محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتنشئ الربوبية ولذلك قال بعض العارفين مامن نفس إلا وهى مضجرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجده مجالوا بقولا فأظهره إذ استخف فومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبوديه وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت فقره وطاعته وإن كان محتما من إظهاره فإن استخاطه وغضبه عند تقصيرهم في خدمته واستبداده ذلك ليس بصدور إلا عن إضمار الكبر ومنازة الربوبية في رداء الكبرياء فإذا غلبت العبودية شاعة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالصبر والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدة والوعظ المحتاج للطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح التيقن الاخلاص والصبر عن شواحب الرياء

ثم يصل العبد قبل الصبر أربع ركعات فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتمكيل الصلاة وقراء في الأربع قبل الصبر إذا زلزلت والعايدات والقارعة والمهاكم وصل الصبر ويحصل من قراءته في بعض الأيام والسبب ذات البروج وصحت أن قراءة سورة البروج في صلاة الصبر أمان من الدماويل ويقرأ بعد الصبر ما ذكرنا من الآيات والدعوات ما يتيسر له من ذلك فاذا صلى

(١) حديث الولد مبخلة بحنة عزه أبو يعلى اللؤلؤى من حديث أبي سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يشعر في قلبه نزل عن النبر الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكابد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال ﴿ وإمّا الأعمال بالنيات وإمّا لكل امرئ ما نوى ﴾ (١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسنته ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين العجب وعن كل ما يبطل عمله ومبطل أثره كما قال تعالى - ولا تطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تطلوا صدقاتكم بالبنى والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن البنى والأذى قد أبطل عمله . والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو الرزوة وصلة الرحم وكل ذلك محتاج إلى صبر . الضرب الثاني للمعاصي لما أحوج العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى - ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » (٢) والمعاصي مقنصى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفاً بالعادة فإن العادة طبيعة خاسمة وذات انضافت المادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك القمع مما يتيسر فله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع الزلل المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الأزرار والاستحقار وذكر اللوثي والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان : إحداها نفى القبر والأخرى إثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية واجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يسر الصبر عنها ، وهي أكبر اللوثيات حتى يطل استنكارها واستباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الألسن بها فترى الإنسان يلبس حريرا مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أغراض الناس ولا يستكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن الغيبة أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد » (٣) فلا يجنب غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخاطلة وتختلف شدة الصبر في أحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبق

(١) حديث إمّا الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جدين وقد تقدم (٣) حديث إن الغيبة أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

الصبر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقى وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يرهه في الدنيا ويسد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين التكميل بما يقوى عزائم المؤمنين فإذا صحت نية القائل والسمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد وللداومة على الأذكار وإن عمت هذه المجالسة وتصدرت فليترج بالتفعل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه

حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يلبس على القلب ثم آخر في الدين يستتره
 كمن أصبح وهوومه ثم واحد وإلّا فإن لم يستعمل الصبر في شيء معين لم يتصور قنور الوساوس
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختيائه وله اختيار في دفعه كالأذى يؤذي بفعل أو قول وجب
 عليه في نفسه أو ماله ، فالصبر على ذلك يترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال
 بعض الصعابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعدّ إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى ، وقال
 تعالى - ولنصبرن على ما آتيتونا وعلى الله فليتوكل التوكلون - وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر
 من هذا فصر (١) وقال تعالى - ودع أذاًم وتوكل على الله - وقال تعالى - واسبر على ما يقولون
 واهجرهم هجرة جيلة - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمن من الدين أنوا الكتاب من قبلكم ومن الدين أشركوا
 أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من غم الأمور - أى تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح
 الله تعالى العاقين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى - وإن عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عاقبتهم
 به ولئن صبرتم لهو خبير للصابرين - وقال صلى الله عليه وسلم وصل من قطعك وأعط من حرمك
 وأعف عمن ظلمك (٢) ورأيت في الأنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من
 قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك
 الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر
 معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
 يتعاون فيه باعث الدين و باعث الشهوة والضعف جميعاً . القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الأوعية وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعي العين
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة
 وصبر عن محارم الله تعالى فله مئاة درجة وصبر على الصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعة عشرة درجة
 وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «أسألك من اليقين ما هو من به مصائب الدنيا» (٣)
 فهذا صبر مستند حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم «قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله
 أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب من أنا أو أنشر له ديواناً» (٤)

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على الوضوء .
 وكره جمع من الماء
 تحية الطهارة بعد
 صلاة العصر وأجاز
 المشايخ والصالون
 ويقول كما خرج من
 منزله بسم الله ماشاء
 الله حسي الله لاقوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجني ؛ وليقرأ
 الفاتحة والمودتين ولا
 يمنع أن يصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 تمر أو لقمة فإن
 القلب بحسن التوبة
 كثير . وروى أن
 عائشة رضى الله
 عنها أعطت النائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 أسألك من اليقين ما هو من به مصائب الدنيا الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدي
 مصيبة في بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظار الفرج بالصبر عبادة »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجزني في مصيبي وأعطيني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك »^(٢) وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه المخلود في داري والنظر إلى وجهي »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبيدي بيلاء فصرير ولم يشكوا إلى عواده أبدلتهم لما خيرا من لهم وما خيرا من دمه فإذا برأته لم ير أنه ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي »^(٤) وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاه المزين الذي صبر على الصائب ابتداء مرضاته قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبداً. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما أتم الله على عبد نعمة فأنزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرأ - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وسئل فضيل عن الصبر قال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الرضا لا يتنقذ فوق منزلته ، وقيل حبس الشئ رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أجالك جاء وكذا زأرين فأخذ يرسمهم بالمحارة فأخذوا يهربون قال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي ، وكان بعض الدارفين في جيرة مرة يخرجها كل ساعة ويطلبها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك ، أيعتنا - ويقال إن امرأة فتح الوصل عثرت فأنقطع ظنرها فضحك قيل لها أما تعجبين الوجع فقالت إن الله نوابه أزال عن قلبي مرارة وتوجهه وقال داود لسليمان عليها السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يدل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك »^(٥) وروى عن بعض الصالحين أنه خرج موافقاً في كرمرة فأنفذهما فإذا هي قد أخذت من كرمه فقال بارك الله له فيها له أحوج إليهما منى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرتي قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فان عشت إلى الليل شربته فهكذا كان صبرا سالكاً طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاة في مسند الشباب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث علي بن دؤن قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد الخدري في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذي من حديث ابن مسعود أفضل الباردة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس إن الله قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسطلي واسمه هلال أبا عبد الصفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبيدي بعيبتيه فصرير عوضته منها الجنة رواه ابن عبيد وأبو يعلى بلفظ إذا أخذت كرمي عبيدي لم أرض له ثوبا دون الجنة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سالم قال ابن عدي ضعيف (٤) حديث يقول الله إذا ابتليت عبيدي بيلاء فصرير ولم يشكوا إلى عواده أبدلتهم لما خيرا من لهم الحديث مالك في الوطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري وعبد بن كثير ضعيف ورواه البيهقي موثوقا على أبي هريرة (٥) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تركي نفسك .

عنة واحدة وقالت إن فيها لتأقيل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقه » ويكون من ذكره من الصبر إلى اللرب مائة مرة لإله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الأخرة على بلاء الله تعالى . فان قلت فهذا تال درجة الصبر في الصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان الراد به أن لا تكون في نفسه كراهية للصية فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود وبالباقة في الشكوى وإظهار السكابة وتغيير العادة في اللبس والفرش والطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويستند أن ذلك كان ودعية فاسترجع كما روى عن الرميضاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فأتيت فقممت فسيجته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقممت فهايت له إبطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه البيلة ثم قممت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ثم قلت ألا تصيب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال يمس ما صنعوا قتل هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع ثم غدا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهذا في ليلتهما ^(١) قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في السجدة سبعة كلهم قد قرءوا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة ، وقد قبل الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب الصية من غيره ولا يخرج به عن حد الصابرين توجع القلب ولا يضيأ العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوث سواء ولأن البكاء توجع القلب على الميت فان ذلك مفتقى البشرية ولا يشارك الانسان إلى اللوث ولذلك لمسات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه قليل له « أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذرحمته وإنما رحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقصد على المحاجة والقصد مرض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيب يعزى بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أنجاه له . واعلم أن الساعي قبلك هو الباقي لك والباقي بسلك هو الأجور فيك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يوافقون منه فاذن مهذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالتوابع نال درجة الصابرين ، نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر الصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان الصائب والأولع والصدقة فقد ظهر لك هذه التسهيلات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فان الذي كفى الشبوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاخ الحواطر لا يسكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له وفي مستقبل لا بدوان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان ضيق زمان وآلة العبد قلبه وبضاغته يحمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فسكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالفرقة بحجة الله تعالى فهو مغبون هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الجليل لقضاء الشبوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره ما من يوم أنه ينازعه وبخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له أنه بل يقدر الخالق من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده ويوم محالقتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتلون به

(١) حديث الرميضاء أم سليم توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فأتيت فقممت فسيجته في ناحية البيت الحديث طيب ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين قد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله الواحد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبعمده استغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ومائة

في مخالفة ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جنود جند يطرو جند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتملة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف للملوك الخلق من النار أن يطعن عن حر كته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن ذنب انتصاه بأن قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فأذن حيث لم يسجد للملوك لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطعم في سجوده لأولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر اتقياده وإذعائه بالأذعان سجود منه فمرو روح السجود وإيمان وضع الجبهة على الأرض قاله وعلمته النبالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي العظم المكرم يرى استخفافا بالمادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقال الروح عن الروح وتشر اللب عن اللب فتكون عن قبه عالم الشهادة بالسكينة عن عالم الريب وتحقق أن الشيطان من النظيرين فلا يتوهم لك بالسك عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهو ملك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد للملوك جمالا فيك فصد ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطة هذا اللعين ولا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فانك إن أردت أن يخلو القدر عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو غيره قد طمعت في غير مطعم بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب يشغل بغيره في الدين لا يخلو عن جولان الشيطان والإلهي غفل عن الله تعالى ولوقى لحظة فليس له في تلك اللحظة من إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يش عن ذكر الرحمن يقض له شيطانا فهو له قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يفيض الشاب القارغ» (١) وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل بباطنه بباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يشغله فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزوج أفرأخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلفاء الباطية كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال فاشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء الباطية للنار وكما لا يبق النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فأذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شيطانك وهي صفة تفك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم يتشغل فغفلت فأذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحر كالباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يطمعه إلا اللواتي نال الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وإن كان شاقا أو متعبا فتحصيله ممكن بمسجون العلم والعمل فالعلم والأخلاق التي منها تروك الأدوية لأمرض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام الملل المانة منه مختلفة وإذا اختلفت الملل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة الملة وقمعها واستيفاء ذلك عما يطول

(١) حديث إن الله يفيض الشاب القارغ لم أجده .

مرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقهاء من القرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . وتقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم والليلة وتقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم والليلة وليقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح سبحان الله على الدين سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب الليل ويأتي بالنهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فقول إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقائع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه ويملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال نغذته بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة . فنقول قد قدمننا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الشهوة مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يلب أحداهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا الشهوة من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعف الآخر فلزمنا هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فليسيل تضعيفه ثلاثة أمور : أحدها أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المهرجة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة المهرجة للشهوة . الثاني قطع أسباب اللهجة في الحال فانه إنما يسبح بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور الشهوة والفرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس » وهو سهم يسده اللون ولا ترس يمنع منه إلا تقيض الأجفان أو الحرب من صوب رمية فانه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصيب سهمه . الثالث تلبية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهي وذلك بالكسح فان كل ما يشتهي الطبع في البياحات من جنسه ما ينشئ عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الأتمتع في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء »^(١) فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع الملقف عن البهيمة الجوح وعن السكب الضاري ليضعف قوته . الثاني يضاهي تقييد اللحم عن السكب وتقييد الشعر عن البهيمة حتى لا تحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل عما يجذب إليه بطبعها حتى يبقى معها من القوة ما تنصير به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين فانهما تكون بطريقتين أحدهما إطعامه في فوائد المجاهدة ومثارتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر ذكره في الأخبار التي أوردها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مضبوط بالصيبة إذ فاته ما لا يبق معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعده وتهدأ به الدهر ومن أسلم خسيما في تقييد فلا يثنى أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها شديدا وإن ضعف ضعفه وإيمان فتارة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لمزعة الصبر وأقل ما أوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدركه الطغرى بها فيستجري عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتناء والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد كد التوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فتقوى الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الحياطين والخطارين والفقهاء والصالحين وذلك لأن قوامهم إنما يكذب الممارسة فالعلاج الأول يضاهي أطعام الصارع بالحامدة عند الغلة ووعد به أنواع الصكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام موسى حيث قال - وإنكم إذا لمن القرين - والثاني يضاهي تعويد الصبي

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان اللطيف سبحان الله السميع في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقال من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما سمكت فقال مهلبي أنسل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . وروى أن عثمان رضى

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم الحديث تقدم في السكاح .

الذى يراد منه الصارعة والمقاتلة ببشارة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأس به ويستجري عليه وتوى فيه منه فن ترك بالكسبة الجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاء وإنما أشدها كنف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن قطع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للعزلة والكر والفسكران الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوة وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصبر المصوم بها واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض ومجانب صنع الله تعالى وساير أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسوسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجي إلا الأوراد المتواصلة للتربية في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات وبحسب ما يحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب المحصور فإن الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخفى في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطينان من مخالطة إذ لا يستغنى عن مخالطة من يبينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة . وأما النوع الثانى فهو ضرورى أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب العاش فان تهتة ذلك أيضا تنحرج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يخفى عن شغل قلب من يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم مملكة أوقاته وتلك الأوقات يصفو القلب وييسر له الفكر ويتكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض مالا يقدر على عشر عشرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والالتئام إلى هذا هو أقصى القامات التى يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما يتكشف ومبالغ ما يرد من لطيف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقديرا للجهد وبجمل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازى أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد ، ثم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جوازب الدنيا فان المهنوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين وكل مهوم بالدنيا فهو منجذب إليها قطع العلائق المجاذبة هو الراد بقلبه **« إن لم يكن أيام دهركم ففحات لا تقترضوها لها »** وذلك لأن تلك الفحات والجذبات لها أسباب محاربة إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السابوة غاية عنا فلا تدرى متى يسر الله تعالى أسباب الرزق لها علينا إلا تفريغ المل والانتظار لزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالأذى يصلح الأرض ونقيها من الحشيش ويبت البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا بغير ولا يدري متى تقدر الله أسباب المطر لأنه لا يشق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يغنى سنة عن مطر فكذلك فلما تحلوسنة وشهر ويوم عن جذبة من جذبات ونفحة من النفحات فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعقد ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك الفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كاتى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والأفاس أسباب يحكم تقدير الله تعالى لا يستدبر الله رحمة حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقابله السموات
والأرض - قال سألنى
عن شئ عظيم سألنى
غيرك هو لا إله إلا الله
وألفا كبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
وأستغفر الله الأول
الآخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحديده
الحير وهو على كل شئ
قدير من قالها عشرا
حين يصبح وحسين
يسمى أعطى ست خصال
فأول خصلة أن يحرس
من إبليس وجنوده
الثانية أن يعطى قطارا
من الأجر الثالثة يرفع
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أقطار الكاشفات ولطافت المعارف من خزائن
 للسلوك أشد مناسبة منها لاستدرا قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال والكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بسلامتك وشهواتك تصار ذلك
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق آتوار المعارف من
 باطن القلب وتظهر ماء الأرض بجهر القى أسهل وأقرب من استرسال إليها من مكان بعيد تخفى عنها
 ولكونه حاضراً في القلب ومنسباً بالثقل عنه مهي الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكر أفعال تعالى
 - إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون - وقال تعالى - ولتذكر أولوا الألباب - وقال تعالى ولقد
 يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإنما الصبر عن الملائق كلها مقدم على الصبر عن الفواطر - قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس إلى الله تعالى صعب
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد الملائق
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن لذة الرياسة والتبعية والاستيلاء والاستيعاب أغلب اللذات في
 الدنيا على نفوس المقلد وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية
 والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأموال الربوبية وعنه العبادة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على هذا بل وإنما هو مذموم على غلط موقع له بسبب
 تقرر الشيطان المعين للبدن عن عالم الأمر إذ حصد على كونه من عالم الأفعال وأغواها كيف يكون
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء لافناء فيعوز إلى الدنياه وأما ما أخوف فيه
 وغنى لا تفر فيه وكالاتها تصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل
 حتى كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له وطالب الملك طالب للملوك والمزاول الكمال للاحقة ولكن الملك
 مسكن ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه داخل وهو في الدنيا وملك خلد
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان بحولاً رغباً في العاجلة بقاء
 الشيطان ونوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الحق فوعده بالقرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كأهل الدنيا «والأحق من أتبع نفسه
 هواها وتمنى على الله الأمان» فأنخدع المخدول بفرور واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم
 يتدل الموقف بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فصرع المخدولين بقوله تعالى - كلا
 بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة ويندرون وراءهم وما
 تقبلا - وقال تعالى - فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ما أمروا على الخلق
 من إهلاك البدن وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لأصل
 له إن سلم ولا دوام له أصلاً فتأدوا نعيمهم - يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم لغير الله في سبيل
 الله اثنا قتلتم إلى الأرض أرضنتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فالتوراة والإنجيل والزيور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما نزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم الخلد والبراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا
 فآزهد فيها والقناعة بالسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعزاً
 لا ذل فيه وقررة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك
 الدنيا لطمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضربتان ولفله بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الربابة يزوجه الله من
 الحور العين الخامسة
 اثنا عشر ملكاً
 يستفرون له السادسة
 يكون لمن الأجر كن
 حج واعتمر ويقول
 أيضاً في هذا الوقت وفي
 أول النهار اللهم أنت
 خلقتني وأنت هديتني
 وأنت تطعمني وأنت
 تمسني وأنت تبتلي
 وأنت تحييني أنت ربي
 لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وحسبك
 لا شريك لك ويقول
 ماشاء الله لا أقول إلا بالله
 ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير
 كله يد الله ماشاء الله
 لا يصرف السوء إلا الله
 ويقول حسبي الله لا اله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان عسده أيضاً ولكن ملك الدنيا لا تخلو عن المازعات والمكدرات وطول المصوم في التديرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهما تسلم وتمت الأسباب ينقض الصبر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أئنا لها أمراً لبلا أوتيناها جنة من السماء كأنهم لم ينسوا بالأمس - فغضب الله تعالى لها مثلاً فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح - والزهدي في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه فصدته عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فيفادان لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حراً وبإستبلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام الشهوة أخذاً وخنقته إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم اختراق الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكاً وينال الرتبة بأن يصير عبداً ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة؟ قال كيف أطلب منك حاجة؟ لمسكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي - يوق إلى الملك في الآخرة فالحمد وعون برزور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً والدين وقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوالدنيا والآخرة جميعاً فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلطي ذلك وكيفية تسمية الشيطان وتبليسه يسهل عليك الزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته إذ تصوير بتركه ملكاً في الحال وترجوه ملكاً في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه العادة مباشرة أسبابه فلا يكفي في العلاج مجرد العلم والكتب بل لابد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيفسد عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يعمل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا عنها - الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أفعالاً تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفضل في مسكن ومأوى ومطعم وقيام وقعود كان يئاده فواء ينقض جاهه فينبغي أن يبدله بغيره تماماً حتى يرسخ باعتياده ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياده فلامنى له العالجة بالإضافة - الثالث أن يراعى في ذلك التلطف والتدرج فلا ينقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع ثور ولا يمكن حله عن أخلاقه إلا بالتدرج فترك البعض وبسبب نفسه - البعض ثم إذا قعت نفسه بذلك البعض ابتداءً ترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئاً فشيئاً إلى أن يقيم تلك الصفات التي رسخت فيه وإلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنقض إلى نفسك عبادة الله فإن التبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى (١)» وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه» (٢) «فأذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضعفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع المهلكات فاعتقده دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد بطول ومن راعى التدرج ترقى به الصبر إلى ما يشق عليه الصبر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه تقدم فيه

وهو رب العرش العظام
ثم يستعد لاستقبال
الليل بالوضوء والطهارة
ويقرا السجعات قبل
النسروب - ويدعى
التسبيح والاستغفار
بحيث تغيب الشمس
وهو في التسبيح
والاستغفار وقرأ عند
الغروب أيضاً والشمس
والليل والعدوتين
ويستقبل الليل كما
استقبل النهار قال الله
تعالى - وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفه
لمن أراد أن يذكر أو
أراد شكوراً - فكما
أن الليل يعقب النهار
والنهار يعقب الليل
ينبغي أن يكون العبد
بين الذكر والشكر
يعقب أحدهما الآخر

دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتحسب أموره فيصير ما كان محبوباً عنده محمواً وما كان مكروهاً عنده مشرباً هيئاً لا يصبر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والدوق وله نظير في العادات فإن الصبر يعمل على العلم في الابتداء فترا فيشق عليه الصبر عن العلم والصبر مع العلم حتى إذا انتفعت بصبره نأمن بالعلم اتقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على العلم وإلى هذا يشير ما حكى عن بعض السامعين أنه سأل الشبل عن الصبر أي أشد ؟ قال الصبر في الله تعالى قال لا قال الصبر له قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فليس ؟ قال الصبر عن الله فصرخ الشبل صرخة كادت روحه تتلف . وقد قيل في معنى قوله تعالى - اصبروا وصابروا ورابطوا - اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا بطوامع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله غناء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه : والصبر عنك لدموم عواقبه والصبر في صائر الأعيان محمود وقيل أيضاً : الصبر يعمل في اللواتن كلها إلا عليك فإنه لا يعمل هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره .

الشرط الثاني من الكتاب في الشكر ، وله ثلاثة أركان

الأول : في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه . الثاني : في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة . الثالث : في بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول في نفس الشكر

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالله كرفي كتابه مع أنه قال ولو شكر الله أكبر - قال تعالى - فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون - وقال الله تعالى - ما يغفل الله بعدا بكم إن شكرتم وآمنتم - وقال تعالى - ومن جزى الشاكرين - وقال عز وجل إخباراً عن إبليس اللعين - لأضدن لهم صراطك المستقيم - قيل هو طريق الشكر ولعلورة الشكر طعن اللعين في الخلق قال : ولا أعبد أكثر من شاكرين وقال تعالى - وقيل عن عبادة الشكور - وقد قطع الله تعالى بالزبد مع الشكر ولم يستثن قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - واستثنى في خمسة أشياء في الأغناء والاجابة والرزق والنفرة والتوبة قال تعالى - فسوف ينصركم الله من فضله إن شاء - وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء - وقال : يرزق من يشاء بغير حساب وقال : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال : ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى - والله شكور حلیم - وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة قال تعالى - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - وقال - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) (١) وروى عن عطاء أنه قال «دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرني بأحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرت وقالت وأي شأن لم يكن عجبا أني ليلته قد دخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى سميت جلدي جلته ثم قال يا بنه أي بكثرة ذريتي أعجب لربي قالت قلت إني أحب قربك لكني أوتيه وأكفأ ذنت له قام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يسكي حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكورا ولم لأصل ذلك

(١) حديث الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف .

ولا يتخللها شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء . والله أكبر جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى - اعملوا آل داود شكرا - والله الوفي للعين .

[الباب الحادي والخمسون في آداب الرياء مع الشيخ] أدب المريدين مع الشيخ عند الصوفية من مهام الآداب والقوم في ذلك اعتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تفتقدوا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن

وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السريشير مروي أنه مر بمنى الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فصب منه فألقته الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يجبره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب البعد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال (٢) وفي لفظ آخر (٣) « وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام أن يشكر الله عليه وسلم » الحمد رداء الرحمن (٤) « وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها أفهمهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر إلى أزيدهم ولما نزل في الكونز ما نزل . قال عمر رضي الله عنه « أي المال يتخذ فقال عليه السلام ليأخذكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا (٥) » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن اللسان . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من اللتم والحال هو الفرح بالحاصل بالنعمة والعمل هو القيام بما هو مقصود التمتع وعجوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم ثلاثة أمور بين التمتع وجه كونها نعمة في حقه وبذات التمتع ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم عليه تصل إليه النعمة من التمتع بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن التمتع كلها من الله وهو التمتع والوساطة مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكمل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ يتطوى فيها مع التقديس والتوحيد كالقدرة والافتقار بالفعل وعن هذا عبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأمره لم يكن عجبا الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله عليه السلام ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضمه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأى أمره لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث (٢) حديث ينادى يوم القيامة ليقيم الحمدون الحديث الطبراني وأبو نعم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يبدى إلى الجنة الحمدون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضمه الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الكبري رداؤه الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا الحديث تقدم في النكاح .

الله جميع علم . -
 روى عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن مبدد وقال عمر بل أمر الأفرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافاك فقاربا حتى ابرضت أصواتهما فأزل الله تعالى بآلهما الذين آمنوا - الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا ناس ضحون قبل رسول الله فقها عن تقدم الأضحية على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله عشره حسنات ومن قال الحمد لله ثلاثون حسنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله (٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله (٣) » ولا تظن أن هذه الحسنات يلزم تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات يلزم هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين. واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال ، فمن أتم عليه ملك من الملوك شيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدًا في حق الملك ، ثم لا ينش من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرها لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل للوصول والحازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاب وأمر جزم يخاف عقابته لما سلم إليه شيئا فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الحازن للوصول كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفضاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وإن الحيوانات التي لما اختار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو الساطع للدواعي عليها لتعمل شامت أم أت كالخازن الضطر الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خفى نفسه لما أعطك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر لإسقاطها عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن عطيك ما أعطاك وأن غرضه التقصود عنده في الحلال والمال لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذن إنما يعطيك لقرض نفسه لا لفرصك ولو لم يكن غرضه في العطاء ما أعطاك ولو لم يعلم أن نعمته في منفعتك لما نعمتك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منجما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما الذي أتم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت قلمه وكنت موحدًا وقدبرت على شكره بل كنت بهذه العرفة بمجردها شاكرًا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيديك وفضلت فضلك فبكيت شكرك فقال الله عز وجل اعلم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا فأذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منته فان خالجت ريب في هذا لم تكن عارفاً بالنعمة ولا بالتمتع فلا يفرح بالتمتع وحده بل وبغيره فيتقصان معرفتك بنقص حالك في الفرح ونقصان فرحك بنقص عملك فهذا بيان هذا الأجل. الأصل الثاني: الحال للسمعة من أصل للفرقة وهو الفرح بالتمتع مع هيئة الخوض والتواضع وهو أيضا في نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقتل عائشة رضي الله عنها أي لاصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال الكلي لا تسبقوا رسول الله يقول ولا فصل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب الريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله لإجراجه الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب الشيخة قبل لا تقدموا لأنشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى

(١) حديث من قال سبحان الله عشر حسنات والحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام تضاعفا.

شكر على تجربته كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا لشرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالنعمة ولا بالإنعام، ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فاضربك مثلا فقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرض على إنسان يتصور أن يخرج النعم عليه بالقرس من ثلاثة أوجه: أحدها أن يفرض بالقرس من حيث إنه قرس وإنه مال ينتفع به ويركوب، ووافق غرضه وإنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه القرس فقط ولوجوده في صحراء فأخذ له لسان فرحه مثل ذلك الفرح. الوجه الثاني أن يفرض به لامن حيث إنه قرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشغفته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا القرس في صحراء أو أعطاء غير الملك لكان لا يفرض به أصلا لاستغنائاه عن القرس أصلا أو استحقاقه له بال إضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك. الوجه الثالث أن يفرض به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتجمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويسعى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظره صاحبه تصور على القرس فقرحه بالقرس لا بالمعطي، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها لذية ومواقفة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر، والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالنعمة ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عناية التي تستحقه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وإيمانا بالشكر التام في الفرح الثالث، وهوان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدرها على التوصل إلى القرب منه تعالى والوصول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا. وأما رتبة أن لا يفرض من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويسئله عليها ويعجز بكل نعمة تلبيها عن ذكر الله تعالى وتصدع عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها للذينة كما لم يرد صاحب القرس القرس لأنه جواد وممحلج بل من حيث إنه يحمله في محبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبلي رحمه الله: الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة. وقال الحواص رحمه الله: شكر العامة على الطعم واللبس والشرب، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من أعصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لغة القلب فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا يذكر الله تعالى ومعرفته ولاقته وإيمانا ببلذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما بلذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستجلى الأشياء المرة كما قيل:

ومن يك ذا فرم مر مريض يجد مرأ به الماء الزلالا

فإن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى، فإن لم تكن إبل فعمري، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية. أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكفر من فرق بين من يريد الملك للقرس ومن يريد القرس للملك وكفر من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليعمل بها إليه. الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وبالإنسان وبالجوارح. أما بالقلب فقصده الخير وإضاره لكافة الخلق. وأما بالإنسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتعديدات الدالة عليه. وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من

أبو الدرداء قال كنت أمتي أمام أبي بكر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبني أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة وقيل قلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والتأوى فهو عن ذلك وهكذا أدب للريد في مجلس الشيخ ينفى أن يازم السكوت ولا يقول شيئا يحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك وشأن

الاستعانة بها على مصيبتها حتى إن شكر العيين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل «كيف أصبحت قال بغير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بغير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك» (١) وكان السلف يشاءون وينهين استخراج الشكره تعالى ليكون الشاكر مطيعا ولستنطق له به مطعا وما كان قصدم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تصبح الشكوى من ملك للوك ويده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأخرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو الجلي والقادر على إزالة البلاء وذلّ العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذلّ وإظهار الذلّ للعبد مع كونه عبدا مثله ذلّ فيبيع قال الله تعالى - إن الذين قبيحون من دون الله لا يحلّون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له - وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليحكّم فقال عمر الكبير الكبير فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالنسب لكان في السلاطين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلنا إلينا فضلك وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان ونصرف . فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة للنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو التناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طغيلا بإشارة أن معنى للفرقة من معاني الشكر فقط وقول الجنيّد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين لأنهم لا يشككون لإعان حالهم الرهانة الغالبة عليهم اشتغالا بما بهمهم عمالهمهم أو يشككون بما يرونه لاقا بحال السائل اقتضارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضا عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بمأقل أصلا لأن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يقتل بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الوافق برحمته .

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بغير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بغير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطائر في الدماء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا مضطرب ورواه في المجمع الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح .

للرديد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه فظلمه إلى الاستماع وما يريزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه إلى القول برده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء لنفسه وذلك جناية للرديد . وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ عسى أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يادته بما يريد لأن الشيخ يكون مستقطلا نطقه بالحق

(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يعقل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر للوكة إما بالثناء ليزيد علمهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إغاثة لهم في بعض أغراضهم أو بالثول بين أيديهم في صورة الحمد وذلك تشكيروا لودام وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا بسبب من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجوبه: أحدهما أن الله تعالى منزّه عن الحفظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإغاثة وعن نشر الجاه والخمرة بالثناء والإطراء وعن تشكيير سواد الخدم بالثول بين يديه ركها سجدا فشكرنا إياه بما لا يحط له فيه يضاهي شكرنا للوك اللهم علينا بأن تنام في يوتنا أو تسجد أو تركع إلا لا حظ للملك فيه وهو غائب لاعلم له ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها. الوجه الثاني أن كل ما تعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة نعمة ولو أعطانا الملك مراكبا فأخذنا مراكبا آخر له وركبناه أو أعطانا الملك مراكبا آخر لم يكن الثاني شكر الأول منا بل كان الثاني محتاج إلى شكر كما محتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجوه ولنا تشك في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الحافظ قد خطر له أودعه عليه السلام كذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكرك لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا قد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى رضيت منك بذلك شكرا . فان قلت قد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا لو كان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر قد شكر وأن قبول الخلة الثانية من الملك شكر للخلة الأولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان أمكن تعريف ذلك بثال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكننا نشير منها إلى ملامح وشوق ههنا نظران نظر بين التوحيد المحض وهذا النظر يرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبداً لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا التغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الوجود الحقيقي هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذلك ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجودا لينة وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره مقي بوجوده فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو يقوم ولا يقوم إلا واحداً ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحق القويم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا ثم العبد إنه أواب - وقال وعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فلي نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الملبني حيث قرئ - بين يديه - يحجهم ومحبونه - فقال لعمري يحجهم ودعه يحجهم

وهو عند حضور
الصادقين يرفع قلبه
إلى الله ويستمطر
ويستقي لهم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والنطق مأخوذاً إلى
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما يفتتح به عليه لأن
الشيخ يعلم تطلع
الطالب إلى قسوله
واعتداده بقوله
والقول كاليدز يقع في
الأرض فاذا كان
اليدز فاسدا لا يثبت
وقساد الكلمة بدخول
الهوى فيها فالشيخ
يقطع بنهر الكلام عن
شوب الهوى ويسلمه
إلى الله ويسأل الله
المعونة والساد ثم يقول
فيكون كلامه بالحق

فبحق محبهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لانهما
إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن للصنف إذا أحب تصنيفه قد أحب نفسه والصانع إذا
أحب صنعه قد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده قد أحب نفسه وكل ما في
الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعت فان أحبه لها أحب إلا نفسه وإذا لم يحب
إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بين التوحيد وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء
النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فنى لم يغم هذا ينكر عليهم ويقول
كيف فنى وطول ظله أربية أذرع ولطه يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجبال
لجهلهم بمعنى كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى
- إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى
أهلهم انقلبوا فكهم وإذا رأوه قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين - ثم بين أن
ضحك المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فالويل للذين آمنوا من الضحك يضحكون على
الأرائك ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة
قال - إن تسخروا منا فلنا تسخر منك كما تسخرون - فهذا أحد النظرين . النظر الثاني نظر من
لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قبان قسم لم يشبوا إلا وجود أنفسهم وأنكر وأن يكون
لهم رب سيد وهؤلاء هم العيان للكوسون وعمام في كلتا السبيلين لأنهم تنوا ما هو الثابت تحقيقا
وهو القويم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم قائم به ولم يقتصر واطى
هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لغوا أنهم من حيث هم لا بات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم
من حيث أوجدوا لامن حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الوجد وليس في الوجود لا موجود
واحد وموجد فالوجود حق والوجد باطل من حيث هو هو الوجود قائم وقويم والوجد هالك
وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثاني
ليس بهم عصى ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى العينين وجود الوجود الحق فلا ينكرونه
والعين الأخرى إن تم عماها لم يصير بها فناء غير الوجود الحق فأثبت موجود آخر مع الله تعالى
وهذا مشرك تحقيقا كما أن الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد المعنى إلى المعنى أدرك تفاوتنا
بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل
في حد التوحيد ثم إن كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه ويقدر ما يزيد في بصره يظهر له
تقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به نقصان إلى المحو
فينحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك تقصا
في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانحصى فهذا تفاوت درجات
الموحدين وكتب الله الميزة على ألسنة رسله هي السكحل الذي به يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم
السكحلون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى
إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقولون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم
على الطرف الأقصى المقابل لاطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نصدمم إلا ليقربونا إلى
الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولنا ضغيفا والمتوسطون هم الأكثرون
وفهم من تفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبقر الحافظ
لا يثبت وفهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والصوام فيه عزز :

من الحق الحق فالشيخ
للمريدن أمين الإلهام
كما أن جبريل أمين
الوحى فكما لا يخون
جبريل في الوحى
لا يخون الشيخ في
الإلهام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس في التسول
بشيئين : أحدهما طلب
استجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما هذا من شأن
الشيخ . والثاني ظهور
النفس باستعلاء
الكلام والعجب وذلك
خيانة عند المحققين

لكل إلى شأؤ الملا حر كات ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له - واسجد واقترب - قال في سجوده «أعوذ بفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك من لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١) قوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بفوك من عقابك» كلام من مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأضاهه فاستمد به من فعله ثم اقترب قفى عن مشاهدة الأضال وترقى إلى مصادر الأضال وهى الصفات فقال «أعوذ برضاك من سخطك» وهما صفتان ثم رأى ذلك قصانا في التوحيد فاقرب ورقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال «وأعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستغيثاً وثنيا قفى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك قصانا واقترب فقال «لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» قوله صلى الله عليه وسلم «لاأحصى» خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله «أنت كما أثنيت على نفسك» بيان أنه لثنى ولثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات للوحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأضاهه فيستغنى بفعل من فعل فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا يرى الأولى بدا بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك قصافاً ولو كونه قصيراً في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة» (٢) فكان ذلك ترقية إلى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أو لها وإن كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان قصانا بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك، ولما قالت عائشة رضي الله عنها «أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا المجهود الشديد قال أفلا أكون عبداً شكورا» (٣) مضاه أفلا أكون طالبا للزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا تطلعتنا في بحار المكاشفة فلنقبض الصان ، ولترجع إلى ما يليق بعلم العامة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام يشعرون لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك التمام بالاضافة إلى تلك المشاهدة والشكر والشكور ولا يعرف ذلك إلا بالتمثال ، فأقول : يمكنكم أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبده بقدرته مكرها وملبوسا وهذا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حائقان : أحدهما أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهاتمه ويكون له عناية في خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقبله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت لغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها ما تقدم قبل هذا بقية أحاديث وهو عند مسلم من رواية عمروة عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث الغيرة بن شعبة .

والشيخ فيها يجرى على لسانه راقدا النفس تشفه مطالعة نعم الحق في ذلك فافد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلا والحب فيصحبون الشيخ لما يجرى به الحق سبحانه وتعالى عليه مستعما كأحد السمعين وكان الشيخ أبو السمود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقى إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكلك ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو سلم ما يقول كيف يكون كستمع لا يلم حتى أسمع منه فربح إلى منزله فرأى ليكنه

لأنه لا يتقوى على القيام بخدمة تفرغ فيه غناه وغيبته لانتفاء من ملكه فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته ليتفهم هو في نفسه لا يتفهم الملك به وباتفاهه فنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الأولى فإن الأولى حال على الله تعالى والثانية غير حال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يتم بخدمته التي أَرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنعم الله به عليه ولا يحبه لأجله للأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطيه فيما يزيد في بعده منه فما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينق الزاد إلا في الطريق فقد شكره مولاه إذا استعمل نعمته في محبة: أي فيما أحبه لعبد نفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يمد منه فقد كفر نعمته : أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبد نفسه وان جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب العبد فقد كفر أيضاً نعمته إذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو يمد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتشكل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وما يتعاطونها من القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن يدهم وقرهم عبر الله تعالى إذ قال - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آليات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لانتهاكه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والعصية وإن عطّلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسّان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها للشيء ولكن لا تشتملها المحبة والشكر ، وبهذا أيضاً ينحل الثاني فإن لم نعن وربّ مراد مكروه . ووراء بيان هذه الدقيقة سرّ القدر الذي يمنع من إفشائه وقد انحدر هذا الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر ، وبهذا أيضاً ينحل الثاني فإن لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة فعل الله قد حصل الراد وملك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وشاؤهُ نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد ضلعي سبيلاً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل اللقن الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجد له ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك شاكر إثبات شبيهة لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئاً وإنما أنت لا شيء إذا كنت أنت ظاناً لنفسك شيئاً من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئاً فانت شيء إذ جعلك شيئاً فان قطع النظر عن جملة كنت لا شيء حقيقة وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١) «لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى وعمل أفضاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل لبعض وقوله اعملوا وإن كان جارياً على

في التمام كأن قالوا يقول له أليس العواص يفرح في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل فهم بالتمام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب المرید مع الشيخ السكوت والحدود والجسود حتى يباديه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلًا وقيل أيضاً في قوله تعالى - لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - لا تطلبوا منزلة وراء منزلته ، وهذا من

(١) حديث اعلموا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث علي وعمران بن حصين .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم
فعل من أفعاله الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنبعاث الداعية أيضا
من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفعاله الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب
لبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق
الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعاله الله تعالى وبعضها سبب
لبعض : أي هو شرط ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهراً ولا يستعد لقبول
العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً لبعض هذا المعنى لا يعنى أن
بعض أفعاله موجد لغيره بل يمهّد شرط الحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي
ذكرناه . فإن قلت فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على الصبيان وما إلى النashء
فكيف نذم ونعما الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا
والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الفور ،
وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها فمن سبق له في الأزل السعادة
يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة ويصير عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن
لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن صماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام
الطهارة فإذا لم يسع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا وإذا لم يترك الركون
إلى الدنيا بقى في حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تجبت من قوم
يقادون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم
والخوف عليه وما من غثول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والفور
عليه فالتقوى يساقون إلى الجنة فقها والمجرمون يقادون إلى النار فقها ولا فاهراً إلا الله الواحد القهار
ولا قادر إلا الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فتشاهدوا الأمر كذلك معصوا عند
ذلك نداء النادى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك
اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد
للفاقلين من كشف الأحوال حيث لا يتفهم الكشف ، فعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى
فانه أصل أسباب الهلاك .

(بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر
استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه
ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان : أحدها الجمع ومقتده الآيات والأخبار . والثاني بصيرة
القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لأجل ذلك عزيز ، فذلك أرسل الله تعالى
الرسول وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد
فمن لا يطالع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً . وأما الثاني وهو النظر
بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة
وتمت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية . أما الجلية
فنكالم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل
لباساً فتتيسر الحركة عند الإصدار والكون عند الاستقرار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها

محاسن الآداب
وأعزها وينبغى للمريد
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل يجب
للشيخ كل منزلة عالية
ويتنقى للشيخ عزيز
النسب وغرائب الواهب
وبهذا يظهر جوهر
الريدى حسن الإرادة
وهذا يعزى للريدين
فإرادته للشيخ تعطيه
فوق ما يتمنى نفسه
ويكون قائماً بلحوب
الإرادة . قال السرى
رحمه الله حسن الأدب
ترجمان الفضل . وقال
أبو عبد الله بن حنيفة
قال لى روم يابى
اجمل عملك ملحا
وأدبك دقيقا ، وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في النعم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الخفية التي تحملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يصرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صينا السماء صياها شققنا الأرض شققا فأنبتنا فيها حبا وعنبا - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب السائرة منها والثواب خفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأما إلى قوله تعالى - أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يبرهن حكمها كالمعلم بأن العين لا تبصر إلا بالبصير واليد لا تلمس إلا باللمس والرجل لا تمشي إلا بالمشي فأمَّا الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلى فآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاوب والالتفاف والاعتباك والانحراف والدقة والفظوظ وسائر الصفات فلا يبرهن الحكمة فيها سائر الناس والدين يبرهنها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى - وما أو تبيهن من العلم الإقليل - فاذن كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أراده فقد كفر به نعمته تعالى فمن ضرب غيره يده فقد كفر بنعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر بنعمة العين ونعمة الشمس إذا الإصاير بهما وإنما خلقتا ليصير بهما ما ينفعه في دينه ودنياه وبقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما أريدتا به وهذا لأن الراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا والأنس بالإبدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ولا يبقى البدن إلا بالغذاء ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والنساء والهواء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية للنفس والراجع إلى الله تعالى هي النفس للطمشة بطول العبادة والعرفة فذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر بنعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك العصية . ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدرام والدنانير وبها قوام الدنيا وبها حبران لامتعة في أعيانها ولكن يفسد الخلق إليها من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يجز عما يحتاج إليه وبذلك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل يربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاونة ولا بد في مقدار العوض من تقدير إذا لا يذلل صاحب الجمل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشباب أو عبدا بخمسة أو دقيقا بمعارف هذه الأشياء لا يتناسب فيها فلا بد من أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتقدر العائلات جدا فانقرضت هذه الأعيان التناثرة للتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومزنته حتى إذا تهرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي خلق الله تعالى الدنانير والدرام حاكيتين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تهدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى

لكل وقت وأدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بريد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأدب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - لا ترفوا أصواتكم فوق صوت النبي - كان ثابت بن قيس بن ثعلبة في أذنه قر وكان جمهور الصوت فكان إذا كلم انسا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينادي بصوته فأثزل الله تعالى الآية تأديلا له وتوسيره .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إنهما مساوئان بشيء واحد إذن متساويان وإنما أمكن التعديل بالتعدين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينظم الأمر فاذن خلقهما الله تعالى لتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل والحسنة أخرى وهى التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ماسكهما فساكنهما ملك كل شيء لا تكن ملك ثوبا فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاتحيتج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء والشيء يغشا فتستوى نسبته إلى الاختلافات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها خصوصها كالمرآة لا لون لها ونحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وانظر به للماني في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكمة بطول ذلك كما فصل من عمل بهما عملاً لا يلبق بالحسك بل بخلاف الغرض المقصود بالحسك فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذن من كثرهما فقد ظفهما وأبطال الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن ينتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدينارين لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأحاد في أعيانها فأنهما حجران وإنما خلقا لتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الدين بيجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الوجودات غلط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام مسموع من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت اللغوي الذى عجزوا عن إدراكه فقال تعالى - والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم - وكل من أخذ من الدراهم والدينارين آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والسكس والأعمال التى يقوم بها أخساء الناس والجس أهون منه وذلك أن الحزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والنفضة في حفظ المصاعف عن أن تنبذ وإنما الأواني لحفظ المصاعف ولا يكتفى الحزف والحديد في المقصود الذى أريد به البقود فمن لم ينسكتشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم (١) وكل من عامل معاملة الرابى الدراهم والدينارين فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما إذ لا غرض في عينهما فاذا أبحر في عينهما فقد أخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا تهد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في يسهب وقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فأنهما وصيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما في الأموال كوقع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لغنى في غيره وكوقع المرأة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على التدفئة عمله فيبقى النقد مقبداً عنده ويترك منزلة المكروز وتقييد الحاكم والبريد الوصول إلى الغير ظلم

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن على
قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد
الجسراعى قال أنا
أبو العباس المصوبى
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال ثنا محمد
ابن النعمان قال ثنا محمد
ابن عمير بن جميل الجدى
قال حدثني حابس بن
أبي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير أن
الأقرع بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بصير
استعمله على قومه فقال
محمد لا تستعمله يا رسول
الله فسكنا عبد النبي
صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم متفق عليه من حديث أم سلمة ولم يصرح الصنف بكونه حديثاً .

كان حبه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للدخار وهو ظلم . فان قلت : فلم جاز بيع أحد اللقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله . فاعلم أن أحد التقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في النعم منه ما يشوش المقصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بمثاله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى ولا يشتغل به تاجر فانه عبث بجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء . فذلك مما قد يقصده فلا جرم تمنعه منه وتحكم بأن جيدها ورد فيها سواء لأن الجودة والرداءة يبنى أن ينظر إليها فيما يقصد في عينه ، وما لا غرض في عينه فلا يبنى أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب التقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقا أن لا تقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم إن بيع ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة للساعة فيكون له حمد وأجر . والمعارضة لاحد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص للساعة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا يبنى أن تصرف على جهتها فان فتح باب العامة فيها يوجب تقيدها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أريدته له لما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبى أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغنى عنها . إذ من معه طعام فلم لأى كله إن كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليصم بمن يطلبه بوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغنى عنه ولهذا ورد في الشرع لمن احتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، نعم بائع البر بالقر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عايب فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيد بردين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التتم أسقط الشرع غرض التتم فيها هو التوام فلهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلتلحق هذا ببن الفقهاء فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات بهذا ينضج رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون الكليات إذ لو دخل الجص فيه لكانت الباب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصه بالأوقات ولكن كل معنى يراه الشرع فلا بد أن يضبط بعد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم فرأى الشرع التحديد بمنس المطعم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحدد تحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فبين المعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى - ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه -

حق علت أصواتها
فقال أبو بكر لعمر
ما أردت إلا خلافي وقال
عمر ما أردت خلافتك
فأنزل الله تعالى الآية
فكان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يستغفم . وقيل لما نزلت
الآية آلى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم إلا
كأن السرار فكذا
ينبى أن يكون المريد
مع الشيخ لا ينسبط
رفع الصوت وكثرة
الضحك ومكثرة
الكلام إلا إذا بسطه
الشيخ ورفع الصوت
تعية جلباب الوفاق
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه اللاتي لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما عهد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الحمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل اللاتي بالجلمة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة سو من يوث الحكمة قد أوثى خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزايل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر إلا أوّل الأبواب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» (١) وإذا عرفت هذا المثال فقس على حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنها وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكرهه وبضه بالخطر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطر . فأقول مثلا لو استنجيت باليمنى قد كفرت نعمة اليمين إذ خلق الله لك اليمين وجعل لإحدهما أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليمين إلى أعمال بضه شريف كأخذ للصنف وبضه خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت للصنف باليسار وأزلت النجاسة باليمن قد خصمت الشريف بما هو خسيس فضضت من حقه وظلته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثالا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة قد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم أنه خلق الجهات لتكون متمسكة بحركتك وقسم الجهات إلى مالم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه أسئلة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدتك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عديت ربك وكذلك احسنت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فإذا رمت بصافك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كآل عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى قد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فالرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ فينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتقيضه ظلوك كفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن ساء الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الخطئة وكان يتصدق بها فستل عن سببه فقال لبست اللداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أنكره بالصدقة ، ثم الفقيه لا يقدر على تفهيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين على إصلاح العوام الذين يقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغفوسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فتبيح أن يقال الذي شرب الحمر وأخذ الفسق يساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خرا في وقت النداء يوم الجمعة فتبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما بيع الحمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فتبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات بضه فوق بعض فيمنحق بضه في جنب البعض فالسيد قد يصاب عبده إذا استعمل مكينه بغير إذنه ولكن لو قتل تلك السكين أعزأ ولا دم يريق

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القلب عقل اللسان
ما يقول وقد يشارل
باطن بعض الريدن
من الحرمة والوقار من
الشيخ ما لا يستطيع
للريد أن يشبع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم فدخل على عمي
وشيخي أبو النجيب
السروردي رحمه
الله فيترشح جسدي
عرقا وكنت أتمنى
السرقة لتخف الحمى
فكنت أجد ذلك
عند دخول الشيخ
على ويكون في قدمه
بركة وشفاء و كنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهو لي الشيخ وكان
يتمتع به فوق قدمي
على التمدل اغافا فتألم

لاستعمال السكن بغير إذنه حكم ونسابة في نفسه فشكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وسامعنا فيه في الفقه مع العوام فسيبه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه للكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة وتقصان عن الدرجة المبلغه للبعد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في البعد بتقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالسكينة عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمومة من غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فإله الخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المنيعة على الطاعة . وأما الشجر فإله الخلق لله تعالى وخلق له العروق وساق إلى الماء وخلق في عروق الأغصان والثمار ليلعق الطاعة . نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لاطع وجهه ينتفع به عباده بخلافه لقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذا الشجر والحيوان مصلافاء لأغراض الإنسان فإلهما جميعا فإنيان هالكان فإنيان الأئس في جاء الأئس فمدتهما أقرب إلى العدل من تخصيصهما جميعا وإله الإشارة بقوله تعالى - وسفر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينهما لا تقي بحاجات عباد الله كلهم بل تقي بحاجة واحدة ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إلى الماء وقام بالتمهيد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لا يسمي آدمي اختص بغيره أو يهرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فليسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا للملك للوكة التي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون البعد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، ثم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لبيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها براجه فجاء بعد آخر وأراد اتزاعها من يده لم يمكن منه لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينهما لا تقي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص يتفرد به البعد فنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحته ، فهكذا ينبغي أن نقيم أمرا لله في عباده ولذلك قول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأسكبه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تتدفع ضرورتهم وترتفع حاجتهم ، ثم لا يدخل هذا في حدنا وفي الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفس في استعمار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتسكين العوام لذلك يجري مجرى تسكين الصبيان الوفاق والنؤدة والسكران عن كل كلام غير مهم ، وهو يحكم قضائهم لا يطبقونه فتركنا الاعتراض عليهم في القرب واللغو وإباحتنا ذلك بإيهم لا يدل على أن اللغو والبعد حق فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاختصار في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جيلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكوها فيحسبكم تبخلا - بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن يأخذ أحد من عباده من مال الله إلا بقدر زاد الرابك فشكل عباد الله ركاب لمطاي الأبدان إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن رابك آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والنقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوي زاد الرابك وبالله عليه

باطن من ذلك وهاتئ الوطء بالقدم على مندبل الشيخ وانث من باطن من الاحترام ما أرجو بركته . قال ابن عطاء في قوله تعالى - لا ترضوا أصواتكم - زجر عن الأدنى لئلا يخطئ أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل في ذلك لا غلط به إلا المستفهمين . وقال أبو بكر بن طاهر لا يبدوه بالخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بسكنم لبعض أئ لا تخطئوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بسكنم بضاً ولكن غصمو

في الدنيا والآخرة لمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك محتاج إلى مجلدات ثم لاني إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - ولقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس له الله بقوله - ولا تجدوا كثيرين - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخرى وأدراك ذلك تنقض الأعداد دون استقصاء مبادئها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فان قلت قد رجح حاصل هذا الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء ، وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية الرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقية وهوان فعل العبد للنقص إلى ما ينتمى الحكمة وإلى ما يرفضها هو أيضا من فعل الله تعالى فأين البعد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات عبادها ونحن الآن نسير بجارية وجيزة عن آخرها وغايتها بهمها من عرف منطق الطير ومجدها من معجز عن الإيضاح في السير فضلا عن أن يجول في جوال المسكوت جولا ن الطير فنقول : إن لله عز وجل في جلالة كبريائه صفة عنها يصدر الحلق والاختراع وتلك الصفة على وأجل من أن تلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لمعناها وأخطأ رتبة واضع اللغات عن أن يتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن دروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الحفائش عن نور الشمس للنمووض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الحفائش فاضطر الدين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالة لها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم للتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضيقا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على البطق قلنا لله تعالى صفة عن القدرة عنها يصدر الحلق والاختراع ثم الحلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر اتقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة للشيء فهي توهم منها أمرا مجالا عند التناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات التظاهرين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يتوقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايتها عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايتها عبارة الكراهة وقيل إنها جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ المحبة والكراهة منها أمرا مجالا عند طالع الفهم من الألفاظ واللغات ثم اتسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمتها دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقه بتسليط الدواعي والروايات عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمتها إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقتت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بقية الأمن والمدة فزاد في النكال وظهر على من ارتفضاه في الأزل فعل انساق بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكور وأردف

واحترموه وقولوا له :

ياهي الله يا رسول الله

ومن هذا القبيل

يكون خطاب المريد

مع الشيخ وإذا سكن

الوقار القلب علم اللسان

كيفية الخطاب . ولما

كلفت النفوس بحجة

الأولاد والأزواج

وتحكمت أهوية

النفوس والطباع

استخرجت من اللسان

عبارات غريبة وهي

تحت وقتها صاغها

كلف النفس وهواها

فاذا امتلأ القلب حرمة

ووقار تعلم اللسان

العبارة . وروى لما

زلت هذه الآية فقد

ثابت بن قيس في

الطريق يبيك فربه

عاصم بن عدى فقال

بخلة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجلال ثم أننى وأعطى التكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف للكل عبدة الوسخ عن أوساخه ثم يليه من عاس ثيابه فإذا تم زينته قال يا جليل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحققة هو المجل وهو اللئى على الجلال فهو اللئى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث اللئى إلا على نفسه وإنما المبدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور فى الأزل وهكذا تتسلسل الأسباب والسبب يتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلعج بالبر أو هو أقرب ففاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب آحاد القديرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يراز الأسمى الواحد الكلى ولفظ القدر يراز التفصيل للتأدى إلى غير ثباته وقيل إن ثباته من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر غطر لبعض العباد أن القصة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف اتظلم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كهذا الأمر والاحتواء على مجامع فأجلوا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام اللع وقيل لهم اسكنوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زينهم أولا صافيا يكاد يضىء ولو لم تحسه نار فتمته نار فاشتعل نورا على نور فأشرقت أقطار للكلوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه قبل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكنوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا ^(١) فان للحيطان أذا أنا وحوالكيم مضاء الأصار فبروا بسر أضفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى معاد الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتسبوا من بقايا أنواركم للشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيجابه حياة عتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة للترددين في كال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب كذلك شراب الطيبين طيب

شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له فحت العين وأبهرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حداما فاذنابق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى وإذا دق الجبال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن العبور إلا بالسباحة فقد بقر الساهر بصنة السباحة أن عبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السر عليها إلى السر على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة الشئ على الماء إلى الشئ على الأرض والسباحة يمكن أن تعلم قائما على الماء فلا يكتب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لشي على الهواء » ^(٢) فهذه

ما يذكرك يا ثابت قال هذه الآية أخوف أن تكون نزلت في أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأكون مثل أهل النار فحفى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأنى أمر أنه جميلة بنت عبد الله بن أبي بن ساول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فسدى على الضبة بسجار فضربت بسجار حتى إذا خرجت عطفتها وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبرانى من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم وبصرح بالصف بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لشي على الهواء وهذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزنى قال قد الحواريون نبيهم فقيل له توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه . فلما اتجهوا إلى البحر

رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والحب والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعم العامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أنهم الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيد يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكنين ويفض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين النظري إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قل نزله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - بضل عن سبيله - والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد سباقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فمالك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحججه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يبعين للجامة والتظنن إلا بقيهما وأحسهما ولا يفرق بين حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكلهما وأحسهما إليه ولا يبين أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إجمالا فعدل فإن عدله تارة يتم بأمر لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفضاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حر كاتك في التمييز هو فضله الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال للمتدلة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم اليبس واللحوت فذلك تضيفه إلى نفسك وإجمالا أنت مثل السبي الذى ينظر ليلا إلى لعب الشعب الذى يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزرق وتقوم وتقعدهوى مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإجمالا تحركها خيوط شعرة دقيقة لا تظهر في ظلام الليل وروى عنها في يد الشعب وهو محتجب عن أبصار الصيافن فيرحون ويتمجبون لظنهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعده ، وأما الغلاء فانهم يظنون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكن ربما لا يسلون كيف تفصيله والذى يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم الشعب الذى الأمر إليه والحاجة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها تتحرك فيجولون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محر كون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراصون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة تنسجوني تبيل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشعبة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدر لك الخيوط لادقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رءوس تلك الخيوط في مناطات لها من معلقة بها وشاهدوا تلك المناطات مقاضى هي في أيدي اللائكة المهر كين للسماوات وشاهدوا أيضا ملائكة السماوات مصروفة إلى حلة العرش ينظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصعوا الله أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه الشهادات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما تنعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما تعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما - وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراصون في العلم وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص

إذا هو قد أقبل على الماء قد ذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال

أتى عاصم النبي وأخبره
بغيره قال اذهب
فادعه فجاء عاصم إلى
اللكان الذى فيه رآه
فلم يجد فجاء إلى أهله
فوجده في بيت الدرس
فقال له إن رسول الله
يدعوك فقال اكسر
الضبة فأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما ييك
بأنات فقال أنا صبت
وأخاف أن تكون هذه
الآية نزلت في فقال له
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما ترضى أن
تميش سيدا وتقتل
شهادا وتدخل الجنة
فقال قد رضيت بشرى
الله تعالى ورسوله ولا
أرفع صوتى أبدا على

الراغبين في العلم يعلمون لأحتملها أنهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمرين - فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجعتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بلم العاملة ما ليس منه فلتزج إلى مقاصد الشكر فقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أجبه إلى الله وأقرهم إليه وأقرهم إلى الله للانسكة ولهم أيضا ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرائيل عليه السلام وإنما علو درجته لأنهم في أنفسهم كرام برة وقد أصح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وبلى درجته درجة الأنبياء فانهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتحم بهم حكته وأعلمهم رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذا أكل الله به الدين وختم به النبيين وليمهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم بهم السلاطين بالعدل لأنهم أصالحوا دنيا الخلق كما أصح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكل الله به صلاح دينهم ودينهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم بلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصاحوا دينهم ونفسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فجمع راع . وإلم أن السلطان يقوم الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنه تندوم . وقال النبی صلى الله عليه وسلم لا يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتكرهون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فلهم الوزر وعليكم الصبر (١) . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو بدعي ومن آمنه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أي الناس خير قال السلطان قيل كذا ترى أي شر الناس السلطان قال هؤلاء إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أديانهم فيقطع في صحيفته فيفخره بجميع ذنبه وكان يقول الخشب السود الملقه على أبوابهم خير من سبعين قاصيصون .

(الركن الثاني من أركان الشكر ماعليه الشكر)

وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها وأعماها فإياها يحسن وبم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم تشتغل بذكر الأحاد والله الموفق للصواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتكرهون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أمراء قال حسن صحيح والبراز بسند ضعیف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض بأوى إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار وأخاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فرغ إليه الناس لما أنشكروا سيرة الوليد بن عتبة فقال عبس الله أصبروا فان جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد كرهت الدنيا والإمامة الفاجرة خير من المهرج رواء الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسوله الله فأزل الله تعالى - إن الذين يفسدون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يعشى بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة في حرب مسلمة قرأى ثابت من المسلمين بعض الانصهار وانهمزت طائفة منهم فقال آفة هؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت سالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم نبينا ولم يزالا يناقشان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعد رسول الله

السعادة الأخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتحية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلافا على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويمن عليها إما بواسطة واحدة أو بواسطة عدة فأن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضى إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة والذات المسببة نعمة تشرحها بتسميات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالمعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالثلث باتباع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالمعلم وحسن الخلق والضار فيها هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال للضرر في المال بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجامع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء يئق إليه والضار في الحال النافع في المال نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأشقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والماعقل يده نعمة ويتفقد الخلة ممن يهديه إليه ويقر به منه ويهوى له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجابة والأب يدعو إليها فإن الأب لكامل عقله يلح العاقبة والأم لقرط جها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقدم منه من أمه دون أيه ويأنس إليها وإلى صفقتها ويحذر الأب عدوا له ولو عقل لعم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منها إيما من الحجابة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجابة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو والماعقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به مالا يحمل به العدو [قسم ثانية] اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها قلما جفوا خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى منفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من منفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافى ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينفع بالمال الصالح وإن أكثر فينفع في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق مومنين إنسان يستغفر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستغفرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الحقدان بلاء في حقه [قسم ثالثة] اعلم أن الخبرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لدنائه لا لغيره وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لدنائه ولغيره . فالأول ما يؤثر لدنائه لا لغيره ككلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا اقتضاء لها فإنها لا تتطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تتطلب لدنائه . الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو كانت لا تنفصل بها لكاتب هي والحساب بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى الذات سريعا الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبه في نفسها حتى يجمعوها ويكثرونها ويتصارفوا عليها بالرأيا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه من نفس في حبة الرسول حبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتمديد الرسول ومراعاته وتقديره وهو غاية الجهل والفضال . الثالث ما يقصد لدنائه ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدربسببها على الذكر والشكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتصدق أيضا لدنائه فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي أراد سلامة الرجل لأجله فريد أيضا سلامة الرجل

صلى الله عليه وسلم
وعليه درع فرأه
رجل من الصحابة بعد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلانا رجلا من
المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في
ناحية من السكر
وعنده فرس يستن
في طيله وقد وضع على
درعي برمة فانت خالده
ابن الوليد فأخبره
حتى يسترد درعي وانت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قتل
له إن على دنيا حتى
يقضى غنى وفلان من
عبيدي عتق فأخبر
الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على
ما وصفه فاسترد درع
وأخبر خالدا أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذن الوثر لثباته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لثباته ولغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأول فأما مالا يؤثر إلا لغيره كالقديين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهراً بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعملة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغل وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] اعلم أن الخبرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل فالذي هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد المال والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والشروع أيضاً تنقسم إلى ضار وقيح ومؤمل وكل واحد من القسمين ضرابان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكان العلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكان الجهل فانه ضار وقيح ومؤمل وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتنجذب به متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة . والضرب الثاني للقيح وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع للتأكله والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع فيسيح كالخفي فانه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع فقد قبل استراحته من لاقعه له فانه لا يتعب بالعافية فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق فانه ضار لعمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قهراً ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعيى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرها وإلى مالا يكون ضرورياً كالسكينيين مثلاً في تسكين الصفره فانه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قصة خامسة] اعلم أن النعمة يعبر بها عن كمال لذية والقدرة بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة إذ ليس يستلذهما السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وإنما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالقلب وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا غلام والحكمة لا يستلذهما إلا حكيماً وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر التمسعين باحسهم والتمسعين برسومهم وأما شرفها فلأنها لازمة لازول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالتطامع يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل العلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستقل ومن قدر على الشرف الباقي أبداً الآباد إذا رضى بالتحسين الثاني في أقرب الأماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والفعل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإتقان والمال ينقص بالإتقان والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا يبدى السلاطين بالزول فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى التبعة ولذلك لم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سباه خبراً في مواضع وأما قصوراً كثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم وصية أجيأت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت ثابت بحسن ثغواه وأدبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المرید الصادق وطمأن أن الشيخ عنده تذكراً من الله ورسوله وأن الذي يستمدح مع الشيخ عوض ماله لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقهم القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم قال - أولئك

عن إدراك لذة العلم فلما لعدم الذوق فمن لم يذوق لم يعرف ولم يشق إذ الشوق تبع الذوق وإمالة الساد
 أمزجهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك حلالة العمل ويراها مرآ
 وإما انقصور فظنهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة
 العسل والطيور السان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدرك على أنها ليست لذيفة ولا استطابة اللبن يدل
 على أنه ألد الأشياء فالعاصرون عن درك لذة العلم والحسكة ثلاثة إما من لم يحس باطنه كالطفل وإما
 من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم
 مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحس
 حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموت وإن كان عند الجهال من الأحياء
 ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فريح وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة
 يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كذرة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والنمر
 وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كذرة البطن والفرج وهذه كثرها وجودا
 وهي أحسها ولذلك اشترك فيها كل مادي ودراج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
 تشبث به لذة الغلبة وهو أشدها تصافا بالمخالفين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب
 اللذات عليه لذة العلم والحسكة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين
 ولا يزال تمامها إلا إخراج استيلاء حب الرياسة من القلب وخرم ما يخرج من رءوس الصديقين حب
 الرياسة وأما سر البطن والفرج فسكره حماة على عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على
 كسرهما إلا الصديقون فأما قهها بالسكينة حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال
 فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في الأحوال لا يقع معها الإحساس
 بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعثره القترات فتعود إليه الصفات البشرية
 فتسكون موجودة ولكن تسكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على المدول عن العدل وعند هذا
 تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا لزيادة العرفة به والفكر
 فيه وقلب لا يدري ما لذة العرفة ومادعى الأنس بالله وإيمانه بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات
 البدينية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثره في
 بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثره
 في بعض الأحوال تالذذ بالعلم والعرفة أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية العدل وأما الثاني
 فالدنيا طائفة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية التدور ولا يتصور أن يكون ذلك
 إلا نادرا شاذا وهو مع التدور يتفاوت في القوة والكثرة وإتماما تكون كثرته في الأعصار القريبة
 من أعصار الأتنياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قوة إلى أن تعثر
 الساعة ويقضى الله أمرا كان مفعولا وإنما يجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة
 والملك عزيز واللوك لا يكثر . فكلما لا يكون الفائت في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من
 دولهم فكندا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة
 عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كأن الصورة في المرآة تامة لصورة الناظر في المرآة
 والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى
 نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة
 فالقلب التابع في الوجود متبوعا في حق العرفة والقلب التأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى - أي اختبر
 قلوبهم وأخلصها كما
 يمتحن الذهب بالنار
 فيخرج خالصه وكان
 اللسان ترجمان القلب
 وتهذب اللفظ لتأدب
 القلب فهذا يذنب أن
 يكون المرید مع
 الشيخ . قال أبو عثمان
 الأدب عند الأكار
 وفي مجالسة السادات من
 الأولياء يبالغ بصاحبه
 إلى الدرجات العلا
 والحير في الأولى والعقبي
 ألا ترى إلى قول الله
 تعالى - ولو أنهم صبروا
 حتى تخرج إليهم لكان
 خيرا لهم - ومخالصهم
 الله تعالى قوله سبحانه
 - إن الذين ينادونك
 من وراء الحجابات

ولكن الانكاس والانسكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة حاكم لعالم النبي ولللكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا يصير به إلى عالم الللكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولى الأبعاد - ومنهم من عجزت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة واستنفذ إلى حسيه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأئمة إلا أن بينه وبين إدراك أهلها حجابا فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استظلمهم بالحق فقالوا الجنة النار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم - أي في الدنيا - ثم لترونها عين اليقين - أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح للملك الآخرة لا يكون إلا عزرا كالشخص الصالح للملك الدنيا .

(قصة سابعة حاوية لجميع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لداتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أمالها فاتها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يعيش إلا بعيش الآخرة » وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في حدة الضر - وقال ذلك مرة في السرور منما لنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع (١) وقال رجل « اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمام النعمة ؟ قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة (٢) » وأما الوسائل فنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب الضيقة بالبدن من اللال والأهل والمشيئة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والمداية فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص إلى ضم الكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم للعامة ، وحنس الخلق ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والفضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام على لا يتبع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإجابه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى - لا تظفون في البران وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا البران - فمن خص نفسه ليزيل شهوة التكاح أوتركه التكاح مع القدرة والأمن من الآفات أوتركه الأكل حتى ضعف عن العبارة والذكر والفكر قد أخسر البران ومن انهك في شهوة البطن والفرج قد طلى في البران وإنما العدل أن يغلو ونمو وتقديره عن الطغيان والحسران فتتدل به كفتا للبران فاذن الفضائل الخاصة بالنفس للقرية إلى الله تعالى أربعة علم مكشوفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يقولون - وكان هذا الحال من وفد بن تميم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج إلينا فان مدحنا زين وذنا شين قال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول « إنما ذلكم الله الذي فمه شين ومدحه زين » في قصة طويكة وكانوا أتوا بهاعرم وخطيبهم فظلم حسان بن ثابت وشيبان الهاجري والأصار بالخطبة وفي هذا تأدب للرديد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من

- (١) حديث قوله عند حفر الخندق لا يعيش إلا بعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حجة الوداع لا يعيش إلا بعيش الآخرة الشافعي مرسلا والحاكم متصلا وصححه ويقيم في الجمع
- (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بسند حسن

وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الحارجة الطيفة بالبدن وهي أربعة السال والأهل والجاه وكرم العشرة ولا يتفحص شيء من هذه الأسباب الحارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسدبده وتأيدته ، فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة تحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بها فليس للإنسان إلا ما سمى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه النعم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورية . وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الحارجة مثل السال والزم والأهل فان ذلك لو عدم ربما تفرق الخل إلى بعض النعم الداخلة . فان قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الحارجة من السال والأهل والجاه والعشرة . فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح البالغ والآلة السهلة المقصود . أما السال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية : كناع إلى الهيجا بغير سلاح ، وكبازي بروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم المون على تقوى الله السال ^(٢) » وكيف لا ومن عدم السال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات وفي تهتة لباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغل عن الذكر والتفكير ولا تدفع إلا بسلاح السال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاسة الحبرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال : التي فاني رأيت الفقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكأن ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافي في بدنه آتاني سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ^(٣) » وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم المون على الدين المرأة الصالحة ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم في الولد « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ^(٥) » والحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فهم أكثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل العين والأيدى فيفسر له يسبهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انترده لطلال شغلهم وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما المزر

(١) حديث نعم السال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد (٢) حديث نعم المون على تقوى الله السال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسل ومن طريقه رواه القضاة في مسند الشهاب هكذا مرسل (٣) حديث من أصبح معافي في بدنه آتاني سربه الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث نعم المون على الدين المرأة الصالحة لم أجده إلا إسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وغير معاف الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

موضع خلوته . صحت أن الشيخ عبدالقادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر فغير بالفقير فيخرج ويضع جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه غفط لبعض الفقراء نوع إنكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لتسبب الفقير فانهى ماخطر للفقير إلى الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنه أجنبية فنكتفى معه بموافقة القلوب

والجاء فيه يدفع الانسان عن شس القل والضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لايفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تدفع هذه التواغى بالعرز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - ولا معنى للجاه إلى ملك القلوب كالأ معنى للفنى لإلا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سفوف يدفع عنه اللط وجبة تدفع عنه العارود وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا التصديكان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطة يراعون السلاطين ويطلبون عذم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بتأبهم ولا تظن أن نعمته الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب جبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى اقتصر إلى الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم العشرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قرئش (٢) » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم الأكرام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن ، قيل وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في لئب السوء (٥) » فهذا أيضا من النعم ولست أعنى به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة السلاسل وإلى الصالحين والأبرار التومحين بالعلم والعمل . فان قلت فما معنى الفضائل البدنية . فأقول لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

وشنع بها عن ملاقة الظاهرة بهذا الصدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر ففى لم يوف حقه من الظاهر استوحش غنى الريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ ، قبيل لأنى منصور للضربى كم صحبت أبا عثان قال خدمته لاصحبه فالصعبة مع الإخوان والأقران ومع الشايج الخدمة وينبى للعريانة كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الحضرة عليهما السلام كيف كان الحضرة يفعل أشياء

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى اقتصر إلى الحرب والهجرة البخارى ومسلم من حديث عائشة أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد الله بن الحارث ولترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما تخاف أحد ولو لدأؤذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئى يواريه ببطيال قال الترمذى معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال وللبخارى عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع للشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسلى فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث وللبزار وأبى يعلى من حديث أنس قال قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر فجعل ينادى ويلكم اتقوا رجلا أن يقول ردى الله وإسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قرئش النسائى والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح (٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة الأصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث وائلة بن الأتقع مرفوعا أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وفى رواية الترمذى إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والطلب بن ربيعة وصححه والطلب بن أبى وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم وفى حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلى فوائه لأننا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا (٤) حديث تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة وتقدم فى النكاح (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضا .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى »^(١) ، وإنما يستحضر من جملة أمد الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحري الحيرات ، ولعمري الجلال قليل الفناء ، ولكنه من الحيرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى نعمها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن القبيح مذموم والطيب عنه نافرة وحاجات الجليل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكانت من هذا الوجه جناح يبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن فالنظر والخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئة البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ، ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنعم ، ولذلك قبل طلالة الوجه عنوان مافي النفس ، ويقل مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافيه ، واستعرض للأموون جيشاً فرض عليه رجل قبيح فاستطاعه فإذا هو السكين فأقطع اسمه من المديون وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحاً وظل الباطن قصاصة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه »^(٢) وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بستم رسولا فاطلبوه حسن الوجه من الاسم . وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات المسلمين فأحسنهم وجهاً أولاً وبالأمارة ، وقال تعالى « متتبعك سوزاده بسطة في العلم والجم » . ولنا نفي بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أنوثة وإنما نفي به ارتضاع القائمة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتتأصف خلقه الوجه بحيث لا تنبوا الطباع عن النظر إليه . فان قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وكذا العلماء قال تعالى « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » وقال عز وجل « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما حسنه ، وقيل المرء نفسه لأبويه فإمعن كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المتقولة المؤولة والصوموات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم يتزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا يميل إلى جدها إلا لأن فيها فتنا وخاف ، فقال المال مثال الحياة التي فيها تزيان نافع وسم نافع فان أصابها العزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن مهمها وطريق استخراج تزيانها التافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى القرفى عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أنصاف الجواهر والآلى^(٤) فمن تظفر بالبحر فان كان عالماً بالسباحة وطريق القوص وطريق الاحتراز عن

- (١) حديث أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولا ترمذى من حديث أبي بكره أن رجلاً قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح
- (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أبو يوسلى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأما لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ذم المال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ما ذهبان جاثمان أرسلنا في غنم فأفسد لها من حب المال والشرف لدينه وقد تخدم في ذم المال والبخل .

يشكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرهما يرجع موسى عن إنكاره فلما ينكره للريد لقلعة عليه حقيقة ما يوجد من الشيع فلشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة . سأله بعض أصحاب الجنيده مسألة من الجنيده فأجابها الجنيده فصاره في ذلك فقال الجنيده فان لم تؤمنوا إلى فاعتزلون وقال بعض الشياطين من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب ، وقيل من قال لأستاذة لا ، لا يفلح أبدا . أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على

مهلكات البحر قد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك قد هلك فذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم المون على تقوى الله تعالى المال » وكذلك مدح المجاهد والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحبه في قلوب الخلق وهو الذي بالجاه ولكن الثقل في مدحها قليل وللقول في ذمها والجاه كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثرت هذا قول ذلك لأن الناس أكثرهم جاهل بطريق الرقية لحية المال وطريق القوس في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانوا في أعينها مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن يضاف إلى النبوة للملك كما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن يضاف إليها التي كما كان لسليمان عليه السلام فاناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفين معزومون قد يضر الصبي مالا يضر للزعم ، نعم للزعم لو كان له وله يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حيلة أن أعلنوا أخذها لأجل ترياقها لاقتدي به ولله وأخذ الحيلة إذا رآها يلعب بها فهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق يضره في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستغفر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره يهلكه فواجب عليه أن يهرب عن الحيلة إذا رآها ويشير على الصبي بالمهرب ويصح صورته في عينه ويعرفه أن فيها ساء قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يبعثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربحا يرضه فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك القوامس إذا علم أنه لو غاض في البحر يجرأ من ولده لا يبعثه وهلك فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والتهر ، فان كان لا يئزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى ولده هجوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والأغنياء . فذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تنهاقون على النار تنهاق الفرائس وأنا تأخذ عجزكم ^(٢) » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهلاك فانهم لم يمشوا إلا ذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل اتفقوا فان الإخفاق في الترياق وفي الامساك السهم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لما ألوا إلى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الاتفاق فلذلك قبحت الأموال والتي به تبيع إيسا كها والحرس عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولقد أنها فاما أخذها بقدر الكفاية وقصره القاضل إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يخلص بما يحمله . فاما إذا صحته نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه الصلاة والسلام « ولكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ^(٣) » معناه لأخسكم خاصة

قال أنا أبو القتح
المهروى قال أنا أبو نصر
الترياق قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أتركوني
ما تركتكم وإذا
حدثتكم غفدا عني
فإنما هلك من كان
قبلكم بكرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم »
قال الجنيدي رحمه الله
رأيت مع أبي حفص
النيسابوري إنسانا
كثير الصمت لا يتكلم
قلعت لأصابعه من هذا

- (١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
- (٢) حديث إنكم تنهاقون على النار تنهاق الفرائس وأنا تأخذ عجزكم متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجلعت اللهب والنيران يمتعن فيه فأنا تأخذ عجزكم وأنت تقتحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا تأخذ عجزكم عن النار وأنت تملتون من بدى (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ابن ماجه

ولا قد كان فيمن يروي هذا الحديث ويسلم به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد وغيره في موضعه ولا يسلك منها حبة * ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فقول جبريل عليه السلام ، وقال : مه ! بأن يعلم للسكين ويكسو العاري ويقرى الضيف (١) * الحديث . فأذن الترمذي النبوية مشوبة قد استخرج دواؤها بدائها ومخرجها بخوفها وضيقها بضرها فمن وثق يصيرته وكال معرفته أنه أن يقرب منها متقيا دامها ومستخرجا دواها ، ومن لا يثق بها فالبعد والبعد والقرار القرار عن مظان الأخطار فلا تملد بالسلامة شيئا في حق هؤلاء . وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهدهد لطريقه . فان قلت : فما معنى الترمذي التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتشديد . فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلويح بين إرادة البعد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والكثير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الليل يخص بمن ماله إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خلاف بالحاجة إلى التوفيق وذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله لفتى فأكثر ما يفتى عليه اجتباؤه

فأما الهداية فلا حيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فن أبن ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى - برزائي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم * ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي هدايته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولأنا (٢) * . وللهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أتم الله تعالى به على كافة عباد به بفضله بالعقل وبضوء على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وأما عود فقد ينالهم فاستحبوا العمى على الهدى - فأساب الهدى هي الكتب والرسل وبصر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر والذنوب والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة المعانيات الإلث والمادة وحسب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلفظ وقال مثل زاد الرأب وقال صحيح الاستاد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمعين وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكمي أحداكم مثل زاد الرأب (١) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فقول جبريل فقال مه ! أن يعلم للسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاستاد . قلت : كلا في حاله بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة أن يدخل أحداكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتمعدني الله بفضل منوره وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث وانفقا عليه من حديث عائشة واخره بمسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قيل لي هذا إنسان
يصحب أبا حفص
ويحتمل وقد أفتق
عليه مائة ألف درهم
كانت له واستدان مائة
ألف أخرى أفتق عليه
ما يسوغ له أبو حفص
أن يتكلم بكلمة واحدة
وقال أبو يزيد البسطامي
صحت أبا على السندی
فكنت أفتقه ما يقم به
فرضه وكان يفتي
التوحيد والحقائق
صرفا . وقال أبو عثمان
صحت أبا حفص وأنا
غلام حدث فطردني
وقال لا تجلس عندي
فلما جعل مكافأته على
كلامه أن أولى ظهري
إليه فأنصرفت أمشي
إلى خلف ووجهي
مقابل له حتى غبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن الكبير والحمد البارة بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أيسرا منا واحدا يتبعه - فهذا المعلمات هي التي منحت الاحتفاء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يدع الله تعالى بها البعد حالا وبد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الراد بقوله تعالى: - والذين اهتدوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم البصيرة والولاية بعد كمال المجاهدة فيبتدى بها إلى ما لا يبتدى إليه بالقل الذي يحصل به التكليف وإمكان فهم العلوم وهو الهوى المطلق وماعاده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرقة الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهة تعالى فقال تعالى - قل إن هدى الله فهو الهدى - وهو للسعي حياة في قوله تعالى - أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس - والحق بقوله تعالى - أفمن نرحم الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فنحن به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصد فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكننا عاكفين - فالرشد عبارة عن هداية باقية إلى جهة السعادة محررة إليها فالصبي إذا بلغ خيرا يحفظ المال وطرق التجارة والامتثال ولكنه مع ذلك يندروا يريد الاستثناء لا يسمى رشيدا لأنه لم يهد به بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكيف من شخص يقدم على ما يملك أنه يضربه فقد أعطى الهداية وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضربه ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بتجربتها لا تكفي بل لا بد من هداية محررة للداغية وهي الرشد والرشاد لا يمكن بل لا بد من تيسر الحر كات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم الراد كما انعمت الداعية إليه فالهداية بعض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتسقيط وتحرك والتسديد إغانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو الراد بقوله عز وجل - إذا بدت لك روح القدس - وتغرب منه الصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كأنه من باطنه غير محسوس وإياه على بقوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - فهذه هي جماع النعم ولأن تثبت الإيمان بقوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسع والوعي والقلب البصير التواضع الراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المرات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفاه وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا وتتمتع تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل التحيرين ومعلم للظفرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلقد ذكر منها أمودجا ليعلم به معنى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والله التوفيق.

عنه واعتدت أن أحفر لنسي بئرا على بابه وأزل وأقصد فيه ولا أخرج منه إلا باذنه فلما رأى ذلك مني قربي وقلبي وصبرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آهاتهم الظاهرة أن للرشد لا ييسر سجداته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فإن للرشد من شأنه التبتل للخدمة في السجادة إجماع إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في البيع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد الغيظ وهيبة الشيخ تملك المسريد عن الاستمرار في البيع وتحيده واستغراقه في

(بيان وجه الأمودج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعت النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا نعمة البدن نعمة من النعم الواضحة في الرتبة للتأخر فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لشدد عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلقد ذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل قليل وكل فمل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على

الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلذلك أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكل على سبيل التلويح لاعلى سبيل الاستقصاء .

(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والحدروا الحدبو النحاس وسائر الجواهر التي لا تنمى ولا تنضج فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تلتظأ أصولها ثم تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب إلى عروق شمعية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه إذا أعززه غذاء يساق إليه ويمسأ أصله جف وبس وسلم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة الطلوب وبالاتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خافت لك حتى إذا امتسك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتدبر منه وهذا أول حس خلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس يحوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويمسه فإن الاحساس مما يبعد منه إحساس أتم لأحالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها إذا غرر فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالبات فان النبات يقطع فلا يقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم تخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك قط فاقتقرت إلى حس تدرك به ما يبعد عنك تخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تمر على الغذاء الذي شممت رغبه ورعيا ثم تمر فتفكر في غاية النقصان لو لم تخلق لك إلا هذا تخلق لك البصر لتدرك به ما يبعد عنك وتدرك جهته فتقتصد تلك الجهة بينها إلا أنه لو لم تخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لأحباب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب المدوق فتبصر عن الحرب تخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا أو أما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بالكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت فهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان بينك ولو لم يكن لك حسن الذوق لإقبال الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يسحب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكتفيك لو لم تخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تأتي إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولا لاطال الأمر عليك فانك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرغا قال لك قرحته فاذا رآته مرة أخرى فلا تعرف أنه مرغض مأل تذكه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تتجمع عنه والذوق يدرك الرائحة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والرائحة جميعا حتى إذا أردت الصفرة حكمته مر فيجتمع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لا شاة هذه الحواس كلها فلم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فان الهممة يغتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها كيف

الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى الباع ومن الأدب أن لا يكتم على الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستجى من كشفه يذكره إغناء وتعرضا فان المريد متى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تعرضا أو تعرضا يصبر على باطنه منه عنده في الطريق والقبول مع الشيخ تحل العقدة وتزول ومن الأدب أن

تخلص إذا قيدت وقد تلقى نفسها في بر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تسلكه في الحال ويضرها في ثاني الحال فضر من نعمت إذ ليس لها إلا الاحساس الحاضر فأما إدراك العواقب فلاه فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرّة الأطعمة وتنفضها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبع الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتزع بعقلك في الأكل الذي هو سبب يهتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفضاله ومعرفة الحكمة في عاله وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقا فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار اللوكلين بنواحي الملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة واللامسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار الملكة ويسلونها إلى الحس المشترك والحواس المشتركة قاعدة في مقدّمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب في باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي محتومة ويسلها إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلاولسكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاآت إليه محتومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار الملكة ويعلم فيها بأحكام بحسبة لا يمكن استقصاؤها في هذا القام ومحسب ما يلوح له من الأحكام والصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إنجام التديرات التي تعين له فهذه سبابة نعمة الله عليك في الادراكات ولتظن أناسوتو فيها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج النسيكوت وبعضها كالشعيرة وبعض تلك الرطوبات كأنه يابض البيض وبعضها كأنه الجلد ولسكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدور وتركيب لو اختلف طبقة واحدة من جملة العشر أوصفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر ويحرج عنه الأطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد قدس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جلته لا تريد على جورة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه ومحاجاته فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى لخلق الادراكات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من يمدوك بخاق لك ميل في الطبع وشوق إلى عيشه وشهوه تستحك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أفتق الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يواظك يسمى شهوة وشهوة عما يخالفك تسمى كراهة تطلب بالشهوة ونهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكها بك كالتقاضى الذي يضطرك إلى تناول حتى تتناول وتغنى ببقى الغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكتك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لترك الأكل بها لا تارزع فانه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمى بقدر غداه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى يجمع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك محابص صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صفة

الشيخ إلا بعد علمه

بأن الشيخ قيم بتأديبه

وتهذيبه وأنه أقوم

بالتأديب من غيره

ومنى كان عند الريد

تطلع إلى شيخ آخر

لاتصفو محبته ولا ينفذ

القول فيه ولا يستمد

باطنه لسراية حال

الشيخ إليه فان الريد

كل أيمن تفرد الشيخ

بالمشيخة عرف فضله

وقويت محبته والمحبة

والتألف هو الواسطة

بين الريد والشيخ

وهي قدر قوة المحبة

تكون سراية الحال

لأن المحبة علامة

التعارف والتعارف

علامة الجنسية والمحنية

جالبية للريد حال

الشيخ أو بعض حاله

دم الحيز وتأليف الجين من النى ودم الحيز وكيفية خلق الأذنين والعروق السالكة إليهما من الفغار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية انقسام متعمر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها وتتشكل بشكل الله كور وتعمر بعضها فتشكل بشكل الإنثا وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضفة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجسامها إلى رأس وبد ورجل وبطن وظاهر وسائر الأعضاء لقضيت من أنواع ثم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأييك الهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولا أخدمك كل ما حصلته من الغذاء فان كل واحد يشتهى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا بدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في المآل فلا تسكني فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل العروف للمواقب كخلق الشهوات والغضب مسخرة تحت إدار الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها اتفاعل بالعقل إذ كان مجرد للعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضرك لا ينفيك في الاحترار عنها مالم يكن لك ميل إلى العمل بموجب للعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن اليهام إكراما لئى آدم كما أفردت بعرفة المواقب وقد سمينا هذه الارادة باعشا دينيا وفصلناه في كتاب العبر تفصيلا أوفى من هذا .

(الطرف الثالث في ثم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا يبيد إلا الإدراك والارادة لا معنى لها إلا لليل إلى الطلب والمهرب وهذا لكافية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فك من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدركه ولكيه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقده رجله أولا يمكنه أن يتناوله لفقده يده أو لقلج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمنقضى الشهوة طلبا ومنقضى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فهنا ما هو للطلب والمهرب كالرجل للسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر أعداؤه ويعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليعير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يبدى وذكر ذلك بطول فلندكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تسكني مالم تتمكن من أن تأخذه فاخترت إلى آلة باطشة فأتم الله تعالى عليك خلق اليدين وهما طولتان تمتدتان إلى الأحياء ومشتتان على مفاصل كثيرة لتحرك في الجهات فتمتد وتنتى إليك فلا تكون كشية منصوبة ثم جعل رأس اليد عرضا خلق الكف ثم قسم رأس الكف خمسة أقسام هى الأصابع وجعلها في صفيح بحيث يكون الإبهام في جانب ويبدو على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضعا إن بسطها كانت لك مجرة وإن صممتها كانت لك مفرقة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب وإن شترتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفار وأسند إليهما دوس الأصابع حتى لا تفتن وتحت تنقط بها الأحياء الدقيقة التى لا تحويها الأصابع فأخذها بروس أظفارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى اللمة وهى في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
سليمان قال أنا أبو الفضل
حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال تاسليمان
ابن أحمد قال ثنائس
ابن أسلم قال ثنائس
ابن رزين عن أبي
أمامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولا يبنى
له أن لا يغذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد ضم عروة
من عر الاسلام » ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جزئيات الأمور
وكلياتها ولا يستعمر
كراهة الشيخ ليعير

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فيجل القم منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكريمة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه ففتحناج إلى طاحونة تطحن بها الطعام تغلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى جادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالآنياب ثم جل مفصل اللحين متخللا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر لأضرب أحد هاتين الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فيجل القم إلى الأسفل متحركا كدورة والهي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجب صنع الله تعالى فإن كل رعى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فبجانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه. وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالخبرة التي ترد الطعام إلى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق ومجانب قوة النطق والحكم التي لسانا نطلب بدكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطعته وهو يابس فلا تقدر على ابتلاعه إلا بأن ينزل إلى الحاق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا بغض اللباب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعمن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من بعد قيور الحنك للخدمة وينصب اللباب حتى تتقلب أشد ذلك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام الطحون للتمجن من يوصله إلى المعدة وهو في القم ولا تقدر أن تفضبا ليد ولا يدق للمعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرءى والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضط حتى يتقلب الطعام بضغطة فيهوى إلى المعدة فدهليز الرءى فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحرى عليه وتغلق عليه الأبواب فلا يزال لا يثا فيها حتى يتم الهضم والضمج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام التراب ومن خلف لحم الصلب فتعدي الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينضج الطعام ويصير ما تاما متشابه يصلح للنموذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبهه الماء الشمر في تشابه أجزائه ثم هو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينثر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصفه بلون الدم فيستقر فيها ريشا يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لئذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تضع هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداها شبيهة بالدرى والمكر وهو الخاط السوداوى والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى الرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عقدا ممدودا إلى الكبد داخلا في تجويفه

حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكأله ومداراته. قال إبراهيم بن شيان كنا نصحب أبا عبد الله للربى ونحن شبان ويسافر بنا في البرارى والفوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أهدنا خطأ وتسير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان . ومن أدب الريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ عليه أوسع وبابه الفتوح إلى الله أكبر

فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال المكر السوداوي فيبقى الدم صائلا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة ليا فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية وأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء غلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالة من حدة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتنبت قبل ذلك لفظ ولم يخرج من العروق فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث حيا من كل ما يفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق للشحمة شعرية كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تدرك بالأبصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ولوحلت المرارة آفة فلم يجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداوي حدثت الأمراض السوداوية كاليرقان والجذام والبالخيول وغيرها وإن لم تدفع المائية نحو الكلى حدثت الاستسقاء وغيره ، ثم انظر إلى حكمة الله في حركته كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الحسية أما المرارة فاتها تجذب بأحد عنقها وتقذف بالدم إلى آخرها إلى الأمعاء ليحصل له في ثقل الطعام رطوبة مزقة ويحدث في الأمعاء لدغ يحركها للدفع فتضيق حتى يدفع الثقل وينزلق وتسكون صفرت لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بجموحته وينبها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثقل وأما الكلى فاتها تقتضي بها في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة لتتصرف على هذا القدر من يان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولود كرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية اشباع العروق الضواري من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية اشباع العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الأعضاء وعددها وعظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأشياء أخرى سواء إلى القلب أو إلى الأمعاء من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصفراء والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلة ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جلها عرق متحرك أو عرق عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعده على الشكر فالك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أحسنها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فأأكل والجار أيضا يعلم أنه يجوع فأأكل ويتب قيتا ويستهي قيجام ويستهي قينهي ويرمع فإذا لم تعرف أنت من نعمة الله إلا ما يعرف الجار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط على الأجمال ما أمدهاء من جملة ما عرفناه حذرا من الطول وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر لأن من علم شيئا من هذا أقدره فحتم من معاني قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدراكها وقواها بخلاف لطيف بتصادم من الأخلاق الأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق "الضواري فلا يتهى إلى جزء من أجزاء البدن

فإن كان واقعة للريد من الله تعالى بواقعه الشيخ وعصيا له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب للريد علما بصحة الواقعة والكشف فالريد له في واقعه بخامره كون إرادة في النفس فيشتبك كون الإرادة بالواقعة منما كان ذلك أو غيظه ولهذا سر عجيب ولا يقوم للريد باستئصال شأفة السكمن في النفس وإدراكه للشيخ فما في الريد من كون إرادة النفس مفقود في حق الشيخ فإن

الأويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حتى وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزءه إلا ويحصل بسبب وصوله من أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبيبا له محمكة وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح وعمله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والنفس الأسود الذي في باطن القلب له كالفيتية والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالنفس السراج في حجرة البيت وكان أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ* مهما انقطع غذاؤه وكان الفيتية قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ* السراج مع كثرة الزيت فكذلك النفس الذي تثبت به هذا البخار في القلب قد تحترق بخرط حراثة القلب فينطفئ* مع وجود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً فتثبت النار به وكان أن السراج تارة ينطفئ* بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ* بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتيل وكان أن انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساده الفيتية أو ريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله. فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنوارها التي كان يستضيها من الروح هي أنوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يحسها معنى لفظ الحياة فهذا أمر ضروري وجب إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجايب صنعه وحكمته ليعلم أنه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - عز وجل فتصا لمن كفر بالله تصا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا. فان قلت قد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ «مثل عن الروح فلم يزد عن أن قال - أله الروح من أمر ربي» (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه. فاعلم أن هذه غفلة عن الاعتراك الواقع في لفظ الروح فإن الروح يطلق لمعان كثيرة لا تطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلها جسما لطيفا تسميه الأطباء روحا وحادثة عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانها في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يبالون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويبالون بها بما يفتح السدة فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأذى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقى إليه معرفة أن الأطباء فأمره سهل نازل. وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد سائر البدن فكذلك سر من أسرار الله تعالى لم يصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني قال تعالى - مثل الروح من أمر ربي - والأمور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تنجز فيها عقول أكثر الخلق وأما الأرواح والمحيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات وتنزل في ذكر كبريائها وصفها معاد العقول القبيحة بالجواهر والعرض المحبوسة في مضيقتها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل ينور آخرها على وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية ينسبه إلى العقل نسبة العقل إلى الوجود والمحيالات وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا فكما يدرك الصي المهدوسات ولا يدرك العقول لأن ذلك طور لم يخلقه بعد فكذلك يدرك البالغ العقول ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يخلقه مد

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان يزعج واقفه إلى كون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة للربيد وتجعل الشيخ مثل ذلك لقوة حاله ومحة إيوائه إلى جناب الحق وكال معرفته ومن الأدب مع الشيخ أن الربيد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والمهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له وللسماع كلامه وقوله متفرغ فكأن للدعاء أو تأنوا آدابا وشروطا لأنه مخاطبة الله تعالى

(١) حديث أنه مثل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب.

وإنه لهام شريف ومشرب عذب وربة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك للشرب أعز من أن يكون شرية لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد وجنب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل اللبدان فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من للشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف حقه لم يعرف ربواً فصادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين لطبيب أن يلاحظه بل للعنى السمي روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يجرها صولجان لللك بالإضافة إلى الللك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يجرها صولجان لللك فظن أنه رأى لللك ولا يشك في أن خطأ فاحش وهذا الخطأ الخفى منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبتوه له ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربى - وأما أنه قد ذكر في قوله تعالى - بإيتيا النفس للطهنة ارجى إلى ربك راضية مرضية فادخل في عبادى وادخل جنى - ولترجع الآن إلى الترض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل .

(الطرف الرابع: في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأظعمة

وتصير صالحة لأن يصلحها الأدنى بعد ذلك بجنته)

اعلم أن الأظعمة كثيرة ونعم الله تعالى في خلقها عجائب كثيرة وأسباب موابلا لا تنهاهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الأظعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الأغذية فانها الأصل ولأنها من جعلها حبة من البر ولتبع سائر الأغذية فتقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها قيت وقيت جائعا لما أوجبك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتضاعف حتى تنقى بتمام حاجتك خلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يتنقى به كما خلق فيك فان النبات إنما يشارك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاعتناء لأنه يتنقى بالماء ويحتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تتنقى أنت ويحتذب ولستنا نطلب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشير إلى غذائه . فتقول : كما أن الحشوب والتراب لا يذيقك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتنقى بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنها ليس يحيط بها إلا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لتغذائها ولو تركتها في اللاء لم تزد ولو تركتها في أرض لاء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يترج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى - فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا للاء صائم شققنا الأرض شقا فأنتنا فيها حبا وعبابا وقبوا ونبونا ونحلا - ثم لا يكتفى للاء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة مقرا كما تم تبيت لتفقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة يتنقل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بهجر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - وإنما إقامها في إيقاع الازدواج بين الهواء والاء والأرض ثم كل ذلك لا يفيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج إلى حرارة الريح والصف قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج للاء لينساق

فقط لسمع الشيخ أيضا
آداب وشروط لأنهم
معاملة الله تعالى وبسال
الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد نبه الحق سبحانه
وتعالى على ذلك فيما أمر
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
محاطته قال - يا أيها
الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول قدموا بين
يدينكم أو صدقوا
بشيء أمام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأكثروا حتى شقوا
عليه وأخفوه بالمسقة
فأدبهم الله تعالى
ونظهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار والعيون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون مرعقة والياه لا ترضع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى النجوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب تمال حولها الماء ثم انظر كيف يرسله مدورا على الأرض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظا للياه تنمجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع والواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها وأما الحرارة فخلقها لئلا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقها مع جدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فيه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه اعتقاد وصلاصة تقتصر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر ووجله من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه وجبهتها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناضجة حتى إن الشجرة الصغيرة تصد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتنب على رأسك الرطوبة التي يمر بها بالزكام فكما يربط رأسك يربط القاكهة أيضا ولا تطول فيها لامطعم في استقصائه بل تقول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يغلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا في قوة البشر إحصاها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقوله عز وجل - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لابين - وإنه كما ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وأحاده أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخائف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل للنهي عنه في النجوم أمرا ن : أحدها أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مبدّر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وترددت فيه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوائثه حمى

(١) حديث النبي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس عن أقتبس علما من النجوم أقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ولا طبراني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإن سادها ضئيف وقد تقدم في العلم والمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يارسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي السكبان قال فلا تأتوا السكبان الحديث .

وأمروهم أن لا يتأجوه حتى يخدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العرة فلا شيء لم يجدوا شيئا وأسأله اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزلت الرخصة وقال تعالى - أشفقت أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

الهواء على طلوع الشمس وإذا سألت عن تغير وجه الإنسان قال قرعني الشمس في الطريق فأسود وجهي لم يلمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والعلوم بضه معلوم للناس كافة كصول الفناء والحراة بطلوع الشمس وبضه لبعض الناس كصول الزكام بهروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لأغصى ولهذا ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته (١) ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن تنع منه بمنفعة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأغصى والجوانات عجايب يطلب معرفتها المجهول لله تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا يطلب مصانيفه ليزداد مجزى الوقوف على عجايب علمه سبحانه فكذلك الأمر في عجايب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه وتصنيف الصنفين من تصنيفه الذي صنعه بواسطة قلوب عباده فإن تصنيف من تصنيف فلا تصنيف من التصنيف بل من الذي سخر الصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسدده وتحريمه كما إذا رأيت لعب للشمود ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تصنيف من اللعب فإنها خرق عهدها لا متحركة ولكن تصيب من حقل للشمود الحركة لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذن القصوران غذاء النبات لا ينم إلا بالأماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا ينم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيها ولا ينم الأفلاك إلا بحركاتها ولا ينم حركاتها إلا بعلاقاتها ساوية بحركاتها وكذا ينادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما نهلهنا ولتقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : في نعم الله تعالى في الأسباب للوصلة للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعده عنهم الأطعمة وعمل بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب لبال وشهوة الرب مع أنهم لا يشبه في غالب الأمر شيء بل يجمعون فلما أن خرق بها السفن أوتنها قطاع الطريق أو جمعوا في بعض البلاد فأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذوها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجبل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربيع ويركبوا الأخطار ويفرروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر إلى الابل كيف خلقت وإلى القرس كيف أدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صبورا على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والجوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وصائر الحوائج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي ترك تأملها التحلي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتسكّر فيها وفيه أبو جناب يحيى بن أبي حبة ضيف .

لم يحتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبي طالب قدّم ديناراً فصديقاً وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يصل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا علياً وقال ما ترى في الصدقة كم تكون ديناراً قال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون حبة أو عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تهجد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نه الحق عليه بالأمر بالصدق وموافقه من حسن الأواب وتقيد اللفظ والاحترام

إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما يحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حلة الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن المحضر نرى تركها طلباً للإيجاز .

(الطرف السادس : في إصلاح الأطعمة)

اعلم أن الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البض وإجاء البض إلى أمور آخر لأخص واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلتبين رغيفاً واحداً ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التمسد بقي الماء مدة ثم تقيع الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم القرق والتفتيق ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فامل عدد هذه الأعمال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والحطب والخجر وغيره وانظر إلى أعمال الصانع وانظر إلى آلات الحراثة والطحن والخزمن نجار وحداد وغيرها وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والراس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فإن قشقت علت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكله كما يمكن ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من ذلك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة للاتساق حتى تنتهي التوبة إلى عمل الإنسان ، فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصانع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن الآلة التي هي آلة صير قاذفتها خياطة اللباس الذي ينع البرد عنك لاتكسل صورتها من حديد تصنع للآلة إلا بعد أن تمر على يد الأبري خمساً وعشرين مرة ويتماهى في كل مرة منها عملاً ، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد واقترت إلى عمل للتجمل الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته لفد عمرك ومجزت عنه . أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال السخينة والصانع الغريب فانظر إلى القراض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيقتاولان الشيء مما ويقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق أخافه بغضه وكرمه لمن قبلنا واقتربنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل للقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوئى أكل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسيحان من ألحق ذوى الأبصار بالعيان وسيحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخص الصالحين أو عن الخائف أو عن واحد من جملة الصانع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ، فسيحان من سخر بعض العباد لبعض حتى قدت به مشيته وتمت به حكته . ولنوثر القول في هذه الطبقة أيضاً فإن الرض التنبه على النعم دون الاستقصاء .

(الطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصالحين للأطعمة وغيرها لو غرقت آراؤهم وتافرت طباعهم تافرت طابع الوحش لتبدوا وتباعدهوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد ، فانظر كيف ألهم الله تعالى بين قلوبهم وسلطاناً وأسوة المحبة عليهم ولو اخفت ما في الأرض جميعاً

مانسج ، والقائدة
باقية . أخبرنا الشيخ
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سلمان قال أنا
أبو الفضل أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
قال حدثنا سليمان
ابن أحمد قال حدثنا
مطلب بن شبيب قال
حدثنا عبد الله بن صالح
قال ثنا ابن لهيعة
عن أبي قبيل عن
عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول وليس منا من
لم يعمل كبيرنا ويرحم
صغيرنا ويعرف لعالمنا
حقه فاحترام العلماء
توفيق وهدى وإجمال
ذلك خذلان وعقوق.

ما لفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا واتلفوا وبنا
المدن والبلاد وربوا للسكان والدور متقاربة متجاورة وربوا الأسواق والحانات وسائر أصناف البقاع
عما يطول إحصاؤه ثم هذه الحية تزول بأغراض يترامحون عليها ويتنافسون في حبلة الإنسان الفظ
والخسد والثافسة وفك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم
بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعيهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكراهة هدى السلاطين
إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينفع
البعض منها بالبعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون
العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينفع بالصب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم يتنعمون
بالحداد وصار الحجام ينفع بالحراث والحراث بالحجام وينفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم
وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وحجمه كما تتعاون جميع أعضاء البدن وينفع بعضها ببعض وانظر
كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحو السلاطين الصالحين للرعايا وعرفهم قوانين الشرع في حفظ
العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اعتدوا
به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللائكة
وكيف أصلح اللائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك القرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى
فالحجاز يخبز الصبين والطحان يصالح الحب بالطحن والحراث يصلح به الحصاد والحداد يصلح آلات
الحراثة والتجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أبواب الصناعات الصالحين لآلات الأطعمة والسلطان
يصلح الصانع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين ولللائكة يصلحون
الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ
كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى
- والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا - لما اعتدنا إلى معرفة هذه التبعة البيرة من نعم الله تعالى ولولا
عزله إيانا عن أن نطعم بين الطمع إلى الإحاطة بكنهه نعمه لتشوقنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه
تعالى عز لنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فان تكلمنا فإذناه انبسطنا
وإن سكنا فبقهره انتفضنا - إذ لامعنى لما منع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات
العمر قبل الموت نسمع بنعم القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالمد
له الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللائكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك مسبق من نعمة الله في خلق اللائكة باصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ
الوحي إليهم ولا تخفى أنهم مقتضرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات اللائكة مع كثرتها ترتيب مراتبها
تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات : اللائكة الأرضية والساوية وحمة العرش . فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك
فما يرجع إلى الأكل والشقاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرها . واعلم أن كل
جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يفتدى إلا بأن ياكل بكل جسم من اللائكة هو الله إلى عشرة
إلى مائة إلى ما وراء ذلك ويانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف ذلك الغذاء صير
دما في آخر الأمر ثم يصير لحمًا وعظامًا وإذا صار لحمًا وعظامًا ثم اغتذوا ذلك الدم والحم أجسام ليس لها قدرة
ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ولا يجرد الطبع لا يكتفي في ترددها في أطولها كما
أن البر بنفسه لا يصير طحينًا ثم عجينًا ثم خبزًا مستدبرًا محبوزًا إلا بصناع فكذلك النسم بنفسه لا يصير لحمًا

[الباب الثاني والخسون
في آداب الشيخ وما
يستمد مع الأصحاب
والتلامذة]

أهم الآداب : أن
لا يتعرض الصادق
للتقدم على قوم ولا
يتعرض لاستجلاب
بواطنهم بلطف الرفق
وحسن الكلام محبة
للاستبصار فإذا رأى
أن الله تعالى يمش
إليه للبردين
والسترشين بحسن
الظن وصدق الإرادة
عذر أن يكون ذلك
ابتلاء وامتحانا من
الله تعالى والنفوس
مجبولة على محبة إقبال
الحق والشهرة وفي
الحق السلامة ، فالبلغ
الكتاب أجله ونكتن

وعظما وعروفا وعصا إلا بصاع والصانع في الباطن هم اللانكة كما أن الصانع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمة ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يعلق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الإصاق فيلحق بالمستدير مالا ييطل استدارته وبالعرضي مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء في أنف الصبي ما يجمع على غده لكبر أنه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقه بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحديقة مع صفاتها وإلى الأنفخذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يلبس بكل واحد ما من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بعض الواضع وضف بعض الواضع بل لو برع عالم ذلك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجاين مثل لا يلبس تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل ولا رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من اللانكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان يحيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يؤول من اللانكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح في الغفلة تردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يمتلئ بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفضيل ذلك للإيجاز واللانكة الأرضية مدد من اللانكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد اللانكة السماوية من حملة العرش والنعم على جلته بالتأييد والهداية والتسيد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعرزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في اللانكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجز من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فذلك تركنا الاستشهاد به . فان قلت فهلا فوضت هذه

العبد من حاله وعلم
بتعريف الله إياه أنه
مراد بالارشاد والتعليم
للمريد في فكهم
حينئذ كلام الناصح
المشفق الوالد لله عا
ينفعه في دينه ودنياه
وكل مرشد ومسترشد
ساقه الله تعالى إليه
يراجع الله تعالى في
معناه ويكثر الحاجب إليه
أن يتوَلَّاه فيه وفي
القول معه ولا يشكهم
مع المرشد بالسكينة
إلا وقلبه ناظر إلى الله
مستعين به في الهداية
للمصوب من القول
صحت شيخنا بالتعجب
السهر وردى رحمه الله
يوصي بعض أصحابه
ويقول لانتكم أهدا
من القراء إلا في أسمى

(١) حديث الأخبار الواردة في اللانكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجز من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اضع وفيه حق أن السماء الثانية فقال لحازنها اضع الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أمم السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد الله بن قنادي ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا تحت ملك موكل حتى يصعد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بحر البكر أوى وأمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيفان وقطرباني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة يزولون في كل ليلة يحسون السكال عن دواب القزاة إلا دابة في عنقها جرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهوديات بالقاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من اللانكة موكل بالسحاب ولمسلم من حديث أبي هريرة بينا رجل ضل من الأرض مع صوتا من سحابة اسقى حديقته فلان فتدعى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة الحديث.

الأصل إلى ملك واحد ولم أفقر إلى سبعة أملاك والخطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولتهم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الباء عليه ثالثا ، ثم إلى من يبعين رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يربطها ناعضة سادسا ، ثم إلى من يلفها بالثبور سابعا ، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطا كأعمال الانس ظاهرا ؟ . فاعلم أن خلقه الملائكة تخالف خلقه الانس وما من واحد منهم إلا وهو ودان الصفه ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إلفل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثله في تعيين مرتبة كل واحد منهم وقفه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحم البصر ولا الزمان والشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا قزاح به اليد وقد تقرب غيرك برأسك قزاح اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والحفر فان هذا نوع من الاعوجاج والدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفه فليكن وحداني الفعل ولذلك نرى الانسان يطبع الله مرة ويصبه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لاجل المعصية في حقهم فلا جرم لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترقون والرا كع منهم را كع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لاختلاف في أفعالهم ولا تتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لاجل للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فانك مهما جزمتم الإرادة بفتح الأجناف لم يكن للجنح الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كأنه منظر لأمرك ونهيك يفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذا الجنح لا يحل له بما يصدر منه من الحركة فتعا وإطفاقا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسموية وبوحا جتك إليهما في غرض الأكل فقط دون معادها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وعجائب الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحت مجاميع الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإثم وباطنه - فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحمد وصوه الظن والبدة وإضمار الشر لئلا يسأل عن ذلك من آثام القلوب هو الشكر لنعمة الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر لنعمة الظاهرة ، بل أقول كل من عسى الله تعالى ولو في نظرية واحدة بأن تشع جفته مثلا حيث يجب غش البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حق للملائكة السموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قدتم به استغفاره وإن انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى في كل طريقة بالجنح نعمتين في نفس الجنح إذ خلق تحت كل جنح عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجنح الأعلى وارتفاع الجنح الأسفل وعلى كل جنح شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ للبياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون مائلا للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبها للأقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين توام نصها وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يتعفن من قبح العين ولو طبق لم يضر فيجمع الأجناف مقدار ما تشابك الأهداب فينظر من وراء شياك الشر فيكون شياك الشر ما تزامن وصول البصيرة من خارج وغير ما من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار قد خلق

أوقاتك ، وهذه نعمة نافعة لأن الكلمة تنفع في سمع الرشد الصادق كالجنة تنفع في الأرض وقد ذكرنا أن الجنة القاسية تهلك وتفسد وفساد حبة الكلام بالموى وقطرة من الموى تكسر حجرا من العلم فسد الكلام مع أهل الصدق والإرادة يبنى أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما أن اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند البصير فيكون ناظرا إلى الله مصفيا إليه متقبلا ما يرد عليه مؤديا للأمانة فيه ثم ينبغي

أطراف الأحناء خادمة منطبقة على الخدقة كالمصاة للآراء فيطبقها مرة وأمرتين وقد انصقلت الخدقة من التبار وخرجت الأقداء إلى زوايا العين والأحناء والقباب لما لم يكن لخدقة جن خلقه يد من قراه على الدوام يسح بها خدقيه ليصقلها من التبار وإذا تركا الاستقصاء لتفاصيل التمس لاقتاراه إلى تطويل يزيد على أمل هذا الكتاب ، ولعلنا نستأفله كتابته صودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسبه عجائب صنع الله تعالى ، فلنرحم إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كثر بفتح العين فمة الله تعالى في الأحناء ولا تقوم الأحناء إلا بين ولا بين إلا رأس ولا رأس إلا جميع البدن ولا البدن إلا بالانفداء ولا الانفداء إلا بالآلاء والأرض والهواء والطروا والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فأن قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى التبار إلى منتهى الترى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد ولا ويسته وذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلهم إذا تفرقوا أو تستغفرهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر (٢) وأن لللائكة يلعنون الصاة (٣) في أقطاب كثيرة لا يمكن إحصاؤها وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطرفة واحدة جن على جميع مافي لللك ولللكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تحموها فيقبل الله بالاستغفار نسي الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبيد لي من الآدميين إلا مائة ملكان فإذا شكرني على نعمائي قال للكان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندي آنى أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع بعهم والآثار تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعمة كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينسط ويقتضى نعمتين إذا نبسطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك وباقياته يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه باقطع روح الهواء وبرودته وهلك بل اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قرب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فليكن في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى - وإن تدوا نعمة الله لأحصىها - قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شجرة من جسدي نعمتان أن لبت أصلها وأن طمست رأسها وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عليه وحضر عذابه وجميع مآذكرناه يرجع إلى الطعم والشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان الصبر لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده ولا يتحقق أن لله فيه نعمة عليك فلترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطعم .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجبل والغفة فانهم آمنوا بالجبل والغفة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بد معرفة ، ثم إنهم ان عرفوا نعمة خلقوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الخدقة الشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أرادت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين العرتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم لم أجده أصلاً (٢) حديث إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر تهم في العلم (٣) حديث إن لللائكة يلعنون الصائتم من حديث أبي هريرة لللائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديثه وإن كان أخاه لأبيه وأمه .

لشيخ أن يعتبر حال الريدن ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحته واستمداده فمن الريدن من يصلح لتجديد النفس وأعمال الصواب وطريق الأبرار ومن الريدن من يكون مستعداً صالحاً لقرب وسلوك طريق التربين المرادين بمسابقة الصلوب والماملات السنية ولكل من الأبرار والتربين مبادونهايات فيكون الشيخ صاحب الانشراح على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والسبب أن الصحراوي

واستتلاء الشيطان . أما النعمة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجهلهم لاجدون ما بهم الخلق وسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبنوة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يمد نعمتولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بختنقهم لحظة حتى أقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حسبوا في بيت حمام فيه هواء حر أو في بئر فيه هواء قتل برطوبة الماء ماتوا غماظا نابتا واحد منهم شيء من ذلك ثم نجما بعد ذلك نعمة وعكرا أنه عليها وهذا غاية الجمل إذ صار شكرهم موقوف على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال الأولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تسمى عينه فند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره موعدة نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة نعم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يجدوا الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل البعد السوء حتى أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تخلف به متفان تركه ضرب على الدوام غلبه البطرا وترك الشكر ضار الناس لا يشكرون إلا للال الذي يتطرق للاختصاص إليهم من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما يشكوا بعضهم قهره إلى بعض أرباب الصائر وأظهر شدة اغتيابه به فقال له أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أيسرك أنك أقطع الدين والرجلين ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أيسرك أنك عمون ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا . وحكي أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنسيتك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فصدق عليه سورة ثم قال فمك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن الهالك على بعض الخلفاء ويده كوز ماء يشربه فقال له عظمي قال لو لم تط هذه الشربة إلا يذل جميع أموالك وإلا جيت عطشان فهل كنت تطه قال نعم فقال لو لم تط إلا بملكك كله فهل كنت تركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا تبين أن نعمة الله تعالى على البعد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة ، وقد ذكرنا النعم العامة فلندكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول ما من عيد إلا ولو أضمن النظر في أحوال المرأى من الله نعمة أو نعمة كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يتوقف على كل عيد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عيد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الحالى عنه كما يفرح به للتصف به فإذا كان اعتداده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كذا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثر من حيث لا يدري فينتج فرحه بحسب اعتداده وبقى شكره لأنه في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عيد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً ينفى عنها وإنا ينفى عنها من حيث يرى نفسه بريئا فإذا لم يشغل بدم التبر فينبغي أن يشغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء ، وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف من مواطن أمورهم وخفايا أفكارهم ما هو منفرده به ولو كشف القطاء حتى اطلم عليه أحد من الخلق لاقتضح فكيف لو اطلم الناس كافة فاذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله إلى وجه مبالوه فأظهر الجليل وستر التوبيخ وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به

يمل الأراضى والفروس
ويمل كل غرس وأرضه
وكل صاحب صنعة يعلم
منافع صنعه ومضارها
حتى الرأى تعلم قطبها
وما يتأذى منه من الغزل
ودقه وظغله ولا يعلم
الشيخ حال اللريد
وما يصلح له . وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلم الناس
على قدر عقولهم
ويأمر كل شخص بما
يصلح له ففهم من كان
يأمره بالانفاق ومنهم من
أمره بالإسك ومنهم
من أمره بالكسب
ومنهم من قرره على
ترك الكسب كالحجاب
الصفة فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فأما في رتبة الدعوة فقد كان يعم الدعوة لأنه مبعوث لإثبات المحبة وإيضاح المحبة يدعو على الإطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتعسر فيه الهداية دون غيره . ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسمعه فيه معاناة الخلق حتى يشفي على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها أن استدامة الملاحظة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة فإن رسول الله

حتى لا يطالع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إماما مطلقا وإماما في بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أهم منها قليلا فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقر به أو عز أو جاه أو في سائر محابه أمور أو لو سلب ذلك منه وأعطى ما يخص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لأجاده وإنسانا لا بهيمة وذكرنا لآش وصحبا لا مريضا وسليبا لا مبعيا فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها محموم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأشدها لم يرض بها بل له أمور لا يدبها بأحوال الآدميين أيضا وذلك إما أن يكون بحيث لا يدبها بما يخص بأحد من الخلق أو لا يدبها بما يخص به الأكثر فإذا كان لا يدب حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الخلق وإما في أمر خاص فاذن الله تعالى عليه ثم ليست على كل أحد من عباده سواء وإن كان يبذل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فينظر إلى عدد التبعين عنده فإنه لا محالة يرام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فإلا به لا ينظر إلى من فوقه ليرد في نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى دنياه بدنيه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يتقارفا يعتذر إليها بأن في الساق كسرة فينظر أبدا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خير منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يفرح بالشكر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابرا وشاكرًا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الآل إلى من هو دونه لم يكتب الله صابرا ولا شاكرًا » (١) فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفش عما يخص به وجدته تعالى على نفسه فمما كثيرة لاسيما من خص بالجنة والإيمان والعلم والقرآن ثم القراء والصحة والأمن وغير ذلك ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيبا يسطيل به في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعا فلينظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله » (٢) وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام « إن القرآن هو التي لا غنى بعده ولا فقر معه » (٣) وقال عليه السلام « من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله » (٤) وقال عليه السلام « ليس من آمن لم يتغن بالقرآن » (٥) وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى » (٦) وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب التوبة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابرا وشاكرًا الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف (٢) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف (٣) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف (٥) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف (٦) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشيخ بن الصباح ضيف

إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أعمت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعسا في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما التوت بأتيك كذا الصحة والأمن
وأصبحت أخاصن فلا فارقك الحزن

بل أرقى العبارات وأوضح الكلمات كلام أنصح من نطق بالصادحيت عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال «من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (١) ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبإل عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به ووصلهم إلى النعيم القيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالعرفه واليقين والإيمان بل عن نعم من العلماء من لو سلم إليه جميع مداخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علك بل عن عشر عشر علك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة الله تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لوقيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكأله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلًا عن التذاتك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذها لعله بأن لذة العلم دأمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تنصب ولا يناس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بخوفها ولا لفتها بألمها ولا فرحها بنعمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذا ما خلشت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتجمع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أتت عليها واستهتت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين الشاب الشبق التي حتى إذا تقيدها قلبه استهتت عليه واحتجبت عنه فآزال معها في تيب قائم وعناء دائم وكل ذلك باعتراره بلغة النظر إليها في لحظة ولوعقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقفت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وجبالها ولا ينبغي أن قول إن العرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن القلب عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم العرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم القلب يفضي إلى الألم في الآخرة فليقرر للعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فأنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون - فإذا نمتا سدد طريق الشكر على الخلق لجلبهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة . فإن قلت فما علاج هذه القلوب العافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فساها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فصلاجها التأمل فإن مرنا إلى من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لا تمتد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معاقبته أن ينظر أبدا إلى من دونه ويبدل ما كان يفعله بعض الصوفية إذا كان يحضر كل يوم دار الرضى والتقارب وللواضع التي تمام فيها الحدود فكان يحضر دار الرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويهدبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر التقارب فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموت أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم الثواب فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غنى إذ ضيعت بعض الأوقات في الباحات ، وأما العاصي فببته ظاهرة فذا شاهد التقارب

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع
كأن حاله كان له قيام
الليل وصلوات يصليها
ويدوم عليها وأوقات
يغلو فيها تطيع البشر
لا يستثنى عن السياسة
قل ذلك أو أكثر
لطف ذلك أو كنف
وكم من مغرور قانع
باليسر من طيبة القلب
اتخذ ذلك رأس
ماله واغتر بطيبة
قلبه واسترسل في
المازجة والمخالطة
وجعل نفسه مناعة
للباطل بلقمة توت كل
عنده ورفق بوجود
منه فيقصده من ليس
قصده الدين ولا يقينه
سلوك طريق التفتين
فافتن وأقن وبقي في
خطة القصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل التبور الموت لأجله ليكون ذلك معرفة نعم الله تعالى في بقية العمر بل في الإسهال في كل نفس من الأفاضل وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرّف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزوّد من الدنيا والآخرة فهذا علاج هذه القلوب العاقلة لتشعر بنعم الله تعالى فصاها تشكروا وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلّا في عنقه ويأتي في لحده ثم يقول رب ارجعوني لأعمل صالحاً ثم يقوم ويقول يارب ربيع قد أعطيت مسألتاً فأعمل قبل أن تسأل الله رجوع فلا ترد . ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا تم شكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم ملازمة الشكر على النعم قبل زوالها زالت عن قوم فمادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشة فقيدوها بالشكر وفي الخبر وما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه ^(١) فمن نهانوا بهم عرش تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن .

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر (بيان وجه اجتناع الصبر والشكر على شيء واحد)

لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاد لا وجود له أصلاً فاعني الصبر إذ وإن كان البلاد موجوداً فاعني الشكر على البلاد وقد ادعى مدعون أنا ننسك على البلاد فضلاً عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاد وكيف ينسك على ما جبر عليه والصبر على البلاد يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وما يتضادان وما معني ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاد موجودة كما أن النعمة موجودة والقول بآيات النعمة يوجب القول بآيات البلاد لأنهما متضادان فقدت البلاد نعمة وقدت النعمة بلاد ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالاتي من حسن الخلق وما ييسر عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويغسه من وجه فكذلك البلاد ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى بإمادته وإماداً وأما في الدنيا فالكفر والنسبة وسوء الخلق وهي التي تنفض إلى البلاد المطلق وأما التقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاد التي لا تنسك بلاد في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاد المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاد ولا معني الصبر عليه وكذا النسبة بل حق الكافر أن يترك كفره . وكذا حق العاصي ضم الكفر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرهما فلا يصبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص عليه ترك النصيحة بل كل بلاد يفتخر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فهو ترك الإنسان المشاء مع طول العطف حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإتمام الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاد مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن النفي مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وينتقل أولاده

دائرة الفتور لما يستغنى الشيخ عن الاستعداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه إن لم يكن بقوله فقله يكون له في كل كلمة إلى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وإعتماد دخلت الفتنة على الغرورين والدعين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من اللوعة وقلة تأدبهم بالشيخ . كان الجليل رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت أن مسلاة ركتين لي أفضل من جلوس معكم ما جلست عندكم فإذا رأي الفضل في الخلوة غلوا

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بالنظر إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

والصحة أيضا كذلك لما من نعمة من هذه النعم الدينية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك مامن بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فربما تكون الحيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبني قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحمي عبده للؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه (١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فاتها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضعافها إذن نعم في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كال نعمة فاتها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قد نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو عرفه الستر وأطلع عليه لطال ألمه وحده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات الذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال الحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانتة ولو عرف ذلك وآذى كان إيذاه لأعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف. ومنها إيهام الله تعالى أمر القيامة وإيهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض الكائنات فكذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فيه ونحوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التائب بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من اللصبة كقطعه يد نفسه ووضعه بسترته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق المذاب وعذب به طائفة ما عرف المتعمون قدر نعمه ولا أكثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما حمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على التبتل أو على غير التبتل فاذن كل حال لا يوصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجب فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا . فان قامت فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد ينتمى به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الانتقام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تنهاه فلورضها الله تعالى وزادها ما كان يرده ويججزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبتها في دينه . قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل العس يتيق

(١) حديث إن الله ليحمي عبده الدنيا الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه وقد تقدم .

وإذا رأى الفضل في
الجلوة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوته
في حياطة جلوته وجلوته
مزيدا لجلوته وفي هذا
سر وذلك أن الأدنى
ذو تركيب يختلف فيه
تضاد وتناظر على
ما أسلفنا من كونه
مرتددا بين السفلى
والعلوى ولما فيه من
التناظر له حظ من
الفتور عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لسلك عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل ففي وقت
الفترة للعبد ين
والسالكين تضيق

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما ابتليت بلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم مني وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق غلبه السلطان فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضر به فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه فقال اشكر الله فبقيء عجوزي لحبس عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فادن مامن إنسان قد أصيب بلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أديبه ظاهر أو باطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يدك فترك أحداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنظر أن تصب على النار فلا تقصر على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتسب الأمطار فقال أنتم تستبطون المطر وأنا أستبطي الحجر . فأن قالت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على مصيبتهم ولم يصابوا بما أصيبت به حتى الكفار . فاعلم أن الكفار قد دخي له ما هو أكثر وأعياهم من أن يستكبروا من الآثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى - إنما نعلم الموتى الذين آمنوا - وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظم من شرب الخمر والزنا وسائر المصائب الجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - وتحبونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم اعلم قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وبجأت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن غنوة إلا وكان تصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون الصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تنم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى إذ أسباب التسلى مقطوعة بالكيفية في الآخرة عن المعذنين ومن مجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة أو بلاء في الدنيا فأن الله أكرم من أن يهذه ثانيا » (١) الرابع أن هذه الصيبة والبلاء كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة . الخامس أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدها الوجه الذي يكون به الدواء الكرية نعمة في حق المريض ويكون للنعم من أسباب اللب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان يمنه ذلك عن العلم والأدب فكان يحسر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

واسترواح النفس
وركون إلى البطالة فمن
بلغ رتبة الشيخية
انصرف قسم قدرته إلى
الحلق فأفلق الحلق
قسم قدرته وما ضاع
قسم قدرته كضباعه في
حق الريدن فالريد
يود من الفترة بقوة
الشدة وحدة الطلب إلى
الإقبال على الله والشيخ
يكتسب الفضيلة من تقع
الحلق بقسم قدرته
ويحسود إلى أوطان
خلوته وخاص حاله
بنفس مشربة أكثر
من عود الفقير بمحبة
إرادته من قدرته فيعود
من الحلق إلى الخلوة
متنزع الفتور بقلب
متعطش وافر النور
وروح متخلصة عن

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء في الدنيا فأن الله أكرم من أن يهذه ثانيا الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فأنه أعد له من أن يشق عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فبطل عقوبته في الدنيا وقال الحسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث.

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالمجدة غدا يتعنون لو كانوا إجماعين أو صيانا ولم يتصرفوا بمقتولهم في دين الله تعالى فاسم شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد والإيتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا أذار أو أثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أنهم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روي «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنه الله في شيء قضاء عليك» (١) «ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالفسراء رضى وكان خيرا له» (٢) الوجه الثاني أن رأس الخطايا للملكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي بالتلب عن دار الغرور ومواناة التمس على وفق الرائد من غير امتزاج بلاء ومصيبة ثورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنه بها حتى يصير كالخنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب اتزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأس بها وصارت سببا عليه وكانت نجاته منها غاية الفكاك خلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافرين» (٣) والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن إليها والمؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا شديد الخشوع إلى الخروج منها والكفر بضه ظاهر وبضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجابة بمن يتولى حجاتك مجانا أو سيقك دواء ناعما بضاه مجانا فانك تألم وتفرح فصر على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للضيافة وعلم أنه يخرج منها لاحتالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبلا وبلاء عليه لأنه يورثه الأذى بمنزل لا يمكنه التمام فيه ولو كان عليه في القيام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما بكره حتى فره عن القيام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما حقق أنهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما زعج قلوبهم عنها ويقطع أنفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا حصور منه أن يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه التمس في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب الصبية أكبر من الصبية لم يتصور منه الشكر على الصبية . وحكي أن أعرايا عزى ابن عباس على أبيه فقال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنه الله في شيء قضاء عليك أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زيادة في أوله وفي إسناده ابن لهيعة (٢) حديث نظير إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صبيب دون نظره إلى السماء وضحكه عجا لأمر المؤمنين إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرء صبر فكان خيرا له ولفسان في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمدي به وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافرين مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار
قائمة مجدة خففها إلى
دله السرار . ومن
وطيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الإدارة
والطلب والزول من
حقه فبا يجب من
التبجيل والتعظيم
لشائخ واستعماله
التواضع . حكى الرق
قال كنت بعصر وكنا
في المسجد جماعة من
الفقراء جلوسا فدخل
الزقاق فقام عنده
أسطوانة يركع قلنا
يفرغ الشيخ من
صلاته وتقوم نسلم عليه
فما فرغ جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
فقال ما عذب الله

فيود أهل العاقبة في الدنيا لو أنهم كانت تفرض أحسادهم بالمقاريض لما روى مذهب به أهل البلاد من الثواب » فذلك قوله تعالى - إغابوا في الصابرون أجرهم بغير حساب ^(١) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكنا في الأنبياء عليهم السلام إلى ربهم فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويحجب معاصيك ترى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويحترى عليك وعلى معاصيك ترى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاد لي وكل يسبح بحمدي يكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقي فأجزبه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزبه بحسناته في الدنيا حتى يلقي فأجزبه بسيئاته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجز به بما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر أليس تخشع ألت يصيبك الأذى ألت تخزن ففده مما تجزون به ^(٢) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة للذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيت الرجل يحطه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما سوا ما ذكرناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء ^(٣) » يعني لما تركوا ما أسروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا مما عسا أعطوا من الخير أخذناهم بفتنة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الحيلة فسلمها ثم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو ينشئ فضده حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا لم يجعل له عقوبة ذنبه في الدنيا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أُنْدُكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ - فالصائب في الدنيا يكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة ^(٥) »

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الرغبة والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرارين عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجز به - قال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر أليس تخشع ألت يصيبك الأذى ألت تخزن ففده مما تجزون به » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة للذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيت الرجل يحطه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما سوا ما ذكرناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء ^(٣) » يعني لما تركوا ما أسروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا مما عسا أعطوا من الخير أخذناهم بفتنة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الحيلة فسلمها ثم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو ينشئ فضده حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا لم يجعل له عقوبة ذنبه في الدنيا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أُنْدُكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ - فالصائب في الدنيا يكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة ^(٥) »

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الرغبة والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرارين عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجز به - قال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر أليس تخشع ألت يصيبك الأذى ألت تخزن ففده مما تجزون به » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة للذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيت الرجل يحطه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما سوا ما ذكرناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء ^(٣) » يعني لما تركوا ما أسروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا مما عسا أعطوا من الخير أخذناهم بفتنة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الحيلة فسلمها ثم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو ينشئ فضده حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا لم يجعل له عقوبة ذنبه في الدنيا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أُنْدُكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ - فالصائب في الدنيا يكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فإله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة ^(٥) »

قال بعضهم لا تضع حق أخيك بما بينك وبينه من الودة . وحكى عن الجريري قال وابت من الحج فابتأت بالجند وصلت عليه وقلت حتى لا تبتى ثم أتيت منزلي فلما صليت القداء التفت وإذا بالجند خلفي قلت يا سيدي إنما ابتدت بالسلام عليك لكيلا تنعني إلى هنا فقال لي يا أبا محمد هذا ححك وذلك ضحك . ومن آداب الشيوخ أنهم إذا علوا من بعض الشرشد بن ضعا في مراغمة النفس وقهرها واعتاد صدق الغريزة أن يقروا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخوطة إلى صلة الرحم ^(١) . وعن أبي الدرداء قال : توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأثاء ملكان نجشيا بين يدي في زى الحوصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فاشتتصد مر به هذا فأفسده ، فقال للآخر ما أقول ، فقال أخذت الحماة فأثيت على زرع فظفرت بيننا وشيلا فأذا الطريق عليه ، فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق . قال فلم تحزن على ذلك أما علمت أن اللوت سبيل الآخرة فأب ساجان إلى ربه ولم يزعج على ولد بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يابى : لأن تسكون في ميزان أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يابى : لأن يكون مأعب أحب إلى من أن يكون مأحب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نلى إلى ابنه له فاسترجع وقال عودة سترها الله تعالى ومؤنة كفها الله وأجر قد سافه الله ثم زل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فزله مجوس يعرفه ، فقال له ينبغي للمعان أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قال ابن المبارك كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله لينتلي البعد بالبلاء بعد البلاء حتى يمتحن على الأرض وما له ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يعاهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يختج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسلمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى الرضى بأبوب صلات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فصر فوذلك فجىء بالمشار ففتش الشجرة حتى بلغ المشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه فوحي الله تعالى إليه يا زكريا لنن صدت منك أنه ثابة لأعوانك من ديوان النبوة فضض زكريا عليه السلام على أصبه حتى قطع شطرين . وقال أبو السعود البلخي : من أصيب بمصيبة فزق ثوبا وأضرب صدرا فكأنما أخذ رحما يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابى إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فإذا أحب الله قوما ابتلاه ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وقال الأخنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى ضرسى ، فقلت لعمى ماتت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا ، فقال : لقد أكرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا نزلت بك بيلة فلا تشككى إلى خلقى واشك إلى كالأشكوك إلى ملائكتى إذا صدت مساويك وضامحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجليل في الدنيا والآخرة .

به ويوقوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام البعد لا ينطخى حصرم الرخصة فهو حرم إذا ثبت وخالف الفقهاء وتدريب في زوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزبة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يعرف براهيم السائق وكان لأبيه نسمة فاقطع إلى الصوفية ومحب أبا أحمد القلانلى فربما كان يقع يد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود

(١) حديث أنس ما نزع عبد قط جرتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بجم ، وجرعة مصية يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لان في مكارم الأخلاق من حديث على بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو القديس منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو القديس منكر الحديث .

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لذلك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء .
 فأقول لوجه ذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعائه من
 بلاء الدنيا وبلاء الآخرة (١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا في الدنيا حسنة
 وفي الآخرة حسنة (٢) » وكانوا يستمذون من شجاة الأعداء وغيرها (٣) . وقال على كرم الله وجهه
 اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية (٤) » وروى
 الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله العافية فما
 أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين (٥) » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك
 فعافية القلب أصل من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحير الذي لا شرفه العافية مع الشكر
 فكمن من نعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله لأن أبا عافى فاشكر أحب إلى من أن تأخذ فأعبر
 وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وعافيتك أحب إلى (٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج إلى دليل
 واستشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدها بالاضافة إلى ما هو أكثر منه إمامي الدنيا أوفى
 الدين ، والآخر بالاضافة إلى ما يجرب من الثواب فينتهي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من
 البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه
 على الصبر . فان قلت : فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يبر على الخلق كلهم
 فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم أنه حكى عن ممنون الحب رحمه الله أنه بنى بهذا البيت بمكة الحصر
 فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا العمى الكذاب . وأما عافية الإنسان
 ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن الحب بنفسه
 جبا لكل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب
 عليه كان حالة لا حقيقة لها فاستمته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم وكلام العشاق

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث
 بشر بن أبي أرطاة بلفظ أجرتنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولأبي داود من حديث
 عائشة اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالضعفة
 (٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 اللهم آتنا في الدنيا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتانا الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شجاة
 الأعداء تضم في الدعوات (٤) حديث قال صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم
 لقد سألت الله البلاء فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسلم عليه وإنما
 قال مع رجلا وله ولفسان في اليوم والليلة من حديث على كنت ساكنا ثم بني رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فان كان بلاء فصرني فصر به برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن
 صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سلوا الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد
 جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلى ذكره ابن أسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى
 الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مر سلا

النعمة فيجب أن ترفق
 به وتؤثره على غيره .
 ومن آداب الشيوخ
 التزه عن مال المريد
 وخدمته والارتفاق
 من جانبه بوجه من
 الوجوه لأنه جاء الله
 تعالى فيجعل نفسه
 وإرشاده خالصا لوجه
 الله تعالى فما يسدى
 الشيخ للسريد من
 أفضل الصدقات .
 وقد ورد ما تصدق
 متصدق بصدقة أفضل
 من علميته في الناس »
 وقد قال الله تعالى
 تنبها على خلوص
 ماله وحراسته من
 الشواهب - إنما نطعمكم
 لوجه الله لا نريد منكم
 جزاء ولا شكورا فلا
 ينبغي للشيخ أن يطلب

يستدعي ساعه ولا يؤكل عليه كما حكى أن فائسة كان يراودها زوجها تمنحه فقال مالمذى يمكنك عنى.
ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لقمته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام
فاستدعه وعاتبه فقال يا بني الله كلام المشاق لا يجنى وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأتزك ما أريد لما يريد

وهو أيضا حال ومناه أن أريد ما لا يريد لأن من أراد أن الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرد به بل
لا يصح هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتب بمرضاة الذى يتوصل
به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة
إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال حب المال إذا أسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم
في الحال . الثاني أن يصبر رضاء عنده مطلوب من حيث إنه رضاء فقط ويكون له نفع في استشعار مرضا محبوه
منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فنه ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضا فذلك قد انتهى حال
بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشعار مرضا لله عنهم كثر من لذتهم في العافية من غير شعور
الرضا فيؤلا . إذا قدر ورضاء في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة لا يمدد وقوع عافى غلبات
الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة أم حالة اقتضاها حالة أخرى وردت على القلب فالت به
عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء
ففسأل الله تعالى لأن فضله على جميع خلقه الصبر والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين.

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

أعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقالوا الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون
هما سايان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب ببعض
التحصيل فلامنى للتطويل بالنقل بل البادرة إلى إظهار الحق أولى فتقول في بيان ذلك ما نمان : للقام الأول
البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغي أن
يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذى ينبغي أن
يتمده الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم النظر للشفقة لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل
بالتطور البان وضروب الحلاوات بل بالبين اللطيف وعليها أن تفرغ عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير حتملا
لها بقوة ويشارك الضحك الذى هو عليه في بيته فتقول : هذا للقامى البيان بأن البحث والتفصيل ومقتضاء
النظر إلى الظاهر المقصود من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة
في فضله فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألقا صبر محقة التفصيل
كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » (١) وفي الخبر « يؤتى بأشكر أهل
الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أما ترى أن يجزيك
كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى : كلا أنعمت عليه فشكر وابتليت
فصبرت لأنصف لك الأجر عليه فيعطى أصناف جزاء الشاكرين (٢) وقد قال الله تعالى - إنما
يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (٣)

على صدقه جزاء إلا
أن يظهر له في شيء
من ذلك علم يرد عليه
من الله تعالى في قبول
الرفق منه أو صلاح
يرامى للشيخ في حق
للريد بذلك فيكون
التلبس بماله والافتقار
بخدمته لصلحة تود
على الريد مأمونة
القائمة من جانب
الشيخ قال الله تعالى
- يؤتى أجوركم ولا
يسألكم أموالكم
إن يسألكموها
فيحكم بينكم
ويخرج أصنافكم -
مضى بحكم أى يجهلكم
وبلغ عليكم . قال
قادة : علم الله تعالى
أن في خروج المال
إخراج الأصناف وهذا

ورواه أبو عبيد الله بن منبه من حديث عبيد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل (١) حديث من أفضل
ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين
ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد قدم .

فهو دليل على أن التضحية في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض البائلة لرفع درجة الشكر فألقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حجج» السالكين وجهاد للرأى حسن التبعل (١) « وكقوله صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كإبليس» وأبدا للشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناهما» (٢) وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» (٣) وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان لإبواب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام» (٤) وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الثني، فهذا هو المقام الذي يتبع العلوم ويفهم في الوعظ اللائق والتعرف لما فيه صلاح دينهم . المقام الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاعتبار بمخالفات الأمور بطريق الكشف والابتناء فتقول فيه : كل أمرين مهيئين لا يمكن للوازنة بينهما مع الإيهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكتشف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن نفرّد الأحاد بالوازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حجج للسالكين وجهاد للرأى حسن التبعل الحديث بن أبي أسامة في مسنده الشطر الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يدل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة وأزواجه وفي رواية ماجيزه غزوة للرأى قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن قياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كإبليس بن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدغم الخبر ورواه بلفظ شارب الخمر بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصهباني (٣) حديث آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسابان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا شبيب بن خاله وهو كوفي ثقة ، وروى البراز من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن نجيم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحديث أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان لإبواب الصبر فانه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة تفرقة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي تفسر محمد يده إن ما بين للصراعين من مصاريع الجنة لكنا بين مكة وهجر أو كائين مكة وبصرى وإلى الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن ما بين للصراعين من مصاريع الجنة مائة أربعين سنة ولأبين عليه يوم وهو كظيم من الزحام .

تأديب من الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الخليلي جاء
رجل إلى الجنيدي وأراد
أن يخرج عن ماله
كله ويجلس معهم
على الفقر فقال له الجنيدي
لا تخرج من مالك
كله احبس منه مقدار
ما يكفيك وأخرج
الفصل وتوت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك فلت
آمن عليك أن
تطالبك نفسك وكان
النبي عليه السلام إذا
أراد أن يعمل عملاً
تثبت وقد يكون
الشيخ يعلم من حاله
للريد أنه إذا خرج
من الشيء يكرهه من

والنقصان مع الأجل فقول : قد ذكرنا أن هذه اللقائات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر اللقائات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها البعض للاح للتأخر في الطواهر أن العلوم تراد للأحوال والأحوال تراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد فيهه فذلك الغير لامحالة أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تختلف وإذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم للكشفة وهي أرفع من علوم للامانة بل علوم للامانة دون اللامانة لأنها تراد للامانة فتأثيرها إصلاح العمل وإتمامه وإتمامه العالم للمعاملة على العابد إذا كان علمه عمائمه فنه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن يكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم للكشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لقائها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للدرجة الحرة التي لا قيد عليها ولا تنقيد بشيء لها وكل ما عداها من المعارف عبود وخدم بالإضافة إليها فإنها إيمان تراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نعمها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إمّا بواسطة أو بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط يبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فنحن بها أحوال القلب في تصفيه وتطهيره عن شوائب الدنيا وشوائب الخلق حتى إذا طهر وصفاً اقتضى له حقيقة الحق فاذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره . وإعداة لأن تحصل له علوم للكشفة ، وكما أن تصفية المرأة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرأة بعضها أقرب إلى الصفاة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة أو القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما عداها لأنها لامحالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مأمنة من للكشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهينة للكشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علاقته بالدنيا عنه واسم الأول العصية واسم الثاني الطاعة والمعاشي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيه فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول للطلق ربما نقول الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن التي الذي معه مال يوقد غلبه البخل وحب المال على إسباكه فأخرج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم للكشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا للدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغنى شهوة بطنه ولا هو مشغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غير موهو كالمرضى الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في اللبث الذي استولى عليه والشبع اللطام من جملة اللبثات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيده إلا إخراج المال فله أن يصدق بما معه ، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربيع اللبثات فأرجع إليه فاذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال لا يتطلع به
إلى اللال غيئة يجوز
له أن يفسح للرديد
في الخروج من اللال
كما فسح رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي
بكر وقيل منه جميع
ماله ، ومن آداب
الشيخ إذا رأى من
بعض الرديد مكرها
أو علم من حاله أعوجاجا
أو أحسن منه بدوى
أو رأى أنه داخله هجب
أن لا يصرح له
بالمكره بل يتكلم
مع الأصحاب ويشير
إلى المكره والذى يعلم
ويكشف عن وجه
اللمعة مجمل فحصل
بذلك الفائدة للكل
فهذا أقرب إلى الداراة
وأكثر أثرا تألف

إذ لو قال لنا قائل الحزب أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الحزب للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فإن اجتماعا فينظر إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل وإن كان الجوع أغلب فالحزب أفضل فإن تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكينيين أفضل أم شراب الينوف لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا السكينيين أفضل أم عدم الصفاء . فنقول : عدم الصفاء لأن السكينيين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاحالة فاذن في بذل المال لعمل وهو الإغناق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ونشأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه معرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للمعرفة ودونها الحال ودونها العمل . فان قلت قد حث الشريعة على الأعمال والبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات تجوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - ويأخذ الصدقات - فكيف لا يكون العمل والاغناق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يبدل على أن الدواء مراد لغيره أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشتر به غالبا فهو كبرس على وجه من لأمراء معه فانه لا يشتر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل منه للبالغة في التناهي على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحسنته فرط التناهي في الواظبة عليه فيقول مرضه فانه لو ذكر له أن التصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا يعيب فيه وكشرب مثلا أقرب من هذا فتقول : من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بال تكرار والدراسة ليق له محفوظا قال إنه محفوظا ولا حاجة في إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم السيد ووعد به ذلك بالجلب لتوفر دواعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن المولى السكين أن التصود تعليم السيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل السيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم السيد قد قدر عليه دون تكافؤ به وأعلم أنه لا نقصان لأبي يفقد هؤلاء السيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا السكين فيترك تعليمهم اعتيادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في الضو عنه فينسى العلم والقرآن ويسقط مدبرا مجروما من حيث لا يدري وقد اغتدع بمن هذا الخيال طائفة توسل كواطريق الإباحة وقالوا إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطعام السكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذ قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا الذين آمنوا أنظفم من لو يشاء الله أطعمهم وقالوا أنفقوا لوشاء الله أنشر كنا ولا بأؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجمل يصل به كثير أو يهدى به كثيرا فيقول لما غنوا أنهم استخدموا لأجل السكين والفقراء أول أجل الله تعالى ثم قالوا لاحظنا في السكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كاهلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل السيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتوأت كدفع قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراؤه إلى ما فيه مساعده ، فهذا للتاليين لك خلال من ضل من هذا الطريق فاذن للسكين الأخلاص يستوفى به بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج فخرج الدم الملهة الهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
الريد تصير في خدمة
نده إليها يعمل تصديره
ويسفو عنه ويحرمه
على الخدمة بالرفق
واللين وإلى ذلك نذب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما أخبرنا
شياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو القاسم
الكروخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر الترياق
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو النحاس
الحبروني قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال ثنا قتيبة
قال ثنا رعد بن
سعد عن أبي هلال
الخولاني عن ابن
عباس بن جليد
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للواطن ومزكية لها عن خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام وحماها وأوسع أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) وللتصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كسقي في ربيع الهلكت والقلب بحسب تأثيرها يستمد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول السلي والقاوون الأصل الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف وليرجع إلى أن في خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر التفضل ومهما قبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر رجاها إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة النبيين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى الصمي من الله وهما ممرتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرتا في البلاء والصاب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن الصبر فيها يتجدد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو القصد منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث المؤمنين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إيمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبورا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة فعبارة عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة : الطاعة والصية والبلاد وقد ظهر حكمها في الطاعة والصية وأما البلاد فهو عبارة عن قد نعمة والصمة إما أن تقع ضرورية كالينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما الينان فضرر الأعمى عنهما بأن لا يظهر تشكركي ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب الصمي في بعض الصالحين وشكر الصبر عليها من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بها على معصية ، والآخر أن يستعملها في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فان الأعمى كثر الصبر عن الصور الجلية لأنه لا يراها والصبر إذا وقع بصره على جميل فصر كان شاكرًا لنعمة النبيين وإن أتبع النظر كفر نعمة النبيين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا امتنع بالينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى محال صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعب عليه السلام مثلا وقد كان ضررا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على قد الصبر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويتركه كلعن على وضوء وذلك محال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يغوث فلوها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في اللصية فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أغفو عن الحادمة قال كل يوم سبعين مرة وأخلاق فتشأن مذبذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس بأحياء سنته في كل ما أمر ونهى وأنكروا واجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار للرفيقين فيها يكشفون به ويعتدون من أنواع للنسح فسر الريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس للربما يجحد في خلوته من كشف أو سماع خطب أو شيء ممن خوارق العادات جرحه

(١) حديث انتهى عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وحماها وأوسع الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأعجل لنا إنما هي أوسع القوم وإنها لأعجل الحمد ولا لأن محمد وفي رواية له أوسع الناس .

تعالى وفيما احتال ألمى صرفة إلى الفقراء وترك صرفة إلى التتم الباح وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أعضائها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على مصيبة بل يصرفه إلى التتم الباح فالصبر به أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني المسك مال الصارف إياه إلى الباحات لأن الغني الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لأعمال قوة والغنى أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على الباح والباح فيه مندوحة من الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة التي عنها يصبر الفقير على وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التتم على الباح والشرف لتلك القوة التي بدل العمل عليها فإن الأعمال لا تتراد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان فإدراك على زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لأعماله وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والغنى بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على الصلصة لأن يصرفها إلى الطاعة ، فاذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة وإلى هذا الغنى على المحصور أشار الجنيدي رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط الغنى يصحبه فيها عليه أشياء تلام صفته وتحتما وتلدعها والفقير يصحبه فيها عليه أشياء تلام صفته وتغضبها وتزعجها فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن منع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيدي فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإلحاق أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيدي أصابني ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغنى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للحتاجين وللساكين وإنما ينتظر حاجه تسع حتى يصرف الباهم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاء وصيت ولا تقليد منه بل أداء لحق الله تعالى في تفقد عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر . فان قلت فهذا لا يثبت على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستعسر لذرة القدرة وذلك يستعسر ألم الصبر فان كان ثامنا فغراق المال فينجبر ذلك بلاءه في القدرة على الانفاق . فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكل حالا ممن يتفقه وهو بخيل به وإنما يقطع عنه نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإلام النفس ليس مطلوب البصيرة بل ثأبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب للتأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلاء والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليها في النهاية بل النهاية إن يصير ما كان مؤلما في حقه لذينة عنده كما يصير التلم عند الصبي العاقل للذي لا يذوقه كان مؤلما له أو لا لكون لما كان الناس كلهم إلا الأتقيين في البداية بل قيل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيدي القول بأن الذي يؤم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراه من عموم الحاق ، فإذا إذا كنت لا تحصل الجواب وتطلبه لإرادة أكثر

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح نالني السابق إلى الأقدام فإذا أردت التحقيق فقل فان الصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذ الصبر مع التأمل والرضا يمكن بمالائمه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مغرور به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أنصافها ويدخل في جعلها أمور دونها فان حياة البعد من تابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله وكسب ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والطمع بأن الشكر أيضا نعمته من نعم الله وهو به شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله (١)» وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراف وحسن الأدب بين يدي النعم وشكر وتلقى النعم بحسن القول واستنظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أخذها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار وقد روى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسأته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تنوأي فانفق أيها زوجت مني فليكن زفافنا تلت تعالى حتى نجي هذه الليلة شكر الله تعالى على ما جئنا فصيلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فبذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت المعجوز هو كما يقول الشيخ فأنظر إليهما لوصرا على بلاء الفرقة أن لولم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذن لاوقوف على حقائق المفصلات لإبتفضيل كما سبق والله أعلم .

﴿ كتاب الخوف والرجاء ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الرجو لطفه وثوابه الخوف مخوف وعقابه القوي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بطائفة آياته إلى الزول بفنائهم والصدول عن دار بلاءه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسيات التخوف وزجره العنيف وجوء العرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصددهم عن الترض لأتته والتهدي استخطه ونقته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرقي والاطف إلى جنته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليفته وعلى آله وأصحابه وعترته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان هما بطير القربون إلى كل مقام محمود وميطان هما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بيد الأرجاء تقيل الأعباء مخفوف فإمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه مخفوفًا بطائفة الشهوات وبخائب اللذات إلى سبيات التخوف وسطوات التنصيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وقضيتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادها وتنادها ونحن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة .

﴿ كتاب الرجاء والخوف ﴾

ما ظهرت الأسرار
فكامل الغل كلاً
طلبت القوة الفعل
قيدها ووزنها بالمثل
حتى يضمها في مواضعها
فيجل حال الشيوخ
عن إذاعة الأسرار
لرزانة عقولهم وينبني
السر يد أن يحفظ سره
من يث في ذلك صحت
وسلامته وتأييد الله
سبحانه وتعالى له
بتدريك للريدين
الصادقين في مورد
ومصدرهم .

[الباب الثالث
والجسود في حقيقة
الصحة وما فيها من
الحير والشر]
للتعنى للصحة وجود
الجنسية وقد يدعو
إليها أعم الأوصاف

نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الحوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتلب به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سرعة الزوال كصفرة الوجع وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يشر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى مستظر في المستقبل فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى متى ذكرنا وتذكروا وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمى وجداً وفوقاً وإدراكاً وإنما سمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في المستقبل وغلب ذلك على قلبك سمى انتظاراً وتوقفاً فإن كان ينتظر مكروها حصل منه ألم في القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وإرتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب للتوقع لا يد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر ما يباهي فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انحراف أسبابه واضطرابها فاسم السرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتهاء فاسم التي أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والحوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، ثم يقال أرجو زول المنطق وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبنجر فيه والطاعات جازية تجري قلوب الأرض وتظهرها ويجري حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب المستتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبعة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقفاً ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كالإيمان بذر في أرض سبعة فينبغي أن يقاس رجاء العبد للفرجة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير غف ولا موسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصوائق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرفضة لا ينسب إليها الماء ولم يشغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حقاً وغروراً لا رجاء وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تنسب الأمطار ولا يتم أيضاً سمى انتظاره تمناً لا رجاء ، فاذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تعهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى يصرف القواطع والفسادات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاء بماء الطاعات

وقد يدعو إليها أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كليل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف كليل أهل كل سلة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كليل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكليل أهل العصية بعضهم إلى بعض فإذا علم هذا الأصل وأن الجاذب إلى الصالحة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليتعقد الإنسان نفسه عند الليل إلى صفة شخص وينظر ما الذي يميل به إلى محبته ويزن أحواله من يميل إليه يميزان الشرع فإن

وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثيبته على ذلك إلى اللوت وحسن الخاتمة للفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على الواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى اللوت وإن قطع عن بذل الإيمان تمهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر للمغفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحقق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله الجنة (١)» وقال تعالى - غلغف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - وقال تعالى - غلغف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب يأخضون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفرق لنا - ودم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما ظن أن تبدي هذه أبدا وما أظن الساعة تأتيه ولن يردد إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلا - فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي تحقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير تحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهيا للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنه وهو يذم نفسه ويلومها ويشنئ التوبة ويشاق إليها لتحقيق بأن يرجو من الله التوفيق لقبوله لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب القوي قد يفضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من ينهمك فيا بكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يرمي عن التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حق كرجاء من بث البذر في أرض سيخة وعزم على أن لا يتعبده بسقى ولا تقي - قال يحيى ابن معاذ من أعظم الاعتزاز عندى المتجدي في الذنوب مع رجاء الغفران من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يذر النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمس على الله عز وجل مع الإفراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على البس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة أتمرها العلم بحريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تتجزأ المجتهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاءه فلا يزال عمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتمهدها وتعبه كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تمهدها أصلا إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التمهيد لمن عرف أن الأرض سيخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيتك لا مهلة تفقد الأرض والتعب في تمهدها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والحرف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال والواظبة على الطاعات كيما تقبلت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتتم بمنجاة والتلطف في التعلق به فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليستدلل به على الحرمان عن مقام الرجاء والتوكل في حضيض الغرور والتمس فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أتمره من العلم ولما استثمر منه من العمل

(١) حديث الأحقق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة
فليشر نفسه بحسن
الحال فقد جل الله
تعالى مرآته مجلوة
يلوح له في مرآة أخيه
جمال حسن الحال وإن
رأى أمثاله غير مسددة
فليرجع إلى نفسه باللأفة
والإلهام فقد لاح له في
مرآة أخيه سوء حاله
في الجدير أن خرم منه
كفراره من الأسد
قائما إذا اصطجبا
لزماداة طلبة وأعوجا جبا
ثم إذا علم من صاحبه
الذي مال إليه حسن
الحال وحكم لنفسه
بحسن الحال طالع ذلك
في مرآة أخيه فليعلم أن
الميل بالوصف الأعم
مركز في جيك والميل
بطرقه واقع وله

وبدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبقيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحنت إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولوأردك للأخرى هيأ لك لها ثم ليأبى في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فيمن أرجى أن يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور^(١)».

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب البعاد إلى الله تعالى أحبه له والحب يغلب الرجاء واعتبر ذلك بمسكين بخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء ثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن «رغائب لا يفي في وقت الموت قال تعالى - لا تعظوا من رحمة الله - غرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أمدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجى بينك ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظه له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يعوتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن» بالله تعالى^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٣) ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في التزع فقال كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتماع في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «خرج الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يأخذ بأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك» وقال سفيان: من أذنب بذنوبه أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قومًا قال - وذلك ظنكم الذي ظنتم بربكم أركأكم - وقال تعالى - وظننتم ظن السوء - وكنتم قوماً بوراً وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعيد يوم القيامة مامعك إذ رأيت التكرار تنكره فان الله سبحانه قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك^(٥)» وفي الخبر الصحيح «أن رجلاً كان يداين الناس فيسامح القبي ويتجاوز عن العسر فلقى الله ولم يعمل خيراً قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا^(٦)» ففأعفاه الحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الذين يتلون كتاب الله

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه أنه قال أن زيد الخيل وكذا قال ابن أبي حاتم ساه النبي ﷺ الخبر ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروي قيام زيد الخيل قال بارسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يعوتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث وثالة بن الأسقع وهو ي الصحيح من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في التزع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول للعيد يوم القيامة مامعك إذ رأيت التكرار أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أنس سعيد الجدي بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر المعروف (٦) حديث أن رجلاً كان يداين الناس فيسامح ويتجاوز عن العسر الحديث مسلم من حديث أنس مسعود حوسب رجل من كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن العسر قال الله عز وجل من أحق بذلك تجاوزوا عنه وأنتوا فاعلم من حديث حذيفة

بحبه أحكام وللغنى بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الأعم جمدوى الميل بالوصف الأخص وبصر بين التصابين استرواحات طبيعية ولذات جلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصبة لله إلا العلماء الزاهدون وقد ينفسد المرید الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد عظم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فدل بهم بغية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جلية حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأتوا بما رزقناهم سرا وعلاية يرجون نجاة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وبنوا دُونَ إلى ربكم فبسط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تقط عبادي غفر عليم ورجاهم وشوقهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحب من يحب وجبريل إلى خلقى فقال يارب كيف أحبك إلى خلقك قال اذكرني بالحسن الجليل واذكر آلائي وإحسانى وذكرهم ذلك فاتهم لا يعرفون مني إلا الجليل (٢)» ورؤى أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكره ذكر أبواب الرجاء فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما ألقى حلك على ذلك قلت أردت أن أحبك إلى خلقك قال قد غفرت لك ورؤى يحيى بن أكثم بعد موته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال أوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السوء فقلت وقلت قال فأخذني من الرعب ما أعلم الله ثم قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبيدى في قلعين بى ما شاء وكنت أظن بك أن لاتخذبنى فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فأبست ومضى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت بالها من فرحة - وفي الخبر «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقطع الناس ويشدد عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوبسك من رحمتى كما كنت تقطع عبادى منها (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى بإحسان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني ببدي قال فيجىء به فيوقه في ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشى ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى أى شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لاتعبدنى إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة (٤)» فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه.

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وبسبب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في اللواظطة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذا رجلان ماثلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي للفرور للتمتع على الله مع الاعراض عن العبادة واتحام العاصي فأدوية الرجاء تنقلب مومنا مهلكة في حقه وتنزل أمثلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب البهجة له فلها يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يشاها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل

وأبى هريرة بنحوه (١) حدث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وفيه فبسط جبريل الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبى هريرة قال قلت لعل من حديث أنس ورواه زيادة وخرجتم إلى الصعدات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حدث إن الله تعالى أوحى إلى عبيد داود عليه السلام أحب من يحب الحديث لم أجده أصلا وكأنه من الاسرار المليات كالتى قبله (٣) حديث أن رجلا من بني إسرائيل كان يقطع الناس ويشدد عليهم الحديث رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره منطوقا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى بإحسان يا منان الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الظن بالله والبيهقي في الشعب وضمفه من حديث أنس .

حققة الصبغة

فأكتسب من طريقهم الفسور في الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب فليتبه الصادق لهذه الحقيقة ويأخذ من الصبغة أصنى الأقسام ويذر منها ما يندى في وجهه للرام قال بعضهم هل وأيت شرايط لإيمان تعرف ولهذا الذى أنكر طائفة من السلف الصبغة ورأوا القضية في العزة والوحدة كإبراهيم بن آدم وداود الطائي وفضيل ابن عياض وسليمان الخواص وحكى عنه أنه قيل له جاء إبراهيم ابن آدم أما تلقاه قال لأن ألقى سبعا ضاريا

والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاز الوسط إلى أحد الطرفين عوج بما
 رده إلى الوسط لئلا يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه الخلق
 أسباب الرجاء بل لليلة في التخوف أيضا تكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسن الصواب فمأذكر
 أسباب الرجاء فيهلكهم ويردهم بالسكية ولكيما كانت أخف على القلوب وأشد عند النفوس ولم
 يكن غرض العواطف إلا استئالة القلوب واستطابق الخلق بالثناء كفيما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد
 الفساد فسادا وازداد التهمكون في طبائهم تعاديا قال علي كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس
 من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس
 أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتغلان على الخوف
 والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف الرضى ليستعمله العلماء الذين هم مروة
 الأئمة بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الأخرى الذي يظن أن كل شيء من الأدوية
 صالح لكل مريض كفيما كان . وحال الرجاء يضل بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات
 والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع مآذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى
 إذا علم لطائف نعم الله تعالى لبياده في الدنيا ومحبات حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعدله في
 الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار
 وما هو زينة له كاستقواس الحائبيين واختلاف ألوان العينين وحرمة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يشتم
 بفقد غرض مقصود وإنما كان يغوث به مزية جمال فالنباية الإلهية إذا لم تنصر عن عباده في أمثال
 هذه الدقائق حتى لم يرض لبياده أن تموتهم الزايد والزاي في الزينة والحاجة كيف يرضى يساقفهم إلى
 الهلاك لئلا يبدل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا
 حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه ليعذب بعد الموت أبدا مثلا أو لا يعذب أصلا
 فليست كراهتهم لعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يتنقّل الموت نادرا لم يتناه إلى في
 حال نادرة وواضحة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة
 فنبه الله لأجلها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو
 غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن
 الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وستيا في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض
 المارفين يرى آية الدانية في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا
 كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية
 ليهدى عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

الفن الثاني استقراء الآيات والأخبار : لما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى
 - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه
 هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يئالي إنه هو الغفور الرحيم (١) وقال
 تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعد لها
 لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه فقال - لهم من فوقهم ظلمن النار ومن عنهم ظلم ذلك بخوف الله به
 عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأنذركم نارًا تملأ ليلها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
 جميعا ولا يئالي الترمذي من حديث أسماء بنت زيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أنق
 إبراهيم بن آدم قال
 لأن إذا رأته أجسن له
 كلامي وأظهر غشي
 بظهور أحسن أحوالها
 وفي ذلك القنطة وهذا
 كلام عالم بنفسه
 وأخلاها وهذا واقع
 بين الشاخصين لإمن
 عصمه الله تعالى . أخبرنا
 الشيخ الثقة أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 إجازة قال أنا الحافظ
 أبو بكر محمد بن أحمد
 قال أنا أبو القاسم
 اسمعيل بن مسعدة قال
 أنا أبو عمرو محمد بن
 عبد الله بن أحمد قال
 أنا أبو سليمان أحمد بن
 محمد الحطاب قال أنا
 محمد بن بكر بن
 عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأثني الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - وقال
 « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية - وإن
 ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - (١) » وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى -
 قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون
 أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله -
 الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك
 فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال « أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها
 في الآخرة بحبل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفنن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي
 راجل من أهل الكتاب فقبل هذا فداؤك من النار (٢) » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة
 يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيأتي فيها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم
 « الحمي من فيسج جهنم وهي حظ المؤمن من النار (٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا نخزي الله
 النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حسابك
 إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تخزيك فيهم (٥) » وروى عن أنس « أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على
 مساوهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم هم أمته وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم
 إلى غيري ثلاث تنظر إلى مساوهم أنت ولا غيرك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم
 وموتى خير لكم أما حياتي فأمن لكم السنن وأشروع لكم الشرائع ، وأما موتى فإن أعمالكم
 تعرض على فما رأيتم منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيتم منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم (٧) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك
 وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده هذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والعليني في تفسيرهما
 من رواية علي بن زيد بن جعدان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزته ما هنت أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمي أمة
 مرحومة لا عذاب عليها بحبل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفنن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان
 يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى
 كاسيأتي ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني
 إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا
 أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يعوت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار
 يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمي من فيسج جهنم وهي حظ المؤمن من النار أحمد من رواية
 أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى
 إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حسابك إليك قال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في
 تفسير قوله تعالى - يوم لا نخزي الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس
 أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى الحديث لم أقف له على أصل
 (٧) حديث حياتي خير لكم وموتى خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورواه
 رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز في أبي داود وإن أخرجه مسلم ووثقه ابن معين والنسائي
 فقد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف.

مسلمان بن الأشعث
 قل ثنا عبد الله بن
 مسلمة عن مالك عن
 عبد الرحمن بن أبي
 صهمة عن أبيه عن
 أبي سعيد الخدري
 قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « يوشك أن يكون
 خير مال المسلم غنما يتبع
 بها شعاب الجبال
 ومواقع القطر يفسر
 يدينه عن الثمن » قال
 الله تعالى إخوانا
 عن خليله إبراهيم
 - واعتزلكم وما تدعون
 من دون الله وأدعو
 ربي - استظهر بالمرلة
 على قومه . قيل :
 المرلة نوعان فريضة
 وفضيلة فالفريضة
 المرلة عن الشراعه

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم الضو قال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسر يا كريم الضو هو إن غنا عن السيئات برحمة بدلها حسنات بكمرة^(١)» وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول «اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما علم النعمة؟ قال لا، قال فادخل الجنة^(٢)» قال الفداء قد آمن الله علينا فتمت برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً وفي الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فقلوا أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشدكم أتى قد غفرت له^(٣)» وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرتي ورجائي^(٤)» وفي الخبر «لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة^(٥)» وفي الحديث إن للك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتب عليه^(٦)» وفي لفظ آخر «فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الجنتين صاحب الثمال وهو أمير عليه أتى هذه السيئة حتى أتى من حسنة واحدة تصفيع الشر وأرفع له تسع حسنات تلقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه فقال أعرابي وإن تاب عنه قال عني عني قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال عني من محييته قال إلى متى؟ قال إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل إن الله لا يعمل من النفرة حتى يعل العبد من الاستغفار فإذا دام العبد بحسنة كتبها صاحب الجنتين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف وإذا دام بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن غفو الله عز وجل^(٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم الضو قال جبريل تدري ما تفسر يا كريم الضو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب النظمه من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد قد كره (٢) حديث سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فقلوا أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشدكم أتى قد غفرت له من حديث أبي هريرة بلغني أن عبداً أصاب ذنباً فقال أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً قال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقرابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشركني شيئا لقيته بمثلها مغفرة ولترمذي من حديث أنس الذي قبله يابن آدم لوقيتني الحديث (٦) حديث إن للك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الجنتين صاحب الثمال وهو أمير عليه أتى هذه السيئة حتى أتى من حسنة واحدة من تصفيع الشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين بالنظر الأول ورواه أيضاً أطول منه وفيه إن صاحب الجنتين أمير على صاحب الثمال وليس فيه أنه يأمر صاحب الثمال بإلقاء السيئة حتى يلقي من حسنة واحدة ولم أجده لك أصلاً (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه فقال أعرابي فإن تاب عنه قال عني عني قال فإن عاد الحديث وفيه إن الله لا يعمل من التوبة حتى يعل العبد من الاستغفار

والفضيلة عزلة الفضول وأهله ويجوز أن يقال الحلو غير المزلة فالخلة من الأغيار والمزلة من النفس وما تدعو إليه وما يشغل عن الله فالحلو كثيرة الوجود والمزلة قليلة الوجود قال أبو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة

إلا بالخالط من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وما سلم إلا من جانب الخلطة وقبل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصحة وواحد في العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليزم الأصل ولا يخالط إلا بقدر الحاجة وإذا خالط لا يخالط إلا بحجة وإذا خالط بلازم

«يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید علیہ ولا أصلي إلا الخس لأزید علیها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع : ابن أنا إذ مات قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم ممي ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الفلّ والحسد ، ولسانك من اثنتين : البية والكذب ، وعينك من اثنتين : النظر إلى محارم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت ممي الجنة على راحق هاتين (١) » وفي الحديث الطويل أنس « أن الأعرابي قال يارسول الله من يلي حساب الخلق ؟ قال الله تعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم قسّم الأعرابي قال صلى الله عليه وسلم ضحكتم بأعرابي قال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا صاحب سامح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال لله الأعرابي (٢) وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قوله الله عز وجل - الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « ولؤمن طيب طاهر (٤) » « ولؤمن أكرم على الله تعالى من للانسكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

الصمت فانه أصل
والكلام عارض ولا
يتكلم إلا بحجة غطر
الصعبة كثير يحتاج
المبد فيه إلى مزيد
علم والأخبار والآثار
في التحذير عن
الحلطة والصعبة
كثيرة والكتب بها
مشحونة . وأجمع
الأخبار في ذلك ما أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
بإسناده السابق إلى
أبي سليمان قال حدثنا
أحمد بن سليمان
النجاد قال ثنا محمد
ابن يونس الكرمي
قال ثنا محمد
ابن منصور الجشمي
قال ثنا مسلم بن سالم
قال ثنا السري
ابن يحيى عن الحسن

الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يارسول الله : إني أذنبت ذنبا . قال استغفر ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرّات أو أربعاً . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للسجور المحسور وفيه أبو بدر يسار بن الحكم الصري منكر الحديث وروى أيضا من حديث عتبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يمل الله حتى تموتوا وليس في الحديث قوله في آخره فإذا هم المبد بحسنة الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبا يرويه عن ربه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم ببسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعلمها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو بحالها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جابر بن عبد الله يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید علیہ ولا أصلي إلا الخس لأزید علیها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابي يارسول الله من يلي حساب الخلق قال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم بنفسه قال نعم قسّم الأعرابي قال صلى الله عليه وسلم ضحكتم بأعرابي قال إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قوله الله عز وجل - الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « ولؤمن طيب طاهر (٤) » « ولؤمن أكرم على الله تعالى من للانسكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرغب عليهم (١) « وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما ينفعه وجعل رحمته تغلب غضبه (٢) « وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تغلب غضبي (٣) « وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) « . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار (٥) « . ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار (٦) « . ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٧) « وفي خبر آخر « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد (٨) « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسمة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتطلوا يومهم عن الاشتغال والصلل غرغ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالكم لا تسمعون قالوا ومن يشتغل بعمل يمد ماحدثتنا بهذا قالكم أنتم في الأم أين تاويل وثاريت ومنسك وأوجعوا ما يوجب أم لا يحضها إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود كالرقعة في ذراع

إلى الجنة لم أجده هكذا وبني عنه مارواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة في السلاسل (٩) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرغب عليهم لم أتف له على أصل (١٠) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما ينفعه وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب اللبزان ليس بواه ولا بمجهول (١١) حديث إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تغلب غضبي متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (١٢) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة للفناء بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وتقدم في الأذكار (١٣) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبوداود والحاكم ومسلم من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (١٤) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لعاذ مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار وإذا البخاري صادق من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ورأه أحمد من حديث معاذ بلفظ جله الله في الجنة ولقناني من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبدا من بهما إلا أحبب عن التار يوم القيامة (١٥) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن زياد من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وفيه اشتطاع وله من حديث عثمان بن عفان إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الإخلاص واستانده صحيح ولكن هذا نحوه شاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من اللوحطين النار وإخراجهم بالشفاع ، ثم لا يتي في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه لمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان (١٦) حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأحوس
عن عبد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ليأتين على الناس زمان
لا يسلم لدى دين دينه
إلا من فردبته من
قربة إلى قربة ومن
شاهق إلى شاهق ومن
جهر إلى جهر كالغلب
الذي يروغ قالوا وبني
ذلك يا رسول الله قال
إذا لم تمل العيشة إلا
بمعاصي الله فإذا كان
ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وقد
أمرنا بالزواج قال إنه
إذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على
يد أبويه فان لم يكن له
أبوان فطلى يذبحه

الدابة (١) « فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوأم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول ما رآه أسبيل الشفاء واتصّر عليه فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتألف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يشد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذبذبا خلق الله خلقا يذبون فيفتر لم (٢) « وفي لفظ آخر « لذهب بك وجاء بخلق آخر يذبون فيفتر لهم إنه هو التفور الرحيم « وفي الخبر « لو لم تذبذبا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال العجب (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها (٤) « وفي الخبر « ليفترن الله تعالى يوم القيامة منفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليطاولها لرجاء أن تصيه (٥) « وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة أدرج منها عنده تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترامح الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعتطف اليه على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين بسطها على جميع خلقه موكل رحمة منها بطابق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) « وفي الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يمدني الله برحمته (٧) « وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي آتوهم المطيعين للفقير بلهى للمتولين المخلطين (٩) »

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أندرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذبذبا لخلق الله خلقا يذبون ليفتر لهم ، وفي لفظ لذهب بك الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذبذبا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البرار وابن جابر في الشفاء واليه في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب (٤) حديث والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٥) حديث ليفترن الله تعالى يوم القيامة منفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله تقدم أيضا (٩) حديث إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة وإن خبات دعوى شفاعتي لأمتي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، وللترمذي من حديثه وصحه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، وابن ماجه من حديث أبي موسى ، وأحمد من حديث ابن عمر خيرات بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاختارت الشفاعة لأنها أعم وأكفى آتوهم للمتين الحديث وفيه من لم يسم .

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فليد قرائته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يميرونه بضيق المشقة فيبتكف فلا يطيق حتى يوردوه موارد الملكة . وقد رغب جمع من السلف في الصعبة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا قال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبديكم بنصره وبالمؤمنين وألف

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالحنية السمعة السهلة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم على كل عبد مصطنع «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة» (٢) وبدل على مناه استجابة الله تعالى للؤمنين في قولهم - ولا تعمل علينا إيضرا - وقال تعالى - ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال «لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عن ظلمك فلا تنابه فقال يا جبريل فافقه تعالى أكرم من أن يحاتب من عفا عنه فبكي جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبش الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال إن ربكما يقرنكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ملايشه كرمي» (٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فإنه أكرم من أن ينش عوفيته على عبده في الآخرة . وقال الثوري ما أحب أن يجعل حساني إلى أبوي لأن أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : لا تؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أيسار اللاتسكة كيلا تراه فتشبه عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بمخاطبه إن العبد إذا كان سرفا على نفسه فرفع يديه بدعو ويقول : يارب حجت اللاتسكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلالي الطواف ليله وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في اللززم عند الباب قلت : يربى اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فنفث بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي للؤمنين يطلبون مني ذلك فاذا عصمتهم فعلت من أنفضل ولن أغفر ، وكان الحسن يقول : لو لم يذنب للؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قومه بالذنوب . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت للسجين بالمحسنين . ولقي مالك بن دينار أبا ناقال له إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كسارك هذا من القرح . وفي حديث ربي بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أخى سجي بثوبه . ألقبناه على نمشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعده ، وقال : إني لقيت ربي عز وجل لحياي بريح وريحان وربى غير غضبان وإني رأيت الأمير يسرهما فظنونا نلتفتروا وإن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصة وقتنا في ملئت فحملناه ودفناه . وفي الحديث

(١) حديث بشت بالحنية السمعة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة ممنهضيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنية السمعة وفيه محمد بن إسحق رواه بالنعنة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال إذا عفوت عن ظلمك فلا تنابه الحديث ابن مردويه في تفسيره موقوفا على من مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناده نظر .

بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقد اختار الصعبة والأخوة في الله تعالى سعيد ابن السبب وعبد الله ابن المبارك وغيرهما . وقائلة الصعبة أنها تفتح مسام الباطن ويكتب الإنسان بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم . آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتسكن الصدق بطروق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالإيمان وينفع بطريق

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يهظه ويرجيه فكان يقول دعني وربي أبست على رقبيا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فضنب فقال لا يضر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة : أبيت طيع أخدمت محطرتي على عبادي أذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفس بيده لقد تكلم بكلمة أهلكك دنياه وآخرته (١)» وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرمى عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الخواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهم ثالثاً قال فزّل فجعل يريد أن يدنو من الحوارى ويردري نفسه تعظيماً للحوارى ويقول في نفسه مثلى لا يمشى إلى جنب هذا العابد قال وأحس الحوارى به فقال في نفسه هذا يمشى إلى جانبي فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليتأنفا العمل فقد أحبطت ما حلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لجنبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه . وروى عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ عتقه بعض العصاة حتى أثرق الحصى بمجته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا فقال اذهب قلن يفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تعالى في عبادى عبادى إني قد غفرت له . ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتى على الشركيين ويلعنهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام (٢)» وروى في الأثر أن رجلين كانا من العابدین متساوين في العبادة قال فإذا أدخلنا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر منى عبادة فرضت على في عليين فيقول الله سبحانه إنه كان بسأئى في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسأئى النجاة من النار فأعطيت كل عبدسؤله وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكمن فرق في الملوك بين من يخدم انقاء لمقابله وبين من يخدم ارتجاء لانعاموا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال عليه السلام «سلوا الله الدرجات العلى فإمتانسون كريما (٣)» وقال «إذ سلمتم الله فأعظموا الرغبة وأسألوا الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يتعاطى منى (٤)» وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على

(١) حديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٢) حديث ابن عباس كان يفتى على الشركيين ويلعنهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - فترك الدعاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بنده ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فنزل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فاتهم ظالمون - ورواه الترمذى وسماه «بأسفان والحارث بن هشام وصفيان بن أمية وزاد قتاد عليهم فأسلوا الحسن إسلامهم وقال حسن غريب وفي رواية لأربعة نفر ولم يسلمهم وقال فهداهم الله للإسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سلوا الله الدرجات العلى فإمتانسون كريما لم أجده بهذا اللفظ وللترمذى من حديث ابن مسعود سلوا الله عن فضله فإن الله يحب أن يسأل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالخالف (٤) حديث إذا سلمتم الله فأعظموا الرغبة وأسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاطى منى مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فلا يلق الله

الصحة والأخوة
التعاقد والتعاون
وتتقوى جنود القلب
وتستروح الأرواح
بالشام وتتفق في
التوجه إلى الرقيق
الأعلى ويصبر مثابها
في الشاهد كالأسوات
إذا اجتمعت خرقت
الأجرام وإذا غفرت
فصرت عن بلوغ
المرام . ورد في الخبر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم «للؤمن
كثير بأخيه» وقال
الله تعالى عزرا عن
لا صدق له فقالنا من
شافين ولا صدق
حميم والحميم في الأصل
الحميم لأنه أبدلت
الماء بالماء اقرب
مخرجهما إذ هما من

مالك بن أنس في العشي التي قبض فيها قتلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستباينون من غفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغفينا. وقال يحيى بن معاذ في مناجاته بكاء رجائي لك مع الذنوب يفلج رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتد في الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتد على غفوك وكيف لا تخفها وأنت بالجوذ موصوف.

وقيل إن جوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أفنتك في الجبوس فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم لم تطعمه إلا بخير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه في كفرة فلو أفنته ليلة ماذا كان عليك في إبراهيم يسمي خلف الجبوس فرده وأضافه فقال له الجبوس ما السبب في بذلك قد ذكر له فقال له الجبوس أهكذا يسمي ثم قال اعرض على الاسلام فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهل الصلوكي أبا سهل الزجاجة في المنام وكان يقول بوعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا . ورأى بعضهم أبا سهل الصلوكي في المنام على هيئة حنة لا توصف فقال له يا أستاذ من نلت هذا فقال بحسن ظني برئي . وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه أن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاءوا ثم قال ماذا علمتم فما علمتم دل قتلنا يارب تصرفنا وأما أنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تخفف مادونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بذلك ثلاث ليال . وقيل كان رجل شرب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يخرى شيئا من التواكه للجلس في التلام يباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع إلى أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التلام إليه الترام فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك قال لي سيد أريد أن أخلص منه فدعا منصور وقال الأخرى قال أن يغلف الله على دراهمي فدعا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله لي وليسيدي ولك ولقوم فدعا منصور فرجع التلام فقال له سيده لم أبطأت قصص عليه القصة قال وبم دعا قال سألت نفسي المتى فقال له اهذهب فأنت حر قال وأبش الثاني قال أن يغلف الله على الترام قال لك أربعة آلاف درهم وأبش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال وأبش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك ولقوم قال هذا الواحد ليس إلى فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فصلت ما كان إليك أقرى آتى لأفضل ما إلى قد غفرت لك وللعالم ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين . وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وعلينا عليها ودفنا ليتها فقلت للمرأة من كان هذا ليتها منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صفروا أمره قلت وأبش كان هذا قالت غننا قال فرحمها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال رأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فيصلي يتشكرني فقلت من أنت فقال المحدث الذي دفنتموني اليوم رحمى ربي باحتقار الناس إلي . وقال إبراهيم الأطروش كنا قعودا بعد ما دعاه معروف السرخسي على دجلة إذ مر أحدنا في زورق يضر يون بالدف ويضر يون ويابسون فقالوا لم يعرف أمارام يحسن الله مجاهر بن ادع الله عليهم فرفع يديه وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال اغفر لي إن شئت ولكن ليضم وليعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاطيه شيء أعطاه والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبد بن الصامت

حروف الحلق والمهم
مأخوذ من الاهتمام
أى بهم بأمر أخيه
فالاتهام بهم الصديق
حقيقة الصداقة . وقال
عمر إذا رأى أحدا
ودا من أخيه
فليتمسك به قلسا
يسبب ذلك وقد قال
القائل :

وإذا صافاك من زمانك
واحد

فهو المراد وأبش ذلك
الواحد

وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام

قال يا داود مالي أراك
منتبذا وحسبك قال

إلهي قليت الخلق من
أجلك فأوحى الله إليه

يا داود كن يقظا
مرتادا لنفسك اخوانا

للقوم إنما سألك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض الساف يقول في دعائه يارب وأى أهل دهر لم يصورك ثم كانت نعمتك عليهم سابعة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلكم وعزتك إنك لتمنى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لا تنضب فهدى هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين ، فأما الحق للفرورون فلا ينبغي أن يسمعو شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالسيد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسلط والعصا وإظهار الحشونة في الكلام . وأما ضد ذلك فيفسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(الشرط الثاني من الكتاب في الخوف)

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واختراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجلال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمتنع النفس عن الخروج إلى رعوناتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لجاه ولا خوف وباطلة فلحق إداسل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف القراق كان ذلك نقصا في الشهود وإنجادوام اليهود غاية المقامات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول : حال الخوف ينظم بضمان علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب القضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب القضي إلى قتله وهو تخاصش جنابته وكون الملك في نفسه حقوقا غضوبا منتقما وكونه محفوقا بمن يمنه على الانتقام خاليا بمن يتشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنه نحو أثر جنابته عند الملك فالعلم بظواهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتن سبب جنابته قارفا الخائف بل عن ضعف الخوف كالذي وقع في محالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسلطونه على الاقتراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية المخوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الساء يخاف لأنه يطعمه بجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث للثر لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنتلواهلك المالمين لميلاء ولم يتمه مانع وتارة يكون لكثرة الجنابة من البعد بمقارفة الماضي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بديوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغفائه وأنه لا يسل عما يضل وهم يشلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا أخوفكم لله »^(١) وكذلك قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كلمت لمعرفة

وكل خدن لا يوافق

على مسرى فلا تصحبه

فانه عدو يقسى قلبك

وياعدك منى . وقد

ورد في الخبر « إن

أحبكم إلى الله الذين

يألفون ويؤلفون

فالمؤمن ألف مألوف »

وفي هذا دقيقة وهي

أنه ليس من اختار

العزلة والوحدة لله

ينهب عنه هذا

الوصف فلا يكون ألفة

مألوفاً فإن هذه الإشارة

من رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى

الخلق الجليل ، وهذا

الخلق يكمل في كل

من كان أتم معرفة

وبقينا وأوزن عقلا

وأتم أهلية واستعدادا

وكان أوفر الناس خطا

(١) حديث أنا أخوفكم البخارى من حديث أنس والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولشيخين

أوردت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والصفار والفضة والزغقة والبيضاء وقد تنشق به البرادة فيفيض إلى اللوث أو جمعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى ويورث القنوط والإأس . وأما في الجوارح فيكفها عن اللامى وتقيدها بالطاعات تلافيا لمخاطر واستعدادا للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يبكى وبمسح عينه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى النون متى يكون العبد خائفا قال إذا زل نفسه منزلة السقيم الذى يحمى مخافة طول السقام . وأما في الصفات فإن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير للعاصي المحبوبة عنده بكرهه كما يصير السمل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه ما يفتقرق الشهوات بالخوف وتآذب الجوارح ويحصل في القلب القبول والخشوع والدلالة والاستكانة وبغارقة الكبر والحدق والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطراته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا للراقية والمخافة والمجاهدة والفسنة بالأنفاس واللحظات ومواجهة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فغفلت أو يهجم عليه فهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بمهاو خائف منه لا تمتنع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصالحين والتائبين وقوة الرأفة والمخافة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تألم القلب واحترافه وقوة الخوف بحسب قوة للرقة بحلال الله وصفاته وأفضاله ويوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف بما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعافان زادت قوته كف عما ينطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يرهى إلى ما لا يرهى وقد يجعله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق فى التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تغارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أغفاه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل فى الصدق التقوى ويدخل فى التقوى الورع ويدخل فى الورع العفة فأنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراء اسم الصديق والقرىب وتجري الرتبة الآخرة بما قبلها جري الأخص من الأعم فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل كما أنك تقول الانسان إما عربى وإما عجمى والعربى إما قرشى أو غيره والقرشى إما هاشمى أو غيره والهاشمى إما علوى أو غيره والعلوى إما حسنى أو حسبنى فإذا ذكرت أنه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوى وصفته بمهاو فوقه بمهاو أعم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن نظن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للمانى من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للمانى فهذه إشارة إلى مجامع معانى الخوف وما يكتشفه من جانب العلو كالمرقة للوجبة ومن جانب السفلى كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداما .

من هذا الوصف
الأنبياء ثم الأولياء
وأنتم الجميع فى هذا
نبينا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنبياء أتم ألفه كان
أكثر تبعا ونبينا
صلى الله عليه وسلم
كان أكثرهم ألفه
وأكثرهم تبعا وقال
«تأكلوا نكثوا»
فانى مكاثركم الأمم
يوم القيامة وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال - ولو كنت فظا
غليظ القلب لاقتضوا
من حولك - وإنما
طلب الغلة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

من حديث عائشة والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى الواظبة على العلم والعمل لئلا يولها رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبيعة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن البالغة في الضرب محمودة وكذلك الخوف له تصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والسوط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء مخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالضرب الضعيف الذي تضرب بهدا بقوية لا يؤلها المأمير حافلا يسوقها إلى التقصد ولا يصلح لرياستها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعني العلماء للتزمين برسوم العلماء والتسمين بأسمائهم قائم أبعد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وبأيامه وأضالته وذلك بمخافة عز وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحر كخاطر لا يستحق أن يسمى خوفا . وأما الفرط فأنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا إلى الرض والضعف وإلى الوله والذهشة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الخوف على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأ الجهل والعجز . أما الجبل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لأن الخوف هو الذي يردديه . وأما العجز فهو أنه متعرض للخذول ولا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى نقص آدمي وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس يقال في ذاته وإنما يصير محمودا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الداء محمودا لأنه هو من ألم المرض والوئام فخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والذهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى اللوث وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسرط الذي يهلك الدابة أو يبرصها أو يكرس عضوا من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها في المعالج به صدمة الخوف الفرط للفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراد لأمر فاعلم منه ما يغضى إلى المراد المنصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب للوصول إلى الله تعالى وكل ذلك يستمدى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم . فان قلت من خاف فثابت من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما . فاعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تقدير حياته وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة من يقتل أو يموت بقرسه سبع أعلى من رتبة مني أوولى يموت حنفاً أنه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو القتل أو الصحة التي تعطى العمر تعطى لها فهو حسران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة

أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا النبي حب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلو في أول أمره وكان يخلو في غار حراء ويتحنن إلى اليا لي ذوات السدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه أكفأ مأثورا وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة من هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما سألنا في أول الباب إن في الإنسان ميلا إلى الجنس بالوصف

إلى أمور آخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة إلى مادونها لا بالاضافة إلى درجة التيقن والصدق فيأذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الماء بقوإن أثره درجات بحسب ظهور أثره فان لم يعمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فإذا أتم الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يشر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما يعمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مريض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدن الللازمين للوجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي نافع العقل .

(بيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ما يخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والمكروه إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يقضي إلى المكروه كما تتركه المصاعب لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يتركه المريض الفواكه الضرر لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين ويعوق انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استنساخه ذلك المكروه ومقام الخائفين يخلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المهدورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء، يخافون حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالسواد أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف إسيلا العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكلفه الله تعالى إلى حسناته التي استكمل عليها وتمتد بها في عباد الله أو خوف البطر بكرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتوابع النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في التوبة والحياة والنفس وإضمار سوء أو خوف مالا يدرى أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاع قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند الموت بمخافة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها مخاوف العارفين ولكن واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يقضي إلى الخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فوافظ على القطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان الأمر فيه محطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف الساقطة لأن الخاتمة تتبع الساقطة وفرع يتفرع عنها بعد تغلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء في أم السكائب والخائف من الخاتمة بالاضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفية وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزل الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبص كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يراد منهم ولا ينقص ثم قبص كفه اليسرى

الأعم فلما علم الخدائق ذلك ألهمهم الله تعالى بحجة الحلوة والروقة لتصفية النفس عن اللبس بالوصف الأعم لترتقي المهم العالية عن ميل الطباع إلى تألف الأرواح فإذا وفوا التصفية حقا اشترأت الأرواح إلى جنسها بالتألف الأصلي الأولى وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفات الجبلة من الألفة السكينة آلفة مأثورة فصارت العزلة من أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لإزاد فيهم ولا ينقص وليعلم أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل م م م ثم يستقدم الله قبل الموت ولو بغواق ناقة وليعلم أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل م م م ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بغواق ناقة السيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والأعمال بالحواليم (١) وهذا كإقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجناته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي المحبة لاجتماع هذه أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة المرور والأمين إن وانقلب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الزوحدن والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا أنه عوف في نفسه لماسخره للمعصية ويرسله سيل ما وهدله أسبابها فان تيسر أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية ويجرى عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يستر له الطاعات ومهد له سبل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع فإلى يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أباه جهل في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفته جلالة فان من أطاع الله أطاع بأن سطر عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لأنه ساطع عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شمرى ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دعوى المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز إفتاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن التسرع لم يستجري على ذكره ذوبصرة فقد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يادود خفى كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يتقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجنايته سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يهمل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنه أحسن من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثمة عنه على وتيرة واحدة إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته والله المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوفق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله « هو لا إلى الجنه ولا إلى الباطنة وهو لا إلى النار ولا إلى الباطنة » وبكيفية من موجبات المحبة والخوف المعرفة بالاستثناء وعدم البالاء.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آباءهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود يادود خفى كما تخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل للصفحة قصد بإزادة أنه من الأسر إيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما عبر بذلك عن الأسر إيليات التي هي غير مرفوعة .

بألف فيؤلف ومن أدل الدليل على أن الذي اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وذم الزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصحة وحقيقة الزلة فصار الزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحة مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس يحكم من لم يماثر بالمعروف من لا يجد من مآثرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحرث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنس فالأنيس يهشه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن تشمل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول المظلم أو هيبه الوقوف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف السر والسؤال عن القبر والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلاها وأهولها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لراحة محوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها ولعلها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين ومقابل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلفة الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما أنكر لمة النظر إلى وجهه الكريم لولامع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والإفراط لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فألمة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشروحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فسيده أن فضيلة التي قدر غناها في القضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة لعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وقضيلته بقدر غايته وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبة والأنس به في الدنيا ولا يحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تيسر للواظبة على الذكر والفكر إلا باقطاء حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك للشهوات إلا بقمع الشهوات ولا تنقم الشهوة بشئ كما تنقم نار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضيلته بقدر ما عرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل الفقه والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المأمورة التي تقرب إلى الله زلفى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فشاورد في فضيلة الخوف خارج عن المحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجاميع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدي ورحمة للذين هم لربهم رهيبون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وصنهم بالمثل لحشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه - وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فإن لهم الرقيق الأمل لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرقيق الأمل وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومرافقة الرقيق الأمل للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

للصادقين رقا من الله تعالى وثوابا للبعد معجلا والأنيس قد يكون مفيدا كالمشاخ وقد يكون مستفيدا كالمرئيين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير أنيس فإن كان قصرا يؤنس الله بمن يشم حاله به وإن كان غير قصر يقبض الله تعالى له من يؤنس من الرئيين وهذا الأنس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفي الله . وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «التحاربون في الله على عمود من ياقوته حمراء في رأس العمود سبعون

تعالى كان يقول أسألك الرقيق الأتقى (١) فاذن إن نظر إلى مشرعه فهو العلم وإن نظر إلى نحرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى إن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما سار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للتقوى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولدمائها ولكن يناله التقوى منكم - وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضنف ويكون متنفخ خوفا بحسب ضنف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذام بصوت يسع أقصام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إتمامي أعمالكم ترد عليكم يا أيها الناس إني قد جعلت نسيابا وجملة نسيابا فوضعت نسي ورفعت نسيكم قلت - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسيكم وأرفع نسي ابن التقوى فيرفع القوم لواء فينبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام ورأس الحكمة مخافة الله (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدى (٤) » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير - وقال الشبلي رحمه الله : ما خنت الله يوما إلا رايت له بابا من الحكمة والعبرة مارأيت قط - وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويبلغها حستان خوف العقاب ورجاء العفو كشمع بين أسدين وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفقتت عما في يده إلا الورعين فإني أستحي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أمام اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلعت عن الخوف لم تسم بهله الأسامي وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جمعه الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال - سيذكر من غنى - وقال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جتنا - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزني

ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيئ حسنهم لأهل الجنة كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى التحابين في الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء التحابون في الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولاني لهذا إني أحبك في الله فقال له أبشركم أبشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول

- (١) حديث لماخبر في مرض موته كان يقول أسألك الرقيق الأتقى متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يغير فلما نزل به ورأسه في حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشعث يصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرقيق الأتقى فعلت أنه لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث
- (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسعهم أقصام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت إليكم منذ خلقكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إتمامي أعمالكم ترد عليكم يا أيها الناس إني جعلت نسيابا الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والثعلبي في التفسير مقتصر على آخره إني جعلت نسيابا الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة مخافة الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصلح أيضا
- (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدى قاله لابن مسعود لم أقف له على أصل.

لأجمع على عبيد خوفين ولا أجمع له أمين فان أمين في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء » (٢) وقال ﷺ « أنتم عقال أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيها أمراً الله تعالى به ونهى عنه نظراً » (٣) وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله به وصيه له . وقال ذو النون أيضاً ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضمير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدتم خوفاً اليوم . وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف تصنع بحال أقواما يخوفوننا حتى تكسك قلوبنا تطير فقال والله إنك إن تخالط أقواما يخوفوك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله فإما في الخوف قلباً إلا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة - هو الرجل يسرق ويرزق قال لا ، بل الرجل يصوم ويصدق ويخاف أن لا يقبل منه » (٤) والفتشيدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك دلت مذمة الأمن على فضيلة الخوف للضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنها متلازمان فان كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو إذا لم يجد فلا يكون بانتظاره راجياً فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال فلفتته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ للعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا ن المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه للاحالة فتقدر وجوده بروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجب القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان للاحالة إذا كان ذلك الأمر ينتظر مشكوكاً فيه نعم أحد طرق انشكاح ترجيح على الآخر محذور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفاً وطمعاً - ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى - ما لكم لا ترجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

العرش يوم القيامة
وحوهم كاتمة ليلة
الصدر يفرغ الناس
ولا يفرعون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم
أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
قبيل من هؤلاء
يا رسول الله ؟ قال
التحابون في الله عز
وجل . وروى عبادة
ابن الصامت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « يقول الله عز وجل
حق محبتي للمتحابين
في والزاورين في
والتباذلين في
والتصادقين في »
أخبرنا الشيخ
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي إجازة قال
أنا أحمد بن الحسين

- (١) حديث لأجمع على عبيد خوفين ولا أجمع له أمين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الحائقين من رواية الحسن بن مسرور
- (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الحائقين بإسناد ضعيف معضل وقد تقدم
- (٣) حديث أنتم عقال أشدكم خوفاً لله الحديث لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء
- (٤) حديث عائشة قالت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة - هو الرجل يسرق ويرزق قال لا ، الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد . قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

يوم القيامة فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول فطرة منها بحاراً من البيران ولو أن رجلاً بكى في مرة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كمب الأبحار رضى الله عنه والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعه على وجنتي أحب إلى من أن أنصدق ببجل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن آدمع دعة من خشية الله أحب إلى من أن أنصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فذنت من المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا ففسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد ناقضت حيث تحولت عنى ما كنت فيه من الخوف والرة فخرجت وجمعت أناذى ناقضت حنظلة فاستقباني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلام لا يتناقض حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول ناقض حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام لا يتناقض حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لاصحركم الملائكة في الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) » فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما اتفاق السبب أو تعلق السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما نظر الناظر إلى ما فيهما من شدة في أن الأفضل أهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد بضاهي قول القائل الخوف أفضل ثم الماء جوابه أن يقال الخوف أفضل للجامع والماء أفضل للعطشان فإن اجتماعه نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخوف أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود فضله يظهر بالاضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا آن يداوى بهما القلوب فضلهما بحسب الداء الوجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والأغترابه فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد العصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقاً الخوف أفضل إلى التأويل الذي يقال فيه الخوف أفضل من السكجيين إذ سأل الخوف مرض الجوع والسكجيين مرض الصفراف ومرض الجوع أغلب وأكثر الحاجة إلى الخوف أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن العاصي والأغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلق الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقيم من بحر الرحمة ومستقيم الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت الهبة عليه أغلب وليس وراء الهبة مقام . وأما الخوف فاستند إلى الصفات التي تقتضى العنف فلا يمتاز به الهبة مما جرت له للرجاء . وعلى الجملة فإيراد التبره يبنى أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لالفظ الأفضل فتقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي . فاما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه ناقض حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصراً .

أما مسلم يقول سمعت
أبا هريرة يقول أخبر
ونى الخبر تحذير عن
البغضة وهو أن يحقو
الحنى الناس مقاتلهم
وسوء ظن بهم وهذا
خطأ وإنما يريد أن
يخلو مقتداً لنفسه
وعدا بما في نفسه من
الآفات وحذرا على
نفسه من نفسه وعلى
الحق أن يعود عليهم
من شره فمن كانت
خلوته بهذا الوصف
لا يدخل تحت هذا
الوعيد والاعارة
بالحالة يعنى أن البغضة
حائلة للدين لأنه نظر
إلى المؤمنين والسلمين
بين القوم . وأخبرنا
الشيخ أبو الفتح
بإسناده إلى إبراهيم

فيلو وزن خوف المؤمنين ورجاؤه واعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يابن خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت به حسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيت به سيئات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلاً على

اغتراره . فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوت آسبابه كما مثل الزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تربة وواظ على تهذيبه وجاء به ثمر وسط الزراعة جميعاً غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال للتقين . فاعلم أن من يأخذ للعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زله وذلك وإن أوردنا مثلاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وثباتها وحة البذر وحة الهواء وقلة الصواعق البهكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثل سألنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يجدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أكثر الصواعق فيها أم لأقل هذا الزارع وإن أدى كنهه مجوده وجاء بكل مقدوره فلا ضل في رجاءه على خوفه والبذر في مسألتها والإيمان وشروطه مدققة والأرض القلب وخفاياها وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والفتات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يفر بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطاق عاقبته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال السكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لأعماله كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في نفثي قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً إذ كان قد خسه رسول الله ﷺ يعلم للمناقين (١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد ققاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبس حاله عليه وإخفاء عيه عنه وإن وثق به فمن أين يثق بيقائنه على ذلك إلى تمام حسن الحاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا عبر (٢)» وفي رواية «لا قدر فوق

الحرى قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن الله تعالى ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وإن من دعائه اللهم فكأ ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا تلتج بطنى النار ولا النار تذيب الثلج ألفت بين قلوب عبادك الصالحين وحكيك لاتألف قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز بقاء قوسين في وقت لا يسه فيه شيء لطف حال الصالحين وجدتم في ذلك المقام العزيز

(١) حديث إن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم للمناقين مسلم من حديث حذيفة في أمهات اثنا عشر مناقباً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الحياض الحديث (٢) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا عبر وفي رواية لا قدر فوق أهل الجنة ثم يتم له بعمل أهل النار ولقد أروا الطبراني في الأوسط سبعين سنة وإن سنده حسن ولشيعين في أثناء حديث لابن مسعود إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث

ناقة فيسقى عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار، وقد فوّاق النافة لا يحتمل عملاً بالجوارح إنما هو بمقدار خاطر يتخلج في القلب عند اللوث فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقصى غايات المؤمن أن يتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مسقّدة للاعترار وقلّة امر فقول ذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى - يدعون ربهم خوفاً وطمعاً - وقال عز وجل - ويدعوننا رغياً ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه الخلق للوجود في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من النفرة فيكون ذلك سبباً لتكاسل عن العمل وداعياً إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط وليس بخوف إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار القرور فهو الخوف الممود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والخشوع ودون اليأس للوجب لقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى ببعض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بعض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الذاكرة - وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمهبة فهو تديني ومن عبده بالخوف والرجاء والمهبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الاشراف على اللوث أما عند اللوث فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف جار مجري السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على اللوث لا يقدر على العمل ثم لا يطبق أسباب الخوف فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويبعث على تنجيل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه ويوجب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا بحب الله تعالى ليكون محباً لله الله تعالى فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فنراحي كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فإن الصبر إليه والقدوم بالوئد عليه ومن قدم على محبوه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوه اشتدت محبته وعذابه فهما كان القلب التائب عليه عند اللوث حب الأهل والولد والوالد والمساكين والعقار والرفقاء والأصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فهو تخرج من الجنة وحلوله بينه وبين ما يشتهي ولا يخفى حال من محال بينه وبين ما يشتهي فاذ لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذن سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة السائمة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فو ته قدوم على محبوه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن ودخل بينه وبين محبوه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلاً عما أعدّه الله لعباده الصالحين مما لم يره عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلاً عما أعدّه الله تعالى للذين استجابوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها وأطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الحزى والأنكال ففسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ماسوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد»^(١) والقرص

ليس فيه تحذير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فوّاق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وهدم في الأذكار والدعوات .

وقال السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين
فهم مجتمعون وإن
كانوا متفرقين
وصحبهم لازمة
وعزيمهم في التواصل
في الدنيا والآخرة
جازمة . وعن عمر بن
الحطاب رضي الله عنه
لو أن رجلاً صام النهار
وقام الليل وتصدق
وجاهد ولم يحب في
الله ولم يفيض فيه
ما تقعه ذلك . أخبرنا
رضي الدين أحمد بن
إسماعيل بن يوسف
إجازة إن لم يكن سماعا
قال أنا أبو المظفر عن
والده أبي القاسم
القشيري قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت عبد الله

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجاب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وألحق لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال **عليه السلام** « لا يموتن أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه » وقال تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ولما حضرت سلمان التبيي الوفاة قال لابن أبي حذاف بالرخى واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن بذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجوه وقال أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن حبيبي إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكر لهم آلائي وتعالى فاذن غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن النافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين بأهل بيان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أقلت قلما أصبح سأل عن حاله فقيل إنه مات البارحة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرعناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد خفت بالمسكرة فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد خفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أغشق من النار رجع عن المرحات ثم يؤدي مقام الصبر المستغنى عن الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه في الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأُنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة إلى الأُنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد تظاهروا باطناً ولا مقام بعدهما هفول تنجح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأُنس ومن ضرورة المحبة الرضا بتمل المحبوب والثقة ببنائه وهو التوكل فاذن فبما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكننا ندر الخوف بكلام جلي فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما طي من الآخر، ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت قد دخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية يأخذها ويلبس بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترعد رفاً وهو محتال في الحرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة طليعة وصمها وخاضتها بسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته. وأما خوف الابن فأبما أنه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب خوف في نفسه فيعلم أن السبع غوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي المحبة والخوف والحذر المطمئنين على سر قوله تعالى - ويحذركم الله نفسه - وقوله عز وجل - اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونها مجازاً من على الطاعة والمحبة وضغفه بسبب التفقه وسبب ضعف الإيمان وإيماناً زول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال

ابن المسلم يقول سمعت أبا بكر التلحاني يقول احمبوا مع الله فان لم تطيقوا فاحبوا مع من صحب مع الله لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صفة الله. وأخبرنا شيخنا شياہ الدين أبو النجيب إجازة قال أنا عمر ابن أحمد الصغار التيسابوري إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت على بن سهل يقول : الأُنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل

(١) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتروى أيضاً بالنظر إلى الحافظين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان قامت المشاهدة فالسباع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأكل فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف التارعة خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر على وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد أيضاً خوفاً من الحية تقليداً لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلاجرم يضعف ويزل على قرب حق إن الصبي ريماري المزمع يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويترقبه فيتجرأ على أخذها تقليداً له كما احتزم من أخذها تقليداً لأبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها للؤكد لها على الدوام وبالوفاة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من اوثق إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى شقه واقفاً في محال به لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة أم أي وتلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة جلب في الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في محال به فلا يحتاج إلى حيلة سواء فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي وبحكم ما يريد ولا يخاف قرب اللاتكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة ساقطة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هو لا ، في الجنون لا بأل وهو لا في النار ولا بأل وإن خطر يبالك أنه لا يهاب إلا على عصية ولا يثيب إلا على طاعة فأمل أنه لم يعد الطبع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أي ولم يعد المعاصي بدواعي المعصية حتى يصي شاء أم أي فانه معها خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقفاً بالضرورة فان كان أبده لأنه عصاه فلم يحمله على المعصية هل ذلك لمصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لاحالة على أول لاعتلة من جهة البعد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال «احتج آدم موسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفع فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجابكم وحدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال آتوني على أن عملت عملاً كتبته الله على قلبك أن أعمله وقبل أن يغتفر بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم حجج آدم موسى ^(١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص المارفين للطائفة على سر القدر من مع هذا فاقم به وصدق بمجرد السباع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخلاه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمى اتفاقاً وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً والواقع في محال السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقترس وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلوست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بألفاظ أخر .

ولايه الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد نبه القائل نظماً على حقيقة جامعة للمعان الصحة والحلوة وفائدتهما وما يحذر فهما بقوله : وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قومو للراء وحده
[الباب الرابع]
والجسوسون في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله تعالى
قال الله تعالى
- وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى
- وتواصوا بالحق - وتواصوا بالرحمة - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف الظاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن الهلك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأزل إلى ما خلق له خلق الجنة وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف المارفين بسر القدر فمن تعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيب له أن يبلغ نفسه ببيع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين المارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين للفرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم المراقبة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفاً (٢) حتى روى أنه كان يصلى على طفل ، قضى رواية أنه سمع في دعائه يقول « اللهم مه عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه سمع قائلا يقول هنثيا لك عصفور من عصافير الجنة ففضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع في إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قلت أم سلمة هنثيا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكرى أحدا بعد عثمان (٥) وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا أذكرى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى الذي ولدنى قال ثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنثيا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يفهم ويمنع ما لا يفهم (٦) » وفي حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنثيا

رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشدها على الكمد رحما بينهم - وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصعبة فمن اختار صعبة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة في الصعبة فانه يفتح على نفسه بذلك إماما يامن أبواب الجنة وإماما يامن أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خير فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقيل

- (١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبى هريرة أناسيد ولد آدم ولاغرا الحديث
- (٢) حديث كان أشد الناس خوفا تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا قوله والله إنى لأخشاكمه وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلى على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم مه عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبى أيوب أن صبيًا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي (٤) حديث إنه مع قافلة تقول لطفل مات هنثيا لك عصفور من عصافير الجنة فضضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فضضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة هنثيا لك الجنة الحديث البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهداى عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنثيا له عصفور من عصافير الجنة الحديث أبويلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن أمه قالت هنثيا لك يا بنى الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال قالت أمه هنثيا لك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أنه قال إن رجلا قال له أضر بالجة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه التالية على الله تعالى فقال الرضي هي أمي يارسل الله
تعالى وما يدرك لعل فلانا كان يتكلم بما لا ينبغي ويخجل بما لا ينبغي ^(١) وكيف لا يخاف المؤمنون
كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيتني هود وأخوانها » ^(٢) سورة الواقعة وإذا الشمس
كورت وعم يتساءلون فقال الغناء لعل ذلك لما في سورة هود من الإيهاد بكوله تعالى - الألبدا
لعاد قوم هود - ألا بعدا لنود - ألا بعدا لمدين كما بددت نمود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء
الله ما أشركوا إذ لو شاء لأتى كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة - خاصة
رافضة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى زالت الواقعة إما خافضة قوما كانوا مرفوعين
في الدنيا وإما رافضة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا ، وفي سورة التكاثر أروا اليوم القيامة وانكشف
الحاجة وهو قوله تعالى - وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلت علت نفس ما أحضرت - وفي عم
يتساءلون - يوم ينظر المرء ما قدمت بداه - الآية ، وقوله تعالى - لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى - وإن
للفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النفرة على أربعة شروط يسجز
البعد عن أحادها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فمضى أن يكون من
الفلحين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لك أيه الثقلان -
وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن
أخذنه ألم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - الآية وقوله تعالى - وإن منكم
إلا واردها - الآية وقوله - اعملوا ما تشم - الآية وقوله - من كان يريد حرث الآخرة زدده في حرثه -
الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآية وقوله تعالى - وقد منالنا ما عملوا من عمل -
الآية وكذلك قوله تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فمذهبه أربعة عشر وطع خلاص
من المحرران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى - ولا
يأمن مكر الله إلا القوم الحاسرون - حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من
الله تعالى فأوحى الله إليهما لم يتكيا وقد امتسكا فقالا ومن يأمن مكر الله ^(٣) وكانهما إذ علما أن الله هو
علام النبوء وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد امتسكا ابتلاء وامتحان لهما
ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمتان المسكر وما قبا قولهما كان إبراهيم عليه السلام لما وضع
في النجيق قال حسي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى
قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاة بحقيقة قوله حسي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال
- وإبراهيم الذي وفي - أي بموجب قوله حسي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى عليه السلام حيث قال - إننا
نخاف أن يخرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما أتى السجدة
سحرم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن
وقيل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضعف شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

إن أحد الأخوين في الله
تعالى يقال له ادخل
الجنة فيسأل عن
منزل أخيه فإن كان
دونه لم يدخل الجنة
حتى يعطى أخوه مثل
منزله . فإن قيل له لم
يكن يصل مثل عملك
فيقول إن كنت أعمل
لي وله فيعطى جميع
ما يسأل لأخيه ويرفع
ويرفع أخوه إلى
درجته وإن ضح الله
تعالى عليهما بالصعبة
شرا فهو باب من
أبواب النار . قال الله
تعالى - ويوم بعض
الظالم على يديه يقول
يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا يا ليتني
ليتي لم أخذ فلانا خيلا -
وإن مكات الآية

(١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا له الجنة الحديث تهم أيضا
(٢) حديث شيتني هود وأخوانها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس
وهو في التباين من حديث أبي جيفة وقد تهم في كتاب السباع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله
عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم يتكيا الحديث ابن شامير في شرح
السنن من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » (١) قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه مع نك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعرف بعض ما يصدر عنها بالسكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وتصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لاعتقاده لذلك السبح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك - وقال - إن تذهب قانهم عبادك وإن تغفر لهم - الآية . ففوض الأمر إلى الشئبة وأخرج نفسه بالكعبة من بين يديه لأنه لم يكن له من الأمر شئ وأن الأمور مرتبطة بالشئبة ارتباطا يخرج عن حد العقول والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسان فضلا عن التحقيق والاستيفان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بعشيتة من لا يبالى بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويعرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يغسله العقاب عليهم أبد الآبائ ثم يغير عنه ويقول - ولو شئنا لأنينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - ونعت كلة ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول فى الأزل ولا يطمع فى تداركه ولو كان الأمر أشأ لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستغناء عنى السابقة من جلى الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وحكت علاقته من الدنيا فكأنه كسف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الحيرات كلها يسره والقلب بالكسبية عن الدنيا منفطما وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الحاجة وعسر الثبات يزيدان الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصعبين من أصابع الرحمن وإن القلب أشد تقليباً من القدر فى غلبتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذاب ربهم غير مأمون - فأجهل الناس من آمنوهو ينادى بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف لعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجا لا تحرق قلوبهم من نار الخوف . فأصاب الرجا رحمة لحواس الله وأسباب الثقة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتفتطت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد حسين منة أسطوانة فأت لم أقطع له بالتوحيد لأنى لأدرى ماظهر له من التقلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار ولوأت على الاسلام عند باب الحجر لاخترت الموت على الاسلام لأنى لا أدرى ما يمرض قلبي بين باب الحجر وباب الدار . وكان أبو الدرداء يخلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحاجة عند كل خطرة وعند كل

وردت فى قصة مشهورة ولكن الله تعالى نيه بذلك عباد على الحذر من كل خيل يقطع عن الله واختيار الصحة والأخوة اتفاقا من غير نية فى ذلك وتحت فى أول الأمر شأن أرباب لفظة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصحة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يبعد فى أوله ويعكم الأمر فيه بكرة اللجا إلى الله تعالى وصدق الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخارى من حديث ابن عباس بإلفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة وهم الدين وصفهم الله تعالى إذ قال - وتلوهم وجلة - . ولما احتضر سفيان جعل يكي ويخرج قتيلا يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفواك أعظم من ذنوبك ، فقال أوطى ذنوبي أبكي ؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن أتى الله بأمثال الجبال من الخطايا . وحكى عن بعض الحافين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي ، فإن رأيتني متا على التوحيد فخذ جميع ما أمسكه فاشتره لوزاوسكرا واتره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس للغلت ، وإن متا على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يبتروا يشهد جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لتلا يلحقني الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والاوز وفرقه . وكان سهل يقول : للربيد يخاف أن يبتلى بالمعاصي ، والمارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكان في وسطى زنارا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة ويبت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات . وروى عن السبع عليه الصلاة والسلام أنه قال : يامعشر المؤمنين أنتم تخافون المعاصي ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى في أخبار الأنبياء أن نيا شك إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عيدي أمارضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضه على رأسه ، وقال بلى قد مرضيت يارب فاعصني من الكفر ، فإذا كان خوف المارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الحاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ، ولسوء الحاتمة أسباب تتقدم على اللوت مثل البعثة والنفاق والكبر وجملة من الصفات الذمومة ، ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وماعنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما مناقا ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتمن خان ، وإذا خاصم فجر » (١) وفي لفظ آخر « وإذا عاهد خدر » وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه لإصديق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل سارت هذه الأمور مألوقة بين الناس متادة ونسي كونها منكرا بالكلمة بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة ، فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليسلكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقا إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات (٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم تملكون أعمالا هي أدق في أعينكم

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم في قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليسلكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقا الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم في قواعد العقائد .

من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبار ^(١) . وقال بعضهم : علامة النفاق أن تسكره من الناس مائتاً مثله ، وأن تحبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إننا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) . وروى أنه سمع رجلاً يذمّ الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرايت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) . وأشد من ذلك ما روى أن قراً قدما على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه ، فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) . وهذا حذيفة كان قد خص بلم للنفاقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يعتلى بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرر إبرة ويأتي عليه ساعة يعتلى بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرر إبرة . قد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحائمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصي . ومنها النفاق ، ومتى غلب العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من آمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إنني أخاف على نفسي النفاق ، فقال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابعة والحائمة خائفاً منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ^(٥) » ، والله السميع .

(بيان معنى سوء الحائمة)

فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحائمة فبما معنى سوء الحائمة . فاعلم أن سوء الحائمة على مرتبتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسائلة : فإن يغلب على القلب عند سكرات اللوت وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاً

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد واليزار من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحح إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إننا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث سمع ابن عمر رجلاً يذمّ الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج حاضراً الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن قراً قدما عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلاً (٥) حديث العبد المؤمن بين مخافتين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب التزهد بلاغاً وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجوه ولده في مسند الفردوس .

الشیطان متعاونین
على بر حسنة
متأخين في الله
متحايين فيه فانه
يمهد نفسه ويغث
قبيله على إفساد
ما بينهما . وكان
الفضيل يقول : إذا
وقمت القية ارفعت
الأخوة ، بالأخوة في الله
تعالى مواجهة قال
الله تعالى - إخوانا
على سرر متقابلين -
ومتى أضمر أحدهما
للآخر سوءاً أو كره
منه شيئاً ولم ينبه
عليه حتى يزله أو
يتسبب إلى إزالته منه
فما واجبه بل استديره
قال الجيد رحمه الله
ما نواخى اثنين في
الله واستوحش

وبين الله تعالى أبداً وذلك يقضى البعد الدائم والعذاب الخلد . والثانية وهي دونها أن يثلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينتفخ قبض روحه في تلك الحال فيكون استسراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المعروف همه إلى الله تعالى فقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لمحي فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطعم في عمل ولا مطعم في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكّد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يدعو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان إيمانه في القوة إلى حد متعال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا متعال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين . فان قلت فما ذكرته يقضى أن تسرع النار إليه عقوب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة وبمثل طول هذه اللدة . فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما صحت به الأخبار وهو «أن القبر إما حفر من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ^(١)» . «وأنه قد يفتح إلى قبر للعذب سبعون بابا من الجحيم ^(٢)» كما وردت به الأخبار فلا تغارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شق بسوء الحاقة وإنسا تخلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكبر ونكبر عند الوضع في القبر ^(٣) والتعذيب بعده ^(٤) ثم المناقشة في الحساب ^(٥) والافتضاح على ملاء من الأشهاد في القيامة ^(٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط ^(٧) وهول الزبانية ^(٨) إلى آخر ماوردت به الأخبار فلا زال الشق مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتعمده الله برحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب بأكل جميع الجوارح ويدها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأفكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر للعذب سبعون بابا من الجحيم لم أجده أصلا (٣) حديث سؤال منكبر ونكبر عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث المناقشة في الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملاء الأشهاد في القيامة أحمد والطبراني من حديث ابن عمر باسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على ردوس الأشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما السكائر والمناقض فينادي بهم على ردوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكبر (٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة جملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران . قال صاحب اللباز حديث منكرو روى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مضافا في خزنة جهنم ما بين منكبى أحدهم كما بين الشرق والغرب .

أحدهما من صاحبه إلا
لعله في أحدهما فالخواجة
في الله أصنى من الماء
الزال وما كان شفاؤه
مطالب بالصفا فيه وكل
ما صفا دام والأصل في
دوام صفائه عدم الخافقة
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا تمار
أخاك ولا تمازحه
ولا تعدده موعدا
فتخلفه » . قال أبو سعيد
الحارثي : سمعت
الصوفية حنين سنة
ما وقع بين وبينهم
خلاف قليل له وكف
ذلك قال لأنى كنت

مهم على شئ .
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب السهروردي
إجازة قال أنا عمر بن
أحمد الصغار قال أنا

فنجتمع الأجزاء للنفرة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت اللوث إلى
 الأعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه
 الحال إن كانت والعباد بالله شقية . فان قلت لما السبب الذي يقضى إلى سوء الحاقمة . فاعلم أن
 أسباب هذه الأمور لا يمكن إحداها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الحتم على
 الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتتمام الصلاح
 في الأعمال كاليتبع الزاهد فان عقابته خطيرة جدا وإن كانت أعماله سالمة ولست أعنى مذهبا .
 فأقول إنه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعنى البدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله
 وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظيره الذي يجادل
 الحضم وعليه يقول وبه يشتر وإما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب اللوث وظهرت له ناصية
 ملك اللوث واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات اللوث بطلان ما اعتقده جهلا
 إذ حال اللوث حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور فهما بطل
 عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطما به متيقنا له عند نفسه بل بظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد
 خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن
 عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف
 بعض اعتقاداته عن الجمل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه
 الخطرة قبل أن يثبت ويهود إلى أصل الإيمان قد ختم له بالسوء وخرجت روحه عن الشرك والعباد
 بالله منه فلولاهم المرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبقوله عز وجل
 - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
 صنعا - وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن
 القلب فكذلك ينكشف في سكرات اللوث بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي الباقعة
 للقلب من أن ينظر إلى اللسكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتكشف له الأمور على ما هي عليه
 فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من
 اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما نظرا بالرأى وللمقول
 فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكتفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق والبله
 بمجول عن هذا الخطر أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجحلا راسخا كالأعراب
 والسوادية وسائر المومنين لم يحوضوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استغلا ولا آمنوا
 إلى أوصاف التكلمين في تقليد أقوالهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة
 إليه (١) » ولذلك منع السلف من البحث والنظر والحوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور
 وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ما جاء من الظواهر
 مع اعتقاده نفي التشبيه ومنعهم عن الحوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم
 وعقابه كسوة ومسالكه وعرة والقول عن ذلك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور
 اليقين عن الغلو بما جبلت عليه من حب الدين محجوة وما ذكره الباحثون بضاعة عقولهم
 مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتصببات الثائرة بين
 الخلق مسامير مؤكدة للمقائد الورثة أو الأخوة بحسن الظن من الطرفين في أول الأمر من الطباع
 (١) حديث أكثر أهل الجنة إليه البرار من حديث أنس وقد تقدم .

أبو بكر أحمد بن خلف
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلمي قال سمعت
 عبد الله الداراني قال
 سمعت أبا عمرو الدمشقي
 الرازي يقول سمعت أبا
 عبد الله بن الجلاء يقول
 وقد سأله رجل على أي
 شرط أصحب الخلق
 فقال إن لم ترم فلا
 تؤذي . وإن لم ترم
 فلا تؤذي . وبهذا
 الاسناد قال أبو عبد الله
 لاضيع حق أخيك
 بما بينك وبينه من
 للوذة والصدقة فان الله
 تعالى فرض لكل
 مؤمن حقوقا يضيها
 إلا من أبرغ حقوق الله
 عليه ومن حقوق
 الصلبة أنه إذا وقع
 فرقة ومباينة لا يذكر

يحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوت الدنيا يخفقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فإذا فتح باب الكلام من الله وفي صفاته بالرأى والمقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم عما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب الصنفين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فأنشد بالكيفية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الحلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يترنوا لما هو خارج عن حد طاعتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الايمان ويظن أنه ما وقع به من حدى وتحمين علم اليقين وعين اليقين - ولتعلن نبأ بعد حين - وينبئ أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظلك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسألتك الليالى فأغررت بها وعند صفو الليالى يحدث السكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انسكرت سيفيته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فرميا يتفق أن يقيه إلى الساحل وذلك بعد الهلاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تافهة من الباحثين يضاعة عقولهم بإمام الأداة التي حرروها في تصباتهم أودون الأدلة فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان وثاقبه فهو آمن من مكر الله مغتر بقله الناقص وكل خائض في البحث فلا يترك عن هاتين الحاتتين إلا إذا جاوز حدود العقول إلى نور المكاشفة الذى هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو السكريت الأحمر وأنى يتيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر بالله من العوالم والذين شغلهم خوف النار بظاعة الله فلم يحرصوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب الخطرة في سوء الحاتمة. وأما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبق في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في عمالة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفى ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعنا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استعمار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستعمار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذى يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التى هى أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة قد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبدا والسبب الذى يغض إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد قلبه يحب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطية وهو الداء المضال وقد عم أصناف الحلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه ولهذا قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم أو أزواجكم وعليهم تكميل أموالهم أو أنتم تغترون بحب الدنيا فما هو ما سكن تزودوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصوا حتى يأتي الله بأمره - فاذن كل من فارقه روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بالله وظهور بغض قلبه لله قلبه يقره بدموع بين أهله وماله

أخاه بالإخير . قيل
كان لبعضهم زوجة
وكان يعلم منها ما يكره
فكان يقول له - تخبرنا
عن حالها فيقول لا ينبغي
للرجل أن يقول في أهله
إلا خيرا فذا فرقها وطلقها
فاستخبر عن ذلك فقال
امرأة بسدت عنى
وليس منى في شيء
كيف أذكرها وهذا
من التخلي بأخلاق الله
تعالى أنه سبحانه يظهر
الجميل ويستر القبيح
وإذا وجد من أحدهما
سبوجب التقاطع فهل
ينقضه أولا اختلف
القول في ذلك . كان
أبو ذر يقول إذا انقلب
عما كان عليه أبغضه
من حيث أحببه ومقال
غيره لا يغض الأخ

وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما يفضيه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد البغض الابق
إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الحزى والنكال وأما الذى يتوفى على الحب فإنه يقدم
على الله تعالى قدوم العبد المحسن الشائق إلى مولاه الذى تحمل مشاق الأعمال ووعاء الأسفار طمعا
في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام
وبدائع الانعام . وأما الحاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا
سببان : أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك
لأن مقارفة للمعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الآلف والعادة وجميع ما لفته
الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره
ذكر طاعة الله وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فرمما تقبض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيقتبض بها قلبه ويصير محجوبا عن الله
تعالى فالذى لا يقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذى لا يقارف ذنبا أصلا
فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعته وقلبه بها أفرح
منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا وتعرف هذا بثلاث وهو أنه لا يخفى عليك أن الانسان يرى
في منامه جملة من الأحوال التى عيدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما عايناه شاهداته في القطة وحتى
إن المراهق الذى يحلم لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد واقع في القطة ولو بقي كذلك مدة لتأراى
عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره في التقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
وأصحابها أكثر مما يراه الطبيب والفتية لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول
الإلف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
من الفشة قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة
لحصول ذكره في القلب طول الإلف فطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخلف أيضا
منامات الصالحين منامات القساق فتكون غلبة الآلف سببا لأن تمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
إليها نفسه فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث
يرجى له الخلاص منها وكما أن ما غطر في القطة إنما يخطر بسبب خاص بعله الله تعالى فكذلك أحاد
النامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كأننا نعلم أن الحاطر ينقل من شيء إلى
ما يناسبه إما بالمشاهدة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشاهدة فبأن
ينظر إلى جميل فينذكر جملا آخر وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فينذكر قبيحا ويتأمل في شدة
التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قدره من قبل مع إنسان فينذكر ذلك الانسان وقد
ينقل الحاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وإنما يكون ذلك بواسطه واسطين مثل
أن ينتقل من شيء إلى شيء ثان ومنه إلى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة
ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لا تنتقلات الحواطر في
النامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فكل هذا والى عالم عند الله من كانت الحياطة
أكثر أشغاله فانك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليخط بها ويبل أمسه التى لها عادة
بالكسوتان ويأخذ الازار من فوقه ويقدره ويشيره كأنه يتعاطى تفصيله ثم يمد يده إلى القراض ومن
أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طرق له إلا المجاهدة طول العمر في قطامه

بعد الصعبة ولكن
يفض عمله قال الله
تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم - فان
عصوك قل إلى ربى
مما تعلمون - ولم يقل
إلى ربى منكم .
وقيل كان شاب يلزم
مجالس أبى الدرداء
وكان أبو الدرداء يميزه
على غيره فاقبل الشاب
بكبرية من السكبان
وانتهى إلى أبى الدرداء
ما كان منه قليل له
لو أبعدته وهجرته
فقال سبحان الله لا يترك
الصاحب بشئ . كان
منه . قيل : الصداقة
لحمة كلحمة النسب .
وقيل حكمكم مرة
أبنا أحب إليك أخوك
أوصديقك فقال إنما

نفسه عنها وفي قم الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول الواطئة على الخير ونخبة الفسك عن الشر عدة وذخيرة لحالة السكرات الموت فإنه يموت الرء على ما عاش عليه ويحضر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كفى الشهادة بقول خمسة سنة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه له قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فأخذه من الحياء والخوف ما يجمل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع سوء الحاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الحواطر ومقلب القلوب والله والاضافات للقتضية لسوء الحواطر غير داخلية تحت الاختيار دخولاً كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فيها عظم خوف العارفين من سوء الحاتمة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالسكينة تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى صمت الشيخ أباً على الفارمذي رحمة الله عليه بصفى وجوب حسن أدب المريـد لشيخة وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخى أني أقاسم السكراني منامي أني قلت رأيته قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فمجرى شهر أو لم يكمنى وقال لولاه كان في باطنك تخويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في اليوم وهو كاذب إذ نقا يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الحاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما عاب على العارفين حتى يطول بسببه بكاءك وباحتك وبدوم به حزنك وقلقك كما سنحكى من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائلة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الحواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول إني لأعجب من هلاك كيف هلك ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها أخبارنا وكان الثوري يوماً يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكي على الاسلام. وبالجملة. ونقتبس من في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأهواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الحواطر أعظم التظان من أمواج البحر وأغما الخوف عند الموت خاطر سوء مخطر فقط وهو الذي قال فيمرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فروق ناقة فيختم له بما سبق به السكنا» (١) ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي الحواطر التي تضطرب وتخطر خطور برق الحظف وقال سهل رأيت كائناً أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء

(١) حديث إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم .

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلاف
في المارقة تظاهروا باطناً
وأما للملازمة باطناً
وقمت المبانية تظاهراً
فتختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطق
القول فيه إطلافاً من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تغيره رجوعاً
عن الله وظهور حكم
سوء السابقة يجب
بفضه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان تفسيره عثرة
حدثت وفترة ونعت
يرجى عوده فلا ينبغي
أن يفيض ولكن
يغض عمله في الحالة
الحاضرة ولا يحط بعين
الود منتظراً له الرجوع
والعود إلى أوطان

الحاقة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكرها ، أما اللوث فجأة فلائنه ربما يثيق عند غلبة خاطر سوء واستقلاته على القلب والقلب لا يخون عن أمثاله إلا أن يدفع بالكرهه أو بنور المعرفة ، وأما الشهادة فلائنه عبارة عن قبض الروح في حالة لم يثيق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب لإذلاهم على صف القتال موطننا تنص على اللوث لإحباطه وطلباً لمراضته وبإعاديته بأخبرته وراضياً بالبيع الذي يابيه الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وبالباع راضع عن البيع لراحة وخرج حب عن القلب وبجرد حب الموضع المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد ينقلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها نصف القتال سبباً زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والفتنة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كادلت عليه الأخبار (١) وإذ بان لك معنى سوء الحاقة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرس عن فعل الماصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحتز عن مشاهدة الماصي ومشاهدة أهلها جهلك فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطره وإياك أن تسوق وتقول سأستعد لها إذا جاءت الحاقة فإن كل نفس من أنفسنا خاتمتك إذ يمكن أن تخطف فيمروحك فراقب قلبك في كل تطرفة وإياك أن تحمل لحظة فدل تلك اللحظة خاتمتك إذ يمكن أن تخطف فيها روحك هذا مادمت في بظنك وأما إذا تمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يهلك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد ضيقة الأثر . واعلم قطعا أنه لا يلبث عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالباً عليه وأنه لا يلبث في النوم إلا ما كان غالباً قبل النوم ولا يثبت عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك واللوث والبث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومته فكذلك لا يوت للره إلا على ما عاش عليه ولا يغتر إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقتن أن اللوث والبث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديها باعقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفسنا لحظناك وإياك أن تغفل عن الله فقعين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هلكت إلا العالمون والعالمون كلهم هلكت إلا الأمايون والعالمون كلهم هلكت إلا النحسون والنحسون كلهم هلكت إلا عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك . طعم وليس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقم صلبك ويسد رمقك فبني أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في الجلبة وكلاهما يكون قضاء الحاجتين هنك التي تشتغل بها قلبك فلا يبنى أن يكون تناول الطعام من هنك . واعلم أنه إن كان هنك ما يدخل بطنك قيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصده من قضاء

الصلح قد ورد « أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بغاشة قال له وزجرهم بقوله ولا تتكفونوا عونا للشيطان على أخيكهم » وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيتمه » وروى أن عمر رضي الله عنه سأل عن أخ له كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخى فقال له ذلك أخو الشيطان قال له ما قال له إنه قارف

(١) حديث للقتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والفتنة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل للفنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقال حمية ويقال رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك فصلاة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقت وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكفى في اليوم واليلة بمرة واحدة فيواطى على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لثاثة الأظمة بل يقع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشوة الشهوات والذائقة قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لاتأكل إلا من حله فان الحلال يمين ولا يمين بجميع الشهوات وأما ما بسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بندق فطلبك غيره فضول منك بضيع فيه زمانك ويهلك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تكن تف به في خسارة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت بمن لا يعلل بطنه إلا التراب وكذلك السكن إن اكتسبت بمقصوده كنتك السماء سقفا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليكن بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمره هو بشاعتك ثم إن تيسر لك قصصت من الخائض سوى كونه حالنا ينكروا بين الأصار ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وترزين السقوف قد تورطت في مهواة يعد ريقك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرمت عليها ففرغت لله وقدرت على التزوّد لأخرك والاعتداد لحاجتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أى واد أهلكك فاقبل هذه النصيحة بمن هو أوجع إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير فإذا ضته يوما ميم في تسويفك أو غفلتك انخطفت لحظاً في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وتدامتك فان كنت لاتقدر على ملازمة ما أردت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيها وصفاته من أمر الحاجة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانتك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أمدقوة وإن من الحجارة لما تنجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما لقه بنافل عمات عملون .

(بيان أحوال الأنبياء واللائكة عليهم الصلاة والسلام في الحوف)

روث عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويرتد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله ^(١) » وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصق ^(٢) » وقال تعالى - وخر موسى صدقا - ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة جبريل عليه السلام بالأبطح فصق ^(٣) » وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصق المعروف بما يروى من هذه القصة أنه قرأه عنده - لدينا أنكلا وجهيا وطعاما إذا غصة وغذا بالجملة - فصق كما رواه ابن عدى والبيهقي في الشمعين مرلا وهكذا ذكره الصنف على الصواب في كتاب السماع كما تقدم (٣) حديث إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصق البراز من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعابه فظلع عليه من قبل الشرق فجعل يرتفع ويسير فما رآه فصق ورواه ابن البار لمن رواه الحسن مرلا

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو يرعد فرقا من الجبار^(٢)» وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر من جبريل وميكائيل عليهما السلام بيكين فأوحى الله إليهما مالميكائيليان كل هذا البكاء فقالا يارب من آمن منكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لأنما نكرى . وعن محمد بن النكدر قال لما خلقت النار طارت أئنة لللائكة من أماكنها فخلق بنو آدم حادث وعن أنس أنه عليه السلام سأله جبريل «مالي لأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار^(٣)» وقال إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار عذابة أن يغضب الله عليهم فيلذ بهم بها وقال ابن عمر رضي الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من القروياكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت يارسول الله لأشفيه فقال لكنني أشفيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخشون رزقك وتهم ويضف اليقين في قلوبهم قال فوافقه ما ربحنا ولا فاقنا حتى زلت سوكن من دابة لما تحمل رزقها إلى رزقها وإياكم وهو المسيح العظيم - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا اتباع الشهوة ممن كنز دنائير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينار ولا درهما ولا أخبر رزقا لعد^(٤)» وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فودى يداؤد أجاج أنت قطعتم أم طعان فتسقى أبحار فتكسى فحطب نعمة هاج العود فأحرق من حر خوفه ثم أزل الله تعالى عليه التوبة والفرقة بإبراهيم لخطيئتي في كمي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يسطر كفه طعام ولا شراب ولا تعب . إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه مازف رأسه إلى السماء حتى مات حياة من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض رحبا وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي . سبحانه إلهي أتيت أطباء عبادك ليدأوا وخطيئتي فكلمهم عليك بدائي فؤسا لفاقطين من رحمتك . وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوبى صار خاوا وضايده على بلطف فتشى عليه وفي الصبحين عن عائشة رأت جبريل في صورته مرتين ولهما ابن مسعود رأى جبريل لستائة جناح^(٥) حدث كان إذا دخل في الصلاة مع لصدره «أزيز كأزيز المرجل أبو داود والترمذي في الثبائيل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السبع^(٦)» حدث ما جاءني جبريل قط إلا هو وترعد فرائضه من الجبار لم أجده هذا اللفظ وزوى أبو الشيخ في كتاب العظيمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائضه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سحاك الحنفي يحتاج إلى معرفته^(٧) حدث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لأرى ميكائيل يضحك فقال «اضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الحائثين من رواية ثابت عن أنس ما ضاد جبريل رواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلنا وورد ذلك أيضا في حق إسرائيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الحائثين^(٨)» حدث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من القروياكل والحديث ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح من مهال ضعيف.

كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته . وكان يقول ابن عباس رضي الله عنهما ما اختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فقلت ما مكافأته في الدنيا وكان يقول سعيد بن العاص جليبي حتى ثلاث إذا دنا رحبته وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسمت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو إحسان فإن ما كان مطولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلقه إلى خلقه هم بدوام خلقه ومن شرط الحب في الله

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم إنما أريدكم بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فبايضع بداود الخطاء وكان ينام في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل أن يمري ملائكة غلاظ شداد لا يسمون الله مأمروهم ويفعلون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة قصص صوته فقال إلهي بخ صوني في صفاء أصوات الصديقين ، يوروي أنه عليه السلام لما طاف بكاء ولم ينفعه ذلك ضاق فذره واشتد غمه فقال يارب أمتارحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبتك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كفف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأطلق الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى عرائى إلهي وسيدى فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنسى الطاعة وهذه وحشة للصبة يا داود آدم خلق من خلقي خلقت يدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألست ثوب كرامتي وتوجهت بناج وقارى وشكلى الوحدة فزوجه حواء أمي وأسكنته جنى عصاني فطرده عن جزائري عريان ذليلاً يا داود اصبر مني والحق أقول أطمتنا فأطمئك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأعطيناك وإن عدت إلينا به ما كان منك قبلنا . وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرج له الثبر إلى البرية فأمر سلبان أن ينادى بصوت يستغفر البلاد وما حولها من النياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع فينادى فيها أألمن أن يسمع نوح داود على نفسه فليأتى قال فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى السباع من النياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى الصذاري من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود حتى يرقى الثبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسلبان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في البناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتصوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النباح على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سلبان كثرة الموتى قال يا أيتام قد مزقت السمعين كل عرق ومات طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدماء فينأى كذلك إذا ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود هجعت بطلب الجزاء على ربك قال فيخبر داود مفسياً عليه فإذا نظر سلبان إلى ما أصابه أتى بسرر خلفه عليه ثم أمر منادياً ينادى أألمن كان له مع داود حميم أو قريب فليأتى بسرر فليجعله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرر وتحمل قريبها وتقول يا من قتلته ذكر النار يا من قتلته خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال بناجى ربه فيأتى سلبان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أيتام تعو بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس عظمهم وبخوفهم فخرج في أربعين ألفاً منهم ثلاثون ألفاً وارجع إلى عشرة آلاف قال وكان له جارتان أخذاهما حتى إذا جاءه سقط فاضطرب فعدتا على صدره وعلى رجله مخافة أن تشرق أعضاؤه ومفاصله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا بعلمها السلام بيت القدس وهو ابن ثمان حجج فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشمر والصوف ونظر إلى مجتهدهم قد خرفوا الترابى وسلكوا فيها السلاسل وهدوا أنفسهم إلى أطراف بيت القدس فهاله ذلك

إشارة الأخ بكل ما يدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى - يحجون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - قوله تعالى - لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يجدون إخوانهم على ما لهم وهذان الوصفان بهما يكل صفو المحبة أحدهما امتزاج الحسد على شئ من أمر الدين والدنيا. والثاني الإشارة بالمدح. وفي الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام والره على دين خليفه ولاخير

فرجع إلى أبويه ثم بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هم يا لنعلب فقال إني لم أخلق للعب قال فأق
أبويه فسألما أن يدرجاه الشعر فقلما فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا وصبح به ليل
حتى أمت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه
فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجله في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك
لأذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يخطر على قرص كان متهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء فقل وكفر عن يمينه فلدح بالبرفرد أبواه إلى بيت المقدس فكان إذا قام
يصلى بكى حتى يبكي معه الشجر والدر ويبكى زكرا عليه السلام لبكائه حتى يفضى عليه فيزلي بكى
حتى خرفت دموعه فلم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أدت لي أن أتخذلك
شيئا توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فمعدت إلى قطمى لودفأ فمعدتها على خديه فكان
إذا قام يصلى بكى فإذا استمعدت دموعه في القطميين أتت إليه أمه فمعدتها فإذا رأى دموعه تسيل
على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكرا
يوما يا بني إنما سألت ربى أن يهيك لي لتقرعنيأ بك فقال يحيى يا بنت إن جبريل عليه السلام
أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال زكرا عليه السلام يا بني فأكب وقال
للسبح عليه السلام : معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على الشقة
ويساعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشير والروم على الزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل . وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يفضى عليه ويسمع اضطراب
قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف
خيله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت فهدأ أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك
والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله للقرين
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الحوف)

روى أن أبابكر الصديق رضى الله عنه قال لظان ليتنى مثلك طائر ولم أخلق بشر . وقال أبوذر
رضى الله عنه وددت لو أني شجرة تعصد وكذلك قال طلحة . وقال عثمان رضى الله عنه وددت أني إذا
مت لم أبت وقالت عائشة رضى الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه
كان يسقط من الحوف إذا مع آية من القرآن فمشتا عليه فكان يباد أياما وأخذ يوما نبتة من
الأرض فقال يا ليتني كنت هذه النبتة يا ليتني لم أك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم ألدني
أمي وكان في وجه عمر رضى الله عنه خطن أسودان من السموم . وقال رضى الله عنه من خاف الله
لم يشفق غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ما تزرون ولما قرأ عمر رضى الله عنه
- إذا الشمس كورت - وانتهى إلى قوله تعالى - وإذا الصفح نصرت - خر مغشيا عليه ومروا به ما يدرك الإنسان
وهو يصل ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لواقع ما من دافع -
نزل عن حمائه واستند إلى حائط ومكث زمانا ثم رجع إلى منزله ففرض شهر أبعد الناس ولا يدرون ما مره
وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كتابة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب
محمد ﷺ فم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا أصبحون شتافرا غيرا بين أعينهم أمثال الركب للزرى قد
بنوا الله سجدا وقياماتلون كتاب الله يراوحن بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله فادوا
كأعيد النجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالسموع حتى تبل نياهم والله فسكان بالقوم بانوا غافلين

لك في صجة من
لا يرى لك مثل
ما يرى لنفسه وكان
يقول أبو معاوية
الأسود إخواني كلمهم
خير من قيل وكيف
ذاك ؟ قال كلمهم
رى
لى الفضل عليه ومن
فضلى على نفسه فهو خير
منى ولبعثهم نظاما :
تذلل لمن إن تذلل له
رى ذاك للفضل
لأجله

وجانب صداقة من
من لم يزل
على الأصدقاء رى
الفضل له .

[الباب الخامس
والحسنون في آداب
الصحة والأخوة]
سئل أبو حفص عن
آداب الفقراء في الصحة

ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أنأ أن أكون
رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وذلك أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أني كبش
فيذبحني أهلي فيأ تكون لحمي وعيسون مرقى ، وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توسأ أصر
لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتألك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .
وقال موسى بن مسمود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بالمأزى من خوفه وجرعه
وقرأ مضر القاري يوما - هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق - الآية فيكي عبد الواحد بن زيد حتى
غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لأعصيتك جهدي أبدا فأعني بتوفيقك على طاعتك ، وكان المسور
ابن مخزومة لا يتقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح
الصيحة لما يعقل أياها حتى أتى عليه رجل من خشم فقرأ عليه - يوم نحشر الثقلين إلى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا - فقال أنا من المجرمين ولست من الثقلين أعدل القول بها القاري .
فأعادهما عليه فشقي شققة فلحق بالآخرة ، وقرأ عند يحيى البكاء - ولو ترى إذ وقوا على ربهم -
فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يناد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينا أنا
أطوف بالبيت إذ أنا بجورية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شهوة ذهبت لكأنا
وبقيت تبعاتيا يلوب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الهجر ،
قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول تكلت مالكا أمه ، وروى أن الفضيل
رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكوى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تقرب قبض
على لحيتي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال وإسأنا منك وإن غفرت ثم انقلب مع الناس ، وسئل ابن
عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف فرحة وأعنيهم بأكية يقولون كيف نخرج
والموت من درأنا والقرأ أماننا والقيامه موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي المأزى بنام وقتنا . وروى
الحسن بن شاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن باق هل مررت
بالصراط قال لا قال فهل تدرى إلى الجنة نصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال له فما روى ذلك
الفق بعد ما ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس مجلس مستوفزا على قدميه فيقال له الوطأ أنت
فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله
هذه القفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يعموا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا
أنا مت أمرهم أن يقيدوني ويضلوني ثم ينطلقوا لي إلى ربى كما ينطلق بالبعد الآبق إلى سيده ، وقال حاتم
الأصم لا تنفتر موضع صالح فلا مكان أسلم من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مائقي ولا تنفتر بكثرة
العبادة فإن إبليس بعد طول تمبده لقي مائقي ولا تنفتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم
فاظنر ماذا لقي ولا تنفتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من العاصي صلى الله عليه وسلم
ولم يتنفع بقلاته أقاربه وأعداؤه . وقال السري : إنى لأظنر إلى أننى كل يوم مرات مخافة أن يكون
قد أسود وجهي ، وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى في نفسى أن الله ينظر إلى نظري السخط
وأعمالى تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أمعابه فقال إنى اجتأأت البارحة على الله أسأته
الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لأبنا يابنى إنى أعرك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت
حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلىك ونهارك فقال يأمام ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلم على وأنا على
بعض ذنوبى فذقتنى وقال وعزنى وجلالى لا غفرت لك ، وقال الفضيل إنى لأعظن نياما سلا ولا ملكا
مقربا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يمانون يوم القيامة إنما أغبط من لم يخلق . وروى أن من أن أنصار

فقال حفظ حرمت
الشايح وحسن
الشرة مع الاخوان
والصبيحة للأصغر
وترك صبة من ليس
في طبقهم وملامة
الاشارو بحاجبة الادخار
والمعاونة في أمر الدين
والدنيا فمن أذهبهم
التغافل عن زلل
الاخوان والصبح فيها
يجب فيه النصيحة
وكنتم عيب صاحبه
وإطلاعه على عيب
يعلم منه . قال عمر بن
الحطاب رضي الله عنه
رحم الله امرأ أهدى
إلى عيوبى وهذا فيه
مصلحة كلية تكون
للشخص عن بنه
على عيوبه قال جعفر
ابن برقان قال لي

دخلته خشية النار فكان يكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غفر ميتا فقال عليه السلام جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فت كبدته ^(١) وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول يا ليت أُمِّي لم تلدني فقالت له أمه يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هذا إلى الإسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أننا ولدو النار ولهم لنا أنصاردون عنها وقيل لفرقد السبخي أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت القدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والروح فتذاكرن ثواب الله وعقابه ففتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلى من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا إنما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال إنه مازف رأسه إلى السماء لاضلحك أربعين سنة وأنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فافتق في بطنه فتق وكان يسس جسده في بعض الليلة عفاة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابته ريح أو برق أو غلاء طامع قال هذان أملي صميم لومات عطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وثينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر يطهرون الشاة قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤسهم ولسقت جلودهم على عظامهم وبقيت الدروق كأنها الأوتار يصحون كأن جلودهم تشور البطيخ وكأهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله اللطيعين وكيف أهان العاصين فبينما هم يشون إذ مر أدهم بمكان غفر مغطيا عليه فجلس أصحابه حوله ليكون في يوم شديد البرد وجيئة برشح عرقا فجاوباء بماء فمسحوا وجوهه فافاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح المري قرأت على رجل من التبردين - يوم قلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول - فصنع ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد غما قرأت كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها غرميتا وروى أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس النداة فلما قرأ - فادانق في الباقور - خر مغطيا عليه فحمل ميتا. ودخل زبد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظمي يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكي ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكي ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غفر مغطيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لموعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يغدرون عليه ^(٢) ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولد لها وهي تقول يا ابناء بيت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصنع داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري ففرض دليله على طبيب ذمى فقال هذا رجل قطع الخوف كبدته ثم جاء وجس عروقه ثم قال عاملت أن في الله الحنيفة مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتحني فتحت علي عتلي فقلت يارب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فان لم تبكوا فنيا كوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينسكر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ^(٣) وقال النبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولجته

ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يجب من صدقه والكاذب لا يجب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين - والنصيحة ما كانت في السر. ومن آداب الصوفاة القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فذلك يظهر جوهر الفقير روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلت ما كان

(١) حديث إن فقي من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه في البيت الحديث ابن أبي الدنيا في الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيما نظر .
(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي لم أقف له على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فواعد العقائد

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة وبعكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء
وتفزع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك
وخذ ما ترصد ودع ما تنكر وروى الفضيل يوما وهو يمشي قليل له إلى أين؟ قال لا أدري وكان يمضي
والها من الخوف . وقال ذو بن عمر لأبيه عمر بن ذر: ما بال التكمين يتكلمون فلا يسيك أحدا فذا
نكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست الناعمة الشكلى كالناعمة للسائرة وحكي
أن قوما وقفوا ببابه وهو يسيك فقالوا ما الذي يسيك يرحمك الله ؟ قال قرعة فجدها الحائفون في
قلوبهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يسيك ويقولون في مناجاته
قد كبرت وضمت جسمى عن خدمتك فأعتقني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن السكاة مرة فقال
أرني شيئا من بسن مجائب عبادكم فنهبته به إلى رجل في بسن الأحياء في خص له فاستأذنا عليه
فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه - إذا الأغلال في أعناقهم والسلام يسجدون في الجحيم ثم في النار
يسجدون - فشق الرجل شقة وخرّ مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر
فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشق شقة وخرّ مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا
إن لم تتخلوا عن ربنا فقرأت - ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد - فشق شقة فبدأ اللهم من
منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يسس فتركناه على حاله وخرجنا فأذرتة على ستة أنفس كل يخرج من
عنده وتركه مغشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الحس تقول ادخلوا
فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا قلت بصوت عال إلا أن فخلق
غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من وعك ثم بقي مبهوتا فأخما فاه شاخشا بصرة يصيح بصوته
ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان
بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة
أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدّي فرما فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه
من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل من أبدأ الحار يرى ضاحكا
ولا مضطجعا ولا يأكل مما حن مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك
نقط فقال كيف أضحك وجههم قد سمعت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعتدت وقد أدرج لالحسن
يا أبا سعيد كيف أصبحت قال غير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك
بناس ركبو سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فعلق كل إنسان منهم بحشية على أتم
حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حال أشد من حالهم . ودخلت مولاة لعمر بن
عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلظت عينها
فرقدت فامتكتت في منامها ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت محبا قال وما ذلك ؟
نالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جئ بالصراف فوضع على منتهى فقال هيه قالت لبي
ببئس الملك بن مروان لحمل عليه فامضى عليه إلى إيسير حتى انكفأ به الصراف ففوى إلى جهنم
فقال عمر هيه قالت ثم جئ بالوليد بن عبد الملك لحمل عليه فامضى إلى إيسير حتى انكفأ به
الصراف ففوى إلى جهنم فقال عمر هيه قلت ثم جئ بسلطان بن عبد الملك فامضى عليه إلى إيسير
حتى انكفأ به الصراف ففوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جئ بك والله يا أمير المؤمنين ضاح
عمر رحمه الله عليه صيحة خرّ مغشيا عليه فقامت إليه فجعلت تتادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني
رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تتادى وهو يصيح ويخص برجله

رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضمه يده
فقال إذن لا يرهه إلى
مكانه غير يدك ولا يكون
لك سلم غير عاتق عمر
فأقامه على عاتقه ورده
إلى موضعه ومن أدبهم
أن لا يرون أنفسهم
ملكاً يخصوص به قال
إبراهيم بن شيان كنا
لأنصب من يقول
نمل . أخبرنا بذلك
رضي الله عن أبي
القاسم القشيري
قال سمعت أبا حاتم
الصوفي قال سمعت
أبا نصر السراج يقول
ذلك وقال أحمد بن
القلاني دخلت على
قوم من الفقهاء يوما
بالصرة فأكرموني

وعجى أن أوبس القرى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيسكن من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أوبس ثم يقوم منتظلاً فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه وكان طائوس يفرش له الفرش فيضطجع ويثقل كما تثقل الحبة في القلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طبر ذكر جهنم نوم الحائنين . وقال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام بالتي كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفاً من الخلود وسوء الحظ . وروى أنه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيت قاعداً كأنه أسير قد قدم لضرب عنقه وإذا تسكلم كأنه يماين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فإذا سكنت كان النار تسمر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنى أن يكون الله تعالى قد أطلع في على بعض ما يكره ففتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعلم في غير معتل . وعن ابن السكك : قال وعظت يوماً في مجلس قمام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنتأبالي أن لاسمع غيرها قلت وماهى رحمتك الله قال قولك لقد قطع قلوب الحائنين طول الخلودين إمامي الجنة أوفى النار ثم غاب عني فقصدته في المجلس الآخر فلم أرفألت عنه فأخبرت أنه مريض يماد فأتيته أعوده فقلت يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الحائنين طول الخلودين إمامي الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال غفرلى ورحمى وأدخلنى الجنة قلت بماذا ؟ قال بكلمة فلهه مخاوف الأنبياء والأولياء والملاء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصغاف القلوب وكال المعرفة والإفليس أمنا لله ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهواتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فالقرب الرحيل ينهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الحائنين تخوفنا ولا خطر الحاقبة زهجتنا ففسأل الله تعالى أن يتدارك فضله وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد بنفعنا . ومن المعجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرنا وأبحرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقها وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجهدنى طلب أرزاقنا ولاشقى بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طلعت أعيننا نحو تلك الدائم القيم قمنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى إليمرجاؤنا وباعترزنا ينادينا ويقول - وأن ليس الإنسان إلا مسمى . ولا يترنم بالله الفرور . يا أبا الإنسان ما تترك ربك الكريم - ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فاشهده إلا حنة هائلة إن لم يفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا ففسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرار قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشيدته وفضله ولتقتصر من حكاية أحوال الحائنين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكنى والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا ينفى . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد أنه رأى على باب بيت للقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ منه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأته هالتي منظره قلت أيها الراهب أوصى بوصية أحفظها عنك فقال يا أخى بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشه السباع والهوام فهو خائف حذر

ويجولون قتل يوماً لبعضهم ابن إزارى فسقط من أعينهم . وكان إبراهيم بن آدم إذا سمع إنسان شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يتبع الله عليهم من الدنيا كيدته فقال رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال أعجزى صدق . وكان إبراهيم ابن آدم ينظر البسائين ويجعل في الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله

يخاف أن يفشل فتقرسه السباع أو يسهو فتشهيه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في الحافة ليله وإن أمن القثرون وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون ثم ولى وتركى قتلت لو زدنى شيئا عسى ينفعنى قتال الظعان يحزبه من الماء أسيره وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى تحفة والقلب الجامد تنبؤ عنه كل الواعظ وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدر به لو تخفى فأنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت به مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تهترسك وتهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قيرك عابيتها وقد غفلت لك بصورها وأشكالها للواقفة لما فيها ترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدثت بك في قيرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تتقلبها وتغيرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتذكرك من هيئته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصاصل ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالهدو والآصال ، ثم بكل بصيرة الخاص في خدمته بنور المبرة حتى لاحظ بشيائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استنصح دون مبادئ إشراقه كل حسن وجمال ، واستنقل كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستنقال ، وتخلله ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تبس وتختال ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عمت من طينة الحزى وضربت في قالب النكال ، وهي متلفعة بجلبابها لتخفى قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت جبالها في مدارج الرجال ، فمسي تقتنصهم بضروب السكر والاعتغال ، ثم لا تجزى معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تقديمهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتلبس بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفوال ، زهدوا فيها زهد البغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكأثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتبعين منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدته أبدية لا يمتريها فناء ولا زوال ، والصلاة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل يروى هاضل من مثل وعكرها زل من زل غبار رأس الخطايا والسيئات ، وبغضها أم الطاعات وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها ودم الحب لمسأى كتاب ذم الدنيا من ربيع المهلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات ، فلا طمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزواهم عن البعد ويسمى ذلك فقرا وإما بانزواء البعد عنها ويسمى ذلك زهدا وبشكل واحد هما درجتي نيل السعادات وحظ في الاغاة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودور حاتمهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فنقول : [الشطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطبقا وبيان

(كتاب الفقر والزهد)

تعالى دوامهم مشوري بينهم - أي مشاعهم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استدلوا صاحبهم يتهمون أنفسهم ويتسبيون في إزالة ذلك من بواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصعبة قال أبو بكر الصديق صديق رجل وكان على قلبه تقبلا فوهبت له شيئا بنية أن يزول قلبه من قلبه فلم يزول فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لا بد من ذلك فعمل ذلك فزال ما كنت أجده في باطنى قال الرقى قصدت من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على التقي وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار النفي المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الوفي للصواب بلفظه وكرمه .

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساليبه)

اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه إما قدماً لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثبات الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً من غيره فهو النقي للطلب ولا يتصور أن يكون مثل هذا الوجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداها فاتهم محتاجون إليه ليدوم وجودهم بالدوام وإلى هذا المحسر الإشارة بقوله تعالى - والله التقي وأتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقاً ولكنا نلتفت إلى أن المحتاج إلى الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص وإلى الفقر العبد بالمال بالإضافة إلى أنصاف حاجاته لا يحصر لأن حاجاته لا تحصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي يزيد الآن يانه فقط يقول: كل فاقده للمال فانا نسمة فقيراً بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المقود محتاجاً إليه في حقته يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نغيزها ونخص كل حال باسم لتتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهو رب من أخذ مضيقاً له ومجتزاً من ثمره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويذهب فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً . الثالثة أن يكون وجود للمال أحب إليه من عدمه لرغبة فيموه ولكن يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه صفواً عفواً أخذته وفرح به وإن افتقر إلى تبس لطلبه مبتغى به وصاحب هذه الحالة نسمية قائماً إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب لمجزئه وإلا ففرح بالغنى فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالطلب لطلبه وأهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسمية بالخرير . الخامسة أن يكون ما قدسه من المال مشغولاً إليه كالجامع الفاقده للغير والعاري الفاقده للتوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقفاً تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار وإن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الأحوال خمسة حالات هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عنده وجود المال وقوده فان وجدته يفرح به ولم يتأذى وإن فقده فكذلك بل حاله كما كان حال طائفة رضى الله تعالى عنها إذا أتاهما مائة ألف درهم من السماء فأخذتها وفرقتها من يومها قالت خادمتها ما استطعت فها فرقت اليوم أن تشتري لي أدرم لحا نظير عليه قالت لو ذكر تينى لصلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا محلاً لغيرها في يدهم وخزائمه يتضرره إذ هو يرى الأموال في خزائنه تعالى لا في يده نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وينبئ أن يسمى صاحب هذه الحالة للستنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده حياً ولو لم يكن هذا الاسم معنى يشارك اسم التقي المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى جلاء المال في يده وإعماؤه عن دخول المال في يده لا عن قنائه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن قنائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً فإنه ليس يتأذى به ليجتاح إلى إخراجه وليس يفرح به ليجتاح إلى جأه وليس فاقداً له

حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والابتار بالوضع . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتر ذلك عليهم فأقر الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا الآية وحكى أن علي بن بشار السوقي ورد على أبي عبد الله بن خنيفة زائراً فقامياً فقال له

ليحتاج إلى الدخول في يده قضاء إلى العموم أميل فهو إلى التقى الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لأقرب المكان ولكننا لانسمى صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليقى التقى إسماعيل له التقى المطلق عن كل شيء وأما هذا البعد فإن استغنى عن المال وجودا أو عدمه فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فإن القلب للقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أغنته من هذا الرقي فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرقي والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أسمين من أصابع الرحمن فذلك لم يكن اسم التقى مطلقا عليه مع هذا الكمال الإجماز. واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من التفرين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصا إذ حسان الأبرار سيئات للقرين وهذا لأن الكثرة للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الرغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا يبدى بك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه أقرب إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا غمضا بك فيه. وغمضا بنفسك وشبهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشبهوات نفسك فكذلك لا تزال محبوا عنه فالشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والشغول يفيض قسمة أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع الماشق والمشوق فإن التفت قلب الماشق إلى الرقيب وإلى بعضه واستغفله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه يفتنه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغفله المشق لفعل عن غير المشوق ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير المشوق لحبه عند حضور المشوق شرك في العتق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة فالشغول يفيض الدنيا غافل عن الله كالشغول بحبها إلا أن الشغول بحبها غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والشغول ببغضها غافل وهو في غفلة سالك في طريق القرب إذ يرجي له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة فتبدل بالشغول بالكمال لم يرتب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالحب واللبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدير لها فهما سيان بالاضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة إلى للتدبير إذ يرجي له الوصول إليها وليس محمود بالاضافة إلى المتكسف في الكعبة إلا لأن حاله الذي لا يخرج منها حتى يقتدر إلى الاشتغال بالداية في الوصول إليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا حائق عن الله تعالى والوصول إليه لا يدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي أن يشغل بالآخره فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج، فادنظر أن الزهد في الدنيا أن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص وفضان بالاضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالقرار عن جوار الماء الكبير ولا يفيض الماء الكثير بل تقول أشرب

أبو عبد الله قدّم فقال
بأي عذر فقال بأنك
لقيت الجنيّد ومالقيته
ومن أدبهم ترك محبة
من هم شيء من
فضول الدنيا قال الله
تعالى - فأعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا -
ومن أدبهم بذلك
الانصاف للاخوان
وترك مطالبة الانصاف
قال أبو عبيد الجبري
حق الصعبة أن توسع
على أخبك من مالك
ولا تطمع في ماله وتصفه
من نفسك ولا تطلب
منه الانصاف وتكون
تبعاله ولا تطمع أن
يكون تبعالك وتشتكر
ما يصل اليك منه
وتستقل ما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا يخل به على أحد فكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذ عرفت الله تعالى ووقت تدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لاجتماع مادته حيا كأيأتيك قدر حاجتك من الماء على ماسيأتي يانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الحوارى قلت لأبي سفيان الفارسي قال مالك بن دينار للفقير إذا ذهب إلى البيت فخذ الزكاة التي أمديتها إليك فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها قال أبو سفيان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زادته في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الزكاة في بيته تنفث إليها سببه الضعف والنقصان ، فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل انفار . فأقول : كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يعموه في القرب والروايات يروى عنهم أنهم تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد سمت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما قل عنهم من امتناع قائما أن ينقل عن عمر خاف أن لو أخذها أن ينجده المال ويقد قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا حرم البغض للمال والمهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأتقياء والأولياء وإما أن ينقل عن قولي بلغ الكمال ولكن أظهر الفراق والنفار تزول إلى درجة الضعفاء ليقنوا به في الترك إذ لو اقتنوا به في الأخذ لمساكوا كما هربوا للرجل المعز من يدى أولاده من الحية لضعفه عن أخذها ولكن لعله أنه لو أخذها أخذها أولاده إذ أروها في لمسكون والسير يسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء قد عرفت إذن أن الراتب ست وأعلاما رتبة السنتي ثم أرادتم الرضا ثم التنازع ثم الحرص ، وأما الضطر فيتنصور في حق أيضا الزهد والرضا والساعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية السنتي فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا في معنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغاثته عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالمعبودية وأقربها فانه أحق باسم العبد من العاقلين وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين للعين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر» (٢)

منك . ومن أدبهم في الصعبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوقك قعة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز . ومن أدبهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وأبى كان كذا وعسى أن يكون كذا فاتهم يرون هذه التدبيرات عليمه اعتراضا . ومن أدبهم في الصعبة حذر المارقة والحرص على الملازمة . قيل صعب رجل رجلا ثم أراد المارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان

(١) حديث إن خزائن الأرض حمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدم في آداب العيشة من عبد البخاري تعليقا مجزوما به من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أنى به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فلما كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد البجلي في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار يمدونه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاءنا مال البحرين أعطينك هكذا ثلاثا لم يقدم حتى توى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عودين فليأتنا قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني لثلاثا (٣) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم في الأذكار والدعوات .

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا »^(١) لا يناقض قوله « أحسن مسكينا ومتى مسكينا »^(٢) إذ فقر للظطر هو الذي استعاض به والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأل في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من أهل الأرض والسما.

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقر المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقال تعالى - للفقر الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - ساق السلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالحجرة والاحرار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر. وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن نحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال - على حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن الناس يارسول الله قال خير فقير يعطى جبهه »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « اللق الله فقيرا ولا تلقه غنيا »^(٤) وقال **عليه السلام** « إن الله يحب الفقير التمتفأ بالعبال »^(٥) وفي الخبر المشهور « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها خمسمائة عام »^(٦) وفي حديث آخر « بأربعين خريفا »^(٧) أي أربعين سنة فيكون للراد به تقدير تقدم الفقير الحرص على التقى الحرص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التقى الراغب وما ذكرنا من اختلاف درجات الفقر يتركز بالضرورة تماثلا بين الفقراء في درجاتهم وكأن الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا تظن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستون أربعين جزءا من النبوة »^(٨) فانه تقدير تحقيق لاحالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف تلك النسبة إلا بتخمين فاما بالتحقق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته واللائكة والبار الآخرة كما يعلمه غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحسن مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن الناس قال فقير يعطى جبهه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على الرفوع منه دون سؤال لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال اللق الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلغظ من فقيرا ولا تمت غنيا وكلاما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير التمتفأ بالعبال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال فقراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلغظ رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك محبتنا أوالفقال الرجل زال عن قلبي نية المفارقة . ومن أدمهم التمتفأ على الأصاغر . فيسل : كان إبراهيم بن آدم يعمل في الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يحجمون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر في بعض الأيام في العمل فقالوا ليلته تعالونا أكل فطورنا ودنه حتى يموت بعد هذا يسرع فأفطروا وناموا فخرج إبراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شيء من الدقيق فمجنه فانتدوا وهو ينفع في النار واضنا

بل عاكفا له بكرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها تم له الأفضال الحارقة للمادات كما أن لنا صفة بها تم الحركات القرونة بارادتنا وباختيارنا وهي القدرة وإن كانت القدرة وللقدرور جميعا من فضل الله تعالى. والثالث أن له صفة بها يصير للانسكوة ويشاهدكم كأن البصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها البصيرات. والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في القريب إما في البقطة أو في اللئام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من القريب فهذه كالاتوصفات يعلم ثبوتها للأنبيااء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نحسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جللتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندري تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما العلوم مجامع الصفات التي بها تم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بمخمسائة عام فليس في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والترض التنبه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك. ولترجع إلى نقل الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا «خير هذه الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضغناؤها» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن لي حرفين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد» (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا (٣) وتكون منك أنبا كنت فأمرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له ولما من لا مال لها ولما يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد تبنتك الله بالقول الثابت. وروى أن السبع صلى الله عليه وسلم مر في سياحته رجل نائم ملتف في عبادة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله تعالى قال ما تريد مني؟ إلى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب ونحت رأسه لينة ووجهه ولحيته في التراب وهو مترن بعبادة فقال يا رب عبيدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أنني إذا نظرت إلى عبد يوجهي كله زيت عن الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ثم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهودي خير وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بني ديقا إلى هلال رجب قال فأثبته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما والله إنني لأمين في أهل السماء آمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأدبت إليه اذهب بدرعي

عاسنه على التراب فقالوا له في ذلك قال قات لعلكم لم تجدوا فطورا فتمن قالوا انظروا بأي شيء عاملناه وبأي شيء عاملنا. ومن أدبهم أن لا يقولوا عند الدعاء إلى أين ولم وبأي سبب قال بعض العلماء إذا قال الرجل للصاحب قم بنا فقال إلى أين فلا تصعب. وقال آخر من قال لأخيه أعطني من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الإخاء وقد قال الشاعر:

لا بأسون أخام حين يتدبرهم
لثنايت على ما قال بهانا
ومن أدبهم أن لا يشكفوا للاخوان

(١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضغناؤها لم أجده أصلا (٢) حديث إن لي حرفين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار من لادار له الحديث هذا ملفق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليصل لي بطعام مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولأحد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تقدم في دم الدنيا.

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد القرس (٢)» وقال عمر بن الخطاب «من أصبح منكم معافا في جسده أمنا في سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كعب الأحمار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشمار الصالحين». وقال عطاء الخراساني مرني من الأنبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا قال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخرا فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الجبائنا ما كان يتقاسم من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يارب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك قال الله تعالى للامثلة اكشفوا لبعدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من السكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطمئت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطمئت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء». وفي لفظ آخر «قللت ابن الأغنياء قتل بحسب الجدة» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قتلن ما شأتهن قتل شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولوا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام مسكان ملكه وآخر أصحابي دخولوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل النفي الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحب الحب البالغ اقتناه قتل وما اقتناه قال لم يتركه أهلا ولا مالا (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت النفي مقبلا قتل ذنب عجبت غفوته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أحبواك من خلقك حتى أحبهم لأجلك قال: كل قبيح قبيح فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديدا الضر وقال السبع صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد القرس الطبراني من حديث عداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافا في جسده الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطمئت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب النكاح مع الزبارة التي في آخره (٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولوا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت ابن عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت النفي مقبلا قتل ذنب عجبت غفوته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الفرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى فذكره بزيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحليمة من قول كعب

قبل لما ورد أبو حفص الصراق تكلف له الجنب أنوعا من الأطعمة فأشكر ذلك أبو حفص وقال صبر أصحابي مثل الخناثيص يقدم لهم الألوان واقتوة عندنا ترك التكلف وإحضار ما حضر فإن التكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف يستوى مقامه وذهابه ومن أدبهم في الصحة للداراة وترك الداهنة وتشفية للداراة بالاداهنة والفرق بينهما أن للداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت ما نكره

عليه وسلامه إني لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامي إليه صلوات الله عليه أن قاله
 يابسين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون
 إليك ولا يجيئون ونجى إليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر
 وخباب بن الأثرث وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فأجابهم
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التآذي برأحتهم وكان لباس القوم الصوف
 في شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاعتد ذلك على الأغنياء منهم الأنقرع بن حابس
 النخعي وعبيدة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فزل عليه قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
 بالقراءة والشيء يريدون وجهه ولا تمد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريد زيادة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء
 - ولا تطع من أغفل قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن
 ومن شاء فليكفر (١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من
 أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأزل الله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى
 وما يدريك لعله يزكي أو يذكر فتغفله الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت له
 تصدى (٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يؤتى بالبد يوم القيامة فيتمتد الله تعالى
 إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهُوانك عليّ ولكن
 لما أعددت لك من السكرامة والفضيلة أخرج ياعبدى إلى هذه الصفوف فمن أطلعكم في أو كاس في
 يريد بذلك وجهي فخذ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من
 فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة (٣) » وقال عليه السلام « أكرموا معرفة الفقراء وأخذوا
 عندهم الأداة فإن لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا
 من أطلعكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة (٤) »

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم
 اجعل لنا يوما ولهم يوما الحديث في زول قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم - الآية
 تقدم من حديث خباب وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وبغضهم إذا عرقوا وهذه الزيادة
 من حديث سلمان (٢) حديث استأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من
 أشراف قريش وزول - قوله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى - الترمذي من حديث عائشة وقال غريب قلت
 ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث يؤتى بالبد يوم القيامة فيتمتد الله إليه كما يعتذر الرجل إلى
 الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهُوانك عليّ الحديث أبو الشيخ
 في كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أدنوا مني أعبائي
 فنقول لللائكة ومن أحبوا فليقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول أماني لم أزو الدنيا عنكم
 لهُوان كان بكم علي ولكن أردت بذلك أن أضف لكم كرامات اليوم فتمنوا على ما شئتم اليوم
 الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي في الحديث الذي
 بعده (٤) حديث أكرموا معرفة الفقراء وأخذوا عندهم الأداة فإن لهم دولة الحديث
 أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي بسند ضيف أخذوا عند الفقراء أي أدنى فإن لهم دولة
 يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة نادى مناد عبثوا إلى الفقراء فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدهم إلى

والدهانة ما قصدت
 به شيئا من الهوى
 من طلب حظ أو إقامة
 جاء . ومن أدهم في
 الصبر رعاية الاعتدال
 بسين الانقباض
 والانقباض ، نقل عن
 الشافعي رحمه الله أنه
 قال : الانقباض عن
 الناس مكسبة لعداوتهم
 والانقباض إليهم مجلبة
 لقرناء السوء فكأن
 بسين التقبض
 والتبسط . ومن أدهم
 ستر عورات الإخوان
 قال عيسى عليه السلام
 لأصحابه : كيف
 تصنعون إذا رأيتم
 أخاكم نائما فكشف
 الرمح عنه ثوبه قالوا
 نستره ونغطي فقال
 بل نكشفون عورته

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أمال النساء فأخبرتهن الأحرار الذهب والحرير وأمال الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ونفذت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حق لقيت للشيئات وظننت أنني لأراك ، فقلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بحالي (١) فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابعة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة (٢) وهو من الأغنياء الذين قل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا (٣)» ومع هذا فقد استضرخنا إلى هذا الحد «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال لوقم نور هذا على أهل الأرض لوسمهم (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «الآخركم مالوك أهل الجنة قالوا يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أنتم على الله لأبره (٥)» وقال عمران ابن حصين «كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فويل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقف بياب فاطمة ففرق الباب وقال السلام عليكم أودخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي يبكك بالحق نبيا ما لي إلا عيادة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف يرأسى فألقى إليها ملاء كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم بالبناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما نى أنى لست أقدر على طعم أكله فقد أضربى الجوع فكيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى بالبناء فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولوسأت ربى لأطعمنى ولكنى أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبها وقال لها أيسرى فوالله إنك لسيده نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيده نساء عالمها ومريم سيده نساء عالمها وأنت سيده نساء عالمك إنسكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقضى بأبن عمك إلى أخيه في الدنيا [١] (١) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث إلا من قال بالمال هكذا وهكذا متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم . (٤) حديث دخل على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لوقم نور هذا على أهل الأرض لوسمهم لم أجده (٥) حديث الآخركم عن مالوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقلوا مالوك وقد تقدم ولا بن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الآخركم عن مالوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أبى العباس مخطو بعض الفضلاء حديث أنخروا مع الفقراء أباى وكذا حديث الفقر فخرى قال كلاهما كذب انتهى وكذا رأيت في كلام له آخر .

قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحكم بسمع في أخيه بالسكعة فيزيد عليها وبشيء بها أعظم منها ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر الثيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع السكاره عنهم . حكى أن أخوين اتسلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إنى ابتليت بهوى فان شئت أن لا تقعد على محبت لله فقلل فقال ما كنت لأحل عقد إختائك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواء وطوى ربين يوما كمالا يسأله

فوالله لقد زوجتك سيدي في الدنيا سيدي في الآخرة^(١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكلموا على جمع الدرام رمما» ثم أربع خصال بالقسط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولاة الأحكام والشوك من الأعداء^(٢)». وأما الآثار فقد قال أبو البرداء رضي الله عنه: ذوالدرهمين أشد حسبا أو قال أشد حسبا من ذي الدرهم، وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرغب في ذلك الخلق فشق وجهه صررا وفرقه ثم قام يصلي ويكفي إلى النداء ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في محارم فيؤخذ يده فيخرج^(٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا جرابه فلا يقال له أيتها تريد وقيل جاء فقبر إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له نخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يؤذون أنهم فقراء لكثرة تحريه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمن لما رأيت النبي أدل منه في مجلس الثوري ولأرأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لئجا منهما جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في النفي لئاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لمدى للدارين جميعا وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالنفي وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لانه لا تعترق أحد الحلقان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حيك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيتارك بحالهم من علامة الصالحين وفرارك من صحتهم من علامة اللئقين، وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتكت تقسطن من عني فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمروق وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا نظطرين عليه وكانت صائفة فقالت لو ذكرتني لفتك، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت اللحق بني فطيك ببش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعه^(٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أصل ذلك أبدا رضي الله عنه.

- (١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه قال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فبذل لك في صيافة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جملة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك الخلق فشق وجهه صررا وفرقه ثم قام يصلي ويكفي إلى النداء ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في محارم فيؤخذ يده فيخرج» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا جرابه فلا يقال له أيتها تريد وقيل جاء فقبر إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له نخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يؤذون أنهم فقراء لكثرة تحريه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمن لما رأيت النبي أدل منه في مجلس الثوري ولأرأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لئجا منهما جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في النفي لئاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لمدى للدارين جميعا وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالنفي وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لانه لا تعترق أحد الحلقان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حيك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيتارك بحالهم من علامة الصالحين وفرارك من صحتهم من علامة اللئقين، وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتكت تقسطن من عني فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمروق وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا نظطرين عليه وكانت صائفة فقالت لو ذكرتني لفتك، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت اللحق بني فطيك ببش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعه» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أصل ذلك أبدا رضي الله عنه.
- (٤) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه قال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فبذل لك في صيافة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جملة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك الخلق فشق وجهه صررا وفرقه ثم قام يصلي ويكفي إلى النداء ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في محارم فيؤخذ يده فيخرج» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا جرابه فلا يقال له أيتها تريد وقيل جاء فقبر إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له نخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يؤذون أنهم فقراء لكثرة تحريه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمن لما رأيت النبي أدل منه في مجلس الثوري ولأرأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لئجا منهما جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في النفي لئاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لمدى للدارين جميعا وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالنفي وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لانه لا تعترق أحد الحلقان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حيك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيتارك بحالهم من علامة الصالحين وفرارك من صحتهم من علامة اللئقين، وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتكت تقسطن من عني فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمروق وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا نظطرين عليه وكانت صائفة فقالت لو ذكرتني لفتك، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت اللحق بني فطيك ببش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعه» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أصل ذلك أبدا رضي الله عنه.

عن هواه يقول ما زال فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال فأكل وشرب ومن أدهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى الداراة ولا يلجئوا إلى الاعتذار ولا يتكلموا للصاحب ما يشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد صاحب على مراد أنفسهم قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شر الأسدقاء من حوكم إلى مداراة أو الجأك إلى اعتذار وتكلفت له. وقال جعفر الصادق أنزل إخواني على من يتكلف لي وأعطف منه وأخففهم على قلمي

يان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كعشاه وقنع به » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضامن قلوبكم تنظفروا بثواب فقركم والإفلاحة » فالأول القانع وهذا الراضى وبكاد يشعر هذا معقوله أن الحرص لأتواب له على فقره ولكن المعومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل للراى بدم الرضا والكرهاة لفضل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقله إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فذلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر ، وروي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم في جلساء الله تعالى يوم القيامة » (٢) وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقاف » (٤) وقال « ما من أحد غنى ولا فقر إلا أدته يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا » (٥) وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة فلوهم قال ومن ثم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم « لأحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفون من خلقي فقول الملائكة ومن هم بارنا يقول فقراء المسلمين القانعون ببطان الراضون بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون » (٧) فهذا في القانع والراضى . وأما الزاهد فقد ذكر فضله في الشرط الثانى من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثير ولا يخفى أن القناعة بضادها الطمع ، وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه إن الطمع قهر واليس غنى وإنه من يشى عمافى أيدى الناس وقنع استنى عنهم . وقال أبو مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم إلا ومك نادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل بكفك خير من كثير يطعك وقال أبو البراء رضى الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفى عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار اثبات في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يذهب وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما لقي قلة قاله عنك ورضاك بما يكفك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فقتل به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وانت جائع

(١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كعشاه وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضامن قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنى هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصرى متهم بالكذب ووضع الحديث (٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الدار قطنى في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكالم الأخلاق وابن عدى في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر . (٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى من الله لم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير المتتبع (٥) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا مسلم من حديث أنى هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث ما من أحد غنى ولا فقر إلا أدته يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفون من خلقى ؟ فقول الملائكة ومن هم بارنا يقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس .

من أكون معه بما أكون وحدى فأذاب الصعبة وحقوق الأخوة كثيرة والحكايات في ذلك يطول قلها وقد رأيت في كتاب الشيخ أبى طالب المكي رحمه الله من الحكايات في هذا للمنى شيئا كثيرا فقد أودع كتابه كل شئ حسن من ذلك وحاصل الجميع أن العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد لكل ما يريد لمولاه لانفسه وإذا صاحب شخصا تكون محبته إياه لله تعالى وإذاحبه لله تعالى يجتهد في كل شئ يرضه عند الله زلى وكل من قام بحقوق الله تعالى برزقه

قال نعم قال فضيحت قال نعم قال ثم تحت طيما قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصعب أنا بالدينا والنفس تمنع بهذا القدر ومما رجع إليهم بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً وبقلا فقال له يا عبد الله أَرْضَيْتَ مِنَ الدِّينِ بِهَذَا قَالَ لَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ رَضِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَنْ رَضِيَ بِالْدينِ عِوَاذَ الْآخِرَةِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ وَاسِعَ رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ خُزْنًا يَأْبَسُ قَبْلَهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ بِالْمَلْحِ وَيَقُولُ مَنْ رَضِيَ مِنَ الدِّينِ بِهَذَا لَمْ يَخْجِ إِلَى أَحَدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَنْ اللَّهُ أَقْوَامًا أَقْسَمَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ لَمْ يَصْدُقْهُمْ ثُمَّ قَرَأَ - وَفِي السَّاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ فَوَرَبِ السَّاءِ وَالْأَرْضِ إِنِّي لَخَلِّقُ - الْآيَةُ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا جَالِسًا لِلنَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ أَجْلَسْ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ مَا فِي الْبَيْتِ هُمَةٌ وَلَا سَهَةٌ فَقَالَ يَاهُمَةُ إِنْ بَيْنَ أَيْدِيْنَا عَقَبَةٌ كَثُودًا لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كَلَّ حَنْفٌ فَرَجَتْ وَهِيَ رَاضِيَةٌ وَقَالَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْكَفْرِ ذَوُ فَاقَةِ الْأَصْبَرِ لَهُ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَّامِ مَا مَالُكَ فَقَالَ اتَّجَمَلْتُ فِي الظَّاهِرِ وَاتَّقَصَدْتُ فِي الْبَاطِنِ وَالْيَأْسُ عَمَّا أَيْدِي النَّاسِ وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ الْمَوْلَى يَا بَنَ آدَمَ لَوْ كُنْتَ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَأَكَلْتُ بِكُنْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا الْقُوَّةَ فَإِنَّا نَأْتِي بِكُنْ مِنْهَا الْقُوَّةَ وَجَعَلَتْ حَسَابَهَا عَلَى غَيْرِهَا فَنَأْمَسْنَا إِلَيْكَ وَقَدِّقْ فِي الْقَنَاعَةِ:

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بياس فان المز في الياس واستغن عن كل ذي قرى وذى رحم إن التنى من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا التنى أيضا :

يا جامعا مانعا والبهز يرمقه مقدرا أى باب منه يفلقه
مفكرا كيف تأتبه منيته أغاديا أم بها يسرى فطره
جعت ما لا تقلل لى حل جمعت له يا جامع المال أيا ما فخره
للال عندك غزون لوارثه ما للمال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يبال فق يندو على همة أن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنس والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يهلك بساحتها لم يبق في ظلها ثم يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيده والخواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر . وقال ابن عطاء الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجنيده دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته همة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبيننا وجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهندنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل ، فأما الفقر والنوى إذا أخذنا مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول : أما يتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس يحريص على الطلب بل هو قانع أوراض بالإضافة إلى غنى منفق ماله في الحيرات ليس حريصا على إمساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص إذ لا يخفى أن الفقير القائم أفضل من التنى الحريص المسك وأن التنى اللينق ماله في الحيرات أفضل من الفقير الحريص أما الأول فرجما يظن أن التنى أفضل من الفقير لأنهما تساويا في نصف الحرص على المال والتنى متقرب بالصدقات والحيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فبا نحبه ، فأما التنى المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يضيق على الفقير القانع وقد يشهد له ماروى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات والحج والجهاد فسلمهم كلمات في التسريح وذكر لهم أنهم يبالغون بما هو قانع ماله الأغنياء فسلم الأغنياء ذلك

الله تعالى علما بمعرفة النفس ويعسوها ويسرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما

يحتاج إليه فيها يرجع إلى حقوق الحق وفيها يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبت النفس وعدم تركبتها وبقاء صفاتها عليه فإن صحبت ظلت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتهدت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والحكماء واللواعظ والآداب وصماها لا يصل في النفس

سكانوا يقولونه فساد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لماسئل عن ذلك فقال الثنى أفضل لأنه وصف الحق أمادليه الأول فضيه نظر لأن الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الثنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «بثت الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال إن رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وعن جثت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحبون ولا تقدر عليه ويستمررون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصة واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا النبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة إذا قال الثنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الثنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى يزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن الثنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أتري أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبى أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعباد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبى أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى في روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء رداء والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمت» (٣) وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنها من صفات الرب تعالى فمن هذا الجسنى تكلموا في تفضيل الثنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بمومات قبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضها إذا كما يناقض قول من فضل الثنى بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الثنى لأنه وصف للعباد العلم والعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف للعباد وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن الما لا يراد لهينه بل يراد لغيره فينبى أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لهيها ولكن لكونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لهينه لكن لأن فيه قد عاتق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله الثنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وكمن فقير شغله الفقر وصرفه عن التصدقة والتصدق في الصدقة الدنيا

(١) حديث شكك الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه (٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بثت الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إلى الأغنياء ذهبوا بالجنة يحبون ولا تقدر عليه الحديث وفيه بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشترك فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الله عليهم أغنياءهم قال يا بشر الفقراء ألا أشرككم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء رداء والعظمة إزارى تقدم في العلم وغيره.

زيادة تأثير ويكون كبر قلب فيه للقاء من فوقه فلا يمتك فيه ولا يتمتع به وإذا أخذت بالتقوى والزهدة في الدنيا نبع منها ماء الحياة وتنقعت وعلت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

[الباب السادس
والحسنى في معرفة
الإنسان نفسه
ومكاشفات الصوفية
من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو
التجيب السمرودي
قال أنا الشريف نور
الهدى أبو طالب الزنى
قال أنا كريمة للروضة
قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير يمكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أنَّ الغنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراغه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا مشغولة الفاعلين المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفائد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من قنده إذ الجامع يسلك سبيل الموت لا سبيل للفرقة وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد إذ فتنه السراء أشد من فتنه الضراء ومن الصمة أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم لبينا بفتنة الضراء فصرنا وبينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقه الآدميين كلهم إلا الشاذ القذ الذي لا يوجد في الأصناف الكثيرة إلا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك النادر والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر جزر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام : لا تنتظروا إلى أموال أهل الدنيا فإنَّ بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم . وقال بعض العلماء : قلبب الأموال بمص حلاوة الإيمان وفي الخبر « إن لكل أمة محبلا ومحبلا هذه الأمة الدينار والدرهم ^(١) » وكان أصل محبل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والحجر إنما يتصور للأشياء عليهم السلام والأولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان الذي صلى الله عليه وسلم يقول : يا صفراء غري غري وبياضاء غري غري وذلك لاستثماره في نفسه ظهور مبادئ الاعتراها بها لولأن رأى برهان ربه وذلك هو الغنى للطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس ^(٢) » وإذا كان ذلك بعيدا فاذا الأصلح لكافة الخلق قد لال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أسن بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستثمار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما بأنس العبد بالدنيا يستوجب من الآخرة ويقدر ما بأنس بصفة من صفاته سوى سفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لعمالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره فمن أبطل على غيره فقد تجافى عنه ومن أبطل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها مثل الشرق والغرب فانها مجتمعتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوه عن الدنيا وأنه فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب

النكس من غير قال أخبرنا أبو عبد الله القري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال ثنا عمر ابن حفص قال ثنا أبي قال ثنا الأعمش قال ثنا زيد بن وهب قال ثنا عبد الله قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق للصدوق قال « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه ومثاق أمه بعد ثم ينفع فيه الروح وإن الرجل ليعمل بعمل

(١) حديث لكل أمة محبل ومحبلا هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول الدنيا لها بك عن الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن السال ويكون حبه دفتيا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقد فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفاتا فليطمأن أنه كان مغرورا فكأن من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فيمد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحرق إذن أنه كان مغرورا وأن العشق كان مستكنا في القواد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فانطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأسنه بالدين أضنف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف نواب تسيحاته وعبادته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأغنيائها بل ليتأكد بها الأنس بالذكور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحلفاء ومثل من ينسل يده من النمر بالسلك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشبهه صبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله : ادع الله لي فقد أضرت في العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعائك أضل من دعائي وكان يقول مثل الغنى التعبد مثل روضة على منزلة ومثل الفقير التعبد مثل عقد الجوهري في جيد الحسنة وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء . وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدليل عند النصف من نفسى والزهد في جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يجذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد المسال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغنى أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوتى الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانونا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأرجع كل يوم خمسين دينارا وأصدق بها في سبيل الله تعالى قبل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء نصب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان العبد غنيا عن وجود السال وعدمه جميعا بأن يستوى عنده كمالا فأما إذا كان غنيا بوجوده ومفترا إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غنى بريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تنطبق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فليقت به ، نعم قد براد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما يصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والسبب ما مور

أهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل ليعمل بعمل
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين -
أي حرن لا استقرارها
فيه إلى بلوغ أمهاته
قال بعد ذكر قلبه تمس
أنشأه خلقا آخر - قيل
هذا الانشاء نفع الروح
فيه . واعلم أن الكلام
في الروح صعب المراد

به بأنه يطلب أعلى للراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حق لا بالباطل والتلبس فقل
العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطيب أكبر من الناصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان
أكبر من البهيمة والجسد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة
لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا تامة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فان ذلك
موقوف على الحاجة وليس بدرى الحاجة كيف تكون وكيف تنفق فلهجه بذلك وجب أن لا يستند
لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يغتم للكافر بالإيمان وقد يغتم به بالكفر فلم يكن ذلك لاحتاجه
لتصور عمله عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من
صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم خصانا في حقه إذ ليس
من أوصاف الله تعالى علم يضره لمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في العبد من صفات
الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة به فضل الأنبياء والأولياء والطباء فاذن لو استوى عنده وجود
المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو
فضيلة كما أن الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغنى الشاكر .

[المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحرص إلى حال الغنى الحرص] ولنفرض هذا في شخص واحد
هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة التقدر وحالة الوجود فأى حاله أفضل فنقول:
ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في العيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
فحال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر لا كرا لإقترانه مدخوله
بشغل والسكنى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوتك ل محمد كقوتك ل داود » وقال « كاد
الفقر أن يكون كفرا » أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة وكان
المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن للتصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح
لأنهما استويا في الحرص وحسب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والغنى ولكن افرقا في أن الواحد
الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والغنى ولكن افرقا في أن الواحد
يأمن بما وجده فيتأكد به في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفائدة لا يضطر بتجاف قلبه عن الدنيا وتكون
الدنيا عنده كالسجن الذي يفي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما
أشد ركونا إلى الدنيا فحال أشدلا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد
أنه بالدنيا وقد قال عليه السلام « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة »^(١)
وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو
الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لا
تعب وكل من فارق محبوا فيكون إذا فراقه بقدر حبه وقدر أنه به وأنس الواجد لله الدنيا القادر عليها أكثر
من أنس الفاقدها وإن كان حرصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأكرم والأفضل
والأصلح لكافة الخلق لإلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود
والعدم فيكون الوجود مزبلا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والسالكين وجمع مهم والثاني الفقر عن
مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا أو أخيرا فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يفي حياته
ثم يستعين به في الكفر والمعاصي ولومات جو عا لكانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت
جوا ولا يمجدا يضطر إليه أيضا ثم هذا نصيب القول في الغنى والفقر ويقتضي النظر في فقر حرص متكالب على

والامساك عن ذلك
سبيل ذوى الأحلام وقد
عظم الله تعالى شأن
الروح وأسجل على
الخلق بقية العلم حيث
قال - وما أوتيت من
العلم إلا قليلا - وقد
أخبرنا الله تعالى في كلامه
عن إكرامه بنى آدم
فقال لو قدر كرمتا بنى
آدم وروى « أنه لما
خلق الله تعالى آدم
وذريته قالت الملائكة
يا رب خلقهم يا كلون
وحرهبون وينكحون
فاجعل لهم الدنيا ولنا
الآخرة فقال وعزى
وجلالى لا أجل فذرية
من خلقت يدي كمن
فلته كن فكان « فلع
هذه الكرامة واختياره
سبحانه وتعالى ليأمر على

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له ثم سواء وفي غنى دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن نتيجته بفقد المال لوقفته كمنعج الفقير بقره فهذا في محل النظر والأظهر أن يمدحها عن الله تعالى بقدر قوته فينجعها لفقد المال وقهرهما بقدر ضعف نتيجتهما بفقدته والممدح عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في قفره)

اعلم أن الفقير آداباً في باطنه وظاهره وغلظه وأقداله ينبغي أن يراعيها فأما باطنه فإن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعمى أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث إنه فعله وإن كان كارهاً للفقر كالحجوم يكون كارهاً للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهاً فعل الحجامة ولا كارهاً للحجاء بل ربما يتفكر منه فهذا أقل درجاته وهو واجب وهيمه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام « يامشتر الفقراء أعطوا الله الرضا من توبكم تنظروا وباشوا فقركم والإفلا » وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعله يفيؤ إلى الفنى ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى واتمماً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لعلاله ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به به ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويصمى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتخطى القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتخطى ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعله يشعره إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ على ثلاثة أثلاث : شغل وهم وطول حساب . وأما آداب ظاهره فإن يظهر التمعف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يسترقعه ويستتره يستتره في الحديث « إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف بالعيال » وقال تعالى « محسبهم الجاهل الأغنياء من التعفف » وقال سفيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بعضهم ستر الفقر من كوز الزبر . وأما في أعماله فأدبه أن لا يتواضع لشيء لأجل غناه بل يشكر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع النبي للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تبه الفقير على النبي ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراد وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين إذا خالط الفقير الأغنياء أغلعت هروته فإذا طمع فيها أهطلت عصمته فإذا سكن إليهم ضل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداخلة للأغنياء وطعاً في العطاء وأما أدبه في أفعاله فإن لا يكثر بسبب الفقر عن عبادته ولا يتعبد بذلك قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد القل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهماً من درهمين ليعلم غيرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة » (١) وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي في الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليومة وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً فإن زاد عليه داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من معاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجلاً من عرض ماله مائة ألف الحديث الثاني من حديث أبي هريرة متصلاً وقد تقدم في الزكاة ولا أمل له من رواية زيد بن أسلم مرسل .

اللاشكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال - ويشلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - الآية قال ابن عباس قالت اليهود للنبي عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجهم فأتاه جبرائيل بهيئة الآية وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهية بأذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره

في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر سنته وهي أقصى الراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ففى الصالح الضيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فيضن كان يطبخها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبضن قوت أربعين يوما وبضن يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال)

يبنى أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس اللال وغرض اللعطي وغرضه في الأخذ أما نفس اللال فيبنى أن يكون حلالا خاليا عن الشهات كلها فان كان فيه شبهة فليتر من أخذها وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنبها وما يستحب وأما غرض اللعطي فلا غنى إلا أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الدار والرياء والسمة إما على التجرد وإما بمزجها ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن يبنى أن لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالأولى تركها فان علم أن بعضها مما عظم فيه الله فلا بد لبعضه دون البعض فقد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال وقد هممت أن لأتبع لإمن قرشي أوثقى أو أنضارى وأدوسى (٤) وفضل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح الوصلى صرة فيها خسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإما يرد به على الله» (٥) ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقيل من الناس مثل هذا فإني الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليلى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر وإسناده جيد وقال وكيع مرة عن يلى بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وأيم الله لأقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يصكون مهاجريا الحديث فيه محمد بن إسحق ورواه بالضعفة (٤) حديث قد هممت أن لأتبع لإمن قرشي أوثقى أو أنضارى أو أدوسى الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات (٥) حديث عطاء مرسل من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فإما يرد به على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولا أحمد وأبي يلى والطبرانى بإسناد جيد من حديث خلف بن عدي الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرد به فإما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولأحمد وأبي داود الطيالسى من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا اللال شيئا من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر ما ناك من هذا اللال وأنت غير مشرف ولا سائل ففقه الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما خاضت الأنفس الانسانية للتطلعة إلى الفضول المتشوقة إلى الفضول المتحركة بوضعها إلى كل ما مره بالسكون فيه والتسورة محرصا إلى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارب الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتوعدت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب التمثل والفصل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو زومت النفوس حدها متفرقة بجزءها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويمرض عليه غريم اللين فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صدقه شيئا يقول أتركه عندك وانظر إن كنت بصد قبوله في قلبك أفضل ، فيقبل القبول فأخبرني حتى أخذته وإلا فلا ، وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقبول ويرى اللذة على نفسه في قبول صدقه هديته ، فإن علم أنه يجازجه منه فأخذه مباح ولكه مكروه عند الفقهاء الصادقين . وقال بشر : ما سألت أحدا قط شيئا إلا سرى السقطي لأنه قد صبح عندي زهد في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويترحم يفتائه عنده فأكون عونا له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجند رحمه الله بقال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا . قال ومضى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الحل والبقول بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه ، فقال الخراساني ما أريد في بغداد أمن على منك ، قال الجند ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون للثواب المجد وذلك صدقة وزكاة فليبه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يعطيه ليدنه فيلنظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لمصلحة في السر يعلم أن العطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كالو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه . الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري رد ما يعطى ، ويقول : لو علمت أنهم لا يدكرون ذلك افتخارا به لأخذت ، وعوبب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، قال إنما أرد صلتهم إشغافا عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحسون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فلا بد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في العطي فالأفضل له الأخذ . قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما للعطي من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه (٢) » وفي لفظ آخر « فلا يرده » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطوقد كان سرى السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليهما شيئا فردته مرة ، فقال له السري : يا أحمد احذر أفة الرذائل أهد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فأحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فأقتنه إلي ، وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما إذا كان مأثرا زائدا على حاجته فلا يغلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والدعاء ، فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وإسماكة إن كان طالبا لطريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس به فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في العلاية

(١) حديث ما للعطي من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا للطيران من حديث ابن عمر وقد تخدم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استئراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرده قدما قبل هذا بحديث .

وأولى فأما أقول
من ليس متمسكا
بالشرائع فسنزه
الكتاب عن ذكرها
لأنها أقوال أبرزتها
العقول التي ضلت
عن الرشد وطبعت
على الفساد ولم يعيها
نور الاهتداء ببركة
متابعة الأنبياء فهم كما
قال الله تعالى - كانت
أعينهم في غطاء عن
ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعا - .
وقالوا قلوبنا في
أكنة عما تدعونا
إليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك
حجاب - فلما حببوا
عن الأنبياء لم يسموا
وحيث لم يسموا لم
يتدوا فأصروا على

وردد في السر أو يأخذ في العلانية ويغري في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمانت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كلهما في السر أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا جل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السفلى رحمهما الله فاعلموا كان لاستنائه عنه إذا كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يقتتل بأخذه وصرفه إلى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن ميكيدة الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للإغاثي في سيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أما جالس كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يأمن يرى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لا تمكاد قواربه قتل في حصى لا جاد لدرامي موضعا أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليهما ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة ثمن مؤثرين ودرهم أضعف ثلاثا فلا حاجة لي إلى الباقي فزده . قال فرأيت اللبلة الثانية وعليه مؤثران جديدان ففجس في حصى منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخذه خش تحت أقدامنا إلى الكمين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أقال وقتة وذلك العباد فيه رحمة ونعمة ، والقصود من هذا أن الزيادة في قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رقاياك ، فلا تنفل عن الفرق بين الفرق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبايهم أجمعين أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم عليه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، لما زاد فهو حساب » (١) فاذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تمس الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب ، ومن الاختيار أيضا أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فان النفس إذا رخص لها في قرض العزم ألقت هضم العهد وعادت لمادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فان أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بمقوق الفقراء وتمهد جماعة من الصلحاء غفدا مازدا على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فان إساءة ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختيار فرما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتمتع في العلم والتسرب وذلك هو الحلاك . ومن كان غرضه الفرق وطالب الثواب به فله أن يستعرض على حسن الظن بالله لاطل أعياد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاءه وإن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يفر للقرض ولا يبعده بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى

الجهالات وحجبوا
بالمقول عن المأمول
والعقل حجة الله تعالى
يهدى به قوما ويضل
به قوما آخرين فلم
تنقل أنوالم في الروح
واختلافه فيه . وأما
للمستمكن بالشرائع
الدين تكلموا في الروح
قعود منهم بطريق
الاستبدلال والنظر
وقوم منهم بلسان
الدوق والوجد
لا باستعمال الفكر
حق تكلم في ذلك
مشايخ الصوفية أيضا
وكان الأولى الإساءة
عن ذلك والتأدب
بآداب التي عليه الصلاة
والسلام . وقد قال
الجنيد : الروح شيء
استأثر الله بملء ولا

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم عليه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه فزاد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الحبز والماء بدل قوله طعام يقيم عليه وقال صحيح .

- ومن قدر عليه رزقه فليفتق عما آتاه الله - قبل معناه لبيع أحد توبيه وقبل معناه فليستقرض
بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم إن لله تعالى عبداً ينفقون على قدر بضائعهم وله عباد ينفقون
على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله ثلاث طوائف الأقوياء والأغنياء والأغنياء
قبل من هؤلاء ؟ قال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل حسن الظن بالله
تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الاشطاع إلى الله تعالى فاذن منهما وجدت هذه الشرطتين وفي المال وفي
المطى فلما أخذ ويبنى أن يرى ما يأخذه من الله لامن المطى لأن المطى واسطة قدسخر للمطاع وهو
مضطر إليه بما سيطر عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات . وقد حكى أن بعض الناس دأبنا
في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما قد صدق لأصحابه إن هذا الرجل يقول لمن لم يرى
صنت هذا الطعام وقدمت فطامى عليه حرام قداموا كلهم وخرجوا لإشباعهم كان دونه من الدرجة
قال صاحب اللزلة لثقيف ما صدقت بهذا قال أردت أن أخبر توحيد أصحابي كلهم . وقال موسى
عليه السلام : يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يدي هذا يوماً ويمشي هذا ليلة
فأوصى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي يؤجروا
فيهم فلا يبنيني أن يرى المطى إلا من حيث إنه مسخر ما جور من الله تعالى نساء الله حسن التوفيق لما يرزاه .

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أنك قد وردت منه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه إشاماً يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه
وسلم « للسائل حق ولو جاءه من فرس » (١) وفي الحديث « ردوا السائل ولو بطنف عرق » (٢) ولو كان
السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة التمدى على عدوانه والإعطاء إعانة للكاشف للفظاء فيه أن السؤال
حرام في الأصل وإعانة يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان غنياً فهو حرام
وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله
تعالى إذ السؤال إظهار للفقير وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكان أن العبد للملوك
لوسائل لكان سؤاله تشييعاً على سيده فكذلك سؤال العباد تشييع على الله تعالى وهذا يبنى أن
يحرم ولا يعمل إلا للضرورة كما عمل لليلة . الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس
للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فاتهم
عباد أمثاله فلا يبنيني أن يذل لهم إلا للضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى السئول . الثالث
أنه لا ينفك عن إيذاء السئول غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه باليد عن طيب قلب منه فإن يذل
جاءه من السائل أورياه فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استجبا وتأنى في نفسه بالنع إذ
يرى نفسه في صورة البخلاء في البذل قصان ماله وفي اللع قصان جاهه وكلاماً مؤذيان والسائل
هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا للضرورة ومهما فهمت هذه المخذورات الثلاث فقد فهمت قوله

(١) حديث للسائل حق وإن جاءه من فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي
وفي الأول يدل على أن يحيى جهه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما
أبو داود وما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه يالنه عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث
تدور في الأسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد فقد أخرج حديث
الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو بطنف عرق أبو داود والترمذي وقال
حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مضطرب .

يجوز العبارة عنه
بأكثر من موجود
ولكن يعمل للصادق
محتملاً لقولهم وأفعالهم
ويجوز أن يكون
كلامهم في ذلك بمثابة
التأويل للكلام
الله تعالى والآيات
للزلة حيث حرم
تفسيره وجوز تأويله
إذ لا يصح القول في
التفسير إلا لقل وأما
التأويل فتحت
القول إليه بالباع
الطويل وهو ذكر
ما تحتل الآية من
الغنى من غير القطع
بذلك وإذا كان الأمر
كذلك فلقول فيه
وجه وعمل . قال
أبو عبد الله النجاشي
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من الفواحش مأحل الله من الفواحش غيرها»^(١) فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح للضرورة كإباحة شرب الخمر لئلا يفسد بقلته وهو لا يجد غيره. وقال صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فاعلم يستكثر من جمر جهنم»^(٢) «ومن سأل وله ما يفيضه ما جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقنع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه»^(٣) وهذه الألفاظ مرعبة في التحريم والتشديد «وباب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : ولا تسألوا الناس شيئا»^(٤) وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطينا ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا»^(٥) وقال عليه السلام «استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى»^(٦) ومع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بيد القرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فمشاه ثم صممه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشته فظهر عمر فإذا عثت يده محلاة بمولدة خبز اقبال لست سائلوا لكنت تاجر ثم أخذا لخلوة شرها بين يدي إلى الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولأن سؤاله كان حراما لماضيه ولا أخذ عطلاته ولعل الفقيه الضعيف اللثة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرح بالترديد وأما أخذه ماله فهو مصادرة والسرعة لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كما هم في حصوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه اطلاع على أسرار دين الله ومصالح عباده أقرى أنه لم يعلم أن المصادرة للمال غير جائزة وأعلم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في مصيبة الله وحاشاه أو أورد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعيها نبي الله وهبها فان ذلك أيضا مصيبة بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فاعلم أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقى المال لا مالك له فوجب صرفه إلى الصالح وإلصاق الصدقة وعطفها من الصالح وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ المولى بقوله إلى علوى وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وأخذ السوفى الصالح الذي يعطى لمصلحة وهو في الباطن مقارن لمصلحة لوعرفها العطي لما أعطاه وقد

(١) حديث مسألة الناس من الفواحش ومأحل الله من الفواحش غيرها لم أجده إلا (٢) حديث من سأل عن غنى فاعلم يستكثر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة والمسلم من حديث أبي هريرة عن يسأل الناس أموالهم تكثر فاعلم يسأل جرا الحديث وللبراز والطبراني من حديث مسعود بن عمر ولا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه وفي إسناده لين ولشيوخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفيضه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة (٤) حديث باب قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطينا ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه وياقهم ثقات (٦) حديث استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث البراز والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك وإسناده صحيح وله في حديث قفعفوا ولو بعزم الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ .

عن الحسن ويكبر عن اللبس ولا جبر عنه بأكثر من موجود وهو وإن منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم فكأنه عبر عنه . وقال ابن عطاء خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى - ولقد خلقناكم - يعني الأرواح - ثم صورناكم - يعني الأجساد . وقال بعضهم الروح لطيف قائم في كسيف كالبرص جوهر لطيف قائم في كسيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالأشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا لأن لا يمكن عمل على معنى الإحياء قد قال

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى المالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى ينقل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا يستدل بفعلك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح للضرورة فاعلم أن الشئ إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما الضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو يباح مهما وجدت بقية الشروط في الشئ لكونه مباحا والشئ لكونه مباحا راضيا في الباطن وفى السائل لكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطل ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة . وأما المستغنى فهو الذى يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا شأن طرफان واضعان وأما المحتاج حاجة مهمة فمثل المريض الذى يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف ولكن له جبة لا تقى تحته في الشتاء وهو يأذى بالبرد تأذى لا ينتهى إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشئ بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكرها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جيبى قميص والبرد يؤذنى أذى أطيقه ولكن يشق على فإذا صدق صدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستريح الحرق من ثيابه عن أعين الناس ولكن يسأل لأجل الأدم وهو واحد للخبز ولكن يسأل الكراء لقرسى الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شئ من المذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء للشئ فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن يتاج بها هذه المذورات وإن لم يكن فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فان قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المذورات . فاعلم أن الشكوى تدفع بأن يظهر الشكر والاستثناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبى رعونة النفس ثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما الذل فإن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذى يعلم أنه لا ينقص ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله والرجل السخى الذى قد أعد ماله لكل هذه الكرام فيرحب بوجود مثله ويتقصد منه من قبوله فيسقط عند الذل بذلك فان الذل لازم لفئة لا محالة . وأما الإيذاء فسيحل الخلاص عنه أن لا يمين شخصا بالسؤال بينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لولم يبذل لكان بإلام فهذا إيذاء فانه ربما يبذل كراهة خوفا من اللامة ويكون أحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا مينا فينبغى أن لا يصرح بل يعرض تعرضا يبق له سبيل إلى التعاقب إن أراد فإذا لم يتعاقب مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذى وينبغى أن يسأل من لا يستجيب منه لورده أو تخافه فان الحياة من السائل يؤذى كأن الرأى مع غير السائل يؤذى . فان ذلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطى هو الحياة منه أو من الحاضرين ولو لا ما ابتداء به فعل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم اغتنام القير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلد بباط أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياة وخوف اللام وضرب الباطن أشد نكابة في قلوب العقلاء

بعضهم الإحياء صفة
الهي كالخلق صفة
الحال وقال قل الروح
من أمرى - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بتخلق أى صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح معنى في الجسد
فمن الأقوال ما يدل
على أن قائله يعتقد قسم
الروح ومن الأقوال
ما يدل على أنه يعتقد
حدوثه ثم إن الناس
مختلفون في الروح الذى
سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
فقال قوم هو جبرائيل
وتدل عن أمير المؤمنين
على أن أبى طالب رضى
الله عنه أنه قال هو
ملك من الملائكة له

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى به وقد دل على الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »^(١) فإن هذه ضرورة القضاء في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردكم إلى البواطن وقرآن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجيح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا السؤال عاين البعد وبين الله تعالى والمحكمة فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللغة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أتوك وأتوك فإن الملقى معكم للقاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومضى القلوب هم علماء الآخرة وبغضوا من سخطوا سلطان الآخرة كما أن يتولى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فليعلم أن شيه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الحقة والمقابلة يقتضى عن مبدئه فإن لم يقبل هدته فليعلم أن رد ذلك إلى ورثته فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذى حصل به الأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يصير الاختلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فرمى بظن السائل أمر باطن ولا يكون هو في الباطن راضيا . فأقول لهذا ترك المتن السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا لإيمان السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علمت أنه يفرح بخروج السالم من يده فأنا أعينه على ما يحب وإنما عظم التكبر في السؤال وتأكد الأمر بالعرف لهذا لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل الخنزير وأكل لحم الخنزير فكان الامتناع طريق الورع ومن أرباب القلوب من كان واقفا يصير معنى الاختلاع على قرآن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يطمئنه ويورد بها كما فعل رسول الله ﷺ في الكيش والسمن والأخط وكان هذا فيما بينهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبة طمعا في جاد أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عن رأسا إلى موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم سألوا للإيمان علما أنه رغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والأخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علما أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا بأخوانهم أنهم كانوا يفرحون بما سألهم فإذا كانوا يسألون الأخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإفكانوا يستغنون عن السؤال ، وحده إباحة السؤال أن تعلم أن السؤال بصفة لو علم ما بك من الحاجة لا يتدألك دون السؤال فلا يكون لسؤال تأثير إلا في تصرف حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإنارة داعيته بالحيل فلا يتعدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويسم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال مطلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قلبه فيها وليترك حزاز القلب فانه الاتم وليع ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قوت فطنته ووضف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعت الفطنة تراه لما يوافق غرضه فلا يظن لقرائن الله والخلق الكراهة وهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »^(٢)

سبعون ألف وجهه
ولكل وجه منه
سبعون ألف لسان
ولكل لسان منه
سبعون ألف لغة يسبح
الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل
تسبيحة ملكا يطير مع
الملك إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خلق
الله صورته على صورة
بني آدم وما نزل من
السماء ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهيئة
الإنسان وليسا بناس
وقال مجاهد الروح على
صورة بني آدم لهم أيد
وأرجل . وروى

(١) حديث إنما تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلا وكذا قال الذى لما سئل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوى جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحد قرابته مياكل من أيدي الناس وإن أعطى غير سؤال فأنما يطى يدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لاسطى يدينه فيكون ما يأخذه حراما وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالطعام إذا مثل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا فقت أحوال من يأكل من أيدي الناس علت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلاك أنت أو مورثك فأذن بيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يخننا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه عنه وسمة جوده فانه على ما يشاء تقدير .

(بيان مقدار الثمن المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من سأل عن ظهر غنى فأنما يسأل جراً فليستقل منه أو ليستكثر » صريح في التحريم ، ولكن حدث الثمن مشكل وتقديره عسير وليس إلينا وضع التقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث « استفتوا بني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة ^(١) » وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قدسأل لحافا ^(٢) » وورد في لفظ آخر « أربعون درهما » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بوزودها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحداً والتقدير مجتمعه غاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك إلا بتقريب محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام قيم حله وثوب يوارى به عورته ويبت يكتنه فإذا فهو حساب » فلنجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والتقادير والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها مافي منها حتى يلحق بها الكراء للسافر إذا كان لا يقدر على الثمن وكذلك ما يجرى مجراه من اللحام ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالة كالإبنة أيضا . وأما التقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بقوى الدين وهو ثوب واحد وقيص ومنديل وسراويل ومبداً وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والفضة فيا يكفي فيه الحرف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والأدم على الدوام ففدته وقطعه بالسكية إصرار في طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأنه ما يجزى من حيث القدر وذلك من غير زينة فأما السؤال القرينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالاضافة إلى الأوقات فالحاجة إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات : إحداهما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوما أو خمسين يوما . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتقطع بأن من معه ما يكفي له ولعيله إن كان له عيال لستعسوا له حرام فإن ذلك غاية الثمن وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسة دنانير تكفي للفرد

(١) حديث استفتوا بني الله قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة تقدم في الزكاة من حديث سهل ابن الحنفلية قالوا ما ينبغي قال ما يشاء أو بعشيه ولأحمد من حديث على بن إسناد حسن قالوا وما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلة وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فذكره صاحب القردوس من حديث أبي هريرة . (٢) حديث من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قدسأل لحافا وفي لفظ آخر أربعون درهما قدسأل في الزكاة .

في السنة إذا اقصد أما للميل فرميا لا يكتفه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا فتوته فرسته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى التدفيع يكون قد سأل مالا يحتاج فيكفيه غداه يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وإن كان بقوته فرصة السؤال ولا يجد من يسطيه لآخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء متغير بيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يهينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لجه السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يغل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا قبل الضبط وهو منوط باجتهاد اليد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستغنى فيه قلبه وسجل به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقته يجمي* الرزق في المستقبل أم وقاعته بقوت الوقت أظهر قدرته عند الله تعالى أهل فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولبيائك لإلأمن ضعف اليقين والأسماء إلى تخوفه الشيطان وقد قال تعالى - فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يبدكم الفقر ويأمركم بالفتنة والله يبدكم مغفرة منه فضلا - والسؤال من الفتنة التي أجيبت بالضرورة وحال من يسأل حاجة متراخية عن يومه وإن كان ما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وأخر حاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما مآدان عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الحصلة من أمهات الهلكات ، سأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين و فقير لا يسأل وإن أعطى أخذ فهذا مع اللقيين في جنات الفردوس و فقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب البين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أن تمتنع الفاقة بحط الرتبة والدرجة . قال شقيق البلخي لإبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وظن أنهم لا وصفهم ترك السؤال قد أتاني عليهم فابتناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا قبل رأسه وقال صدقت بأستاذ فاذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يرقى إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والمعلو لا يقدر على الرقي قطعا وإنما السالك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تنهت حاله تنهت أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا إسحق النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستيقنته له فأثبت الجليد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري يسأل الناس إلا ليعظمهم وأما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم «يد المظي هي العليا»^(١) فقال بعضهم يد المظي هي يد الآخذ للعالم لأنه يظي الثواب والقدرة

صلى الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح للشئ عنه شيئا من هذا للقول فهو غير الروح التي في الجسد فلي هذا بسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه مجموعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله إلى أما كن معروفة لا يعيش عنه بأكثر من موجود لم يجد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كني لأنه لو خرج من كني كان عليه القدر قيل فمن أي شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وصلى ملاحظة الإشارة خصها بسلامه وسياها بسلامه

(١) حديث يد المظي هي العليا . سلم من حديث أبي هريرة .

لما يأخذهم قال الجنيد هات الزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على اللسان ثم قال احملها إليه فقلت في نفسي إني أبوزن الشيء أعرف مقداره فكيف خطبه مجهولاً وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى الثوري فقال هات الزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل له ألا أقل منك أنت شيئاً وأخذ مازاد على المائة فأزاد تصبني فسأله فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه وزن اللسان لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن ثم عز وجل فأخذت ما كان ثم تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكي وقال أخذ ماله ورد ما لنا الله السمان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطق باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه المهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طرقة فهو جاهل كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً قبل شربه ومن أنكره بعد أن طالع أجناده حتى بذل كنهه مجهوداً ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعله في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خالياً عن حظ واف من الجهل بل البصر أحد رجلين إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصديقه فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلاً إلى عين اليقين ولم يعلم اليقين أيضاً رتبة وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وعشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفي بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في الطعام والملبس والسكن والأثاث وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .

(بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كإقبال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن والإفليس القول مراداً لعينه وإن لم يكن صادراً عن حال مسمى إسلاماً ولم يسم إيماناً والعلم هو السبب في حال يجري مجرى الشعر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلذلك الحال مع كلاً طرفيه من العلم والعمل . أما الحال فنحن بها ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبسبب غيره فأنما عدل عنه لرغبته عنه وإعانة عدل إلى غيره لرغبته في غيره لحاله بالإضافة إلى المدلول عنه يسمى زهداً بالإضافة إلى المدلول إليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من الرغوب عنه وشرط الرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهداً إذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهداً وإنما يسمى زهداً من ترك الدرهم والدينار لأن التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط الرغوب فيه أن يكون عنه خيراً من الرغوب عنه حتى تخب هذه الرغبة قابلاً على ما لا يقدم على البيع إلا وللشئ عنه خير من البيع فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهداً أيقه بالإضافة إلى الموضع عنه رغبة فيه وجاوب ذلك قال الله تعالى - وشروه بشئ يفسد دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهي معتقلمن فل كن
وسئل أبو سعيد الخراز
عن الروح أغلوقة هي
قال نعم ولولا ذلك
ما أثرت بالربوبية
حيث قالت بل والروح
هي التي قام بها البدن
واستحق بها اسم الحياة
والروح ثبت العقل
والروح قامت الحجة
ولو لم يكن الروح
كان العقل معطلا
لا حجة عليه ولا له
وقيل إنها جوهر مخلوق
واصكها اللطف
المخلوقات وأصق
الجواهر وأنورها وبها
ترادى اللبنيات وبها
يكون الكشف لأهل
الحقائق وإذا حجب
الروح عن مراعاة
السير أساءت الجوارح

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يغفلوا لهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا ن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بنحويين اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن يعيل إلى الباطل خاصة وإن كان هو للبل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالمدول إلى شيء هو أحب منه . وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوي الله تعالى حتى القناديس ولا يجب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والقواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك اللباغات التي هي حظ النفس ، ولا يعد أن يقدر على ترك بعض اللباغات دون بعض كما لا يعد ذلك في المحظورات ، وللتقصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصم هذا الاسم بترك اللباغات فاذا ن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في اللزغب فيه أن يكون خيرا عنده فيشرط في اللزغب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يازاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا فبأذا زهدت ؟ . وأما العلم الذي هو شمر لهذه الحال فهو العلم بكون التروك حقيرا بالاضافة إلى الأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعذ الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا . ولا يصير على مالك الثلج يسه بالجواهر والآل . فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالذي كالتلج في الموضوع في الشمس لا يزال في القويان إلى الاضرار والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة الدين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - . ثم بين أن مفقدهم راحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا ؛ إما لضعف علمه ويقينه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم إلى أن يحطفه للوت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الموت وإلى تعريف خسارة الدنيا بالإشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف خسارة الآخرة بالإشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ولبكم ثواب الله خير - فيه على أن العلم بغساسة الجوهر هو الرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد إلا بمواضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . فالرجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تغفل هكذا ولكن قل أرني

الأدب ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقايش ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة وتسمع ما تحدث به في السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شاءت على أعدادها من السعي إلى الله أيام الحياة . وروى سميد بن السب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردوا

الدنيا كأثريتها الصالحين من عبادك (١) . وهذا لأن الله تعالى إراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلالة حقير والمبد إراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع القرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن القرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سواه فيرى السكك في درجة واحدة بالإضافة إلى جلالة وبراه متفاوتاً بالإضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يبيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكأن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ الموضع فكذلك الزهد بوجوب ترك الزهود فيه بالكيفية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم للبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفي بشرط الجانيين في الأخذ والترك فليست بشرية يبيعه الذي يبيع به فإن الذي يبيعه بهذا البيع وفي بالمهد فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسمي في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان المعاهد ممن يوفق بصدقه وقدرته ووفائه بالمهد وما دلم يحسك للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - ليوسف وأخوه أحب إلى أئنا مناب وعزموا على إتياده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فتركه ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فضلالة الرغبة للاسك وعلامة الزهد الإخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيها أخرجت فقط . ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستويك الشيطان بفروره ويغفل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تدلي بعجل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموت غليظ من الله فأنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تفتي بالقدرة على الترك عندها فكأن من ظان بنفسه كراهة المصاع عند تضرها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الحلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المخطورات فأيك أن تتق بوعدها في الماحات والوقوف الغليظ الذي تأخذ عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وصفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تتق بها وثقاً ما ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فانها سرمة النفس للمهد قرية الرجوع إلى مفتحي الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى مارك فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تفتي في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع السليين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء نحبته لقلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم - (٢) .

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي بصير ولم يخرجه له (٢) حديث قال السليون إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء نحبته لقلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم - الآية لم أنف له على أصل .

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التسقوا وتعذبوا وتسلوا وكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعمتد إلى الله ظاهراً عنه فانه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيقروحون بحسناتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استبالة القلوب وعلى سبيل الطمع ذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لملك عمارتها بالإضافة إلى نفاة الآخرة فأما كل نوع من التوكل فإنه يصور عن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مبررة وفخوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ الحاجة وهي الذواها من اللال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد كذلك تركه طمعا في الذكر والشاء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستقلاله لما في حفظ المال من الشقة والشاء والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استبدال حظ آخر لنفس بل الزاهد من آتاه الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التمتع بها من غير تعلقان جاءه وبيع اسم ولا نوات حفظ لنفسه فتركها خوفا من أن يأسي بها فيكون آنا بينه الله وعجلا سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في المحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك اللطامع اللذبة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا - فأتر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة في ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لله بأن مافي الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا ثعالمات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - نخرج على قومه في زينته - إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم وليكن ثواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى الطماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الشاء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - قبل مناه أيهم أزهدهم فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولأعدن عينيكم إلى ما تمنوا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستجيبون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك لفهموه أن المؤمن هو الذي يتصف بقبضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : لما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربيع المهلكات إذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقصر على فضيلة بعض الدنيا فإنه من النجيات وهو المني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره وفرق عليه شيعته وجعل قهره بين عييه ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه شيعته وجعل غناه في قلبه وآتاه الدنيا وهي راغمة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذارأيتم البعد وقد أعطى صننا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه

وترددوا وجوههم أيضا وإشراقا » فاتوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من اللوى فإن كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمحان وأعراض ، مثل الواسطى لأي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق بروحه أولا فوقع له صفة التمسكين والاستقرار الآتاه يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - الآية البيهقي في دلائل النبوة بإسناد حسن (٢) حديث من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد والترمذي من حديث أنس بإسناد ضعيف نحوه

فانه يلقى الحكمة^(١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بهالسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال « قلنا يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب ؟ قال التقى النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بنى ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره ؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة^(٢) » ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا^(٣) » فجعل الزهد سببا لمحبة من أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل اللقائات ومفهومه أيضا أن يحب الدنيا يترشح لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا رجعلا^(٤) » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حبرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكان يبرش ربي بارزا قال صلى الله عليه وسلم عرفت قائم ، عبد نور الله قلبه بالإيمان^(٥) » فأنظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان ببروز النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالإيمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ماهذا الشرح ؟ قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر واتسع قلبه ليرسل الله وهل ذلك من علامة ؟ قال نعم التجافي عن دار القور والابتعاد إلى دار الخلود والاستعداد للهوت قبل زوئه^(٦) » فأنظر كيف جعل الزهد مشروطا للإسلام وهو التجافي عن دار القور وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تنبؤ ما لا تسكنون وتحيمون ما لا تأكلون^(٧) » فينبغي أن ذلك ناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بواقع القضاء وترك التماية بالمصيبة إذا زلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تجتمعوا ما لا تأكلون ولا تنبؤوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيها عنه ترحلون^(٨) » فجعل الزهد نكسة لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتي صتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسنده في ضعف (٢) حديث قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب ؟ قال التقى النقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بالاسناد للذكور الحارثي في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا رجعلا لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساکر في تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر .

نبياء وآدم بين الروح والجسد ، أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال - خلقتني من نار وخلقتني من طين - ولم يدرك أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي للطاقتان متوابع العلم كما ينمو البدن بالبقاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسانية والحيوانية مريضتان خلقا في الانسان واللوت يندمهما وأن الروح هي الحياة ببينها صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقام إليه على كرم الله وجهه ، وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا فسرنا لنا ، قال : حب الدنيا طلبها وإتباعها لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويسمعون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخيل من الشك ولا يدخل الجنة من شك » (٢) . وقال أيضا « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار » (٣) . والبخيل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والتناء على الفقرة ثناء على الثمر لاعتقاده . وروى عن ابن السيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام » (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم « مر في أصحابه بشار من التوق فحفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأشعبا عندهم لأنها تجمع الظهر والاحم والبن والوبر ، ولعلظها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا العشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أغنى أموالنا لم لا تنظر إليها قال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به - » (٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله ألا تنظم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، قال يا عائشة والذي قضى يده لو سألت ربي أن يجرى معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكي اخترت جوع الدنيا على شبعها وقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لا تبني لحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي الزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكفني ما كلفهم ، قال - فاصبر كما صبر أولوا الزم من الرسل - والله مالى بد من طاعته وإنى والله لأسبرن كما صبروا ويجهدى ولا قوة إلا بالله » (٦)

البدن بوجودها حيا
وبالإعادة إليه في القيامة
يصير حيا وذهب بعض
مشكلى الإسلام إلى أنه
جسم لطيف مثقب
بالأجسام الصكيفة
اشتباك الماء بالسود
الأخضر وهو اختيار
أبي للعالي الجوسني
وكثير منهم مال إلى
أنه عرض لإلناهم
عن ذلك الأخبار
الدالة على أنه جسم
لما ورد فيمن الروح
والهبط والتردد في
البرزخ حيث وصف
بأوصاف دل على أنه
جسم لأن الرض لا
يوصف بأوصاف إذ
الوصف معنى والثنى
لا يقوم بالحق واختار
بعضهم أنه عرض .

(١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أر من حديث جابر روى الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولعله في مسنده (٣) حديث السخى قريب من الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب فم الديان من حديث صفوان بن سليم مرسل ولا ينعى على الكمال من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ناسخ الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكرو وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نسيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضعيفة (٥) حديث مرفى أصحابه بشار من التوق فحفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك سالة لم أجده أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يا رسول الله ألا تنظم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولي الزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلي من رواية عباد ابن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : يا عائشة إن الله لم يرض من أولي الزم

وروى عن عمر رضى الله عنه ٥ أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها
 البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومرو بصنعة طعام تطعمه وتطعم من
 حضر ، فقال عمر يا حفصة أليس تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك
 الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا
 أهل بيته غدوة إلا ساعوا عشي ولا شبعوا عشي إلا جاعوا غدوة . وناشدتك الله هل تعلمين أن
 النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من الحر هو وأهله حتى دفع الله عليه
 خير ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرَّبتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع
 فشق ذلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثبتت له ليلة
 وأربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام الليلة بهذه العبادة اتوها بالثنتين كما كنتم
 تنهونها ، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فأبته
 بلال فيؤذنه بالصلاة فلما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تحف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ،
 وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كساء من
 إزاداء ورداء ومشت إليه بأحداهما قيل أن يبلغ الآخر يخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره
 قد عقد طرفه إلى عنقه صلى كذلك فلما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضى الله عنه وانتحب
 حتى ظننا أن قسه ستخرج (١) » وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى
 - فاصبر صبرا أولوا العزم من الرسل - ومجاهد يختلف في الاحتجاج به (١) حديث إن عمرا لما فتحت
 عليه الفتوحات قالت له حفصة البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك
 الله هل تعلمين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى إلح لم أجده
 هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال
 ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو
 ابن عبد الله القدرى متروك الحديث وللترمذى من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشده
 أن أتيك إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها
 والله ما شبع من خبز ولم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديث ما شبع آل محمد
 منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليل تباعا حتى قبض وللبخارى من حديث أنس كان لا يأكل على
 خوان الحديث وتقدم في آداب الأكل وللترمذى في السبايل من حديث حفصة أنها لما سألت ما كان
 فراش النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح ثيابه ثنتين فنام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من
 حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بالثنتين الحديث وتقدم في آداب
 العيشة وللبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل له الدقيق
 ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نعلم بروي بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد قال يونس بن بكير قد
 حدث عن سعيد بن مسيرة البكرى بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما قبلت فيه سعيد
 ابن مسيرة قد كذب يحيى القطان وضمفه البخارى وابن حبان وابن عدى وغيرهم ولابن ماجه
 من حديث عبادة بن الصامت صلى في ثملة قد عقد عليها زاد الطبراني في جزءه المشهور فقد هاق عنه
 ما عليه قبرها وإسناده ضعيف وتقدم في آداب العيشة .

سئل ابن عباس رضى
 الله عنهما قيل أين
 تذهب الأرواح عند
 مفارقة الأبدان فقال
 أين يذهب ضوء
 الصباح عند فناء
 الأدهان قيل لا فإن
 تذهب الجيوم إذا
 بليت قال فأين يذهب
 لها إذا مرضت .
 وقال بعض من ينهم
 بالعلوم المردودة
 للذمومة وينسب إلى
 الاسلام الروح تنفصل
 من البدن في جسم
 لطيف . وقال بعضهم
 إنها إذا فارتقت البدن
 تحمل معها القوة الوهية
 بتوسط الطفلة
 فتكون حينئذ
 مطالعة للمعاني
 والمهوسات لأن

صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإني والله سأبرهن على عيشهما الشديدا على أدرك معهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبل بيتي أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة وإن كان أحدهم ليتنى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم ^(١) » وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم يا لدنيا تبا للدنيا والدينار والدرهم قتلنا يارسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأبى شيء فخر فقال ^(٢) : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة سالحة تبنيه على أمر آخرته ^(٣) » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث ما لا يبارق قلبه أبدا وقرأ لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ^(٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرة ^(٥) » وقال المسيح ^(٦) الدنيا قطرة فاعبروها ولا تمرروها وقيل له يا بني الله لو أمرت أن نبني بيتا لعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بئان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعلني بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزعك إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحذرك وأنتي عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ^(٧) يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى لآل محمد كف سوق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن مجمع هدة من السماء أنظفته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمراءه

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء قبل بيتي أحدهم بالفقر فلا يجد إلا ألباء الحديث بإسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليتنى بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة - الآية قال تبا للدنيا والدرهم الحديث وفيه فأبى شيء فخر فقال ^(٢) : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة سالحة تبنيه على أمر آخرته (٣) حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث الحديث لم أجده من حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرق قلبه حب الدنيا التاط منها ثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ متناه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون أقله أحب إليه من كثرة لم أجده استنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن طلحة مرسل لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرة وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرجوه فيه في مسند الفردوس وعلى بن أبي طلحة أخرجه له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله فالحديث إذن محض .

تجردها من هيات
البدن عند الفارقة
غير ممكن وهي عند
اللوت شاعرة باللوت
وبعد اللوت متخيلة
بنفسها مقبورة
وتصور جميع
ما كانت تفعله حال
الحياة وتحس بالثواب
والعقاب في القبر قال
بعضهم أسلم للقلات
أن يقال الروح شيء
مخلوق أجرى الله تعالى
العادة أن يحس البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يذوق للوت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
يفارقه يذوق للوت
فإن الكيفية والمادية
يتشأن العقل فيها
كما يتشأن البصر في

القيامة أن تقوم قال ولولكن هذا إسرائيل عليه السلام قد نزل إليك حين مع كلامك فأنا إسرائيل فقال إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فيمنع الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فضت وإن شئت نبياسا عيدا فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال نبياسا عيدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبد خيرا أزهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه» (٢) وقال عليه السلام «أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد في أيدي الناس يحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤتبه الله علما بنير تعلم وهدى بنير هداية فليرزق في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه الصيئات» (٥) ويروى عن نبينا وعن النسيج عليهما السلام «أربع لا يدركن إلا بتب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء» (٦) وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح بعض الدنيا ودفحها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا صرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله السمتان. وأما الآثار: فقد جاء في الآثار: لا تزال إلى الله إلا لله تدفع عن العباد سخطة الله عز وجل ما لم يسألوا ما قص من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا صدقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها صدق. وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فز في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين أتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهدي في الدنيا منكم. وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال زجل لسفيان أغشيت أن أرى علما زاهدا فقال وعملك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهد من في الدنيا العاشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إن لأشبهى من الله ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فأعطى ذلك كله. وروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء يجوز قبولها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فليرقبها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فيكي الفضيل وقال أتدرون ما مثل ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هربت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجملها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبد خيرا أزهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فيه في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث أزهدي في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث من أراد أن يؤتبه الله علما بنير تعلم وهدى بنير هداية فليرزق في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب (٦) حديث أربع لا يدركن إلا بتب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم . .

شعاع الشمس ولما رأى للتكاملون أنه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وحوهر وعرض فالروح من أي هؤلاء فاختار قوم منهم أنه عرض وقوم منهم أنه جسم لطيف كأذكرنا واختار قوم أنه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم فز أحسن الامساك عن القول فيها هذا سبيله وكلام الشيخ أبي طالب الكوفي في كتابه يدل على أنه يدل إلى أن الأرواح أعيان في الجسد وهكذا النفوس لأنه يذكر أن الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور في القلب

أنتم أردتم ذمى على كبرى موتوا يا أهل جوعا خير لكم من أن تدبخوا فضلا . وقال عبيد بن عمير كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشجر ويأكل الشجر وليس له له موت ولا يمت تحجب ولا يدخر لقد أنما أدركه الماء نام . وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام واللباب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد فنام للوثة ثم البعثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل الحسن لم لا تضل ثيابك قال الأمر أهمل من ذلك .

وقال إبراهيم بن آدم قد سمعت قلوبنا بثلاثة أغشية فلن يكشف للبعد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالوجود والحزن على الفقد والسرور بالمح فإذا فرحت بالوجود فأنت حريص وإذا حزنت على الفقد فأنت ساخط والساخط مذنب وإذا سررت بالمح فأنت مجبب والمجبب يحبط العمل .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قبله خير له وأب إلى الله من عبادة التمددين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمد . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيها صرف عنا أكثر من نعمته فيها صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يعمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب يخافون عليه ^(١) » فإذا فهم هذا علم أن النعمة في اللع للوذى إلى الصحة أكبر منها في الاعطاء للوذى إلى السقم . وكان الثوري يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء

ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برحها ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لأخامس العمل المتعبد حق لا يخرج من أربعة أشياء الجوع والعري والفقير والذل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصعب طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقل ولا أسفون على شئ منها أذبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنة طعام قط فإذا كان الليل قيام على

أقدامهم يغشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقباهم كانوا إذا عملوا الحسنه دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن يفرجها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلوا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمفرقة رحمة الله عليهم ورضوانه .

(بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى اللزغوب عنه وإلى الرغوب فيه)
اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث : الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتة وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفت ولكنه يجاهد ما وكفها وهذا

يسمى الزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والزهد بذيذ أولاته ثم كيسة والزاهد أولًا بذيذ كيسة ثم يذيب نفسه في الطاعات إلى الصبر على ما فرقه والزاهد على خطر فانه ربما قلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير .

الدرجة الثانية : الذي ترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي ترك درهما لأجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاهالة زهد وبلتفت إليه كما يرى البائع للبيع وبلتفت إليه فيكاد يكون معبيا بنفسه وزهد وظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهد فلا يرى زهد إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون

كمن ترك خرفة وأخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعم الآخرة أحسن من خرفة بالإضافة إلى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسيببه كمال المعرفة

(١) حديث إن الله يعمي عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

وله تلك ذلهم الخ

عند ذلك وتحرك

لشعر ومن حركتها

تظهر ظلة في القلب

فيري الشيطان الظلة

فيقبل بالاغوا مويحي

وجدت أقوال الشايع

تسير إلى الروح

أقول : ما عسدى في

ذلك على معنى ما ذكرت

من التأويل دون

أن أقطع به إذ ملى

في ذلك إلى السكوت

والاستك فأتول والله

اعلم : الروح الانساني

السلوى السلوى من

عالم الأمر والروح

الحيواني البشري من

عالم الخلق والروح

المبشواني البشري

هل الروح السلوى

ومسورة والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا كما أن تارك الحزفة بالجورة آمن من طلب الآلة في البسح . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا فافض يده وقال ظننت أنه يتكلم في شيء . الدنيا لا شيء . يش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل العرفه وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والساكنات مثل من منه من باب الملك كلب على باب فأتى إليه لقمة من خبز ففطه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أخذ أمره في جميع مملكته أقرى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ناقد فالة فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا لقمة خبز إن أكلت فلدتها في حال الشغ والتقصي على القرب بالإبتلاع ثم يبق نعلها في العدة ثم تنقى إلى النقي والتقدير ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فن تركها لينال عز الملك كيف بلغت إليها ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم لكل شخص منها وإن عمره سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لا نسبة للنسائي إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تسمى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكسرة غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهد إلا إذا التفت إلى مازده فيه ولا يلتفت إلى مازده فيه إلا لأنه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته فسيب نقصان الزهد نقصان العرفه فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ تصير الزهد مختلف وتفاوت أيضا باختلاف قدر الشقة في الصبر وكذلك درجة اللجب بزهد بقدر التفاته إلى زهد . وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى الرغبة فيه فأصناف ثلاث درجات : الدرجة السفلى أن يكون الرغبة فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي البعد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بصير عطاشا على عرقه لصدرت رواء (١) » فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم . الدرجة الثانية أن زهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في حته من المحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراغبين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرم لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه ثم واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مغلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من التوكل الخفي وهذا زهد المحبين وهم الدارقون لأنه لا يجب الله تعالى خاصة إلا من عرفه وكأن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف قوة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالصور العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بصير عطاشا على عرقه لصدرت رواء أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤنثا على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه إن حبست بمدك محبسا فظيما كرهها ما وصلت إليك حتى سال من العرق ما لو ورده ألف بصيرا كلة حمض لصدرت عنه رواء وفيه دريد غير منسوب يحتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحيوانى جبانى لطيف
حامل لقوة الحس
والحركة ينبعث من
القلب أعنى بالقلب
هنا الضعة للحمية
العروفة الشكل للوعدة
في الجانب الأيسر
من الجسد وينتشر
في تجاويف العروق
الضوارب وهسته
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذى
قوامه اجراء سنة الله
بالقضاء غالبا ويتصرف
بمسلط الطب فيه
باعتدال مزاج الأخط
ولورود الروح الانسانى
العالى على هذا
الروح تحبس الروح
الحيوانى وبأين
أرواح الحيوانات

والنظر إلى تقص القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلاالة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك الذة بالإضافة إلى الذة تنعم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الحلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالصغور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن اللعب بالصغور في نفسه أمل وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الحلق . وأما أقسامه بالإضافة إلى للرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الأقاويل ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاطاعة بالكل . فنقول: للرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل وتفصيل مراتب بعضها أشرح لأحد الأقسام وبعضها أجمال للجمال . أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل مأسوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا ، والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها تمة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، وإذا أموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه . وإن كثرت أسببه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كأن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج مافيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر والمنظرة من الذهب والفضة والحيل للموسمة والأنعام والحرب ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم ردة في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم وتكاثر في الأموال والأولاد - ثم ردة تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - ثم ردة البكل إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي التأوى - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفرقه في الشرح مرة والإجمال أخرى . فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاع في الدنيا قصر أمه لا محالة لأنه إنما يريد البقاء لينتفع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فان من أراد شيئا أزداد دوامه ولا يمتنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردّها ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم نكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - فقال تعالى - قلمتاع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء إلا لتتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال السائقين . أما الزاهدون المهيون تعالى فقالوا في سبيل الله كأنهم بانيان مرصوصون وإنتظروا إحدى الحسينين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويأدرون إليه مبادرة الظمان إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله وأونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتعسر على قوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر لقوت على فراشه كان يقول كم غررت بروحى وهجمت على الصغوف طعمه في الشهادة وأنا الآن أموت موت السجائر فلما مات عد على جسده ثمانية ثقب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
ضار ضاعلا للنطق
والإلهام قال الله تعالى
- ونس وما سواها
فألمها فجورها
وتقواها - فتسويتها
بورود الروح إلى الناس
عليها وانقطاعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فكوتت النفس
بكون الله تعالى من
الروح الملوى وصار
تكون النفس التي
هي الروح الحيوانى من
الآدمى من الروح
الملوى في عالم الأمر
كنكون حواء من
آدم في عالم الحلق وصار
بينهما من التألف
والتماثل كما بين آدم
وحواء واصل كل واحد
منهما ينفق للوث

وأما الناقصون فمروا من الزحف خوفا من الموت قليل لهم - إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم - فابتارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فارتفعت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فداروا بأنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بتبضع الأبد استبشروا بيمينهم الذي باعوا به فهذا بيان الزهد فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للتكلمون في حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ماركاً غالباً على نفسه أو طي من كان يخاطبه فقال جر رحمة الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فيقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي البهجة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو التقاع وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من ميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكانته رغب عن الشهوات كلها . وقال أويس إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أويس أيضاً الزهد هو ترك الطلب للضمون وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمقول والزهد إتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والمقول الذي يطلب به الجاهل في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوا هاتق ينقض عمر الإنسان في الاشتغال بواحد من أضطر الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني فنهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والسجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا بمن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأدنى وترك الشهوات وأكل الحبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أقاويل وراى ما نقلناه فلم نرقى نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدته من قلبه لا يتلقف من سمعه قد وثق بالحق والمطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ماذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروهم بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المغيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل مقاله أبو سليمان الداراني إذ قال سمعت في الزهد كلاماً كثيراً والزهد عندنا ترك كل شيء يشغل عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك عدواً للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - إلا من أتى الله قلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا لفرغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف الزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فنقسم إلى فرض وعمل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فالعرض هو الزهد في الحرام والفعل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات ، وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال

بغافرة صاحبه قال الله تعالى - وجعل منازجها ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العلوى إلى الروح الحيوانى وصيره نسا وتكون من سكنون الروح إلى النفس القلب وأعنى بهذا القلب اللطيفة التي عملها للضفة السحبية فالضفة السحبية من عالم الحلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون النورية من آدم وحواء في عالم الحلق ولولا الساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ماتكون القلب فن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل للمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالاضافة إلى خفايا ما تركه فلانهاية الزهد فيه إزالتها لماتمتع به النفس في الحطرات والخطوات وسائر الحالات لاسيا خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه إلا حساسة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تنتهي فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا لها الذي بدا لك قال وما الذي تجد قال توسدك الحجر . أي تمتعت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذ مع مارتككك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس السوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس النفس فسأته أمه أن يلبس مكان السوح جبة من صوف فضل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أثرت على الدنيا فيك وتزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهدا وليس يبلغ من العز أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط لإنسان فأقامه صاحب الحائط قال ما الذي أنت إنما أقامني القدي لم يرش لي أن أتمتع بظل الحائط فاذن درجات الزهد ظاهر أو باطنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل شبهة وعظور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة المحظورة فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد إلا أن . فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمهم وكل ذلك اشتغال بماسوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكرا ولا يتصور ذلك إلا مع القيام والإقامة لا بضروريات النفس فهما اقتصرت من الدنيا على دفع اللهايات عن البدن وكان غرضك الاستمتاع بالبدن على العبادة لم تكن مشغولا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فزمنه المشتغل بغيره لا يتوجه إلى العبادة الحجج ليس معرضا عن الحجج ولكن ينبغي أن يكون بدئك في طريق الله مثل نأفك في طريق الحج ولا غرض لك في تتم نأفك بالذات بل غرضك مقصور على دفع اللهايات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدئك عن الجوع والعطش واللبس بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهالك باللباس والسكن فتختصر على قدر الضرورة ولا تصد التلذذ بالتقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أتقذ بالأكل عند الجوع . فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب للماء البارد قد يستقل الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في أيام الليل بنسيم الأسفار وصوت الأفيار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فلما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الحائضين من طلب موضعا لياصيه فيه نسيم الأسفار خيفة من الاستراحة بمواضع القلوب مع فيكون فيه أنس بالدنيا وتقصا في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكتشف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب للماء الحار ويقول من وجد قلة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شافا فدته قرينة والاحتفاء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتعلل على أهل المعرفة القاهرين لأعظم سياسة الشرع للمتصعين بعبادة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن الناس منهم من يتقصر إلى فضول وإلى مهم بالفضول كالخيل السوسة مثلا إذ قال الناس

القلوب قلب متطلع
إلى الأب الذي هو
الروح العلوي مبال
إليه وهو القلب المؤيد
الذي ذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فما رواه خديجة رضى
الله عنه قال : القلوب
أربعة قلب أجرد فيه
سراج زهر فذلك
قلب المؤمن وقلب
أسود منكوس فذلك
قلب الكافر وقلب
مربوط على غلافه
فذلك قلب المنافق
وقلب مصنف فيه
إيمان وثفاق فذلك
الايمن فيمثل البقلة
عدها الماء الطيب
ومثل الثفاق فيه كحل
القرحة عدها القيح
والصديد فأى اللادتين

إنما يحتجنا لثلاثة ركوبها وهو قادر على الشيء والهلم كالأكل والشرب ولنا قدر على تفصيل أوصاف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر اللهم الضروري والهلم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والهمات ستة أمور : الطم واللبيس والسكن وأمانته والتكسب والسال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جعلها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الحق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرواية من ربيع الهلكت ونحن الآن نتقصر على بيان هذه الهمات الستة [الأول الطم] ولا بد لسان من قوت حلال يتم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طول وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طول له فبالإضافة إلى جملة الصبر فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طول له فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند عدة الجوع وخوف الرض من هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لشائه وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضفاف الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتقريبه زاهدا محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأسكها وأتقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا اعتماد من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى التقدير وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من التساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصاد على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يحوت ولو ألحجن من النخالة وأوسطه خبز الشعير والقمرة وأعلاه خبز البر غير منخول فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التتم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضعاف من أوائله وأما الأمد فأقله للتح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو بغير من الأدهان أى دهن كان وأعلاه اللحم أى لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن يتهمى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع الهلكت ولينظر إلى أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الأمد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أربعمائة ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لما فيه كنتم تميشون قالت بالأمسودين الخمر والوالد (١) » وهذا ترك اللحم والرقعة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد (٢) » وقال المسيح عليه السلام بحق أهول لكم إنه من طلب الفردوس غلبت الشهوة له والنوم على الزايل مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

(١) حديث عائشة كانت تأتي أربعمائة ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية لا ما يوقد فيه نار ولأحمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

غلبت عليه حكم له بها والقلب للتكسب مبال إلى الأم التي هي النفس الأمانة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في ميله إليها ومحبة غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر الروح الماوى لسانه والعدل عليه وتديره لقلب المؤيد والنفس الزكية للطمشة تدبير الوالد للولد البار والزوج للزوجة الصالحة وتدبيره لقلب التكسوس والنفس الأمانة بالسوء تدبير الوالد للولد العاق والزوج للزوجة السيئة فتكسوس من وجه

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر^(١). وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا من الأنداء والسلفى للطعم وللشرب في ربيع المهلكات فلا نعيده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة ببسل فوضع القدح من يده وقال «أما إنى لست أحرمه ولكن أركه نواصيا لله تعالى»^(٢) وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلو حمله والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه والحسكة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسيبه والمقلد له والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [الهم الثانى] اللبس وأقل درجته ما يدفع الحرّ والبرد ويستر الدورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقنسوة وتنان وأعلام أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث القدر فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القمود في البيت، فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث القدر، أما الجنس فأقله للسوح الخشنه وأوسطه الصوف الخشن وأعلامه القطن الغليظ، وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بهضم ثوبه بورك الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماصك عليه شهرا وما يقاربه فظلم ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فن وجد زيادة من ذلك فنبهنى أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان عبدا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنداء والصعابة كيف تركوا الملاسل قال أبو ردة أخرجت لنا عائشة رضى الله تعالى عنها كساء ملبد وإزارا غليظا فقالت قمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذى لا يبلى مالبس»^(٤) وقال عمرو بن الأسود العنسى لأبلى مشهورا أبدا ولا أنام مليل على دثار أبدا ولا أرك على مأثور أبدا ولا أملأ حوفى من طعام أبدا قال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود^(٥) وفى الخبر «ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يتزعه وإن كان عنده حبيبا»^(٦) واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم^(٧)

ومنحذب إلى تدبيرها
من وجه إذ لا بد له
منهما وقول القائلين
واختلافهم في هل
القل فن قائل إن
هله الدماغ ومن قائل
إن هله القلب كلام
القاصرين عن ذلك
حقيقة ذلك واختلافهم
في ذلك لعدم استقرار
الفضل على نسق واحد
والانحياز إلى البارئ
تعالى السابق أخرى
وقلب والدماغ نسبة
إلى البار والسابق فإذا
رؤى في تدبير السابق
قل مسكنه الدماغ
وإذا رؤى في تدبير
البار قل مسكنه القلب
فأرواح العلوى بهم
بالارتفاع إلى مولات
شوقا وحسوا وتزها

الحديث تقدم دون قوله إنما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٢) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن ببسل فوضع القدح من يده الحديث تقدم (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبد وإزارا غليظا فقالت قمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الملبس (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذى لا يبلى مالبس (٥) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود (٦) حديث ما من عبد لبس ثوب شهرة (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة ^(١) . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف ^(٢) . واشترى سراويل بثلاثة دراهم ^(٣) . وكان بلبس مهملتين يضاوون من صوف ^(٤) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص ريات ^(٥) . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً واحداً ثوباً سيرا من سندس قيمته ما ثا درهم ^(٦) فكان أصحابه يمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهدها إليه للقوس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزع وأرسل به إلى رجل من لشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباغ وكانه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحریم كما لبس خاتماً من ذهب يوم مات ثم نزع ^(٧) فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشتراطاً لأهلها الولاء ^(٨) فلما اشترطته سعد عليه السلام للبر فحرمه وكما أبايع للثمة ثلاثاً ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح ^(٩) . وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمصة لها علم فلما سلم قال لشفاعة النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم واتقوا بأبنيائته ^(١٠) يعني كما ساء ما فاختار لبس السكاء على الثوب الناعم وكان شر الكثرة قد خلق فأبدل بسر جديد فضلى فيه فلما سلم قال أعيذوا الشراك الحلق وتزعموا هذا الجديد فأتى نظرت إليه في الصلاة

دخلت يوماً السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإنشاده ضعيف ^(١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده ^(٢) حيث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو السبيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير ممسلاً كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لجة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي ^(٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح ^(٤) حديث كان بلبس مهملتين يضاوون من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانين أو سحوليين من هذه الغلاظ تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه لشدة البرد والحر . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الجروبة وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب العيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمة وعليه بردان أخضران سكنت عليه أبو داود واستقر به الترمذي والبراز من حديث قدامة الكلبي وعليه حلة خيرة وفيه عرف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي ^(٥) حديث كان قبضه كأنه قميص زيات الترمذي من حديث أنس بن مالك ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات ^(٦) حديث لبس يوماً واحداً ثوباً سيرا من سندس قيمته ما ثا درهم أهدها للقوس ثم نزع الحديث ^(٧) حديث لبس يوماً خاتماً من ذهب ^(٨) [١] ثم نزع متفق عليه وقد تقدم ^(٨) حديث قال لعائشة في شأن بريرة اشتراطاً لأهلها الحديث متفق عليه من حديث ^(٩) حديث أبايع للثمة ثلاثاً ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ^(١٠) حديث صلى في خمصة لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة .

[١] قول العراقي ثم نزع الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر راو ولم يشكلم عليه الشارح فلينظره .

عن ألا يكون ومن
الأحسان القلب
والنفس فإذا ارتقى
الروح يحنو القلب إليه
حنو الولد الحنين
إلى الوالد وحنو
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حنين والدة
الحنينة إلى ولدها وإذا
حنن النفس ارتقت
من الأرض واتزوت
عرونها الضاربة في
العالم السفلى وأنطوى
هواها وانحسرت
مادته وزهدت في الدنيا
وتجافت عن دار
الغرور وأثابت إلى دار
الخلود وقد تغلغل النفس
إلى الأم إلى
الأرض موضعها الجلي
لنكونها من الروح
الجسوانى الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرسى به فقال شئني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثنتين جديدتين فأعجبه حسنهما فخرهما ساجدا وقال : أهيبني حسنهما فتواضعت لرى خشية أن يتقنى ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين ركة» (٢). وعن سنان بن سعد قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال : «انظروا ما أحسنها وما ألينها قال قدامه أعرابي قال يا رسول الله هب لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يخلع به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فلبت صلى الله عليه وسلم وهي في الحسكة» (٣). وعن جابر : قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الأبل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجعري مرارة الدنيا لنعم الأبد فأزل الله عليه وسوسف يعطيك ربك قرضي - (٤). وقال صلى الله عليه وسلم : «إن من خيار أمي فيا أنثىي للآ لأطلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكونون سرا من خوف عذابه مؤتمين على الناس خيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقدنهم عند العرش» (٥). فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللباس : «وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال : «من أحبني فليستن بسنني» (٦). وقال : «عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عضوا عليها بالنواجذ» (٧). وقال تعالى : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - «وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال إن أردت الحق في فياك ومحالة الأغنياء ولا تزعى ثوبا حتى ترقيه» (٨). وعد على فيس عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلعة وقطع كبه من الرمنين وقال الحمد لله الذى كأتى هذا من ريشه . وقال الثورى وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليرى في وأنا أظلى فأدعه بجوز ويمر في واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأمقته ولأدعه بجوز . وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دنانق . وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدنى وشرها ما خدمت . وقال بعض السلف : البس من الثياب ما يملكك بالسوة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك . وقال أبو الهيثم الداراني : الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهه وحسنه . وقال بعضهم من رقى ثوب برق دينه

(١) حديث لبس خاتما فنظر إليه على المنبر فرسى به وقال شئني هذا عنكم الحديث تقدم (٢) حديث احتذى ثنتين جديدتين فأعجبه حسنهما الحديث تقدم (٣) حديث سنان بن سعد حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف ثمار الحديث أبو داود الطيالسى والطبرانى من حديث سهل بن سعد دون قوله وأمر أن يحاك له أخرى فهمى عند الطبرانى فقط وفيه زعمه بن صالح ضعيف وضع في كثير من نسخ الإحياء سيار بن سعد وهو غلط (٤) حديث جابر دخل على فاطمة وهي تطحن بالرحى الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف (٥) حديث إن من خيار أمي فيا آتاني العلى الأطلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويكونون سرا من خوف عذابه الحديث تقدم وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه (٦) حديث من أحبني فليستن بسنني تقدم في التلخيص (٧) حديث عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين الحديث أبو داود الترمذى ومصححوا بن ماجه من حديث العرياض بن سارية (٨) حديث قال عائشة : إن أردت الحق في فياك ومحالة الأغنياء

ومستندها في ركوبها إلى الطبايع التي هي أركان العالم السفلى . قال الله تعالى - ولو شئنا لفسدناها ولكنه أحسنه إلى الأرض واتبع هواه - فإذا سكنت النفس التي هي الأم إلى الأرض انحجب إليها القلب للسكوس انجذاب الولد للبال إلى الولدة للعوجة الناصة دون الولد الكامل للمستقيم وتجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الولد إلى ولده فصد ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابات يظهر حكم السعادة والشقاوة

وكان جمهور العلماء من التابعين قبة ثيابهم مائتين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قيص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قيصه على رأسه . وقال بعض السلف أول الناس الذي وفق الحبر « البذاة من الإيمان » وفي الخبر « من ترك ثوب جمال وهو بقدر عليه تواضعا لله تعالى وإتقاء لوحه كان حقا لله أن يدخر له من عبقري الجنة في تحت الباقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائ ولا يدخلوا مداخل أعدائ فيكونوا أعدائ كما هم أعدائ وانظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يخط فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في برته فجعل يشكم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضطر به فغضب ابن عامر ففكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تشكم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقنتى بهم التقى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقنتى به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعين (١) » ورؤى فضالة بن عبيد وهو وإلى مصر أشعث حانيا قبله أنه أنت الأمير وتعمل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نحقق أحيانا (٢) . وقال على لعمر رضى الله عنهم إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقم القميص ونكس الإزار واخشف النعل وكل دون الشيع وقال عمر اخشعوا وإياكم وزي السجم كسرى وقيسر . وقال على كرم الله وجهه من ثريا يرى قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أممى الدين غدا بالعلم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكمين وما أسفل من ذلك ففي التاروا لينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشر من أممى إلا مراة أو أحرق (٥) » وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة مادعاك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا تحييني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي وأقرا فأشكروني وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خبيلا أوحى إليه أن وار هورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل أحدهما لبس الآخر

الترمذي وقال غريب والحاكم ومصححه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التتم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتنعين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء [١] وأمرنا أن نحقق أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أممى الدين غدا بالعلم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف سيكون رجال من أممى يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أممى وقد تقدم (٤) حديث أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سيدة ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشر من أممى إلا مراة أو أحرق لم أجده له إسنادا .

[١] الإرفاء بكسر الهمزة ثم راه ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست بتاء : التدهن والتزجيل كل يوم . وقيل التوسع في الطعام والمشرط يرفهان اه .

- ذلك تقدير العزيز
العليم - . وقد ورد
في أخبار داود عليه
السلام أنه سأل ابنه
سليمان أين موضع العقل
منك قال القلب لأنه
قالب الروح والروح
قالب الحياة . وقال
أبو سعيد القرشي
الروح روحان روح
الحياة وروح اللات فاذا
اجتمعا عقل الجسم
وروح اللات هي النفس وإذا
خرجت من الجسد
صير الحى ميتا وروح
الحياة ما به مجارى
الأنفاس وقوة الأكل
والشرب وغيرهما ،
وقال بعضهم : الروح
نسب طيب يكون به
الحياة والنفس ربح
خربة يحسبون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه مالك تليس الجريد من الثياب فقال وما للبد والثوب الحسن فإذا عتق فله والله ثياب لا تيلي أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يليسهما من الليل إذا قام بلسي ، وقال الحسن لفرقد السبيعي تحسب أن لك فضلا على الناس بكياك إن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية شافقا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من الزاويل ويصلها ويلفها ويلبسها قتل إنك تكس خيرا من هذا قال ماضرم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم الجنة كل مصيبة تجل عيني بن معين يحدث بها ويكي [اللهم الثالث] : للسكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من صف أو خض أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشر أو إجارة فإن كان قدر سعة السكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع قد جاوز بالكيفية حد الزهد في السكن فاختلف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالأجر واختلف قدره بالسعة والضيق واختلف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون ملحوكا أو مستأجرا أو مستورا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراود للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آله الأربع ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والقرض من السكن دفع للطرد والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدرن والتشديد يعني بالتدريز كف دروز الثياب قائما كانت تشل شلا والتشديد هو البنيان بالجص والأجر وإتماما كانوا يبنون بالسعف والجريد (١) وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود البنيانية » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علا بها (٢) « ومروا عليه السلام بمجننة معلة فقال لمن هذه قالوا لقولنا فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فقال الرجل أصحابي عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فهدمها له غير (٣) » وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسعف والجريد أما مثل الثياب من غير كف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة صفوا النخل قبله للسجد وجعلوا عضداته الحجارة الحديث ولها من حديث أبي سعيد كان للسجد على عريش فوكف للسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه له كان قد علاها الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بمجننة معلة فقال لمن هذه ؟ فقالوا لقولنا فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس بناسد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنينة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسل للطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عن أوسر أن نظروا إلى فلان نظروا إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

الحركات للذمومة

والشهوات ويقال

فلان حار الرأس وفي

الفصل الذي ذكرناه

يقع التنبيه بمهابة

النفس وإشارة الشايع

بمهابة النفس إلى

ما يظهر من آثارها

من الأفعال الذمومة

والأخلاق الذمومة

وهي التي تعالج بحسن

الرياضة وإزالتها

وتبديلها والأفعال

الرديئة زال والأخلاق

الرديئة تبدل أخبرنا

الشيخ العالم رضي الله عن

أحمد بن محمد

القزويني قال أنا إجازة

أبو سعيد محمد بن أبي

العباس الحلبي قال أنا

القاضي محمد بن سعيد

الفرخزادي قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين»^(١) وقال عبده ابن عمر «مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خضا فقال ما هذا قلنا نحن لنا قدوهي فقال أرى الأمر أمجل من ذلك»^(٢) واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بيت هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن عبيز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة»^(٣) وفي الخبر «كل نفقة لقبيد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين»^(٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرياسة والتطاؤل في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن» من حرر أو برد»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «هرجل الذي شكأ إليه ضيق منزله اتسع في السماء»^(٦) أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قديس يجلس وأجر فسكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني ببيان همامان لفرعون يعني قول فرعون - فأوقد لي يا همامان على الطين - يعني به الأجر ويقال إن فرعون هو أول من بنى له بالجلس والأجر وأول من عمله همامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الخزف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيت مبنيا من رهص ثم رأيت الآن مبنيا بالطين فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بناه وقصرأله وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزاةزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الخيش والجلود وهي عادة العرب الآن يبلد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة. قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف وقال عمرو

أبو اسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السفاني
قال حدثنا محمد
ابن الحسن القطيني
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
الغفيلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن لهيعة عن
خالد بن يزيد عن

ورأى آخر شرب من التمر يكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه إما بما رخصه الله تعالى أو ما استثنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستثنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يمكن فيه الخزف ولا يبال بأن يكون مكسور الطرف إذا كان القصد يحصل به أو وسطاً بأن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالتى معه قصبة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ الناع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء لتخفيف وأعلاماً أن يكون له بدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الحميس فإن زاد في العدد أوفى خلة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم القدي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف^(١) وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف ، وروى : وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط جلس فرأى أثر الشرط في جنبه عليه السلام فتمت عينا عمر فقال: النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقبصر وماها فيه من للك وذكرتك وأنت حبيب الله وصيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشرط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك^(٢) ودخل رجل على أبي ذر فوجد قلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا بدنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال لمي عصى أتوكأ عليها وأخذت بها حية إن لقيتها ومعى جرائي أحمل فيه طعامي ومعى قصتي أكفيها وأغسل فيها رأسي وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة لما كان بعدهما من الدنيا فوبيع للمعنى قال عمر صدقت رحمك الله «وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترًا وفي يدها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبوراغ فقال من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى قال اذهب بهما وإدعهما إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال باني أنت قد أحسنت^(٣)

النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات الذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتمم محل البوق وهكذا النفس محل الأوصاف للذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصليين أحدهما الطيبش والثاني الشره وطبيشها من جليلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طيئها بكرة مستديرة على مكان أملس

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف الترمذي في الثمال من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة السودة وقد تقدم قلبه بعض طرقه (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط فجلس فرأى أثر الشرط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترًا وفي يدها قلبين من فضة فرجع فوضع يده على عضادتي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لمن النظر فأرجعه الحديث والنسائي من حديث ثوبان ناسد جيد قال جاءت ابنة هيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها نعيم من ذهب الحديث

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كلارأيتكم ذكرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان»^(١) وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فازال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقه ونعني هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة^(٢) وكذلك أتته دنائير خمسة أوسنة لإلا فيبيتها فسهل ليلته حتى أخرجهما من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنهما حين حدثني صمت غطيطه ثم قال «ماظن محمد بربه لولقي الله وهذه شئدة»^(٣) وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار مالا أحدهم إلا نوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض قائلون لامعنى للزهد في النوم باشر الأرض بحمسه وجعل ثوبه فوقه [اللهم الخامس] للتكسب وتدفق قائلون لامعنى للزهد في أصل السكاح ولا في كثرة وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حجب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهدفن وواقعته على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهده الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وضع عشرة سريرة والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال كل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون الزوجة أفضل في بعض الأحوال كالسبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل دفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه ففقر تركه ولا ضلله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إلىهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواصلة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من التراب واللذة التي تلحق الإنسان فيها هو من ضرورة الوجود لا تضره إذ لم تكن هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من قلة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات يبدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع

وفيه أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشتريت بها عبدا فأعتقته فلما سمع قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار (١) حديث روي على باب عائشة سترًا فتهتكه الحديث الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (٢) حديث فرهت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وفيه كان ينام على عباءة مثنية الحديث ابن جبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراشا رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبيعت إلى بفراش حشوه صوفه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاهدنا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه عهده بن سعيد يختلف فيه والمروفي حديث حفصة التتقدم ذكره من التماثيل (٣) حديث أتته دنائير خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهل ليلته الحديث وفيه ماظن محمد بربه لولقي الله وهذه عنده أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت بالحبب فجاء ما بين الحجة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يلقها بيده ويقول ماظن محمد الحديث وزاد اتفاقا وفي رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غام [١] الوجه قالت لحسبت ذلك من وجع فقلت يائي الله مالك غام الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية أمسينا ولم تتفقها .

[١] غام بالمعجمة متغير يقال شهم تغير عن حاله لغرض اه .

مصوب لا تزال متحركة
يجلبتها ووضعها وشبهت
في حرصها بالفراش
الذي يلقي نفسه على
ضوء الصباح ولا يفتح
بالضوء البسير دون
الهجوم على جرم الضوء
الذي فيه هلاكه فمن
الطيش توجد الصلابة
وقلة الصبر والصبر
جوهر العقل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا يثلبه إلا
الصبر إذ العقل يجمع
الهوى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وهما اللذان ظهرا في
آدم حيث طمع في
الخلود لحرس على أكل
الشجرة وصفات النفس
لها أصول من أصل
تكونها لأنها مخلوقة

نفسه فلا يجوز أن يترك التسكع زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا اعتداه سهل لاحتالة
 ولأجله تسكع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن لا يشغله
 كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحهن^(١) والافتقار إليهن^(٢) فلامعنى زهدهن فيهن^(٣) فخر من مجردة
 الواقع والنظر ولكن أتى بتصوّر ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان
 فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال
 المرأة فتسكع واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختر المرأة البدون
 أو البتية على المرأة الجميلة والشريفة . وقال الجنيد رحمه الله أحب للمرید للبتية أن لا يشغل قلبه بثلاث
 وإلتفات حاله : التسكع وطلب الحديث والزواج وأحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع
 لهمة فإذا ظهر أن لغة التسكع كلغة الأكل لها شغل عن الله فهو محذور فيها جميعا [اللهم السادس]
 ما يكون وسيلة إلى هذه المحنة ، وهو السال والجاء : أما الجاء فعناء ملك القلوب بطلب عمل في التوصل
 به إلى الاستماتة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وانفق إلى
 من يخدمه انفق إلى جأه لاصالة في قلب خالصة لأنه إن لم يكن له عند عمله وقد لم يتم خدمته وقيام
 القدر والمحل في القلوب هو الجاء وهذا له أول قريب ولكن يمتد به إلى هاوية لا عصى لها ومن حالم
 حول الحى يوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لطلب جمع أو لدفع ضرر أو لخلص
 من ظلم فأما النفع فيخفى عنه السال فان من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للتأجر قدر وإنما
 يحتاج إلى الجاء في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاء في بلد لا يكل
 فيه الصل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بالبعث له في قلوبهم أو عمل له
 عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا يضبط لاسيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالمواقب والحافض
 في طلب الجاء سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن يسعى لطالب المحل في القلوب أصلا فان اشتغاله
 بالدين والعبادة يمهده من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأدنى ولو كان بين الكفار فكيف بين
 المسلمين فأما التوهمات والتقدير التي تحوج إلى زيادة في الجاء على الحاصل بغير كسب فهي أوهام
 كاذبة إذ من طلب الجاء أيضا لم يخل عن أدنى في بعض الأحوال فصلاح ذلك بالأحوال والصبر أولى من
 علاجه بطلب الجاء ، فاذن طلب المحل في القلوب لارخصة فيه أصلا والسير منه داع إلى الكثير وضروته
 أشد من ضروته أحر فليحترز من قليله وكثيره . وأما السال فهو ضروري في العيشة أعني القليل منه
 فان كان كسوبا فإذا كتب حاجة يومية فينبغي أن يترك الكسب كان بهضم إذا اكتسب حيتين
 رفع سخطه وقام . هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك إلى ما يكتبه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضفاء
 الزهاد أو قوبأ بهم جميعا وإن كانت له ضربة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأفسك منها مقدار ما يكتفي
 به لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يغفل عن كفاية سنة
 ولكن يكون من ضفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كشرطه أوبس القرنى رحمه الله لا يكون هذا
 من الزهاد وقولنا إنه خرج من حد الزهاد نفي به أن ما عود للزاهدين في الهدايا الآخرة من القمامات
 المحمودة لئلا يلهو بالأقسام الزهد قد لا يفارقه بالاضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر للفرد في
 جميع ذلك أخف من أمر العبد وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعهم إليه
 فان أجابوا وإلّا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التضيق الشروط على الزاهد يضره ولا يقرمه كل
 ذلك في عياله نعم لا ينبغي أن يجبرهم أيضا فخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (١) حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحهن والافتقار إليهن تقدم في التسكع .

من تراب ولما يحبه
 وصف وقيل وصف
 الضعف في الآدمي من
 التراب ووصف البخل
 فيه من الطين ووصف
 الشهوة فيه من الحما
 للسون ووصف الجبل
 فيه من الصلصال
 وقيل قوله كالتفخار بهذا
 الوصف فيه شيء من
 الشيطنة لدخول النار
 في التفخار فمن ذلك
 المدح والمجلى والمجد
 فمن عرف أصول
 النفس وجبلاتها عرف
 أن لا قدرة له عليها
 إلا بالاستئذنة بإربابها
 وطارها فلا يتحقق
 العبد بالإنسانية
 إلا بعد أن يدبر
 دواعي الحيوانية فيه
 بالصلم والعدل وهو

إذ انصرف من بيت واسطة رضوان الله عليها بسبب ستر وتلين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فاذا ما يسطر الانسان إليه من جاء ومال ليس بهجذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل وللقصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سبباً قاتلاً فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواءً نافعاً ولكنه قليل الضرر والسلم محظور شره والدواء فرض تناوله وما بينهما مشقة أمره فمن احتاط فناماً يحاط لنفسه ومن تساهل فناماً يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يربيه إلى ما يربيه وردت نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرقة الناجية لاحالة ، والمقصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة الشروط ، وبدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمانيته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خديك لأعطاك فقال يارب عرفت منك للدنيا خلقت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك ويا في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من الخفة في كسب المال وجمعه وحفظه وإحمال الدل فيه ، وطاية سعادته به أن يسلم لورثته شيئاً كلونه ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على العسيرة فيكون هو معيّن لهم عليها ولذلك فيه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت وبهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فناماً يحكم على قلبه بسلامة تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشهانة الأعداء ومراة الأسداء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه قصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأعلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبواً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك اللوت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معانة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا وغالب ملك اللوت قد عانت بروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند اللوت أن يكون كشيخ يشر بالمشار ويفضل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي يشر بالمشار إنما ينزل اللؤلؤ يدينه ويؤم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنزه فما ظنك بأن يتسكن أولاً من صميم القلب محصوراً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقيه قبل ما يراه من حسرة فوت الزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين ، فبالزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسطرة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كلا لهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فرب العذاب بالنار على ألم المحجوب وألم الحجاب كلف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيت الملاوة إليه ، فسأل الله تعالى أن يقرر في أسعما ما نعت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فانك مفارقة (١) وفي معنى مذكراته من المثال قول الشاعر :

رعاية طرفي الافراط
والغريظ ثم بذلك
تقوى إنسانيته
ومعناه ويدرك صفات
الشيطة فيموا الأخلاق
الذمومة وكان
إنسانيته ويتفاضه
أن لا يرضى لنفسه
بذلك ثم تكشف له
الأخلاق التي تازع
بها الربوبية من
الكبر والمز وروية
النفس والعجب وغير
ذلك فيرى أن صرف
العبودية في ترك
النازعة الربوبية
والله تعالى ذكر النفس
في كلامه القديم
بثلاثة أوصاف :
بالطائنية حال
- بأنها النفس
الطمشنة وسهاها الوامة

ككود كدود القز ينسج دائماً وبذلك غمها وسط ماهو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد يملك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالسكينة حتى قال الحسن : رأيت سبعين يدري كانوا فما أحل الله لهم زهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالحسب والرخاء لو رأيتهم قلتهم جهانين ، ولورأوا خياركم قالوا المأولاء بين خلق ، ولورأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء يوم الحساب . وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يغسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لاجحالة يخاف من فسادة والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتابع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحلية الدنيا ذلك مباهين من العلم - فأحال ذلك كله على التفة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك ، فقال أخرج مالك والحقني . فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل القى الجنة أوقال بشدة . وقال بعضهم : مامن يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالشرق وملكبان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أنصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط محسنا نصرا ويقول للذنان بالمغرب أحدهما لدوا للموت وأبنوا للخراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتعوا اطول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب اللذخ بالزهد فكهم من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لأباب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطبة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والنياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف للدينين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعملوا كما تملى السالكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأضياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعله غيرهم . هذا إذا طولوا بالحقائق وأجلوا إلى المضائق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم ينصوا بتصفية أسرارهم ولا بتبذير أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم ففأبتهم فادعوها حالهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله . فاذن معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يحول في بطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يهزن على مفقود كما قال تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - بل ينبغي أن يكون بالبعد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه فأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون نفسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخالو القلب عن حلاوة المحبة بماحبة الدنيا وبماحبة الله وهما القلب كالماء والماء في القمع فإما إذا دخل خرج الهواء ولا يمتصمان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يقتل بغيره

قال - لا أنسى يوم القيامة ولا أنسى بالنفس القوامه - وسياها أماره ، فقال - إن النفس لأماره بالسوء - وهي نفس واحدة . ولها صفات متضاربة ، فإذا امتلأ القلب سكرة خلغ على النفس خلغ الطمأنينة لأن السكينة مزيد الإيمان وفيها ارتضاء القلب إلى مقام الروح لما منع من حظ اليقين وعند توجه القلب إلى محل الروح توجه النفس إلى محل القلب ، وفي ذلك طمأنينتها وإذا ازهدت من مقام جيلاتها ودوامي طينتها متطلعة إلى

وذلك قيل ليمضهم إلى ماذا أقضى بهم الزهد فقال إلى الأُس باه . فأما الأُس بالدينا والله ولا
يجمعان وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جيمًا وعمل
لها وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبهى الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ولهذا
ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم إني أسألك إسماعيليا بشرى قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه
شغل عن الناس وهذا مقام الماملين ومن شغل ربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد
لا بد وأن يكون في أحد هذين المقامين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى
عنده للروح والهم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على قد زهده أصلا .
قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث
عن أبيه عشرين دينارًا فاقفها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يحسك الدنانير ، فقال أردت
منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الثابتة فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا
بم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى
دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لا يتوسد حجرا كامله
للسيح عليه السلام ، فسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئ نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجريه
على الطمع في غايته وإن كان قطع الرضاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا عجائب نعم
الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطفه شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتقادا على الجود
المجاوز لكل كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل واللحم والدم وذلك لعلبة
الأُنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لاحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من
أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبى رباطا أو أعمر مسجدا . وقال يحيى
ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من
الملك . وقال أيضا : الزهد هو عروف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوفاء
من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد
ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد
إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصراني : الزاهد
غريب في الدنيا والمعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علة
وقول بلا طمع وعز بلا رياسة . وقال أيضا الزاهد أنه يسهطك الحبل والحردل والعارف يشمك السك
والعزير وقال له رجل متى أدخل خانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأضعفم الزاهدين ، فقال إذا
صرت من رياضتك لنفسك في السرايى حذلق قطع الله عنك الرزق ثلاثين عام لم تصف في نفسك . فأما
ما تبلغ هذه الدرجة فيقولك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تنفصح . وقال أيضا :
الدنيا كالبروس ومن يطلبها ماشطها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرا ويخرق ثوبها ،
والعارف يشغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السري ما رست كل شيء من أمر الزهد فلت منه
ما تريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطلقه . وقال القليل رحمه الله جل الله الشريك في بيت
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا
أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء
الله تعالى .

مقار الطمأنينة فهي
لواصة لأنها تدور
بالألمة على نفسها
لنظرها وعليها عمل
الطمأنينة ثم أعذابها
إلى عملها التي كانت
فيه أمانة بالسوء ،
وإذا أقامت في عملها
لا يشأها نور السلم
والصرفة فهي على
ظلمتها أمانة بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فتارة
يملك القلب دواعي
الروح ، وتارة يملكه
دواعي النفس . وأما
السري فقد أشار
القوم إليه ووجدت
في كلام القوم أن
منهم من جمل بهد
القلب وقيل الروح ،
ومنهم من جمل بهد

(كتاب التوحيد والتوكل)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر الملك والمكوت النفرد بالعمة والجبروت الرفع لهما بغير حماد القدر فيها أوزاق العباد الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ورفع همهم عن الالتفات إلى ماعده والاعتدال على مدرسه فلم يبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد القدر الصمد الإله وتحقيقا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا ينتهي عنهم الرزق وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خالقها ومامن دابة إلا على قدرزقها فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيلا توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأبطال الهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اللوتين بل هو من معالي درجات القربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتناقل عنها بالكيفية طعن في السنة وقبح في الشرع والاعتدال على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تخير في وجه العقل وانتماس في عمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه معنى التوحيد والنقل والشرع في غاية التدروس والسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الحفاء للإسماسرة علماء الدين اكتنعوا من فضل الله تعالى بأثوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل المقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل التوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب المتوكلين - وأعظم مقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملايه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يذم ولا يمد ولا يحجب وقال تعالى - أليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو المكذب لهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق الحق كقولته تعالى - هذا آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل حكيم - أي عز وجل لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنبه والتجأ إلى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تديره وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - بين أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر لحجته مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين يقيمون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا الله الرزق واعبدوه - وقال عز وجل - ولله خزائن السموات والأرض ولكن للناس فيها لا يحقون - وقال عز وجل - يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه - وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد الصهار . وأما الأغيار : فقد قال

الروح وأعطى منها وألطف وقالوا السر محمل للشاهدة والروح محمل المحبة . والقلب محمل العرفة والسر الذي وقت إشارة القوم إليه غير مذكور في كتاب الله وإنما للذكور في كلام الله الروح والفس وتوعد صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه رأينا الاختلاف في القول فيه وأشار قوم إلى أنه دون الروح وقوم إلى أنه ألطف من الروح فنقول والله أعلم : الذي صوره سرا ليس هو بشيء مستقل بنفسه

(كتاب التوحيد والتوكل)

صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود «أريت الأُم في الموسم فرأيت أُمِّي قَدْ مَلَأُوا السُّبُلَ وَالْجُبُلَ فَأَجْعَتْنِي كَثْرَتُهُمْ وَهَيَّأَتْهُمْ قَبْلِي لِأَرْضِيَتْ قَلْتُ نَعَمْ قَبْلَ مَعِ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْحَنَّةَ يَغِيرُ حَسَابَ نَيْلٍ : مِنْ مِثْلِ بَارِسَ وَرَسُولِ اللَّهِ قَالَ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ قَامَ عَكَاشَةُ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ قَامَ آخِرُ قَال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَبَقَتْ بِهَا عَكَاشَةُ (١) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَقْدُو خَمَاسًا وَتَرْزُقُ بَطْنَانَا (٢) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَوْثِقَةٍ وَتَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ الْبُيَا (٣) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ (٤) وَيُرْوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خَاصَةً قَالَ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : هَذَا أَمْرٌ بَدِئْتُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ - وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا - (٥) الْآيَةُ وَقَالَ ﷺ : «لَمْ تَوَكَّلْ مَنْ اسْتَرْقَى وَأَكْتَوَى (٦)» وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ جَبْرِيلُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَدْ رَمَى بَنَى النَّارَ بِالْحَبْنِيقِ أَلَا تَحَاجُّنَا قَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا دُعَاءَ بَقَوْلِهِ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَحْمُ الْوَكِيلَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ أَخَذَ لِيْرَمِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى - وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى - وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَادَاوُدُ مِمَّنْ عَبْدٌ يَتَصَمَّمُ فِي دُونِ خَلْقِي فَتَكْبِدُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لِأَجَلْتِ لَهُ مَخْرَجًا . وَأَمَّا الْأَنْبَاءُ فَدَقُّوا لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ لَدَغْنِي عَقْرَبَ فَأَقْسَمْتُ عَلَى أُمِّي لِتَسْتَرْقِيَنِ فَلَاوَلْتُ الرَّاقي يَدِي لَمْ تَنْصَحْ وَقَرَأُ الْخَوَاصِ قَوْلَهُ تَعَالَى - سَوْتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ - إِلَى آخِرِهَا قَالَ مَا يَنْبَغِي لِأَعْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يُلْبِغًا إِلَى أَحَدٍ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ فِي مَنَاسِهِمْ وَتَقَى بِاللَّهِ تَعَالَى قَدْ أَحْرَزْتَهُ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا يَشْفُكَ الضَّمْنُونَ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ عَنِ التَّرْوِضِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ قَضِيْعُ أَمْرٍ آخَرْتِكَ وَاتَّالَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ . وَقَالَ عَجِي بْنُ مَعَاذٍ فِي وَجُودِ الْعَبْدِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ مَأْمُورٌ بِطَلَبِ الْعَبْدِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَمَ سَأَلْتُ بَعْضَ الرِّهَانِ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ فَقَالَ لِي لَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ عِنْدِي وَلَكِنْ سَلْ رَبِّي مِنْ أَيْنَ يَطْعَمُنِي . وَقَالَ هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ لِأَوْيسَ الْقَرْنِيِّ أَيْنَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّامِ قَالَ هَرَمُ كَيْفَ الْعَيْشَةُ قَالَ أَوْيسُ أَرَأَيْتَ

(١) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَرَيْتَ الْأُمَّ فِي الْمَوْسَمِ فَرَأَيْتِ أُمِّي قَدْ مَلَأُوا السُّبُلَ وَالْجُبُلَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَنِيْعٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢) حَدِيثُ لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ الْحَدِيثُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَدِيثٍ عَمْرٍو قَدْ تَقَدَّمَ (٣) حَدِيثُ مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مَوْثِقَةٍ الْحَدِيثُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَمِنْ طَرِيقَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشُّبِّهِ مِنْ رَوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصْبَنٍ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْمَثِ تَكَلَّمَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ (٤) حَدِيثُ مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ الْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ (٥) حَدِيثُ كَانَ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خَاصَةً قَالَ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَيَقُولُ هَذَا أَمْرٌ بَدِئْتُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى - وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا - الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِأَهْلِهِ الضَّيْقُ أَمْرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا ذَكَرُوا لَهُ رَوَايَةً عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ سَمِعَ مِنْ جَدِّهِ (٦) حَدِيثُ لَمْ تَوَكَّلْ مَنْ اسْتَرْقَى وَأَكْتَوَى التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُ وَالنَّسَائِيُّ فِي السَّكْبِيرِ وَالتَّبْرَانِيُّ وَالْفَنَّا لَهُ لِأَنَّهُ قَالَ أَوْ مِنْ حَدِيثِ الثَّيْبِيِّ عَنْ شُعْبَةَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ مَنْ أَكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى قَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ وَقَالَ النَّسَائِيُّ مَنْ أَكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى .

له وجود وذات كالروح
والنفس وإنما
صفت النفس وتزك
انطلق الروح من وثاق
ظلمة النفس فأخذ في
المرجوع إلى أوطان
القرب واترحل القلب
عند ذلك عن مستقره
متطلعا إلى الروح
فأكتب وصفًا لهذا
على وصفه فأنجم على
الواجدين ذلك الوصف
حيث رأوه أصفى من
القلب فسموه سرا
ولما حاز للقلب وصف
زائد على وصفه بتطلعه
إلى الروح أكتب
الروح وصفًا زائدا
في عروجه وأنجم
على الواجدين فسموه
سرا والذي زعموا أنه
الطيف من الروح مرجع

لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفهم للوعظة وقال بعضهم متى رزيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو للراد باسم التوكل . فليبدأ ببيان العلم الذي هو الأهل وهو للسمى إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى سمى يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينبت عليه التوكل وهو التوحيد الذي ترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدره التي ترجم عنها قولك : له الملك والإيمان بالجلود والحكمة الذي يدل عليه قولك : له الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم لا الإيمان الذي هو أصل التوكل أسمى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم الكاشفة ولكن بعض علوم للكشافات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم للعامة إلا بها فاذن لا تعرض إلا للتوكل الذي يتعلق بالعامة والأفان وحيد هو البحر الحضم الذي لا ساحل له فتقول : لتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب القلب وإلى قشر القشر وتتم ذلك تقريرا إلى الأهم الضيقة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرين وله لب ولب دهن هو لب القلب القلبية الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو متوكل له كتوحيد الماقيين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كاصدق به محرم للمسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام القربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية القناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم يرفسه لكونه مستقرا بالتوحيد كانا عين قسه في توحيد بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق فالأول موجد مجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موجد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التشكيك بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا القدر حيل يقصدها لتضعفه وتحيله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضميف ويقصدها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والمعارف به يسمى مشكلا وهو في مقابلة البدع ومقصده دفع البدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يغص التشكك باسم اللوح من حيث إنه يحصى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موجد بمعنى أنه لا يشاهد إلا فاعلا واحدا إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يقعد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة العوام وللتكلمين إذ لم يوافق التشكك العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق السلام الذي به حيل البدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موجد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الشكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ، فالأول كالتشرة العليا من الجوز ، والثاني كالتشرة السفلى ، والثالث كالب ، والرابع كالدهن المستخرج من الب وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر الدقاق وإن نظرا إلى باطنه فهو كرب للظن وإن أخذ

متصفه بوصف أخص
مما عهدوه والذي صموه
قبل الروح مره وقبل
انصف بوصف زائد
غير ماعده وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب ترقى النفس
إلى محل القلب وتخدع
من وصفها فتصير نسا
مطمئنة تترد كثيرا
من مرادات القلب من
قبل إذ صار القلب يريد
ما يريد مولاه متبرئا
عن الحصول والقوة
والارادة والاختيار
وعندها ذاق طعم
صرف العبودية حيث
صار حرا عن إرادته
واختياره وأما العقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح بمثابة

حطبا ألقوا ناروا كثر الدخان وإن ترك في البيت حتى السكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز
 للصون ثم رمى عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق القلب عديم الجدوى كثير الضرر
 مدموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدته حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السطحية
 القلب والبدن وتوحيد للتألق يصون بدنه عن سيف القزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف
 إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن
 القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتجرحه عن الفساد عند
 الادرار وإذا فصلت آمن أن ينتفع بها حطبا للسكان نازلة القدر بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى الكشف والشهادة
 التي تحصل بالترشح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك الشرح هو للراد قوله تعالى
 - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله عز وجل - أفنشرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه - وكان القلب غيب في نفسه بالاضافة إلى القشر وكله القصد ولكنه لا يغلو عن
 شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه
 لا يغلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى السكرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.
 فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي
 كثيرة فكيف يكون الكبر واحدا - فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز
 أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم العاملة نعم ذكر
 ما يكسر سورة استبعادك عنك وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
 واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده
 وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ هو إنسان واحد
 فهو بالاضافة إلى الإنسانية واحد ومن شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه
 وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار بمستغرق
 بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والتفت إلى السكرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من
 الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد
 وباعتبارات أخرى سواء كثير وبعض أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق القرض
 ولكنه يبينه في الجملة على كيفية مصير السكرة في حكم المشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك
 الانكار والجمود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا
 التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به فمتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيك كان لك
 نصيب منه بقدر قوتك وإيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة وتندوم وتارة نظراً كالترك
 الخاطف وهو الأكثر والادوام نادر عز وجل هذا أشار الحسين بن منصور الجلاح حيث رأى الحق أس
 يدور في الأسفار فقال لبياد أنت فقال أدور في الأسفار لأصمح حالي في التوكل وقد كان من التوكلين
 فقال الحسين قد أنفقت عمر كل في عمران بأهلك فأب القناء في التوحيد فكأن الحق أس كان في تصحيح
 القام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الوجدان في التوحيد على سبيل الاجمال .
 فان قلت فلا بد لهذا من شرح بقدر ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض
 في بيان وليس التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول وهو التناقض
 فواضح. وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم السالكين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والنقل بشاشة
 اللسان وتجدد في
 الخير عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنه
 قال في ربه . . . في
 الله النطق فقال له أقبل
 فأقبل ثم قال له أدير
 فأدير ثم قال له أقص
 فقص ثم قال له أنطق
 فناطق ثم قال له اصمت
 فصمت فقال وعرفني
 وجسالي وعظمي
 وكبريائي وسعائتي
 وجبروتي ما خلقت
 خلقا أحب إلي منك
 ولا أكرم علي منك
 بك أعرف وبك أطمع
 وبك آخذ وبك أعطي
 وإياك أعاقب
 ولك الثواب وعليك
 العقاب وما أكرمته

البدعة فيهم ذكر في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر لهم منه . وأما الثالث : فهو الذي يبنى عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وقهر إلى غير ذلك مما ينطاق عليه اسم الملتزم بعبادته واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تفكك وعليه اتسالك فانه الفاعل على الأفراد دون غيره وما سواه مسخرون لاستقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا افتتحت لك أبواب الكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً آتياً من الشاهدة بالبرهان يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتنى به أن ينطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى المخلوقات إلى المخلوقات فكأنها تدرك على الطرقي خروج الزرع ونباته ونسائه وعلى النعم في نزول المطر وعلى البرد في اجتاع النعم وعلى الربح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمخائلي الأمور ، ولذلك قال تعالى - فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون - قبل معناه أنهم يقولون لولا استواء الربح لما نجاهم ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الربح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد إلى النجاة إلى الربح يضاهي الالتفات من أخذ لحز رقبته فكأن الملك توقيماً بالنعمة عنه وتحليته فأخذ يشتغل بذكر الخير والكافد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاهته من القلم لاسم محرك القلم وهو غاية الجهد ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يفتت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وحسرك الملك والكاتب من أن يخطئ به القلم والخبر والدواء والشمس والقمر والجموم والمطر والنعم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كنسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تخيل في حرك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فإذا انكشف لك أن جميع مافي السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائباً وأيسر عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأنتك في الملكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يطبق رزقك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي عزز رقبته بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقبته وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضاً ، نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو السحر له وعند هذا زل أقدام الأكثرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان العيين فمشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضمائم كون القلم مسخراً وعرفوا أن غلط الضمائم في ذلك كغلط النملة في اللؤلؤ كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلاً عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم هو المسود للابيض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدتها فسكت ذلك من أن يتشرح نور الله تعالى صدره للإسلام فصررت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوق في الطريق

بشيء أفضل من الصبر » وقال عليه السلام « لا يبيحكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله » وسألت عائشة رضی الله عنها إلى صلى الله عليه وسلم قالت قلت « يا رسول الله بأي شيء يتفاضلون الناس ؟ قال بالعدل في الدنيا والآخرة قالت قلت أليس يحزى الناس بأعمالهم ؟ قال يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا ما قد عقل ففقد عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يحزون » وقال عليه السلام « إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته

على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب وللشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تعديسها وتسييحها تعالى وشهادتها على نفسها بالبحر بسان ذلك تتكلم بالأصوات ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع موزونون ولست أعتني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك فيقول لا قدر لما يشارك فيه البهائم وإنما أريد به مما يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فإن قلت فهذه أهجوة لا يقبلها العقل صف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالبحر . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا يحصر وله ينتهي فانها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الآية ثم إنها تتناهى بأسرار الملك والملكوت وإفشاء السر لم يزل من صدور الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوحى بغيرها فنادى بصره على ملا من الخلق ولوجاز إفشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم «لو تطهون ما أعلم لصححكم قليلا ولكنكم كثيرا» (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون . ولما انتهى عن إفشاء السر القدر (٢) ولما قال «إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٣) ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة فقرات الملك والملكوت قلوب أرباب الشاهدات مائنان : أحدهما استحالة إفشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكننا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الإجمال كيفية إبقاء التوكل عليه ونزول كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفا وأصوات ولكن هي ضرورة التفهيم فتقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ وقد رآه أسود وجهه بالبحر مابل وجهك كان أبيض مشرقا وآلآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه قال الكاغذ ما أنصفتني في هذه اللقاة فأنى ماسودت وجهي بنفسى ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في المهبرة التي هي مستقره ووطنه فذا فرعن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فأنى كنت في المهبرة وادعا ساكننا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني وأجلانى عن بلادى وفرق جمعى وبدنى كاترى على ساحة يضاء فالسؤال عليه لاهل فقال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظله وعدوانه وإخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والأصابع فأنى كنت قصبا ثابتا على شط الأنهار متزها بين خضرة الأشجار لجأتي اليد بسكين فتحت عني قسرى ومزقت عني ثيابى واقتلعتني من أصلى وفضلت بين أنابيبى ثم برتني وشقت رأسى ثم غسقتني في سواد الخبر ومرارته وهي تستخدمنى وتعشيقنى على قمة رأسى ولقد ترتل الملح على جرحى بؤالك وعنايك فتنتع عنى وسل من قهرنى فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستغدادها له فقالت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو حيا يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركبتى فارس يقال له القدرة والعزة فهى التي تردنى

(١) حديث لو تطهون ما أعلم لصحكم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث البهي عن إفشاء سر القدر ابن عدى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تنفثوا لله عز وجل سره انظ أي نعيم وقال ابن عدى لا تسلكوا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن جبان في الضعفاء وتقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا تحدل جناح بموئنة
وإن الرجل ليأتى
السجد فيصلى وصلاته
تحدل جبل أحد إذا
كان أحسنها عقلا
قيل وكيف يكون
أحسنها عقلا ؟ قال
أورعها عن محارم
الله وأحرصها على
أسباب الخير وإن
كان دونه في العمل
والطوع . وقال :
عليه الصلاة والسلام
«إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أشتاتا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وبرهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل
كالقذرة في جنب أحد»
وروى عن وهب بن

ونجول في في نواحي الأرض أما ترى للدر والحجر والشجر لا يتعدى شي منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر أما ترى أيدي النوى تتأوى في صورة الاحم والعظم والدم ثم لامعاً بينها وبين القلم فأنا أيضاً من حيث أنا لامعاً بيني وبين القلم فهل القدرة عن شأني فاني مركب أزهجي من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترددها فقالت دع عنك لومي ومعاتبي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لائب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أنني ظلمت اليد لما ركبها وقد كنت لها راية قبل التحريك وما كنت أحرکها ولا أستخرجها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانين بي أنني ميتة أو معدومة لأنني ما كنت أتحرك ولا أحرک حتى جاءني موكل أزهجي وأرهنني في مآثره متى فكنت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الوكل يسمى الإرادة ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله إذ أزهجي من غمرة النوم وأرهنني إلى ما كان لي مندوبة عنه لو خافني ورأى فقال صدقت ثم سألت الإرادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة الطمئة حتى صهرتها إلى التحريك وأرهنها إلي إيهاماً لم نجد عنه مجلساً ولا مناصاً فقالت الإرادة لا تميل على فعل لما غلبت أو أنت تعلم فاني ما تهضت بنفسى ولكن أتهضت وما أتممت ولكني بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل عيبي ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإشخاص للقدرة فأشخصها باضطراب فاني مكيئة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقتت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكفى أدري أنني في دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقتت عليه وقفاً وألزمت طاعته إلهاماً بل لا يقي لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتجبر في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استئثار وانتظار لحكمه فإذا انجزم حكمه أزهجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فهل العلم عن شأني ودع عن غيبك فاني كما قال القائل :

مضى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفرقهم قالوا حلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً إلهاماً على استهزاء الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فمراجع ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فمراجع ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فمناقش تهافت في رياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انحططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبل خالي عن فعل القلم عنى لأن الحظ لا يكون إلا بالقلم فعند ذلك تمنع السائل ولم يقضه جواب وقال قد طالعني في هذا الطريق وكثرت منازل ولا يزال يعيلى من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكن كنت أظنك تسابكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في التؤاد وعذراً ظاهراً في دفع السؤال فأما قولك إني خط وتقي وإني خطي فلم فلت أنتهم فاني لأعلم قلماً لإلزام القصب واللوحة لإلزام الحديد والخشب ولا خط إلا بالحبر ولا سراجاً إلا من النار وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولأشاهد من ذلك شيئاً أسمع جميعه ولا أرى طعناً فقال له القلم إن صدقت فبأقمت فضاعتك مزاجاً وزادك قليل ومركباً ضعيف . واعلم أن الهالك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغباً في استتمام الطريق إلى القصد فأنتي صممت وأنت شبيد . واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها وقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد تجاوزت

منه أنه قال إني أجد في سبعين كتاباً أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقضاءها من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهية رمة وقتت من بين جميع رماله الدنيا . واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك بكثرة ولا تؤثر قول الأقوال وليس ذلك من غرضنا فقال قوم : العقل من العلوم فإن الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فإن الخالي عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

تلك المنازل على سهولة والثاني عالم للمسكوت وهو ورأى فإذا جاوزته انتهى إلى منازل وفيه للهامه والقيح والجبال الشاهقة والبحار العذبة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم المسكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والمسكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقاً وعالم المسكوت أوعر منه منهجاً وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم المسكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والساء فلا هي في حد اضطراب الساء ولا هي في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشي على الساء من غير سفينة مشى في عالم المسكوت من غير شئ فإن كنت لا تتحدر على الساء فاضرب فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الساء الساق وأول عالم المسكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم ولوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوا زاد يقينا لمشي على الهواء» (١) لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفاً مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه الهامة التي وصفتها أم لا فهل قلبك من علامة ؟ قال نعم انفتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحده نحوي فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلاً لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع باباً من أبواب المسكوت كخشف القلم أو ما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كخشف القلم إذ أنزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فقال السالك لقد تحت بصري وحذقته فوالله ما أرى قصباً ولا خشباً ولا أعلم قلماً إلا كذقت فقال العلم لقد أبعدت النتيجة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الدوات فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلبه الأفلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم المسكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قلبه من قصب ولا لونه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعصم فإن كنت لا تشاهد هذا فكذلك أمارك إلا عشتا بين خولة التزييه وآتونة التشبيه مذنباً بين هذا وذال إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف زهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاته وزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خالق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدرجة بالبرص فكأن مشبهاً مطلقاً كما يقال كن يهودياً صرفاً وإلا فلا تلعب بالثورة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالباطن لا بالأبصار فكأن منزهاً صرفاً ومقدساً خللاً واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى واستمع بربر قلبك لما يوحى فملكك نجد على النار هدى ولملكك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى - إني أنا ربك - فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه عشت بين التشبيه والتزييه فاشتغل قلبه ناراً من حمة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيتته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسه نار لما تنفع فيه العلم بمحدثه اشتغل زيتته فأصبح نوراً على نور فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة واتق بصرك لملكك نجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قيل له إن عيسى يمشي على الماء قال لوا زاد يقينا لمشي على الهواء . تقدم .

شرط ابتداء النظر
تقدم كمال العقل فهو
إذن من العلوم
الضرورية وليس هو
جميعاً فإن صاحب
الحواس المتحلة عاقل
وقد عدم بعض
مدارك العلوم
الضرورية. وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب المحصن بأن
الداهل عن ذكر
الاستحالة والجواز
لا ينصف بكونه عاقل
ونحن نرى العاقل في
كثير من أوقاته ذاهلاً
وقالوا هذا العقل صفة
ينبأ بها درك العلوم .
ونقل عن الحرث بن
أسد الهامسي وهو من
أجل الشايع أنه قال

فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لآرأس له قضى منه العجب وقال نعم الرقيق العلم جفرا الله تعالى عن خيرا إذا الآن ظهر لي صدق أنباءه عن أوصاف القلم فاني أراه قلما لا كالأقلام فتد هذا ودع العلم وشكروا وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا نازع على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إليه وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبث به الارادات إلى أشخاص التقدرو صرنا إلى للتدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصحت من جواب القلم إذا سأته فأحلك على البد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني للقلب يمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يردني وأما مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وإنما الفرق في ظاهر الصورة قال فمن عين الملك قال القلم أما سمعت قوله تعالى - والسموات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي يردها فسافر السالك من عنده إلى الجن حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمان ويد لا كالأيدي وأصبح لا كالأصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عند القلم فأنال الجن عن شأنه ونحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من الجن التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحو القبطي القدرة إذا زيد لا حكم لحسافي نفسها وإتباعه كذا القدرة لأهالة فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استعجز عنه ما قبله وسألها عن تحريك الجن فقالت إنما أسأله فأسأل القادر إذ العدة على الوصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فكتب بالقول التائب ونودى من وراء حجاب سرادقات الحضرة - لا يسئل عما يغفل وهم يسئلون - فغشيت هبة الحضرة غرر صفحا اضطرب في غشيتها فلما أفاق قال سيدنا ك ما أعظم شأنك ثبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار فلا تخاف غيرك ولأرجو سؤلك ألا أعوذ إلا بفوك من عقابك ومرضاك من سخطك ومالي إلا أن أسألك وأنضرع إليك وأبتل بين يديك فأقول : اشرح لي صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأننى عليك فنودى من وراء الحجاب إياك أن تطمع في التناء وتزد على سيد الأنبياء بل أراجع إليه فسألك فقدم وماتها لك عنه فانتعنه وماتها لك قلته فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال « سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) فقال إلهي إن لم يكن لسان جرأة على التناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودى إياك أن تتخطى رقاب الصديقين وأرجع إلى الصديق الأكبر فاقته به فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأبهم اتقدبتهم أعتدبتهم أما سمعت يقول العجز عن درك الإدراك إدراك فيك نسيان حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرة تتعاجز عن ملاحظة جنانا وجلانا فخذ هذا رجع السالك واعتذر عن أسئله ومعاتبته وقال لليمين والقلم والعلم والإزادة والقدرة وما يصدها أقبلوا عندي فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة لما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل والآن قد صبح عندي عذركم وانكشف لي أن للتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فلما أتم الإمام سحرون تحت فقره وقدر تمرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن قلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخر وهو صفتان متناقضتان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر

العقل غريزة بئس بها
درك العلوم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرناه في
أول ذكر العقل : أنه
لسان الروح لأن
الروح من أمر الله
وهي التحملة للأمانة
التي أبت السموات
والأرضون أن يعملنها
ومنها يفيض نور
العقل وفي نور العقل
تشكل العلوم فالعقل
لعلوم بمثابة الروح
للسنوب وهو صفته
منكوس متطلع إلى
النفس تارة ومتنصب
مستقيم تارة فمن كان
العقل فيه منكوسا
إلى النفس فرقه في
أجزاء الكون وعدم
حسن الاعتدال
بذلك وأخطأ طريق

(١) حديث سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

بالإضافة إلى سير الساترين إليه فانه لا يزالون مترقبين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الالتحاق إلى تلك الحفرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى العالمين في عالم الشهادة الطالعين لا دراهم بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتمل في قلبه بالبرية الباطنة النافذة في عالم للسلوك فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القمل : أعني من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبقى على الإيمان بهالم للسلوك فمن لم يفهم ذلك أوجده فاطرته ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم للسلوك كأنكار السنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأفكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حسيين عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولأعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لما شاهدناه وراء الحواس الخمس كأنكار السوفسطائية بالحواس الخمس فانهم قالوا ماتره لا تلق به فلعلنا نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملتهم فاني أشاك أيضاً المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وانتعج علاجه فترك أياماً قلائل ومكمل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم للسلوك فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود قبل الإزالة والتنقية اشتعلوا بفتنته اغتفل الكمال بالأبصار الظاهرة فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم فحواس أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد . ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك وللسلوك بشهادة التوحيد كونه بحرف وصوت وردوا فدوة التوحيد إلى حسيين فهمه فان في عالم الشهادة أيضاً وحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزلزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأمرين فيقال له على حد عقده إنه العالم واحد والدبر واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارأى في عالم الشهادة فيغترس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق الملاقى بقدر عقله وقد كلف الله الأتباء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، وذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوراة . فان قلت فلهذا التوحيد الاعتقادى هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يفضو يتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بعلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا علاج عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومماثال للكاشفين والمصدقين إلا كسجرة فرعون مع أصحاب السامري فان سجرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر طلول مشاهدتهم وتغيرتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتروا بقوله فرعون - لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف - بل - قالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما نفى هذه الحياة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التفسير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فما نظروا إلى عمل السامري وصعوا خواره تميزوا وصعوا قوله - هذا إلهكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم صرا ولا شفا فكل من آمن بالظن

الاهتمام ومن انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالبرية التي هي لروح بمثابة القلب واهتدى إلى الكون ثم عرف الكون بالكون مستوفيا أقسام المعرفة بالكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله إقباله في أمره دل على إقباله عليه ومكرهه الله في أمره دل على الابدان عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجنب مساخطه وكما استقام العقل وتأيد بالبرية كانت دلالة على الرشد ونهيه عن التمسك بهضم : العقل على

إلى ثمان يكمل المحالة إذا نظر إلى مجمل لأن كلمته من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا نجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً . فإن قلت ماذا كرهته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فإنه يتحرك إن شاء وسكن إن شاء فكيف يكون مسخراً . فاعلم أنه لو كان مع هذا إرادة إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزية لا تقدم وموقع الفطول لكن علم أنه يفعل يشاء إذا شاء أن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لا قدرت على مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه فمعها وجدت للمشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة للمحالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متمنحة ضرورة عند انخراط المشيئة فليست تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات تترتب بعضها على بعض وليس للبدن أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى التدور بعدها ولا وجود الحركة بدت للمشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تسكر الاختيار فكيف يكون مجبوراً مختاراً . فأقول لو انكشف الظاه لم نعرف أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ، فلنشرح الاختيار بلسان التكمين شرحاً وجيزاً يليق بذاكر متطفلاً وتاباً فان هذا السكتاب لم يقصد به لإعلم العامة ، ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالأنف والخنجيرة ويحرق الماء إذا وقف عليه بحمسه فينسب إليه الحرق في الماء والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فاعربك عنها ثلاث عبارات فنسمى خرقه الماء عند وقوعه على وجهه ضلاً طبيعياً ونسمى تنفسه ضلاً إرادياً ونسمى كتابته ضلاً اختيارياً والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو غطى من السطح للهواء انحرق الهواء للمحالة فيكون الحرق بعد التخطي ضرورياً والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجيرة إلى إرادة النفس كنسبة انحراف الماء إلى تقل البدن فهما كان الثقل موجوداً وجد الانحراف بعده وليس الثقل اليه ركذلك الارادة ليست اليه ، ولذلك لو قصد عين الانسان بآلة طبق الأجفان اضطراباً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تضيض الأجفان اضطراباً فإرادته ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والارادة قد التحق هذا الفعل الطبيعي في كونه ضرورياً . وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا الجمل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه ، وبإيانه أن الارادة تبع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافق له والأعيان تنقسم إلى ما تحكم مشاهدته الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قدر تردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بآلة أو يدك بسيف فلا يكون في عليك تردد في أن دفع ذلك خبرك وموافق فلا جرم تثبت الارادة بالعلم والقدرة والارادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الأشياء ما يتوقف الخبير والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية ففكر فانبثقت الارادة هنا كما تثبت لدفع السيف والسنان فإذا انبثقت فعل ما ظهر لفعل

ضرب يمين ضرب يسار
به أمر ديناه وضرب
يساره أمر آخرته ،
وذكر أن الفعل الأول
من نور الروح والعقل
الثاني من نور الهداية
فالفعل الأول موجود
في علمه والآخر العقل
الشمسي موجود في
الروحانيين مفقود من
الشمس كين . وقيل إن
سوى العقل عقلاً لأن
الجمل غلة فإذا غلب
العلم بصيرة في تلك
الظلمات زالت الظلمة
فأضمر ضار عقلاً
فيعلم ، وقيل عقل
الإيمان مستحسن في
التقريب ومتمم في
الصدق بين عيني
الغنى والذي ذكرناه
عن كون العقل لسان

أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أى هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثه إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البدنية وهذا اقتصر إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة توهى إلى انبعاث العقل فيها في إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبذ الإرادة إلا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جرم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يجر رقيقة نفسه مثلاً لم يمكنه لالعدم القدرة في البدن والعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبذ بحكم العقل أو الحس يكون العقل موافقاً وقوله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عتوة مؤلة لا تطاق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن تردده بين شر الشرين فإن ترجع له بعد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزأً لا ملاميل فيه ولا صارف منه انبعاث الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذى يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالى ولا يمكنه أن يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبذ له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة لداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فأنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه فكلو لا فاذن متى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدث فيه جبراً بعد حكم العقل يكون الفعل خيراً محضاً ما وقعوا حدث الحكم أيضاً جبراً فاذ هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الأحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى اختياراً بحسن وفعل الإنسان على منزلة بين الزنبيين فإنه جبر على الاختيار قطب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنهم كان في ذاتها واتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تغير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه . فإن قلت فهل تقول إن العلم والارادة والارادة والارادة والقدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من التقدم . فإن قلت ذلك فقد حكمت بحسب شئ لا من قدرة الله تعالى وإن أثبت ذلك فامعنى ترتب البعض من هذا على البعض . فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل محاولة جميع ذلك على المعنى الذى يبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذى لم ينف كافة الحلق عليه إلا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه معناه والسكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ويأين ذلك بطول ولكن بعض المقدورات ترتب على البعض في الأحداث ترتب الشرط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد عمل الحياة وكما يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسيم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشرط ربما ظهرت العامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص الكاشفين بنور الحق والإفلا يقدم مقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والغروم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقدم والتأخير عبثاً يضاهى فعل الملائكة تعالى الله عن قول الجاهلین علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصرة واعتدل ووضع الأشياء في مواضعها وهذا العقل هو العقل المستقى بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداه إلى الاستقامة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبي للرسول وذلك تقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقدرته الله وإيادته واستقامة عقله بتأييد البصرة فالبصرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي

لا عين - مخالفتها إلا بالحق - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لا يتصور أن يكون إلا حادث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الإلتفات شرطه للشرط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدوراً فلا يتأخر الخالم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة لتأخر عنها الإرادة بعدمها إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك مناهج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل لكل ذلك بحكمة وتدبير وتعميق ذلك غير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلاً بالقرب بمبادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن نقدر إنساناً محدثاً قد انتمى إلى الماء إلى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الارتفاع وهو ملائله قدر القدرة للأزلية حاضرة ملائمة للقدورات متعلقة بها ملائمة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل برفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل للماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن "الجاهل أن" الحدث ارتفع عن الدين رضى عن الوجه لأنه حدث عني إذ يقول كان الماء ملائماً لم يكن رافعا ولما لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن الدين عند غسل الوجه، فاذن غسل الوجه هو الارتفاع للحدث عن الدين وهو جهل بضاي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء اللائق لها ينسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فكذلك ينبغي أن نفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكشفات فلتترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والمرجوع عليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من محار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في سمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لإله إلا الله وما أخف مؤثته على اللسان ومأسهل اعتقاد مفهوم افظه على القلب وما أعز حقيقته وله عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان البعد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون البعد فاعلاً ومقولوا من فاعلين غير مفهوم . فاقول نعم لذلك غير مفهوم إذا كان لفاعل معنى واحد وإن كان له معنيين ويكون اسم مجمل مرداداً إليهما يتشاقق كما يقال قتل الأمير فلان ويقال قتل الجلال ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فذلك البعد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه الخالق الموجد ومعنى كون البعد فاعلاً أنه المخل الذي خلق في القدرة ببدن خلق في الإرادة ببدن خلق في العلم فاربطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت القدرة بالله ارتباط الماهول بالعلو وارتباط الخالق بالخلق ارتباط القدرة بفاعل القدرة يسمى فاعله فكيفما كان الارتباط كما يسمى الجلال واللا والأمرى فاعلاً لأن القتل ارتباط بقدرتها ولكن على وجهين مختلفين فذلك معنى فصلهما فسند ذلك ارتباط المقدورات بالقدريين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى للأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها لهما مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت - قل يتوفاكم كما لم الموت - ثم قال عز وجل - الله يتوفا الأنفس حين موتها - وقال تعالى - أفرأيتم ما عمرن - أنصاف الإنعام قال تعالى - أنا صابنا الماء صابهم شققنا الأرض شققاً فابتنا فيها بها وعينا - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونَ فَاقْتُلْهُمَا بِأَسْوَى - ثم قال تعالى - فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه

يضيّقُ عنها نطاقَ العقل
 لأنّها تستمد من كائنات
 الله التي تفقد الحر
 دون نقادها والعقل
 رحمان تزدى البصيرة
 إليه من ذلك شطراً
 كما يؤدّي القلب إلى
 اللسان بعض ما يه
 ويؤثر بعضه دون
 اللسان ولهذا المعنى من
 مجرد على مجرد العقل
 من غير الاستعانة
 حظي
 بنور الشرع
 بعلم الكتابات التي
 هي من الملك والملك
 أظهر الكتابات ومن
 الاستعانة عقله بنور
 الشرع تأييداً بالبصيرة
 باطن
 الملكوت
 الملكات
 اختصاص
 كاشفة باب البصائر

السلام وكما قال تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - قاتلهم ببذنبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلوه ولكن الله قتاهم - وقال تعالى - وماريت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه وماريت بالمعنى الذى يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذى يكون العبد به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - أفرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فييده ثم يصورها جسدا ، فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء ومخلق الملك^(١)» وفي لفظ آخر «ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالمعانة أو بالشقاوة» . وقد قال بعض السلف إن الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من ألقامه روحا يلج في جسم . ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أبواب القلوب يصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بأنه تعالى كما دل بعضهم عرف ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الهى والحيث ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين في الخبر «أن ملكى الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيى الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المعيت والحيى لا يميت ولا يحيى سوى^(٢)» فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض هذه المعانى إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذى ناوله الخمرة «خذها لولم تأنها لأنتك^(٣)» أضاف الاتيان إليه وإلى الخمرة ، ومعلوم أن الخمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الانسان إليها وكذلك لما قال التائب أنوب إلى الله تعالى ولا أنوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله^(٤)»

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا الحديث البراز وابن عدى من حديث عائشة إن الله تبارك وتعالى حين يربد أن يخلق الخلق يبيت ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فأم من شيء إلا هو يخلق معه في الرحم فيسند بهما وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحو (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيى الأموات فأوحى الله إليهما أن كونا على عملكما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال للذى ناوله الخمرة خذها لولم تأنها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال للذى قال أنوب إلى الله ولا أنوب إلى محمد عرف الحق لأهله تقدم في الزكاة .

والقول دون الجامدين على مجرد القول دون البصائر وقد قال بعضهم إن العقل عقلان عقل للهداية يسكنه في القلب وذلك للمؤمنين والمؤمنين ومتعملة في الصدرين عني الفؤاد والعقل الآخر يسكنه في الدماغ ومتعملة في الصدرين عني الفؤاد في الأول يدبر أمر الآخرة ، وبالثاني يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحدا هو أوسع وأبين ، وقد ذكرنا في أول الباب من تدبيره للنفس الطمئة والأمارة

فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو الحق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو التجوز والمستعير في كلامه والتجوز وجه كما أن الحقيقة وجهها واسم الفاعل وضمة واضع اللفظة للمتعرج ولكن ظن أن الانسان مخترع بدمته فيها فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلالة فلا انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعت أفعالها للنوع المستعرج فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولنيره بالمجاز أى تجوز به عما وضعت القوى له ولما جرى حقيقة للقي على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: • ألا كل شيء ما خلا الله باطل •» (١) أى كل ما لا قول له بنفسه وإعما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لاحق بالحقيقة إلا إلى القيوم الذي ليس كمثل شيء فانه قائم بذاته وكل ما سوا ما قام بغيره فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا الآن كالم تكن فانه اليوم كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر فامعنى الثواب والعقاب والنضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحسنة فان التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة ومعناها هو الذي يورث الثقة بسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سيقى إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لتمام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينا لا ضغف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلمه على عقل أعقلهم وعلم أعدهم وخلق لهم من العلم ما غتمه نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لامنتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جسيم علما وحكمة وعظما ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلهم على أسرار اللسكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضرم أمرهم أن يدبروا الملك واللسكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جسيمهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يراد فيها دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بموضة ولأن ينص منها جناح بموضة ولأن يرفع منها ذرة ولأن يخفض منها ذرة ولأن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو قهر أو ضرر ممن يلى به ولأن يراد أهمية أو كمال أو غنى أو وقع ممن أتم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من مخاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وهجر وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحتى صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكل ولو كان وادخره مع القدرة ولم ينفضل بفعله لكان بخلا بنافض الجود وظلما بنافض العدل ولو لم يكن قادرا لكان هجرا بنافض الالهية بل كل فقر وضرف الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره إذ لو لا الليل لما عرف قدر النهار ولو لا الرض لما تنعم الأصحاء بالصحة ولو لا النار

ما ينسب الانسان به إلى كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملم للمصواب . [الباب السابع والخمسون في معرفة الحسائط وتفصيلها وتمييزها]

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المهبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاه بن السائب عن مرة الحمدي عن عبد الله بن مسعود

(١) حديث أصدق بيت قالته الرب بيت لبيد : • ألا كل شيء ما خلا الله باطل • متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تسكمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذبحها ليس ينظم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تنعيم النعم على سكان الجنان تعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة لفتننى المهود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكأ أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص فكذلك الأمر في التفاوت الذى بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لآل فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غاى ض لا يقله إلا العالون ووراء هذا البحر سر القدر الذى تغير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره الكاشفون . والحاصل أن الخير والشر مقضى به وقد كان ما مضى به واجب الحصول بسد سبق الشبهة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أمياك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه الرماز من علوم المكشوفة التى هى أصول مقام التوكل ولترجع إلى علم المعلمة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثانى من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفي بيان حال التوكل وبيان مقاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمفرد والميل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع الضرر وبيان التوكل في إزالة الضرر بالدواوى وغيره والله الموفق برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علو حال وعمل وذ كرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكتثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى للفوض إليه مشكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولضرب للوكيل في الحصومة مثلا فنقول : من ادعى عايد دعوى باطلة بتلبس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبس لم يكن متوكلا عليه ولاوا ثقابه ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى النصيحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها موانع التلبس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ أصلا وأما القدرة والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يدهن ولا يخاف ولا يستع ولا يجبن فانه ربما يطعن على وجه تلبس خصمه فيمنعه الخوف أو الحيل أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف الضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهى أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الاصباح عن كل ما استجر القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بموانع التلبس قادر بذلة لسانه على حل عقدة التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تنقضى دون العناية إذا كان لاهمه أمره ولا يبالى به نظير خصمه أو لم ينظر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شاكيا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه لمطمئن نفسه إلى وكيله بل يبق مترع القلب مستغرق المم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يجدر من قصور

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان لمة بابن آدم ولذلك لمة فألمة الشيطان فابعد بالشر وتكذب الحق وألمة لللك فابعد بالخير وتصدق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتموذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان بعدكم القرآن وأمرهم بالقشاه - » وإنما يتطاع إلى معرفة الدين وعبر الخواطر طالب مر يد بتشوق إلى ذلك تشوق العاشقان إلى الماء لما يظم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه

وكيله وسطوة خصمه ويكون ثاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب ثاوت قوة اعتقاده
لحده الحاصل فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تفاوت ثاوت لا ينحصر فلا جرم تهفاوت
أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة ثاوت لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه
كما لو كان الوكيل والدلولك وهو الذي يسمى بجمع الحلال والحرام لأنه يحصل له يقين ينتهي
الشقة والعناية فخير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصل يتصور أن يحصل
القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أضعف الناس لسانا وأقومها يانا وأقدرهم
على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال نفس
عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق
واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
والأحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك
ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه وإلى نفسه وحوله
وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة
عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيه أحد أمرين
إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الحين عليه وإزعاجه
بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج بما لا يوافق وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فإن
من يتناول عسلا فسيه بين يديه بالقدرة ربما تفرط عليه وتغدر عليه تناوله ولو كلف الماقل أن يبيت
مع الليث في قبر أو فراش أو بيت تفرط به عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جاد في الحال
وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يغيره الآن ولا يغيره وإن كان قادرا عليه كما أنها مطردة بأن لا يقلب
القلب الذي في يده حية ولا يقلب السور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين يفر
طبعه عن مضاجعة الليث في فراش أو البيت معه في البيت ولا يفر عن سائر الجمادات وذلك حين في القلب
وهو نوع ضعف قد اغلحو الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في
البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جيبا إذ بهما حصل
سكون القلب وطمأنينته فالكسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكيف من يقين لا طمأنينة معه كما قال
تعالى لإبراهيم عليه السلام - أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطعن قلبي - فالنفس أن يكون مشاهدا إحياء
الليث يسه ليش في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى
أن يتابع الأخيرة إلى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا لو من مطمئن باليقين له كسائر
أرباب اللل والذهاب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصارى ولا يقين لهم أصلا وإنما
يشعرون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه
فاذن الحين والجراة غراة ولا يتبع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف
اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب
في التوراة فاعلمون من هتة إنسان مثله وقد قال عليه السلام «من استمر بالبعد أذه الله تعالى» ^(١) وإذا انكشف
لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك
عبدا مرادا بالخطوة
صفو اليقين ومنع
الوقتتين وأكسار
التشوف إلى ذلك
للقربين ومن أخذ
به في طريقهم ومن
أخذ في طريق الأبرار
قد يتشوف إلى ذلك
بعض التشوف لأن
التشوف إليه يكون
على قدر الهمة والطلب
والارادة والخط ومن
الله الكريم من هو
في مقام عامة المؤمنين
والمسلمين لا يتطاع
إلى معرفة اللتين ولا
يتم تمييز الخواطر
ومن الخواطر ما هي
رسل الله تعالى إلى
العبد كما قال بعضهم
لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتز بالبعد أذه الله العليل في الضمفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته
العليل في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع لي حديثه وقد ذكره ابن جبان في
الفتاوى وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكلماته وعنايته كحالها في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرغ إلى أحد سواها ولا يستند إلا إليها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يغلها وإن نأه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يأمنه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفرقة عنه فانه قد وثق بكلماتها وكلماتها وشقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك التمييز الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طوّل ب تفصيل هذه الحاصل لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلاً فذهبوا إلى أن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتاده عليه كلف به كايكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد نفى في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لتغير التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فائناً عن توكله لأن التفاتاً إلى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وخدمه إلى هذه الدرجة وأشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأماني قبل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاه أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الليث بين يدي الفاعل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الفاعل الليث وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن لا يحدث جبراً ويكون باثناً عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فإن الصبي يفرغ إلى أمه ويصبح ويتعلق بذيلها ويصده خلفها به هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن يسألها اللبن فالأم تمنّعه وتنفقه وهذا التمام في التوكل يشترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداءً أفضل مما يستل فكم من نعمه ابتداءً قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والتمام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط . فإن قلت فهذا الأحوال يصور وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عزيز نادر والتمام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون التمام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجع فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجع عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تمتص عن ظاهر البشرة الحجرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فإن البشرة مترقيق تراه من وراء حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة سائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما التمام الثاني فيصفه صفرة الحموم فانه قد يدوم يوماً ويومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول . فإن قلت فهل يقع مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن التمام الثالث ينفي التدبير رأساً مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالميت والتمام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والتمام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في المحصورة فانه يترك تدبيره من جملة تدبير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول لست أترككم إلا في حضورك فيشتغل لاهمة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً توكله عليه إذ ليس هو فزعاً عنه

عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه
واستقامت القلب
أطمأنينة النفس وفي
أطمأنينة النفس بأس
الشیطان لأن النفس
كما تحركت كدّرت
صفو القلب وإذا
تكدّر طمع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب محفوف بالتذكر
والرعاية ولذلك نور
بقية الشيطان كاختفاء
أحدنا النار . وقد
ورد في الحسير وإن
الشیطان جائم على
قلب ابن آدم فإذا
ذكر الله تعالى تولى
وخس وإذا غفل
التقم قلبه بخدمة ومناه
وقال الله تعالى - ومن
يش عن ذكر

إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا ممتداً له في قوله لما حضر قوله وأما للعلوم من عاداته واطمأننته فهو أن يعلم من عاداته أنه لا يحاج الحصر إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعاداته وواقياً بمقتضاها وهو أن يعمل السجل مع نفسه إليه عند خاصته فاذن لا يستحي عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان قصراً في توكله فكيف يكون فعله تصافيه ، ثم بعد أن حضروا فاء أشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وقد ناظروا إلى حاجته فقد يقضى إلى اللقائ الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمجهول للتظن لا يجوز إلى حول وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعاً إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الإقسام وسأيت فضيلة في الأعمال فاذن فزع التوكل إلى حول وقوته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جملة ممتداً له حاجته وعرفه ذلك بإشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وبما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين إذ جعلهم مشايخاً خلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله (١) وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بفهم لفظها وهيئات فاعلم ذلك جزاء على هذه الشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوبها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوبها كنسبة معنى إحداها إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة إضافة شيتين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيتين تعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكذا ذكرنا من قبل أن التوحيد قسرين وأبين فكذا ذلك لهذه الكلمة ولإشعار السمكات وأكثر الخلق قديوا بالقسرين وماطر قوا إلى اللين وإلى اللين الإشارة فغوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه خلصنا وجبت له الجنة» (٢) وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالطلق هذا القيد كماضاف للمفردة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض الواضع وأضاف إلى مجرد الإيمان في بعض الواضع والراد به القيد بالعمل الصالح فالملك لا يزال بالحدث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أضاحديث ولكنه حديث نفس وإنما الصدق والإخلاص وراءها ولا ينصب سرير الملك إلا للقرينين وهم المحضون ، ثم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب النجى أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك أماترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة القرين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

الرحمن تقيض له شيطانا موله قرين - وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إدا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فبالقوى وجود خالص الذكر وهما يفتح بابه ولا يزال العبد يتقى حتى يحصى الجوارح من المكارة ثم جمعها من الفضول وما لا يمتنع فصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم تنتقل قواه إلى باطنه ويظهر الباطن ويقيده عن المكارة ثم من الفضول حتى يتق حديث النفس قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث النفس ويرى الإصمام

(١) أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت في الدعوات (٢) حديث من قال لا إله إلا الله صادقا خلصنا من قلبه وجبت له الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

سرر موضوعة مشككين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب الجبن مازاد على ذلك الماء وأطال
والهواك والأشجار والخور العين وكل ذلك من لذات المنظور وللشرب والنا كواللشرب ويتصور
ذلك البهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذات الملك والذوق في أعلى علين في جوار رب العالمين
ولو كان هذه اللذات قد رسلنا وسعت على البهائم ولما رقت عليها درجة اللاتسكة أقرى أن أحوال البهائم
وهي مسية في الرياض متممة بلقاء والأشجار وأصناف لنا كولات متممة بالزبون والسفاد أعلى
والذواشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكال مغبوطة من أحوال اللاتسكة في سرورهم. القرب
من جوار رب العالمين في أعلى علين هيئات هيئات مأ بعد عن التحصيل من إذاخير بين أن يكون
حمرا أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس
يخفى أن شبه كل شئ منجذب إليه وأن النفس التي نزوعها إلى صنعة الأسا كفة أكثر من نزوعها
إلى صنعة الكتابة فهو بالأسا كفة أشبه في جوهره منه بالسكال وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل
لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات اللاتسكة فهو بالبهايم أشبه منه باللاتسكة لاعتالة وهؤلاء
هم الذين يقال فهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب
درجة اللاتسكة فتزكوا الطاب للعجز ، وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالذم
وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال. وإذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع إلى المقصود
قد بينا معنى قول لاله إلا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله وأن من ليس قائلًا بهما عن مشاهدة
فلا يتصور منه حال التوكل . فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة إلا بالله إلا لينة شيتين إلى الله
فوقالة مثل السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول. لا لأن الثواب على قدر درجة
المثاب عليه ولما سواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة إن جاز
وصنها بالصغر يجوز أن تليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عاى يفهم أن الأرض والسماء ليستا من
جهة الأديمين بل هما من خالق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرها على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يصدق النظر في الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بمجدة نظره فهي مملوكة
محطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العاقلون إذ أبتوا لأنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق
نوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو
الذى يصدق قول لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان. إحداهما النظر
إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات. والثانية النظر إلى اختيار
الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعها كمال سر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه السكاة
أعنى ثواب المشاهدة التي هذه السكاة ترجمتها فإذا رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة
والتوكل على الواحد الحق وسيبضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليبين أن شبه منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى
الديلمي قلت لأن يزيد ما التوكل ؟ فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعى
عن عيئك ويسارك ما عركك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة
يتمنون وأهل النار في النار يذعنون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل. فذكر أبو موسى
فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم
الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحسنة وأن ما نمله الله تعالى فضله بالواجب فلا تميز بين أهل النار

إلى ما عادت به النفس
ذنباً فيقبحه ويتقصد
القلب عند هذا الانقواء
بالذكر انتقاد السكاك
في كبد السماء وصير
القلب سما عفو ظا برة
كواكب الفكر فاذا
صار كذلك بسد
الشيطان ومثل هذا
اليد يسدر في حقه
الحواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر النفس ومحتاج
الى أن يتقها ويعبرها
بالعلم لأن منها خواطر
لا يضر - إمضاؤها
كطالبات النفس
مجايتها وحاجتها
تنقسم إلى الحقوق
والحفظوط ويتعين
التمييز عند ذلك وإهام
النفس بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغنى أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قد استكمل إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في النار إذ سدت منافذ الحيات ^(١) إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقة حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحرر سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه ولنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر من لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحياة هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحياة إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن استكمالاً على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذواتون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه قليل بل زدنا فقال إلقاء النفس في الصبودية وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون النصارى عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تأمن من الله تعالى أن يفضيها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسمة القدرة وأن في القدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك فالأولام للعقائد الثلاث والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام أنك حاجة فقال أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو التوكل لذلك وهذا حال مهتوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أبعاد منه وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه وإتباعه وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقته . وقال أبو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده والمسلم يكتفي بعه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظر إليه فإن العلم هو الأصل والوعد بقبوله والحكم بقبوع الوعد ولا يبعد أن يكون القلب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل أقوال شتى ما ذكرناه فلا نطاول بها فإن الكشف أغنى من الرواية والقليل فهما ملتبصان بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه .

بيان أعمال التوكلين

اعلم أن العلم بمرور الحال والحال يشير الأعمال وقديحان أن معنى التوكل ترك السبب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالفرقة الملقاة وكالاحتمال على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أمضى على التوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل تكشف الغطاء عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد ورضيه بعله إلى مقاصده وسمى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسكب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم يزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لإزالة ضار قد نزل به

(١) حديث إن أبابكر سدت منافذ الحيات في الغار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تقدم .

الخطوط قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ
فدينوا - أي فدينوا
وسبب نزول الآية
الوليد بن عتبة حيث
بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني
المصطلق فكذب عليهم
ونسبهم إلى الكفر
والمصيان حتى هم
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتلهم ثم
بعث خاله إليهم فسمع
أذان القرب والمشاء
ورأى ما يدل على
كذب الوليد بن عتبة
فأنزل الله تعالى الآية
في ذلك فظهر الآية
وسبب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيهاً من
الله عباده على التثبت

كالنفاذ من الرض فقصود حركات العبد لاتعدو هذه الصنن الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو وقته فليذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .
 [الفن الأول : في جلب النافع] فقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومفوضون ظنا يوق به وموهوم وهما لائق النفس به ثمة تامة ولا تطمئن إليه . الدرجة الأولى : المقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت السبب بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام إذا كان موزعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنت لست تمد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك السعي ومد اليد إليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالى الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فأنك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شيئا دون الخبز أو عقيق في الخبز حركة إليك أو يسخر ملكا ليضغ لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطعمت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تله زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا القيام بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم . فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطمعك ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صفة يدك وربما تخف في الحال وتفلج ، وكيف تمول على قدرتك وربما بطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك ، وكيف تمول على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى من يقلبك عليه أويضع حية تهزحك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك قلتفرح وعليه فلتقول فإذا كان هذا حاله وعلمه فليعد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن السبب لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفرق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقتها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك حائر . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان بفعله الخواص . فان قلت : فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد اراض نفسه وجاهدتها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقا به بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعد في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على الثبوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة فيعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجها به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يمول الخواص ونظراؤه من التوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الإبرة والفراس والحبل والركوة ويقول . هنا لا يتقدس في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للآدم فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البريقير دلو ولا حبل ولا يفلج وجود الحبل والدلو في البوادي كما يقلب وجود الحشيش والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولمعنته في كل يوم أو يومين مرة فان السافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في هذه الآية الفاسق السكذاب والكذاب صفة النفس لأنها تمسك أشياء وتقول أشياء على غير حقائقها فعين التثبت عند خاطرها وإلتصافها فيجعل العبد خاطره النفس نبأ يوجب التثبت ولا يستغفزه الطبع ولا يستجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تنف عن الجهل ، وآخر الأدب أن تنف عن الشهوة . ومن الأدب عند الاشتباه إزاله الخاطر بحرك النفس وخلتها وبأمرها وفاتها وإظهار الفقر والفاقة إليه والاعتراف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتكشف عورته ولا يوجد القراض والارزقي البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلتحق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه محتمل أن لا يتخرق الثوب أو يسهل الإنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسميه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مغموساً إلى فيه فينبئ الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا هو لولوا أعجاز إلى عصب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا بطرقة طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كإروى أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لأناساً أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقدم سبعا فكاد يموت ولم يأت به رزق فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقضني إليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقدمين الناس فدخل الصر وقدم فجاء هذا بطعام وهذا إضراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أم أعلنت أنني أن أرزق عبيدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الانكامل على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمضى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع كون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت فما قولك في العقود في البلد بغير كسب أو حرام أو مباح أو مندوب. فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السباحة في البداية إذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد تأخر عنه والصبر يمكن إلى أن يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على الموت ففعل ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه رزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لاجتماعه وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصياً وقال له يا جاهل كيف أخفك ولا أرزقك، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا رازق ولا ميت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعائكم الجبال» (١) وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم. فان قلتم نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام كيف يقضي الله تعالى لها هذا الحق للرزق. وقال أبو يعقوب السوسي التوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد لا بمشيم منهم وغيرهم مشغولون مكدودون. وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى ولكن بعضهم يأكل

بالجهل وطالب العرفة والموتنة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب يثاب ويهان ويتبين له هل الحاضر لطلب حظاً طلب حق فان كان لاحق أمشاه وإن كان للحظ نفاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الحاضر بظاهر العلم لان الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسه في صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنباً حله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويعصى خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره ولزالت بدعائكم الجبال وقد تقدمنا قريباً دون هذه الزيادة فرواها الامام محمد بن نصر في كتاب تنظيم قدر الصلاة من حديث معاذ ابن جبل باسناد فيه لين لوعرقت الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب النكي مرسلان دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع

بذل كالسؤال وبهضم نمب وانتظار كالتجار وبهضم بامتنان كالصانع وبهضم بمركالصوبة يشهدون العزى فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة . الدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يتوهم إنقاذها إلى السبب من غير ثقة ظاهرة كالذي يستغنى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أغنى من اكتساب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والانتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاحصانة إلى إزالة الضار فإن النبي صلى الله عليه وسلم وصف التوكلين بذلك ولم يصنفهم بأنهم لا يكتبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئا بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في السببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يعجزهم عن نفسه وإنما حجابهم بتدبيرهم ولله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى تدبير دون الأسباب الجلية فاذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج عن التوكل وإلى ما لا يخرج عن التوكل وهو الانتكال على مسبب الأسباب فالنحو الذي فيها بالحوال والمال لا بالعمل . وأما المظنونات فالنحو الذي فيها بالخال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملازمة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظرها هو الذي يدور في البوادي فيغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في قوته على الصبر أسروعا ومنوفا أو تيسير حشيش له أو قوت أو تشيئة على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بهيره ويموت جوعا فذلك يمكن مع الزاد كما أنه يمكن مع قدمه . القام الثاني : أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأصاير وهذا أضف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للسبب والأسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن ذلك من الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسحره سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى مكان البلد إذ تصور أن يفعل جميعهم عنه ويضيء لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتخريك داعيهم . القام الثالث : أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب السكسب وهذا السرى لا يخرجها أيضا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفس إلى كفايته وقوته وجاهه وضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسر أسبابه له بل يرى كسبه وضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرته تعالى كإبري القدر يد الملك الموقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يميل وبم يحكم ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبا لئله أو لغيره على الساكنين فهو بيده مكتسب وقبله عنه منقطع غل هذا أشرف من حال القاعد في بيته . والدليل على أن السكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والفرقة كما سبق أن الصديق رضي الله عنه لما روي بالخلافة أصبح أخذ الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المملكون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني إن أضعتهم كنت لاسرا ولم أضع حتى فرضوا له قوصا أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغرق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستجبل أن يقال لم يكن الصديق

بمزيد علم لديه من الله
وهو علم السمة ليد
مأذون له في السمة عالم
بالاذن فيمضي خاطر
الحظ والمراد بذلك
على بصيرة من أمره
بحسن به ذلك ويلي
به عالم بزيادته وتقصانه
عالم بحاله حكم لصل
الحال وعلم القيام
لا يقاس على حاله ولا
يدخل فيه بالتقليد
لأنه أمر خاص بعبد
خاص وإذا كان شأن
العبد تمييز خواطر
التفكر في مقام تخلصه
من لسات الشيطان
تكثر لديه خواطر
وتصير الخواطر الأربعة
في حقه ثلاثا وبسقط
خاطر الشيطان إلا

نادرا لضيق مكانه من
الناس لأن الشيطان
يدخل بطريق اتساع
النفس واتساع النفس
باتباع الهوى والإخلاص
إلى الأرض ومن ضائق
النفس على التمييز بين
الحق والحظ ضائق
نفسه وسقط محل
الشيطان إلا نادرا
لدخول الاتلاء عليه
نهم من الرادين للتعليق
بقام المقر بين من إذا
صار قلبه سماء مزينا
بزينة كوكب الذكر
بصر قلبه سايوا يترقى
ويخرج بباطنه ومعناه
وحقيقته في طبقات
السماوات وكلا ترقى
تنضال النفس الطمئنة
وتبعد عنه خواطرها
حتى يجاوز السماوات

في مقام التوكل فمن أولى بهذا القام منه فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفائته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استنكار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرمه أحب إليه من درهم غيره فهو حرس على الدنيا وعحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنييد رحمه الله عليهما وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم دينارا ولا أيت منه دافقا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحماة بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنييد لا يتكلم في التوكل بحضرة وكان يقول استسنى أن أنسكف في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقت وأمروا الحامد بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كنوكل للكسب وإن لم يسألوا بل تقنوا بما يحمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك قد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا إلا بشروط كثيرة كما سبق . فإن قلت لما الأفضل أن يعمد بيته أو يخرج ويكسب ؟ . فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لتفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئا بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان للتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر اللروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فردده فلما قال له أحمد الحق وأعطه فانه قبل فالحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ . وكان الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الحضر لذلك لم يقبل منه شيئا . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الحضر ورعى بصحتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصا في توكلتي فاذن للكسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستنكار ولم يكن اعتياده على بضاعته وكفائته كان متوكلا . فان قلت فما علامة عدم استكناه على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرق بضاعته أو خسرت تجارته أو توفى أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه وكان بشر يعمل الماثل فتركها وذلك لأن البعادي كاتبه قال بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل أرايت إن أخذ الله سمكك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة الماثل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرحها . فان قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن . فأقول بأن يعلم أن الدين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ بِهِ إِلَّا مَا فِيهِ صَلَاحُهُ فَإِنْ أَهْلَكَ بِضَاعَتِهِ فَمَوْ خَيْرٌ لَهُ فَلَمْ يَلْهُ تَوَكُّلُهُ كَانَ سَبِيلاً لِنَصَادِهِ
وَقَدْ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَمُوتَ جَوْعاً فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ أَنْ يَمُوتَ جَوْعاً خَيْرٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا
قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ مِنْ جِهَتِهِ فَإِذَا اعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَلِكَ اسْتَوَى عِنْدَهُ وَجُودُ
الْبِضَاعَةِ وَعَدَمُهَا فِي الْحَبْرِ «إِنَّ الْعَبْدَ لِبَيْتٍ» مِنَ اللَّيْلِ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ التِّجَارَةِ مِمَّا لَوْضَعَهُ لِكَانَ فِيهِ
هَذَا كَيْفَ يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنْهُ فَيَصْبَحُ كَثِيباً حَزِيناً يَطْلُبُ بِجَارِهِ وَابْنِ عَمِّهِ
مِنْ صَبَقِي مِنْ دَهَانٍ وَمَاهِي الْإِرْمَاحَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَا (١) وَلِذَلِكَ قَالَ صَمْرَعَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا بَأْسَ بِالْأَنْبِيَاءِ أَصْبَحَتْ
غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاقْنِي لِأَدْرَى أَيُّهُمَا خَيْرٌ لِي وَمَنْ لَمْ يَتَكَمَّلْ فِيهِ بِهِنِ الْأُمُورِ لَمْ يَتَصَوَّرْ مِنْهُ التَّوَكُّلَ
وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو سَلَمَانَ الدَّارَانِيُّ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ لِي مِنْ كُلِّ مَقَامٍ نَصِيبٌ إِلَّا مِنْ هَذَا التَّوَكُّلِ
الْبَارِكُ فَاقْنِي مَا مَنَعَتْ مِنْهُ رَاحَتُهُ هَذَا كَلَامُهُ مَعَ عُلُوِّ قَدْرِهِ وَلَمْ يَنْكُرْ كَوْنَهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْمَكْنُونَةِ وَلَكِنَّهُ
قَالَ مَا دَرَكْتُهُ وَلَهُ أَرَادَ إِدْرَاكَ أَصْغَارِهَا وَمَالِكُ الْإِيمَانِ بَأَنَّ لِفَاعِلِ إِلَّا اللَّهَ وَلَا رَازِقَ سِوَاهُ وَأَنَّ
كُلَّ مَا يَدْرِكُهُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَرَرٍ وَغْنٍ وَمَوْتٍ وَحَيَاةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا يَتَصَوَّرُ الْعَبْدُ لِكُلِّ حَالٍ التَّوَكُّلَ
فَيَنْفَاءُ التَّوَكُّلُ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِهِنِ الْأُمُورِ كَمَا سَبَقَ وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَقَامَاتِ الدِّينِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ
تَتَّبِعِي عَلَى أَمُومِهَا مِنَ الْإِيمَانِ . وَبِالْجَلَّةِ التَّوَكُّلُ مَقَامٌ مَفْهُومٌ وَلَكِنْ يَسْتَدْعِي قُوَّةَ الْقَلْبِ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ
وَلِذَلِكَ قَالَ سَهْلٌ مِنْ طَعْنٍ عَلَى التَّكْسِبِ قَدْ طَعْنُ عَلَى السَّنَةِ وَمِنْ طَعْنٍ عَلَى تَرْكِ التَّكْسِبِ قَدْ
طَعْنُ عَلَى التَّوَحِيدِ . فَإِنْ قُلْتَ فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ فِي صَرْفِ الْقَلْبِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ
الظَّاهِرَةِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي تَسْيِيرِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ . فَأَقُولُ نَعَمْ هُوَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ سِوَةَ الظَّنِّ
تَلْقِيَنَّ الشَّيْطَانَ وَحَسَنِ الظَّنِّ تَنْقِذُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ بِعَدَمِ الْفَرَقِ وَأَمْرِكُمْ الْفَتَاءَ
وَاللَّهُ بِعَدَمِكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْهُ وَفَضْلٌ - فَإِنَّ الْإِنْسَانَ بَطِينُهُ مَشْغُوفٌ بِسَاعِ تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ وَلِذَلِكَ قِيلَ
الشَّقِيقُ بِسِوَةِ الظَّنِّ مَوْلُوعٌ وَإِذَا انْقَضَى إِلَيْهِ الْجَنِينُ وَضَعَفَ الْقَلْبُ وَمَشَاهَدَةُ التَّكْسِبِ عَلَى الْأَسْبَابِ
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنِ عَلَيْهَا غَلَبَ سِوَةُ الظَّنِّ وَبَطَلَ التَّوَكُّلُ بِالْكَلْبَةِ بِلِ رُؤْيَا الرِّزْقِ مِنَ الْأَسْبَابِ
الْخَفِيَّةِ أَيْضاً تَبْطُلُ التَّوَكُّلُ قَدْ حَكِيَ عَنْ عَابِدٍ أَنَّهُ عَكَفَ فِي مَسْجِدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْلُومَةٌ لَهُ لِهَ الْإِمَامِ
لَوْ أَكْتَسَبَتْ لَكِنْ أَفْضَلَ لَكَ فَلَمْ يَجِدْهُ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ يَهُودِيٌّ فِي جِوَارِ الْمَسْجِدِ
قَدْ ضَمِنَ لِي كُلَّ يَوْمٍ رَغِيْبَيْنِ فَقَالَ إِنْ كَانَ صَادِقاً فِي ضَمَانِهِ فَكُوفِكَ فِي السَّجْدِ خَيْرٌ لَكَ فَقَالَ بِهَذَا
لَوْلَمْ تَكُنْ إِمَاماً تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَادِمِ هَذَا النَّصِ فِي التَّوَحِيدِ كَانَ خَيْراً لَكَ إِذْ فَضَلْتَ
وَعَدَ يَهُودِيٌّ عَلَى ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى بِالرِّزْقِ . وَقَالَ إِمَامُ السَّجْدِ لِبَعْضِ الْمُصَلِّينَ مِنْ أَنْبَاءِ كُلِّ قَوْمٍ لَمْ يَبْشِخْ
أَصْبَرَ حَتَّى أَعِيدَ الصَّلَاةُ إِلَى صُلْحَتِهَا خَلَقْتُكُمْ ثُمَّ أَجَبْتُكُمْ . وَبَتَّعَ فِي حَسَنِ الظَّنِّ بِجَمْعِي الرِّزْقِ مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ تَعَالَى بِوَسْطَةِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ أَنْ تَسْمَعَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي فِيهَا عَجَائِبُ صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصُولِ
الرِّزْقِ إِلَى صَاحِبِهِ وَفِيهَا عَجَائِبُ قَهَرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِهْلَاكِ أَمْوَالِ التِّجَارَةِ وَالْأَغْنِيَاءِ وَقَتْلِهِمْ جَوْعاً كَمَا رَوَى
عَنْ حَذِيفَةَ الْمَرْعِيِّ وَقَدْ كَانَ خَدَمَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ فَقِيلَ لَهُ مَا عَجَبٌ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ فَقَالَ بَيْنَنَا فِي
طَرِيقِ مَكَّةَ أَيَّاماً لَمْ نَجِدْ طَعَاماً ثُمَّ دَخَلْنَا الْكُوفَةَ فَأَوَيْنَا إِلَى مَسْجِدِ خَرَابٍ فَنَظَرُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ
يَا حَذِيفَةُ أَرَأَيْتَ بِكَ الْجُوعَ فَقُلْتُ هُوَ مَا رَأَيْتُ الشَّيْخَ فَقَالَ عَلَى بَدْوَةٍ وَقَرَطَاسٍ لَجُئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَكُتِبَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَنْتَ الْمَقْصُودُ إِلَيْهِ بِكُلِّ حَالٍ وَالْمَشَارُ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَعْنَى وَكُتِبَ شِعْرًا :

(١) حَدِيثٌ إِنَّ الْعَبْدَ لِبَيْتٍ مِنَ اللَّيْلِ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ التِّجَارَةِ مِمَّا لَوْضَعَهُ لِكَانَ فِيهِ هَذَا كَيْفَ يَنْظُرُهُ
إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ وَيَصْرِفُهُ عَنْهُ فَصَرَفَهُ عَنْهُ الْحَذِيفَةُ أَبُو نَعْمٍ فِي الْحَلِيقَةِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ
حَدَّثَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْعَمْدَ لِيُشْرِفَ عَلَى حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِ الدُّنْيَا الْحَدِيثُ بِنَحْوِهِ .

بمروج باطنه كما كان
ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بظاهرة
وقلبه فإذا استكمل
المرجع تنمى عنه
خوارق العسل لتستره
بأنوار القرب وبصد
النفس عنه وعند ذلك
تنقطع عنه خوارق
الحق أيضاً لأن الخاطر
رسول والرسالة إلى من
بعد وهذا قريب وهذا
الذي وصفناه نازل
يزل به ولا يدوم بل
يود في هبوطه إلى
منازل مطالبات النفس
وخوارقه فتعود إليه
خوارق الحق وخوارق
الملك وذلك أن الخوارق
تستدعي وجوداً وما
أشترنا إليه حال الفناء
ولا خاطر فيه ولا خطر

أنا حامد أنا شاكرك أنا ذاكر
أنا جائع أنا صائم أنا عارى
هي سنة وأنا الضمين لصفها
فكن الضمين لصفها يابارى
مدحى لتبرك لهب نار خضتها
فأجر عبدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال اخرج ولا تملق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يملك غرجت فأول من لقي كان رجلا على بقة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ماض صاحب هذه الرقعة قتلت هو في المسجد القلاني فدفع إلى صرة فيها سبائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن ركب البقة فقال هذا نصراني فبشت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجمى الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الأنطع البصرى : جمعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضففا فحدثني نفسى بالخروج فخرجت إلى الوادى لئلى أجد شيئا يسكن ضفى فرأيت ساجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبى منها وحشة وكان قائلا يقول لى جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجعة متفيرة فرميت بها وداخت المسجد وقعدت فاذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك قتلت كيف خصصنى بها قال اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الفرق فقدرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته قتلت اقتحها ففتحها فاذا فيها صيد مصرى ولوز مقشور وسكر كذاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلها ثم قلت في نفسى رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطليه من الوادى : وقال عمشاد الدينوى : كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت في النوم كأن قائلا يقول يا غيبل أخذت علينا هذا القدار من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا نصا ولا غيرهما . وحكى عن بنان الجمال قال : كنت في طريق مكة أجي من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يابنان أنت حامل تحمل على ظهرك الزاد وتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خابلا في الطريق فقلت في نفسى أحمله حتى يجمى صاحبه فرجنا يعطينى شيئا فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يجمى صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رمى لى شيئا من الدراهم وقالت أنفقها فاكفيت بها لى قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فانبط إلى إخوانه فجمعوا له منها وقالوا هو ذا يجمى النغير فنشترى ما يوافق فلما ورد النغير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الجمال أهدتها إليه امرأة من ممرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة ، وقبل كان في الزمان الأول رجل في سفرو معه ممرقند فقال إن أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلاتمغيزه فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسرت بأن وصلت ثم فكرت في نفسى أنى سكنت وانسككت على غيره وآليت أن لأدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها ففكرت لنفسى في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يأهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر وأولى الله تعالى اذهب فقل القرآن فانه سينيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل

الحق اتدنى لمكان
القرب وخطر النفس
بعد عنه بعد النفس
وخطر الملك تخلف عنه
كتخلف جبريل في ليلة
المعراج عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث قال . لودنوت
أعلة لا حترقت . قال
محمد بن على الترمذى
المحدث والسكلم إذا
تحققا في درجتهما تخافا
من حديث النفس
فكما أن النبوة
محفوظة من إلقاء
الشیطان كذلك حمل
الكلمة والمحادثة
محفوظ من إلقاء النفس
وفتتها وحمروس بالحق
والسكينة لأن السكينة
حجاب للسكلم والمحدث
مع نفسه . وصحت

واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له إنى قد اشتقت إليك فما الذى شغلك عنى فقال إنى قرأت القرآن فأخذت عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون - فقلت رزقى فى السماء وأطلبه فى الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك بأبيه ويجلس إليه . وقال أبو حمزة الخراسانى حجبت سنة من السنين فينبأنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فإزعجت نفسى أن أمتنيت فقلت لا والله لا أمتنيت فاستتممت هذا الحاطر حتى مر رأس البئر جلان فقال أحدهم الآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطموار رأس البئر فهممت أن أصبح قفلت فى نفسى إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فينبأنا بعد ساعة إذ أنا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأ به يقول تعلق بى فى مهملة كنت أعرف ذلك فعملت به فأخرجنى فاذا هو سبى فر وهتف به هاتف يأبأ حمزة أليس هذا أحسن تحيinak من التائب بالقلب فشيت وأنا أقول:

نهانى حياى منك أن أكشف الهوى وأغبتنى باللهم منك عن الكشف
تألمت فى أمرى فأبدت شاهدى إلى غابى والطف بذكرى بالالطف
ترأيت لى بالقلب حتى صحتما تشرنى بالقلب أنك فى الكف
أراك وبى من هيق لك وحشة فتؤنس بالالطف منك وبالطف
وتحسب بها أنت فى الحب حشفه وذا حجب كون الحياة مع الخلف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوى الايمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه فى أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه . تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل للعيل

اعلم أن من له عيال يحكمه الفارق للفرد لأن الفرد لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استئراف وضيق نفس . والآخر أبواب الايمان ذكرناها من جملتها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأت رزقه علما بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان نقصا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة فبى أنه سرق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو الرزق الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مضبوط عليه فى نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الايمان فاذن لا يمكنه فى حقهم إلا توكل المكسب وهو اللقائم الثالث كتوكل أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للسكسب فأما دخول البوادر وترك العيال توكل فى حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل فى حقهم فهذا حرام وقد يفضى إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فى الآخرة أنه أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته يجوز له التوكل . ولذلك روى أن أبا تراب النخعي نظر إلى سرق مد يد إلى قنبر يطبخ لآكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصح لك التصوف ازم السوق أى لا تصوف إلا الصاع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو له الروذبارى إذا قال القنبر بدخسة أيام أنا جائع فأزموه السوق ورووه بالعمل والسكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فبا يضر يدهن كتوكله فى عياله وإنما يضرهم فى شئ واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبو محمد بن
عبد الله البصرى
بالهيرة يقول الحواطر
أربعة : خاطر من
النفس واطر من
الحق واطر من
الشيطان واطر من
الملك فأما الذى من
النفس فيحس به من
أرض القلب والذى
من الحق من فوق
القلب والذى من الملك
عن بين القلب والذى
من الشيطان عن يسار
القلب والذى ذكره
إنما يصح لعباد
نفسه بالتقوى والزهدة
وتصفى وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالمرآة
المجلمة لا يأتيه
الشيطان من ناحية

وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس اخطا عا عن الأسباب بل الاعناد على الصبر على الجوع مدة الرضا بالموت إن تأخر الرزق نادر واملزمة بالبلاد والأمصا أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصا أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيق أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبرا لا يجاوز الميزرقة وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة في الأم لتكفله به شاة أمأت اضطرابا من الله تعالى إليه بما أشغل قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له من يرضع به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى الضغ ولأنه لرخواوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند اتصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل اللغغ فإذا كبر واستقل يسره لأسباب التعم وسلك سبيل الآخرة ، فحينئذ بعد البلوغ جهل بعض لأنه ما همت أسباب معيشته يلوغ به بل رادت فانه لم يكن قادرا على اكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، ثم كان للشفق عليه شخص واحد ادهى الأم والأب وكانت شفقة تفرط جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة وأمرين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد تسلط الله الشفقة واللودة والرقوة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبشت له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان الشفق عليه واحدا والآل الشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفاة الأم والأب وهو يشفق خاص لما رأوه محتاجا ولو رأوه يتما تسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفونونه فمارؤى إلى الآن في سنى الحصب يتم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافه بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان للشفق واحدا وللشفق الآن ألف ، ثم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضغفت فيخرج من مجموعها ما يفيده الغرض فكمن يتم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر نصف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وتترك التعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جری قلم القضاء بما یکون فسیان التحرك والسكون

جنون منك أن تسمى لرزق ويرزق في غشاوة الجنين

فان قلت الناس يكفونون البقيم لأنهم يرونه عاجزا بسببه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثنا فلنجتهد لنفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطلا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به في التفرغ لله تعالى فسا للبطال والتوكل وإن كان مشغلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالتاس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفونونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه

إلا ويصير . فإذا اسودَّ

القلب وعلاه الرِّين

لا يصير الشيطان .

روى عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم « إن العبد

إذا أذنب نكت في

قلبه نكتة سوداء

فان هو نزع واستغفر

وتاب حقل وإن عاد

زبد فيه حتى تمحو قلبه

قال الله تعالى - كلاب

ران على قلوبهم -

ما كانوا يكسبون - »

سمعت بعض العارفين

يقول كلاما دقيقا

كوشف به فقال الحديث

في باطن الانسان

والخيال الذي تراه

لباطنه وتخيّل بين

القلب وصفاء الله كرك

في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا ينفق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس ومارؤى إلى الآن عالم أوطأ بد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار مات جوعاً ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يقول لقد ر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل أتى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كاسخر قلوب الأملولدها تقدر الله تعالى الملك والملكوت تدير أكافيا لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالهدى واشتغل به وآمن ونظر إلى مدر الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم ما دبره تدبير يصل إلى الشغل به الحلو والطهور السان والياب الرقيقة والحيل النفسية على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مبتغى عبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حبشيش يتناول له لا محالة والتالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا لرغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في التالب أيضاً ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادراً وفي النادر أيضاً قد يحصل بغير اضطراب فأمر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدر الملك والملكوت تدبيراً لا يجاوز عبداً من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً ندوراً عظمياً يتصور مثله في حق المضطرب فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وددت أن أهل البصرة في عيال وأن حبة بندار . وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإياك أن تجمع بين الإذلايين الإفلاس عن وجود اللقائم ذوقاً والإفلاس عن الإيمان به علماً ، فاذن عليك بالانقاعة بالترزق القليل والرضا بالقوت فإنه بأيتك لا محالة وإن قررت منه وعند ذلك على الله أن يمت إليك رزقك على يدى من لا يحتسب فإن اغتملت بالثقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، إلا أنه لم يشكف له أن يرزقه لحلم الطير والذئب الأعمى لما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمائم والطمأن إلى ضئائه فإن الذى أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما تظهر للخلق بل مدخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وأسرار السماء لا يطالع عليها ولهذا دخل جماعة على الجليلي فقال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسال الله قال إن علمت أنه ينسأكم فذكروهم فقالوا ندخل البيت ونسألكم وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الحراز كنت في البادية فأتاني جوع شديد فقلتلى نفسى أن أسأل الله تعالى طعاماً فقلت ليس هذا من أمال التوكلين فطالبتى أن أسأل الله صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً ينادى بى ويقول :

وزعم أنه منا قريب وأنا لا نضيق من أنانا

وبأسأنا على الإقترار جهداً سحناً لا نراه ولا يرانا

قد فهمت أن من أنكرت نفسه وقوى قلبه ولم يصف بالجين باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئناً النفس أبداً واتماً بالله عز وجل فإن أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كآيات من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا خلاف ما نهر فأسأله عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منافاة ومعادنات وتألفاً وتودداً وكلاً انطلقت النفس في شئ بهواها من القول والفعل فأمر القلب بذلك وتكدر فإذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وحل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالعبادة للنفس وذكر النفس عيشاً من ضلها وقولها كاللحم للنفس والمغالب لها على ذلك فإذا كان الحاضر أول الفعل

ليس مطمئناً فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما به دليلك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تسكن في توكلك منتظرا للأسباب بل بسبب الأسباب كالأنسكون منتظرا لقم السكاتب بل لقلب السكاتب فإنه أصل حركة القلم والمهر ذا الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو عقد في الأمصار وهو خامل وأما الذي له ذكر بالعبادة والقلم فإذا قنع في اليوم واليلة بالطعام حمة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحب ولا يختب على الدوام بل يأتيه أصدافه فتزك التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فإن اشتهاره بسبب ظاهر جلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الحامل مع الاكتساب فلا اهتمام بالرزق فيسبب ذوى الدين وهو بالعلم أتبع لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا مع إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لا في العالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ له عز وجل وإعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر إلى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكماً عن الأحقق للرزوق والماتل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على شدة إلوه رزق كل عاقل وحرم كل أحقق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرزاق غيرهم ولائمة بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هاككن إذن من جهلهم البهائم
(بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال)

اعلم أن مثال الحاقق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقوف إيدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلثنا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يسطوا بضمهم رغيفين رغيفين ويضمهم رغيفا رغيفا ويجهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعاقوا بقلاني إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه فإن الغلثان مسخرون وهم ماء ورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فمن تعلق بالغلثان وأذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الإيدان وخرج أتبعته بسلام يكون موكلا به إلى أن أقدم لعقوبة في ميعاده لموم عندي ولكن أخفيه ومن لم يؤذ الغلثان وقع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فأتى أخضه بخلعة سنية في العيد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فخلا عقوبة عليه ولاخله له ومن أخطأ غلثاني لما أوصلوا إليه شيئا فبات الليلة جائعا غير منسقط للغلثان ولأنه لا لته أوصل إلى رغيفا فأتى غدا أستورزه وأفوض ملكي إليه فأتهم السؤال إلى أربعة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الوعدة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جاثمون فبادروا إلى الغلثان فأدوم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في العيد المذكور فقدموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالغلثان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين فغلبت الجوع فسدوا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا إنما تجلس برأى من الغلثان حتى لا يخطئنا ولكن تأخذ إذ أعطونا رغيفا واحدا ونحن به فغلثنا نوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وتسم رابع أخذوا في زوايا الإيدان وأخرفوا عن مرأى أعين الغلثان وقالوا إن اتيمونا وأعطينا قمنا برغيف واحد وإن

ومفتحه فمرفه من
أم شأن العبد لأن
الأفعال من الخواطر
تنشأ حتى ذهب بعض
العلماء إلى أن العلم
للقدر طلبه يقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « طاب
العلم فريضة على
كل مسلم » هو علم
الخواطر قال لأنها أول
العمل وبسببها فساد
العقل وهذا لعمري
لا يتوجه لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أوجب ذلك على كل
مسلم وليس كل المسلمين
عندهم من التورعة
والعرفه ما يعرفون به
ذلك ولكن يسلم
الطالِب أن الخواطر
بمثابة البذر فتهاجمها

أخطأونا قاسينا شدة الجوع اللبلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فنال رتبة الوزارة أو درجة أقرب عد الملك فما تفهم ذلك إذ اتعهم الفلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجري، بل ذلك أياما حتى انتفى على الدور أن اخفى ثلاثة في زاوية ولم يقع عليهم أبصار الفلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفريش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم لبقنا تعرضنا للفلمان وأخذنا طعنا، فلما سلكوا طريق العبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والمبدان هو الحباية في الدنيا وناب المبدان اللوت واليعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للتوكل إذا مات حائما راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهادة أحياء عند ربهم يرزقون والتعلق بالفلمان هو المعتدى في الأسباب والفلمان المسخرون هم الأسباب والجالس في ظاهر البدان يرى الفلمان هم القيمون في الأمصار في لرباطات والمساجد على هيئة السكون والمحتفون في الروايع السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تنبهم والرزق يأتيهم بالإطى سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الحق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من المثرة الباقية في الأمصار مترضين للسبب بمجرد حضورهم واشتياهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز القرب واحد لعله كان كذلك في الأمصار السالفة وأما الآن فالناركة للأسباب لا ينتهى إلى واحد من عشرة آلاف .

[الفن الثاني في التمرس لأسباب الادخار] نعم حصل له مال يراث وكسب أو سأل أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل كل إن كان كافيا ما يلبس إن كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذ ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوقي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية القابلة لهذه المرحلة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنه فما فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة والجملة وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل بموجب حرمانه من اللقائم المحمود ولو عوفي الآخرة للتوكلين اختلوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الحواصص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بمأزيد على الأربعين وقال أبو طالب للسك لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلم يدرك له وكل ثوب موعود على رتبة فاته يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلتصق أسافل درجات السابقين فلامعنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل ترك الادخار لأنهم لا يتقصرون الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو قيل نفس فان ذلك كالمعتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليسلة فمادون من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة وتفيده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بعد فان تلك الواقعة قصد بها بيان مقدار ماركس الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعد كان لأنهم لا يعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما قال عليه السلام «إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا» (١) لأن استحقاق تلك الطينة التخمير كان موقوفا على مدته قبلها ما ذكر فلذا ما وراء

(١) حديث خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث

بذر السعادة ومن
ما هو بذر الشقاوة .
وسبب استقباه
الحواطر أحد أربعة
أشياء لا خامس لها إما
ضعف اليقين أو قلة العلم
بمعرفة صفات النفس
وأخلاقها أو متانسة
الهوى بخمير قواعد
التقوى أو محبة الدنيا
جاءها والمهاوطلب
الرفعة والتزلة عند
الناس فمن عصم
عن هذه الأربعة
يفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن
ابتلى بها لا يلها
ولا يطلبها وانكشف
بعض الحواطر دون
البعض لوجود بعض
هذه الأربعة دون
البعض وأقوم الناس

السنة لا يدخر له إلا بحسب ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بأحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب فان أسباب الدخول في الارتفاعات والزيادات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن أذخر لأقل من سنة فله درجة بحسب نصر أمه ومن كان أمه شهرين لم تسكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بين ما في الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلا ، وإن ضعف قلبه فكلما نال ادخاره كان فضله أكثر ، وقد روى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه وأسامه أن يسفله ففعله وكفناه يردته فلما دفنه قال لأصحابه « إنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خلة كانت فيه لموت ووجهه كالشمس الضاحية . قلنا وماهي يا رسول الله ؟ قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لثيابه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما تؤتيتم اليقين وعزيمة الصبر ^(١) الحديث ، وليس الكسوف والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا يزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه إلى أبدى الخلق بل لا ينفث قلبه إلا إلى الوكيل الحق فان كان يستشرف في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن البادة والذكر والفكر فلا دخر له أولى بل لو أمسك ضيقة يكون دخله واقيا بقدر كفايته وكان لا يفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى لأن المقصود إصلاح القلب ليتجرد للذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمندور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدين في عيها غير محدودة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفه ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاعتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخاره قدر حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم المنفرد ، فأما العليل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لئلا يجبر لضيقهم وتسكين قلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحى قوت القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا له قوت سنة ^(٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا ^(٣) ونهى بلال عن الادخار في كسرة خبز ادخارها ليفطر عليها فقال ^(٤) « أنفق بلالا ولا تحش من ذي العرش إقلالا » ^(٥)

ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف جدا وهو باطل (١) حديث أنه قال في حق الفقير الذي أمر عليا أو أسامة فضله وكفنه يردته أنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفي آخره من أقل ما تؤتيتم اليقين وعزيمة الصبر لم أجده أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا . (٢) حديث ادخر لئلا له قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة (٣) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئا لقد تقدم نهى لأم أيمن وغيرها (٤) حديث نهى بلال عن الادخار وقال أنفق بلالا ولا تحش من ذي العرش إقلالا البرار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ، وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكلها ضعيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز فلم أره .

بميز الخواطر وأقوهم بمعرفة النفس ومعرفتها صعبة النال لا تكاد تيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتفوى . واثق للشافعي على أن من كان أكمله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة . وقال أبو علي التماق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق لا يقيد وذلك أن من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لعباده نبي في إليه في الأخذ منه والنفوت به ومثل هذا المعلوم لا يجنب عن تمييز الخواطر إنما ذلك

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ » (١) « اقتداء بسيد التوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان نصر أمته بحيث كان إذا بال يتيم مع قرب الماء ويقول « ما يدري لعل لا يلقه » (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذا كان لا يثق بما آذره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعلقاً للأقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لعله سنة لا يصف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخير « أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » (٣) تطيباً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والظن فيتركون لليسور من الخير عليهم بمجزم عن منتهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، وبدل عليه ماروى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي فهاجده له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فقتلوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان (٤) » وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حق وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين : أحدهما أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى « تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبس . والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبس فيكون المعنى به التقصان عن درجة كاله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا ينقص بقدرة من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيفسده له ماروى عن جبر قال الحسين الغازي من أصحابه كنت عنده ضموقة من التمار فدخل عليه رجل كهل أمر خفيف المارضين فقام إليه بشر قال وما رأيت قام لأحد غيره قال ودفع إلى كتمان درهم وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيت أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذ به الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لملك أنكرت فضله ؟ قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذاك أخونا فتح الوصلي زارنا اليوم من الموصل فانما أراد أن يعلنا أن التوكل إذا صح لم يضر مع الادخار [الف الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف] اعلم أن الضرر قد يمرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أمامي النفس فكاللوم في الأرض المسبعة أو في مجارى السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بفراغته ، فتم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومظنون وإلى موهومة ترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبت إلى دفع الضرر نسبة الكس والرقبة

(١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهشام . حديث الق الله فقيرا [١] قد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم بال ويتيم مع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لا يأمنه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمرو قد تقدم (٤) حديث أن أمانة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث الق الله فقيرا الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل فلهذا بنسخته تأمل .

يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإشاراً لأنه ينبغي لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسلف من إرادته فلا يجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلع فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب بوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيما أمكنه وتكلم الشيوخ في الحاطرين إذا كانوا من الحق أهما يتبع قال الجيد الحاطر الأول

فان السكى والريق قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للزلة والورسول
 الله صلى الله عليه وسلم لم يصف للتوكلين إلا بترك السكى والريق والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خروا إلى
 موضع بارد لم يلبسوا جبة والحية تلبس دفعا للبرد والتوقع وكذلك كل ما في معناه من الأسباب ، ثم
 الاستظهار بأكل التوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما
 يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتحويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الحية وترك الأسباب
 الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضر من إنسان فانه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي
 فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فآخذنه وكلا واصبر على ما يقولون - وقال تعالى -
 ولنصبرن على ما آتيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون - وقال عز وجل - ودع أدام وتوكل على الله -
 وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - ثم أجر العاملين الذين
 صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب
 فترك دفعا ليس من التوكل في شيء ، إذ لا فائدة فيه وإبراد السمى ولا يترك السمى لعينه بل لإبعاده على
 الدين وترتب الأسباب ههنا كترتها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الأسباب
 الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب
 عرفت بسنة الله تعالى إمامنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهل البعير
 وقال توكلت على الله أعاقها وتوكل ^(١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف
 - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - وقال تعالى
 لموسى عليه السلام - فأمر بعبادى ليلا - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب
 واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر ^(٢) وأخذ السلاح في الصلاة
 ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد يتأن
 الظنون كالقطوع وإنما الوهوم هو الذي يتفق التوكل تركه . فان قلت قد حكى عن جماعة أن
 منهم من وضع الأسد بيده على كتفه ولم يتحرك . فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه
 فلا ينبغي أن يترك ذلك المقام فانه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير
 بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يفهمها من لم ينته إليها
 فان قلت وهل من علامة أعلم بها أن قد وصلت إليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن
 من العلامات على ذلك المقام السابقة عليها أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى التضب فلا يزال
 يحضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستقل إلا بإشارتك وكان مسخرا
 لك فربما ترفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون
 مسخرا لك من كلب البوادي وكلب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب
 الباطن فلا تطعم في استسغار الكلب الظاهر . فان قلت فاذا أخذ التوكل سلاحه حذر من العدو وأغلق
 باب حذر من اللص وعقل بعيره حذر من أن يطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا . فأقول يكون متوكلا
 بالحوال فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يدفع بكفايته في إغلاق الباب بل لم يدفع إلا بدفع الله
 تعالى إياه فكيف من باب يغلق ولا يفتح وكمن من بعير يعقل وعوت أو يفتت وكمن من أخذ سلاحه يقتل

لأنه إذا بقي رجح صاحبه
 إلى التأمل وهذا شرط
 العلم . وقال ابن عطاء
 الثاني أقوى لأعمار داد
 قوة بالأول . وقال
 أبو عبدالله بن خفيف
 هما سواء لأنهما
 من الحق فلا مزية
 لأحدهما على الآخر قالوا
 الواردات أعم من
 الحواطر لأن الحواطر
 تختص بنوع خطاب
 أو مطالبة والواردات
 تكون تارة خواطر
 وتارة تكون وارد
 سرور ووارد حزن
 ووارد قبض ووارد
 بسط . وقيل بنور
 التوحيد يقبل الحاطر
 من الله تعالى وينور
 للعرفة يقبل من
 لللك وينور الإيمان

أويغلب فلا تتكلى على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب كإعتراف التوكل في الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكلى على نفسه وسجله بل على كفاية التوكل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على مافي البيت من يأخذه فهو في سيديك وأتاراض بحكمك فإني لأأدرى أن ما أعطيتني هبة فلا تستر جمعها وأعارها وودودة فتسترها ولا أدرى أنه رزقي أو سبقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي غيري وكذا قضيت فأتاراض به وما علقت الباب تحصناً من فضائك وتسخطاً له بل جرياً على مقتضى سنك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بالك بما مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بقول البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد به بل وجده مسروقاً فنظر إلى قلبه فإن وجده راضياً وأوفر حاجته ذلك عالماً أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظاهر صدقه وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا بمن لا تأمف على مفات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل ، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكوه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذي قلبه وأظهر الشكوى لبسائه واستقصى الطلب يئنه فقد كانت السرقة مزبلة له في ذنبه من حيث إنه ظهر له تصوره عن جميع اللقاعات وكذب في جميع الدعاوى فبمدهذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتدلى بجبل غرورها فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير . فإن قلت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ . فأقول للتوكل لا يغلو بينه من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإنما هو متاعه وجوابه يحفظ بزاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات العيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يسكن ليجد محتاجاً فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه البنية مبطلاً لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج السكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإنما ذلك في المأكول وفي كل ما زاد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد ومآجرات السنة بفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقرض والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأميين . فإن قلت فكيف يتصور أن لا يجزئ إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا تأمف عليه فإن كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهي حاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يجزئ وقد حيل بينه وبين ما يشتهي . فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دنه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعاً به إذ يحتمل أن تكون خيرة الله أن يبطل بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أحسنه الله تعالى منه بتسليط الصبر تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال والوقائع بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني فيمثل هذا الظن . تصوراتاً يدفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفاً وهو كالرئيس بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فإن قدم إليه الدواء فرح وقال لولا أنه

ينهى النفس ويؤمر
الاسلام يرد على العدو
ومن قصر عن درك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تحيير الحواطر
الخاطر أولاً بعين
الشرع فما كان من
ذلك نقلاً وأوفراً فضيه
وما كان من ذلك محرم
أو مكروهاً ينفيه فإن
استوى الحواطران في
نظر العلم ينفذ قهرهما
إلى مخالفة هوى
النفس فإن النفس قد
يكون لها هوى كامن
في أحدهما والغالب من
شأن النفس الأعوجاج
والركون إلى الدون
وقد يل الحواطر بنشاط
النفس والبديطن أنه
ينبؤ القلب وقد
يكون من القلب نفاق

يعرف أن التعاد ينعني وقد قويت على إحتماله لما قربه إلى وإن أخر عنه القضاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن التعاد يضرن ويسوقن إلى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتد به المريض في الوالد الشفيق الحافظ لعم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسياب فانه لا يدري أي الأسياب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لأبالي أصبحت غنيا أوتقيرا فاني لأدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا ينال التوكل يسرق متاعه أولا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أوفي الآخرة فكمن متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكمن غنى يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتي كنت فقيرا .

(بيان آداب للتوكلين إذا سرق متاعهم)

للتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه . الأول : أن يضايق الباب ولا يستصفي في أسباب الحفظ كالتحاشي من الجيران مع التلق وبكمه أغلانا كثيرة قد كان مالك بن دينار لا يثق بابه ولكن يشده بجريط ويقول لولا الكلاب ما عيبدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا معرض عليه السراق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبته ولذلك لما أهدى الفقيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لاحاجة لي إليها قال له ؟ قال يوسوس إلى العود أن الالم أخذها فكأنه احتز من أن يعصى السارق ؟ ومن شغل قلبه يوسوس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضغف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن يوصى عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : إحداها أن يكون ماله مانعا له من الحصة فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصابه بأكل الحرام لما أن جله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو بنو دفع الحصة عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتلل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » (١) ونصر الظالم أن تمنحه من الظلم وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضرم بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكن يتحقق بالزهدية فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجماع وعاش قتيل في - سبيل الله تعالى وإن لم يولد له (٢) لأنه ليس أمر الولد إلا الواقع فأما الحق والحياء والرزق والبقاء فليس إليه فلو خاف لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولأن الحيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جمعه في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جمعه في سبيل الله فترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

بكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفس ساعة فيظهر من سكن القلب إلى النفس خواطر تشبه خواطر الحق على من يكون متعيب العلم فلا يدرك نفاق القلب والخواطر المتوعدة منه إلا العلماء الراسخون . وأكثر ما يدخل الآفات على أرباب القلوب والأكاذيب من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصب الهوى فيهم . وينبغي أن يعلم البعد قطعا أنه مهما بقى عليه أثر

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل وأقر النطفة قرارها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلا .

أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جمعه في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقبه فطلبها حتى أعيأ ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاهد رجل ، وقال : يا أبا عبد الرحمن إن ثاقبتك في مكان كذا فليس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض على منازلي فيها فأريتها قال وهو مع ذلك كتيب حزين قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتنتس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إني لما رأيت منازلي في الجنة رفضت لي مقامات في عليين مارأيت مثلها فيها رأيت فقريحت بها فلما همت بدخولها نادى مناد من فوقها اسرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل ، قلت وما إضفاء السبيل ؟ فقيل لي كنت تقول لشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأضفيت لك . وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هيمانه فأتته الرجل ففقد هيمانه فاتبعه به فقال له كم كان في هيمانك فذكر له حمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلم أصحابه أنهم كانوا أخفوا الهيمان مزحما معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذوا حلالا طيبا فإني كنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصره صررا ويحث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ففكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبنا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجها فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الهرام والذناير وسائر الصدقات . الحامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فبأصيب به ففي الخبر « من دعا على ظاله فقد اتصر » (١) . وحكى أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاهد قوم بيزونه ، فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحل قيل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها وأحب إلى من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تصلوا وقولوا خيرا فاني قد جمعتها صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرأيت لورد عليك قال لا أخذه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه السكن ظم نفسه حتى أزيدته شرًا . وأكثر بعضهم شتم اللجاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لآخر في شتمه فإن الله تعالى ينصف للججاج ممن اتهمك عرشه كما ينصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمة ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يتيقظ للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظالم » (٢) . السادس أن ينتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جمه مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك تمنا في دنياه لا تمنا في دينه فقد شكك بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد اتصر تقدم (٢) حديث إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمة ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يتيقظ للظالم عليه مطالبة الحدت تقدم .

من الهوى وإن دق
وقل يبق عليه عيبه
قيسة من اشتباه
الحواطم ثم قد يخلط
في تميز الحواطم من
هو قليل العلم ولا
يؤاخذ بذلك ما لم يكن
عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يسامح
بذلك بعض الداطين لما
كوشفوا به من دقيق
الحفاء في التميز ثم
استعجالهم مع عليهم
وقلة التثبت . وذكر
بعض العلماء أن لمة
الملك ولمة الشيطان
وجدتا لحركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت اقتدح من
جوهرها ظلمة تنسكت
في القاب همة سوء
فيظنر الشيطان إلى

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين. وسرق من على بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه أبوه وهو يسكي ويمر عن قال أهل الدنانير بكى؟ فقال لا والله ولكن على السكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالمرن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف رضى الله عنهم أجمعين .

[الفن الرابع في إزالة الضرر كدواء للرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب الزيلة للضرر أيضا تنقسم إلى مقطوع به كإساءة الزيل لضرر العطش والحيز للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالقصد والحجامات وشرب الدواء السهل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكى والرقية . أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الوهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوكلين وأقواها السكى ويليهِ الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والالتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة المتوسطة وهي الظنونة كالدواء بالأسباب الظاهرة عند الأطباء فمعه ليس منافضا للتوكل بخلاف الوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل تقديره يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التدأوى غير منافض للتوكل فدل رسول الله ﷺ وقوله وأمره . أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهه من جهه إلا السام » (١) . يعنى الموت وقال عليه السلام « تدأوا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء » (٢) . « وسئل عن الداء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال: هي من قدر الله » (٣) وفي الخبر المشهور « ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة » (٤) وفي الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتيبغكم الدم فيقتلنكم » (٥) . فذكر أن تيبغ الدم سبب الموت وأنه قاتل ياذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المملك من الإهاب وبين إخراج المقر من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالأغواء والوسوسة وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمانة وهى عن الجهل الفرزى أو دعوى حركة أو سكون وهى آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة بجعل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب فيه فانها ترد بخلاف ما دأوى أو طى وفق منهى ومنها ما يكون فيها فضيلة إذا وردت بباحت . وذكر أن الروح إذا تحركت اشد من جوهرها نور ساطع يظهر من

(١) حديث مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفه إلى آخره وإسناده حسن ولترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الحرم والطبرانى في الأوسط والبخارى من حديث أبى هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وللم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تدأوا عباد الله الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك (٣) حديث سئل عن الداء والرقى هل رد من قدر الله فقال صلى الله عليه وسلم هي من قدر الله الترمذى وابن ماجه من حديث أبى خزيمة وقيل عن أبى خزيمة عن أبيه قال الترمذى وهذا أصح (٤) حديث ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين الحديث البخارى من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفاً ورفعه الترمذى بلفظ إن خبراً محتجماً فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التيبغ وقاله حسن غريب وقال البخارى إن طريقه التقدم أحسن من هذا الطريقى ولا ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليحذر سبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخرج من سنة الوكل أصلاً وفي خبر مقطوع «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى بالحمية (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً (٣) أي قصده وكوى سعد بن زبارة (٤) وقال لعلى «رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين» لأن تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فإنه أوفى لك (٥) يعني سلقاً قد طبخ بدقيق شير . وقال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمراً وأنت أرمد فقال إني أكل من الجانب الآخر فبسم صلى الله عليه وسلم» (٦) . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنن المكي . وتداوى ﷺ غير مرة من القرب وغيرها (٨) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فكان يلفقه بالحناء (٩) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به تراباً (١٠) وما روى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن المحصر وقد صنف في ذلك كتاب وصي طيب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الأسرار اليبات أن موسى عليه السلام اعتل بقلعة فدخل عليه بنو إسرائيل فصرفوا عنه

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث مقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد واختلف في روايته في الصحاح وكلاهما فيه زيد الصمي وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوى للغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعرابي حين سأله تداووا الحديث وسأيت في قصة علي وصبيب في الحمية بعده (٣) حديث قطع عرقاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال روى سعد في أكله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى أسمة بن زبارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لعلى وكان رمداً لأن تأكل من هذا الحديث أبوداود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر (٦) حديث قال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمراً وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة ابن عدي من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقرب فغشي عليه فقرأه الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن المسيب أنه اشتكى الإنسان التي من أوكافته قرحة أوجرح قال النبي صلى الله عليه وسلم يدهمها كذا وضع سفيان بن عيينة الراوي سبائه بالأرض ثم رفضها وقال بسم الله تراباً أرضنا وربة بضنا شقي سقينا .

ذلك النور في القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بفضل نذب إليه وإما ببيع يسود صلاحه إليه وهذا الكلام يدل على أن حركتي الروح والنفس هما اللوجتان للعتيق . وعندى والله أعلم أن اللتين يتقدمان على حركة الروح والنفس لحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح يرك لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيوية هي من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللتان ظهرت الحركة

فقالوا له لوتداويت بكذا لبرئت فقال لا تداوى حتى يصفى هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له إن
دواء هذه العلة معروف مجرب وإن تداوى به فبئس فقال لا تداوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه
وعزنى وجاللى لأبرأتك حتى تداوى بما ذكره لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه فبرأ
فأوحى من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير
منافع الأشياء غيرى . وروى في خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكاه علة مجدها فأوحى الله
تعالى إليه كل البيض . وشكا في آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم بالين فان فيها القوة قبل
هو الضعف عن الجماع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم
أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويغل ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه
يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبل السفرجل والنفساء الرطب فهذا بين أن مسبب
الأسباب أجرى سنته بربط السببات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى
كأثر الأسباب فكان أن الحزن دواء الجوع والناء دواء العطش فالسكجيين دواء الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لا يخافه إلا في أحد أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جل واضح
يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكجيين يدرك بعض الخواص من أدرك ذلك بالتجربة التحق
في حقه بالأول : والثاني أن الدواء يسهل والسكجيين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب
في الزواج ربما يتعدى الوقوف على جميع شروطها وربما يموت بعض الشروط فيقاعد الدواء عن
الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى للماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب
دواء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر في هذين الشيئين
والإلحاح يسبب يتلو السبب لاحالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخير
وترتيبه بحكم حكته وكما قدرته فلا يضر التوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب
والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب من الداء والدواء؟ فقال تعالى من قال فما يصنع الأطباء؟
قال يا كلون أرزاقهم ويطيرون نفوس عبادى حتى يأبى شفائى أو قضائى فاذن معنى التوكل مع التداوى
التوكل بالمع والخال كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر الحال للنفق فأماترك التداوى رأسا فليس
شرطا فيه . فان قلت فالكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب
الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السهل وسقى البردات للحرور وأما السكى فلو كان مثلهما في الظهور
لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقفا بتنادى السكى في أكثر البلاد إنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب
فهذا من الأسباب الوهمية كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستثناء
عنه فانه مأمون وجع يعالج بالسكى إلا أنه دواء يبنى عنه ليس فيه إحراق فالاحتراق بالنار جرح مخرب
للبنية محذور السراية مع الاستثناء عنه بخلاف القصد والحجامة فان سرايتها بعيدة ولا يمسدها
غيرها ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى (١) وكل واحد منهما بعيد
عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالسكى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه
الأمر حتى أكنوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم على اللائكة فلما كتويت انقطع
ذلك عنى وكان يقول أكنوينا كيات فوالله ما فلتحت ولا ألتجعت ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى

(١) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى البخارى من حديث ابن عباس
وأنهى أمى عن السكى ، وفي الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرقة من كل دى حمة .

« يظهر سرّ العطاء
والاستلاء من معط
كريم وبيل حكيم وقد
تكون هاتان اللتان
متداركتين وينمحي أثر
إحداهما بالأخرى
والنفسن للتيقظ
ينفع عليه بمطالعة
وجود هذه الآثار في
ذاته باب أنس وبقي
أبدانته قد أحالة مطالعا
آثار اللتين . وذكر
خاطر خامس : وهو
خاطر العقل متوسط
بين الخواطر الأربعة
يكون مع النفس
والدواء لوجود التميز
وإثبات الحجة على
البعد ليدخل البعد في
التبني بوجود عقل إذ
لو فقد العقل سقط
العقاب والعتاب وقد

فرد الله تعالى عليه ما كان يحد من أمر الملائكة وقال لحطيف بن عبد الله أنه رأى إلى الملائكة التي كان أكرمى الله بها قد ردها الله تعالى على بعد أن كان أخرجه بقضها فاذن السكى وما جرى مجراه هو الذى لا يليق بالتوكل لأنه يحتاج إلى استنباطه إلى تدبير ثم هو منموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التسليم فيها والله أعلم .

(بيان أن ترك التداوى قد يحمده في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل)

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الدين تداوى من السلف لا ينصرفون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر فرعا يظن أن ذلك تصان لأنه لو كان كالتاركة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله ، وقد روى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قيل له لو دعوتك طبيا فقال الطبيب قد أنظر إلى وقال إني ضال ما أريد . وقيل لأبي الدرداء في مرض ماتتسكى قال ذنوبي قيل فانتبهي قال مغفرة ربي قالوا ألا تدعوك طبيا قال الطبيب أمرضى . وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لو دوتها قال إني عنهما مشغول قيل لو سألت الله تعالى أن يهلك قال أسأله فيها هوأم على منهما . وكان الريح ابن خنيم أسأله فإل قيل له لو تداوت فقال قد همت ثم ذكرت عادا وعودا وأصحاب اليرس وقرناتين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك للتداوى وللتداوى ولم تكن الرقى شيئا . وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به عاقل فلا يغرب للطبيب بها أيضا أسأله . وقيل لسهل متى يصح لعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنفس في ماله فلم يلتفت إليه شيئا هاله ونظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراعه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا بحصر الصوارف عن التداوى . فتقول إن ترك التداوى أسبابا . السبب الأول : أن يكون المرض من المكشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجه وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحمدس وظن وتارة بكشف محقق وبشبه أن يكون تركه الصديق رضى الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من المكشفين فإنه قال لما نشأ رضى الله عنه في أمر اليراث إنما من أختك وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأننى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بأنها حامله وإلا فلا يظن به ليكنار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به . السبب الثاني : أن يكون المرض محتولا بحاله وغرف عاقبه وإطامع الله تعالى عليه فينبه ذلك ألم الأرض فلا تغرق قلبه للتداوى فعلا بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر إذ قال إني عنهما مشغول . وكلاهما في الدرداء إذ قال إنما اشتكى ذنوبي فكان تألم فيه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالصواب بموت عزيز من أعزته أو كالحائض الذى يعمل إلى ملك من الملوك لقتل إذ تابل له لا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لكون الأكل نافعا من الجوع ولا طمنا فيمن أكل وقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل لما اتوت فقال هوذا كرا الحى القوم قيل إنما سألتك عن القوم فقال القوم هو عالم قيل أنتك عن الغذاء قال الغذاء هو الذى كرا قيل أنتك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دمع من تولاه أولا يتولاه آخر إذا دخل عليه علة فردته إلى صانه أما رأيت الصنة إذا عيبت ردوها إلى صانها حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته وهو موم النفع جار مجرى السكى والريقة في تركه التوكل وإله بشر قول الريح بن خنيم إذ قال ذكرت عادا

يكون مع الملك والروح
ليوقع الفعل مختارا
ويستوجب به
الثواب . وذبح
خاطر سادس وهو خاطر
اليقين وهو روح
الإيمان ومزيد العلم
ولا يبعد أن يقال الخاطر
السادس وهو خاطر
اليقين حاصله راجع
إلى ما ورد من خاطر
الحق وخاطر العقل
أصله تارة من خاطر
الملك وتارة من خاطر
النفس وليس من
العقل خاطر على
الاستقلال لأن العقل
كأذكرنا غريزة يتأثر
بها إدراك العاوم ويتأثر
بها الانجذاب إلى
دواعى النفس تارة
وإلى دواعى الملك تارة

ونمود وفيهم الأطباء فهلك للداوى والدأوى أى أن الدواء غير موقوف به وهذا كدقيقون كذلك في نفسه وقد يكون عند الرضى كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يخلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التدأوى من العباد والزهاد هذا مستقدم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التدأوى تعمقا في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكلًا . السبب الرابع . أن يقصد العبد ترك التدأوى استيقاظ الرضى لينال ثواب الرضى بحسن الصبر على بلاه الله تعالى أو ليحرب نفسه في القدرة على الصبر قد ورد في ثواب الرضى ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاه ثم الأملئ فالأملئ ينال ثواب العبد على قدر إيمانه فإن كان سلب الإيمان شدد عليه البلاه وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاه (١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ثم من يخرج كالذهب الإبريز لا يرد ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج أسود عتقا (٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضى اصطفاه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالحجر الصالح لا تمرضون ولا تدمون (٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسا وتجد المنافق أصح شئ جسا وأمرضه قلبا . فلما عظم البناء على الرضى والبلاء أحب قوم الرضى واغتموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له غلبة غلبا ولا يذكرها للطبيب ويقاسى الملة ورضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله الرضى عنه وإنما ينزع المرض جوارحه وعلموا أن صلاتهم تقودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة فيما مع العافية والصحة ففي الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لبيدي صالحا ما كان يعمل فاته في وثاق إن أطلقت أبدلته لحا خيرا من لحه ودما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس (٦) » قيل مضامد أدخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التدأوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التدأوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتدأوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلى من

وإلى دواعى الروح تارة وإلى دواعى الشيطان تارة فعلى هذا لا يزيد الخواطر على أربعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير اللتين وهاتان اللتان هما الأصل والخواطران الآخران فرع عليهما لأن لمة الملك إذا حركت الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت أن تهتز الهمة الصالحة إلى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق وإذا تحققت بالحق يتحقق القضاء فتثبت الخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرناه قبل لموضع قربه فيكون أصل خواطر الحق لمة لللك ولمة

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاه ثم الأملئ فالأملئ الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه الحديث الطبراني من حديث أنى أمامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث طى ولم يخرجوه ولده في مسنده وللطبراني من حديث أبى عتبة إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه وإذا ابتلاه ابتلاه لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالحجر الصالح لا تمرضون ولا تدمون ابن أبى عاصم في الأحاد والثاني وأبو نعم وابن عبد البر في الصحابة واليه في الشجب من حديث أبى فاطمة وهو صدر حديث إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول للملائكة اكتبوا لبيدي صالحا ما كان يعمل فاته في وثاق الحديث الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس قد تقدم ولم أجده مرفوعا .

قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات بسبب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداءى للقوة والصلاة قائما. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شيء من الدواء فاعما هو سمة من الله تعالى لأهل الضنفون لم يدخل فى شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هولاء البارء بسبب عنه لم يأخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لهمم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألم غالبا مدهشا . وقال سهل رحمه الله على الأجسام رحمة وعلى القلوب عقوبة . السبب الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فبى الرضى إذا طال تكفيرا فترك التداءى خوفا من أن يسرع زوال الرضى فقد قال عليه السلام « لا تزال الحى واللىة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة ^(١) » وفى الخبر « حى يوم كفارة سنة ^(٢) » قيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحى فى جميعها ويحد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم ، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى سأل يزيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموا فلم تكن الحى تغرقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحى لاتزالهم ^(٣) ولما قال صلى الله عليه وسلم « من أذهب الله كربته لم يرض له ثوبا دون الجنة ^(٤) » قال فقد كان من الأنصار من يتحنى العمى وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول الصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطايه . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاد فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف أرحمه فيما به أرحمها به أكفر ذنوبه وأزيد فى درجاته . السبب السادس أن يستمر العبد فى نفسه بمبادئ البطر والطغيان تطول مدة الصحة فيترك التداءى خوفا من أن يماجه زوال الرضى فتعاوده الفعلة والبطر والطغيان أو طول الأمل والتسويف فى تدارك القاتل وتأخير الحرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها يثبت الهوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصى وأقلها أن تدعو إلى التسم فى الباحات ، وهو تضيق الأوقات وإهمال للربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبده خيرا لم يخله عن التنبه بالأمراض والصائب ولذلك قيل لا يخلو

(١) حديث لاتزال الحى واللىة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه وقال الصداع بدلى الحى ولطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفاتها ولونها وأسانيده ضيقة (٢) حديث حى يوم كفارة سنة القضاى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضيف وقال لىة بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموا الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمدوا أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى باستناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الأمراض تصيبنا مالنا فيها قال كفارات قال أبى وإن قلت قال فان شوكنا فو قمنا له دعا أبى أن لا يغرقه العوك حتى يموت الحديث ولطبرانى فى الأوسط من حديث أبى بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحى قال تجري الحسنات على صاحبها ما خلت عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم إني أسألك حى لاتمتنى خروجا فى مديك ولا خروجا إلى بيتك ولا المسجد نبيك الحديث والاستناد مجهول قاله أبى بن الدبى (٤) حديث من أذهب الله كربته لم يرض له ثوبا دون الجنة تهدم الرفوع منه دون قوله فقد كان فى الأنصار من يتحنى العمى.

الشیطان اذا حرك النفس هوت بجلباتها الى مركزها من السريرة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملازمة لتعزيتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصاها لثمان وبنجان آخرين وخواطر اليقين والعقل مندرج فيها والله أعلم

[الباب الثامن]
والمحسون فى شرح الحال وللقام والفرق بينهما]

قد ذكر الاشتباه بين الحال والقام واختلفت إشارات الشيوخ فى ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما

الؤمن من علة أو فلة أو زلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى أجسب به من أحب من خلقى» فإذا كان في المرض حبس عن الطهارة وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصى قد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بدى؟ قال في عافية قال إن كنت لم تمس الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوا من الحسبة ما عوفى من عصى الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة البيط بالعراق في يوم عيد ما هذا الذى أظهره ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيدكم فقال كل يوم لا يمضى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما رأكم الماعيون - قيل العوافى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالعافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه ثبت أن برصا سنة لم يصدح له رأس ولم يجم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لئنه الله ولواخذته الشققة يوما لثقلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثروا من ذكر هافم اللذات» (١) وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكرة ودافع للتسوية . وقال تعالى - أولادون أنهم ينتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون - قيل ينتنون بأمراض يختبرون بها ، ويقال إن العبد إذا مرض مرضين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا غافل جاءك من رسول بعد رسول فلم تحب ، وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنفس في نفس أو مال وقالوا لا يخاف المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو صاب يلية حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن ترضى فطلقها . وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة حكي من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل وإنها مامرست قط ، فقال لاجابة لي فيها» (٢) . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا» (٣) لأنه ورد في الخبر «الحمى حظ كل مؤمن من النار» (٤) . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما «قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة» (٥) . وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه تحزنه» ولا شك في أن ذكر الموت على المرضى أغلب فلما أن كثرت فوائده المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وإفراؤا أنفسهم مزيدا فيها لأمن حيث رأوا التدوى وكيف يكون نقصانا وقد فضل ذلك صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث أكثروا ذكر هافم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أنى هريرة وقد تقدم (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل فانها مامرست قط فقال لاجابة لي فيها أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال إليك عني الحديث أبو داود من حديث عامر البراء أخى الحضرمي [١] بنحوه وفي إسناده من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أنى أمانة والطبرانى في الأوسط من حديث أنس وأبو منصور والبيهقى في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وإنها حسن (٥) حديث أنس وعائشة قول يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟

[١] الحضرمي : بطن من محارب بن خصفة .

في نفسها وتدخلهما قترادى للبعض الشيء حالا وتزاد للبعض مقاما وكلا البروتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن القنط والبشارة عنهما مشعر بالفرق فالحال متى حالته تحول والقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاما مثل أن يثبت من باطن العبد داعية الهامية ثم تزول الداعية بلبلة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال الهامية يتأهل الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس

(بيان الرد على من قال ترك التدوى أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما ضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له لغيره حال الضمضاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدوا، فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحماجة والنصد عند تبديع الصم . فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلدغه القرب أو الحية فلا ينحيا عن نفسه ، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزال لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالحز ولدغ البرد بالحية وهذا لا قائل به ، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الحامية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما وبوا دريبا فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم لاندخل على الوباء فلتقى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت ففكروا كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت - فخرجوا إلى عمر فسالوه عن رأيهم ، فقال ترجع ولا ندخل على الوباء ، وقال « المحالفون في رأيهم : أفر من قدر الله تعالى ؟ قال عمر نعم نعم نعم من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، فقال : رأيتم لو كان لأحدكم غنم فليط واديا له شيطان : إسداهما حصبة ، والأخرى مجدبة أليس إن رعى الحصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسأله عن رأيهم وكان غائبا فلما أصبوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال عندي فيه يأمر المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر قال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تمضوا عليه وإذا وقع في أرض وأتمم بها فلا تخرجوا فرارا منه ^(١) » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيهم ورجع من الحامية بالناس ، فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أطل المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل . فان قلت فلم تنهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء ، وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التدوى الفرار من الضر ، والموا هو الضر فلم لم يرضخ فيه ؟ . فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن الضر غير منهي عنه ، إذ الحماجة والنصد فرار من الضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على القصد ولكن الذى يتقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأثر الذى استحك من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الوهوومات كالرقى والطيرة وغيرها ، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منيها عنه ولكن صار منيها عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقى في البلد إلا المرضى الذين أقصدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقعدوا التمددين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعمزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سببا في إهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منظر

فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة لم أقف له على إسناد ^(١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تمضوا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الحامية وأنه بلغهم أن بالشام وبه الحديث رواه البخارى .

إلى أن تداركه
العونة من الله الكريم
وبلب حال الحامية
وتسهر النفس
وتضبط وتدلحها
الحامية قصير الحامية
وطنه ومستقره ومقامه
قصير في مقام الحامية
بعد أن كان له حال
الحامية ، ثم ينازله
حال الرابضة ، فمن
كانت الحامية مقامة
يصير له من الرابضة
حال ، ثم يحول حال
الرابضة لتناوب السهو
والغفلة في طائن العبد
إلى أن ينشع ضباب
السهو والغفلة ويتدارك
الله عبيده بالمدونة
قصير للرابضة مقاما
بعد أن كانت حالولا
ينشع مقام الحامية

كما أن خلاص الأصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين والمسلمون كاليان يشد بعضه بضاد المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الحق يتقدم عندنا في تعليل التمسك بهذا فيمن لم يقدم على البه فانه لم يؤخر المموات في باطنهم ولا بأهل البه حاجة إليهم، ثم لو لم يبق بالبهر إلا طموتون واقفروا إلى التمهدين وقدم عليهم قوم فرما كان يتقدم استجاب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا يهين عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، وبهذا شبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الزحف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسما في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى طواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر مامسه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك . فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لبنال الفضل ؟ فقول في فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكرها وأخاف على نفسه لئلا يلقى عقوبة الشبهات وأحتاج إلى ما يذكره الموت لقلية الثقة أو أحتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والتوكلين أو نصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف النافع حتى صار في حقه موهوما كالرأى أو كان شفه بهاله بمنه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله لفضله عن الجلع فإلى هذه الماني رجعت الصور في ترك التداوى وكل ذلك كالات بالإضافة إلى بعض الخلق وقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه اللقائات كلها إذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وقيرة واحدة عند وجود الأسباب وقتها فانه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم تضرب الأسباب كما أن الرغبة في المال تمنع الرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالأفهي أيضا تمنع بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الجبر والذهب لكل من المهرب من الذهب دون الجبر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب عنده وكان لا يمكنه لتعلم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من إسائه فانه كان أعلى رتبة من أن تقرأ الذباء وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وتركها لأنه فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك يظم ضرره، نعم التداوى لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء فانما دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصد به الصلحة ليستأن بها على المعاصي وذلك منهى عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء ناقضا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا لدفع كالأبري الماء مرويا ولا الحزب مشبعا لحكم التداوى في مقصوده كحكم الكسب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتنعم بالمباح فله حكمه قد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوى قد يكون أفضل في بعض الأحوال ، وأن التداوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

قراره إلا بالنزول حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره إلا بالنزول حال المشاهدة فإذا منع العبد بالنزول حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يصكون حال المحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقامه وتخلص نفسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزادات وتزقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالقضاء والتخلص إلى البقاء والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل يغرق شفاف القلب وذلك أعلى فروع

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الزحف رواه أحمد بن محمد بن عاتكة بإسناد جيد ومن حديث جابر بإسناد ضعيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها تقدم ولقطة عرضت عليه مغايير خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنبات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك اللوهومات كالسكى والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالتوكلين .

(بيان أحوال التوكلين في إظهار الرض وكنيانه)

اعلم أن كنيان الرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى اللقائات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكنيانه أسلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار لأبأس به إذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة : الأول أن يكون خرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لافي معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى ، فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن الطبيب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يضر بأمرض يمجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لتبر الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيحدث به كما يتحدث بالتم . قال الحسن البصري : إذا حمد المريض لله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك عجزه وانقاره إلى الله تعالى وذلك بحسن من تلق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روى أنه قيل لعلى في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أتجمل في الله ؟ فأحب أن يظهر عجزه وانقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية (١) » فبهذه النبات يرضى في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كاذكرته في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لعل الله تعالى فإن خلا من قرينة السخط وعن النبات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزبد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلًا فلاوجه في حقه للاظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الافتناء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله فصبر جميل - لاشكوى فيه ، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحران فأوحى الله تعالى إليه : تغرغ لشكواى إلى عبادى فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طاوس ومجاهد أنها قالتا يكتب على المريض أنيته في مرضه وكانوا يكرهون أنين المرض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس لئنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنيته في مرضه فجعل الأنين حظه منه ، وفي الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لواده فان حمد الله وأثنى غير دعواه وإن شكا وذكر شرًا فلا كذلك تكون (٢) » وإنما كره بعض العباد العبادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل وهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أشتبهى أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد رضى الله عنه وعنه أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال قد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لواده الحديث تقدم .

الشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانًا ياشترى نالي » قال سهل بن عبد الله القلب بجورخان أحدهما بطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسو بدؤه والتجوير الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو مقال موضع مخصوص فيه بمنزلة الضال الذي في سواد العين ومنه تنبت الأشعة المحيطة بالمرئيات هكذا تنبت من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفى .

﴿ كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونفستره ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للكوف على بساط عزته ، ثم جعل لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بآراميته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فكلما اهتزت لملاحظة كنهه الجلال غشها من الدهش ما أغبر في وجه الفقل وبصيرته ، وكلاهما بالانصراف آية نوديت من سراداتك الجلال - سر أيتها الأيس عن نيل الحق بجهله ومجملته ، فقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرق في بحر معرفته ، ومحرقة نار محبته . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من اللقائات والدروة العليا من الدرجات فإما بعد إدراك المحبة مقام الإلهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولأقبل المحبة مقام الإلهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عر وجودها فلم تغل القلوب عن الإيمان بامكانها ، وأما محبة الله تعالى فقد عر الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا الإلواطة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة بحال الإمع الجنس والمثال ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولقد التاجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذته النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على العرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب القوية للحب لله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكرهاته للعاصي لا تنافسه وكذا القرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ملا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب ومثمرته فلا بد وأن يقدم الحب به ذلك يطيع من أحب وبدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يحبهم ويحبونه - وقوله تعالى - والذين آمنوا أهدى حياتهم - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي يارسول الله ما الإيمان قال أن يكون

القلب ووصلت إلى سويداته وهي حق اليقين هي أسنى المطايا وأعسر الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كمنسبة الآجر من التراب إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم أجرا فالمشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالمطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا تنسب سميت كل الواهب من الدوازل بالعبد أحوالا لأنها غير مقدورة

﴿ مكتتاب المحبة والشوق والرضا ﴾

الله ورسوله أحب إليك مما سواهما^(١) وفي حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(٢) » وفي حديث آخر « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين^(٣) » وفي رواية « ومن نفسه » كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آباؤكم أو بنواؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والانسكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهبة فقال « أحبوا الله لا ينفذكم بهن نعمه وأحبوا لي أحب الله إياي^(٤) » وروى « أن رجلاً قال لرسول الله إني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استمد لفقرك فقال إني أحب الله تعالى فقال استمد لبلاد^(٥) » وعن عمر رضي الله عنه قال « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نورا الله قلبه قد تراءى بين أبويه ينفذونه بأطيب الطعام والشراب فدهاه حب الله ورسوله إلى ما ترون^(٦) » وفي الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال للملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلاً يميت خليفه فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن فاقبض^(٧) » وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه . فإذا علم أن الموت سبب اللقاء أزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد^(٨) » وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرء مع من أحب^(٩) » قال أنس لما رأيت المسلمين فرحوا حتى « بعد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاتي من خالس محبة الله تعالى فغفله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا هذبنها والؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني

(١) حديث أبي زرقة القعقل أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد زيادة في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس يلفظ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وذكره زيادة (٣) حديث لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نسي قال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أحبوا الله لما ينفذكم به من نعمه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلاً قال يا رسول الله إني أحبك فقال استمد لفقرك الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل يلفظ فأعد لفقرك تخفأ دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية بسندنا حسن (٧) حديث إن إبراهيم عليه السلام قال للملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلاً يميت خليفه الحديث لم أجده أصلاً (٨) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود نحوه .

للعبد بكسبه فأطلقوا القول وتداولت السنة الشيوع أن القمامات مكاسب والأحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مساوئب إذ المكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب فالأحوال مواجبه للقمامات طرق الواجبه ولكن في القمامات تظهر

إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعم عنه فكيف يشغلون عنه الدنيا . وروى
أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى
فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد محولا
وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يطعكم ما أرجون ثم
جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد محولا وتغيرا كأن على وجوههم الرأى من النور فقال ما الذي بلغ
بكم ما أرى قالوا الحب لله عز وجل فقال أنهم القربون أنهم القربون أنهم القربون . وقال عبد الواحد بن زيد
مررت برجل قائم في الثلج قفلت أما نجد البرد فقال من غفله حب الله لم يجد البرد . وروى عن سري السقطي
تدعى الأمم يوم القيامة بأنيابها عليهم السلام فقال يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد غير
المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد نفوسهم تنخلع فرحا . وقال هرم
إن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه
لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهى تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة .
وقال عجي بن معاذ غفوه يستغرق الذنوب فكيف رضى عنه ورضاه عن يستغرق الآمال فكيف جبه وجهه
بدهش القول فكيف ودهو دوده ينسى ما دونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبيد أنا وحقك ك
عجب فبحق عليك كن لي محبا . وقال عجي بن معاذ مثقال خردل من الحب أحب إلى من عبادة سبعين
سنة بلا حب . وقال عجي بن معاذ إلى إني مقبم بشائك مشغول بشائك صغيرا أخذتني إليك وسر بلنتي
بمررتك وأمكنني من لطفك وتقتني في الأحوال فلبنتي في الأعمال سترتا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا
وجبا تسقيني من حياضك وتعلمني في رياضك ملازما لأمرك ومشوقا بقولك والملاطمة شارب من لاج
طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك ذنابه
وبالضراعة إليك مهمة لأنى عجب وكل عجب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد
في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإعمالا للمعشور
في تحقيق معناه فليستغنى به .

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن الطلب من هذا الفصل لا يكتشف إلا معرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها
ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا
بعد معرفة وإدراك إد لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لا يتصور أن يتصف بالحب جمد بل هو من
خاصية الخى المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويبلغه وإلى
ما ينافيه وينافره ويؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلاهم وإلذا فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استغراق ألم ولذته لا يوصف
بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند المتذنب ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه
ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء . للذن فان تأكد
ذلك الميل وقوى مسمى عشقا واليغنى عبارة عن نفرة الطبع عن المأم المتعب فاذا قوى مسمى مقتافها
أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للإدراك
والمرءة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فليس كل حاسة إدراك لنوع من المدركات
ولكن واحد منها للذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع
للتسلية فلهذا العين في الإبصار وإدراك المصبرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذا الأذن في
السماعات الطيبة للوزنة ولذا اللسان في الروائح الطيبة ولذا الذوق في الطعوم ولذا اللسان في اللين والنعومة

السموات فأنى أعرف
بها من طرق الأرض
إشارة إلى اللغات
والأحوال فطسرق
السموات التوبة والرهه
وغير ذلك من اللغات
فان السالك لهذه
الطرق يصير قلبه
سماويا وهى طرق
السموات ومتنزل
الركعات وهذه
الأحوال لا يتحقق بها
إلا ذو قلب ساهوى .
قال بعضهم الحال هو
الدكر الخفى وهذا
إشارة إلى شيء مما
ذكرناه وصحمت الشايخ
بالعرق يقولون الحال
ما من الله فكل
ما كان من طريق
الاكتساب والأعمال
يقولون هذا ما من
العبد فاذا لاح للعبد

ولما كانت هذه المذكرات بالحواس ملزمة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عني في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوا ومعلوم أنه لاحظ للميل والسمع فيه بل لشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الإلباص واللس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدرك إلا من كان له قلب ولذلك الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مذكرات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصة الإنسان وما عجز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إنباء العقل أو بالبور أو القلب أو بما عشت من البارات فلا مشاحة فيه وهيات فالصورة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المذكورة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتسكون لامحالة لثة القلب بما يدرك من الأمور الشريفة الإلهية التي تجعل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا للآل إلى ما في إدراكه لثة كما سيأتي تفصيله فلا يشكر إلا من حب الله تعالى إلا من قد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الإنسان لا ينبغي أن يحب نفسه ولا ينبغي أن يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع هذا بما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى الحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلهي أسباب المحبة وآتسماها ويانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ووفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللاتم للحب وأي شيء أتم ملازمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل والجهد ما يخافه بعد الموت والجهد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمتقاة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم محموت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم محموت في الصفات وكمال الوجود كما أنه محموت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة الطباع بحكم سنة الله تعالى - ولولا تجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول الإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكاله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لأنها أبلغها بل لا يرتبط حفظه في دوام الوجود وكاله بها حتى إنه يحب ولده وإن كان لا يناه منه حظ بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نفسه نوع بقاء له فلا يفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا ، نعم لو خير بين قتل وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث الثاني من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم .

شيء من الواجب
وللواجد قالوا هذا
مأمن الله وميموه حالا
إشارة منهم إلى أن
الحال موهبة . وقال
بعض مشايخ خراسان
الأحوال موارث
الأعمال . وقال بعضهم
الأحوال كالكبرياء
فإن بقي فحيت النفس
وهذا لا يكاد يستقيم على
الاطلاق وإنما يكون
ذلك في بعض الأحوال
فإنها تسطرقت ثم تستلبها
النفس فأعلى الإطلاق
فلا والأحوال لا تتجزأ
بالنفس كالهسن
لا تتجزأ بالماء .
وذهب بعضهم إلى
أن الأحوال لا تسكون

لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه الحق وكذلك جه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى جه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجسلا بكاملهم فان العشرة والمال والأسباب الخارجية كالجناس الكمال للإنسان وكال الوجود ودوامه محبوب الطبع لاهمالة فاذن المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكال ذاته ودوام ذلك كله والسكره عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب. السبب الثاني: الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وقال رسول الله ﷺ «الهم لا تجعل لئاماً جزاً على يد فيجبه قلبى» (١) إشارة إلى أن حب القلب للحسن اضطرار لا يستطيع دفعه وهو جبة وفطرة لاسيما إلى تغييرها وهذا السبب قد يحب الانسان الأجنبي الذى لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجوع إلى السبب الأول فان الحسن من أمد بالمال والمونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكال الوجود وحصول الحفظ والظلال بها يتبها الوجود إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهى عين الكمال للطلب فاما الحسن فليس هو عين الكمال للطلب ولكن قد يكون سبباً له كالطبيب الذى يكون سبباً في دوام صحة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لاقادته بل لأنه سبب للصحة وكذلك الصم محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه حبيب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب الحسن لاحسانه فأحب ذاته تحقيقاً بل أحب إحسانه وهو فعل من أفضاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً ولو قصص الحب ولو زاد زاد ويشترك إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه . السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذى يوفق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا ينتظن أن حب الصور والجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضاً لذية فيجوز أن يكون محبوباً لذاته وكيف ينكر ذلك والحضرة والماء الجارى محبوب لا ليشرب الماء وتوكل الحضرة أوتان منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب الحضرة والماء الجارى (٢) والطباع السليمة فاضية بامتداد النظر إلى الأنوار والأزهار والأطياف المليحة الألوان الحسنة النفث المتناسبة الشكل حتى إن الانسان لتتفرج عنه الغيوم والمهوم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراءه النظر فهذه الأسباب ملذة وكل لذية محبوب وكل حسن وجمال فلا يغلو إدراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لامحالة محبوباً عند من انكشف به جماله وجلاله كآل رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال» (٣) .

[الأصل الرابع فى بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المعبوس فى مضيق الخيالات والموسسات

(١) حديث اللهم لا تجعل لكافراً على يد فيجبه قلبى أبو منصور الديلى فى مستند القردوس من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعجبه الحضرة والماء الجارى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الحضرة وإلى الماء الجارى وإسناده ضعيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم فى أثناء حديث لابن مسعود.

إلا إذا دامت فأما إذا لم تدم فهمى لوائح وطوال وبوادى ومى مقدمات الأحوال وليست بأحوال واختاف الشئخ فى أن العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل إحكام حكم مقامه . قال بعضهم : لا ينبغي أن ينتقل عن الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه . وقال بعضهم : لا يكفل اللقائم الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه التالى إلى مادونه من اللقائم فيحكم أمر مقامه . والأولى أن يقال والله أعلم : الشخص فى مقامه يعطى حالاً من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الحلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإصدار وأكثر التفاهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمصر ولا تغليظ ولا امتشكلا ولا متونا لا مقدّر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لثمة فلم يكن محبوا لهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الحلقة وامتزاج البياض بالحمرة فإنا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول لهذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والمخطوسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين تستدل بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستدل اسماع النغمات الحسنة الطيبة وامان شيء من اللدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فبمعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق به المأمة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء مجمله وحسنه في أن يحضر كاله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كلالته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو ويسر كركر وفر عليه والخط الحسن كل ما يجتمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فان قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعا بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فانها لا تتفك عن إدراك الحواس لها ففى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بأدراك حسنها وإنما ينكر ذلك في غير اللدرك بالحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والصفة والشجاعة والتقوى والكرم والوروء وسائر خلال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الحسن بل يدرك بنور البصرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضی الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يبالغ في حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخطر بروحه في قتال من يظن في إمامه ومتبوعه فكيف يمكن دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من عجب الشافعى مثلا فلم يجبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد اغلقت ترابا مع التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والأطاعة بمدارك الدين وانتباهه لأداة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك بالحواس البصرية فأما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من عجب أبابكر الصديق رضى الله عنه وبفضله على غيره أوجب علينا رضى الله تعالى عنه وبفضله ونصب له فلا يحبه إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من عجب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس عجب عظمه وطه وجهه وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات الحمودة التى هى مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا

مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه وينصرف الحق فيه كذلك البعد أنه يرتقى أولا يرتقى فان البسبب بالأحوال يرتقى إلى اللقائات والأحوال مواهب ترقى إلى اللقائات التى ينتج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للبعد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب رقبته إليه فلا يزال البعد يرقى إلى اللقائات بزيادة الأحوال فلى ما ذكرناه يتضح تداخل اللقائات والأحوال حتى التوبة

يقام تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع مجلتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بغير شوائبه فجميع خلال الخير ينشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس ومحملهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوا لأجله ، فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحب بمصدر السير الجميلة ، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع مجلتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الخلق وطيمه إذا أردنا أن نحبه إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتماثل في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لئله الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن والتفاني التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حائبا بالسفاهة ووصفوا خالدا بالشجاعة أمجبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله الحب منهم بل إذا حكم من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين ليمد الزار ونأى الديار ، فاذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلند بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للسامى الباطنة أكثر من حبه للسامى الظاهرة فشتان بين من يحب قسما مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : المناسبة الخفية بين الحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « لما تعارف منها ائتلف وماتت كرمها اختلف »^(١) وقد قلنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضا من محائب أسباب الحب ، فاذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الإنسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع الهللكات عنه وحبه من كان عسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن عسنا إليه وحبه لكل ماهو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فتواجمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاعتداله كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير عسنا إلى الخلق وعسنا إلى الوالد كان محبوا لاعتداله غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات السكالات كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فليبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام . قال أبو عبيد الحري منذ أربعين سنة ما أقمت الله في حال فكرهته ، أثار إلى الرضا ويكون منه حالاً ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال المبدء يقتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولا . قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا الانبعاث من الغفلة فيرد إلى اليقظة فاذا تيسقظ أبصر الصواب من الخطأ .

(١) حديث لما تعارف منها ائتلف مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصحبة .

(يان أن الستحق للمحبة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبته إلى الله أنذلك لجهله وتصوره في معرفة الله تعالى وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأنبياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن يرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بمجملتها ولا يوجد في غيره إلا أحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ، وهو مجاز محض لاحتماله ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما تخيله ضفاء القول والقلب من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكمالهم وديموم وجوده وينضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وتوابعه كاله هذه جبله كل حى ، ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإعنا وجود ذاته وديموم وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المتزعم للوجود له وهو البقى له وهو السكل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب للوصول إليه وخلق الهداية إلى استمالة الأسباب والإقالب من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف بل لا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالبقاء ، وهو ناقص بتد لوجوده لولا فضل الله عليه بالتكبير لخلقته . وبالجمله فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل مساوئه قائم به فإن أحب المارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فالضرورة يجب التمسك لوجوده وللديم له إن عرفه خالفاً موجداً ومختزناً بقياً وقواماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لا يجب فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة العرفة فتتعدم بالندامها وتضعف بضعفها وتزوى بقوتها وتلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يجب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن السكل من آثار قدرته ووجود السكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها موجود به وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأضار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احتراطاً عند وقوع اللقابلة بين الشمس والأجسام الكشيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها ومصورها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الفرض من الأمثلة أنهم فلا يطلب فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فله من بقوامه أو لا واما ثانياً في أصاؤه وصفاته ومظاهره وموابعه وجواهره وأعراضه أيضاً ضرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلعا عن هذا الحب فلا ته اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يرفع حق معرفته فوضر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم في التمس به والاتصاف فيه دون عالم الملكوت الذى لا يبطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قرب في الصفات من الملائكة ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر ضياء في القلب يصير به خطأ قصود الزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق السلم وزجر من طريق الضل وزجر من طريق الإيمان فينازل التائب حال الزجر وهى موهبة من الله تعالى تخوجه إلى التوبة ولا يزال باليسد ظهور هوى النفس يحويه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاماً وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد بنزلة حال توبه قنة ترك الاشتغال بالدينا وتبجح له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بموته وانتدب لصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شرّ الأشرار عنه واتهمّ وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لأحالة عنده وهذا بيته يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فليست أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور إلا بالجواز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزانته ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباغية له على صرف المال إليك فمن الذى أنعم بخلقك وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذى حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه أودنيه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرر في نفسه أن صلاح دينه أودنيه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالهسن هو الذى اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباغية للرغبة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته حسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما الاحسان إلى غيره فمحال من الخلقين لأنه لا يبدل ماله إلا لنفسه في البذل إما أجل وهو الثواب وإما عاجل وهو اللذة والاستسغار أو التناء والصيت والاشتهار بالسخا والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا يلقى ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقى في يد انسان إلا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فليست مقصوداً بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والتناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المالك فقد استسخر لك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعناض عما بذله من ماله عوضاً هو أرحم عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة فاذن هو غيره مستحق للشكر والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسلط الله الدواعى عليه فلا قدرته على الخلفه فهو جاز مجرى خازن الأمير فانه لا يرى محسناً يتسلم حلقة الأمير إلى من خلغ عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والامتثال لما يرصمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعى عليه وألقى في نفسه أن حظه ديناً ودنياً في بذله فبذلك لذلك . والثاني أنه معناض عما بذله حظاً هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما لا بعد البائع محسناً لأنه يبدل بموضع هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعراض الثواب أو الجود والتناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متمولاً بل المحظوظ كلها أعواض تستجتر الأموال والأعيان بالإضافة إليها فلا حسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذى أنعم على المالمين إحساناً إليهم ولا أجاهم لا لحظ وعرض يرجع إليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومناه في حق غيره محال وجمع امتناع الجمع بين السواد والياض فهو المنفرد بالجدود والاحسان والطول والامتثال فان كان في الطبع حب المحسن فينبغى أن لا يحب المعارف إلا الله

فمنه أو أحراله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه العونة من الله الكريم فيزهد ويستتر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل تفرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقامه وهما لطيفة وذلك أن مقام الرضا والتوكل يشبه ويحكم يقامه مع وجود داعية الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة مجدها الراضى بحكم الطبع ولكن عمله بمقام الرضا يضر حكم

تعالى إذ الاحسان من غيره محال فهو السحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على
الانسان بشرط الجليل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك الحسن في نفسه وإن
لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق
بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر
ظالم متكبر فاسق متعنت شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك نفرة بينهما إذ تجد
في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع أنك آتس من خير الأول
وأمن من شر الثاني لا شطاع طمعك عن التوغل إلى بلادها فهذا حب الحسن من حيث إنه حسن
نقط لا من حيث إنه حسن إليك وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا
إلا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن إلى الكافة والمنفصل على جميع أصناف المخلوقات
أولا بإيجادهم وثانيا بتكليفهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بترفيهم وتنعيمهم
بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بنجديهم بالمرأيا
والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ومثال الضرورى من الأعضاء
الرأس وانقلب والسكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استعقواس الحاجبين
وجمره الشفتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لوفا لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورى
من التمتع الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة السواء والحمم والقواكش ومثال المرأيا
والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذات القواكش والأطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل
صنف من أصناف الخلق من ذرة العرش إلى منتهى القرش فاذن هو المحسن فكيف يكون غيره
محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه الملة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه
الملة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حبك لذات الجمال لاحظ يال منه وراء إدراك
الجمال فقد بينا أن ذلك يجول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين
الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم
والثاني يغنى يدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإذ كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشهادة
حب الأنبياء والعلماء وذوى السكارم السنية والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة
الوجه وسائر الأعضاء وهو الراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك بحسن آثاره
الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يجزم إلا بالحسن مظهره
منهم وليس ذلك لحسن صوره ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي
مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصانيف الصنف وحسن
شعر الشاعر بل حسن نفس القاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجملة الباطنة
التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان العلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة
كان العلم أشرف وأجل وكذا القدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل
رتبة وأشرف قدرا وأجل الدلوامات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهور حكم
الطبع في وجود
الكراهية المقمورة
بالعلم لا يخرجها عن
مقام الرضا ولكن بقدر
حال الرضا حالها
تخرجت موهبة أحرقت
دابة الطبع يقال
كيف يكون صاحب
مقام الرضا ولا يكون
صاحب حال فيه والحال
مقدمة المقام والمقام
أثبت قول : لأن المقام
لما كان مشوبا بكسب
العبد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما
كانت موهبة من الله
نزعت عن مزج الطبع
بحال الرضا أصلا ومقام
الرضا ممكن ولا بد
للمقامات من زائد
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك بمقاربه ومخمس به فصرفه على قدر تملته به فاذن جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبا ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرايع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة . والثالث تزهدهم عن الرذائل والنجاسات والشهوات الغالية الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يجب الأنبياء والعلماء والحلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الحاق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكته في تفصيل خلق غلّة أو بموضة لم يطلوه على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم فينتلجه غلوه كما قال تعالى - خلق الإنسان علمه البيان - فإن كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوا وكان هو في نفسه زينة وكلاهما للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلموا العلماء جهل بالاضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلّم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما تتفاضله مبدئته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجهلهم لأن الأعلّم لا يفضل الأجهل إلا بعلم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد ونضّل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لانهائية لها ومعلومات الحاق متناهية . وأما صفة القدرة: فهي أيضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه لذيد حتى إن الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالد رضى الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتها واستيلائها على الأقران فيصادف في قلبه اهترأزا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة وبورث ذلك حيا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وسعهم ملكا وأقوام بطشا وأقهرهم للشهوات وأقهرهم لحاجات النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مامتته قدرته وإنما غاية أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من الممى ولسانه من الحرس وأذنه من الصمم وبدنه من الرض ولا يحتاج إلى عدا معبض عنه في نفسه وغيره بما هو على الجملة متعاقب قدرته فضلا عما لا تملك به قدرته من ملكوت السموات وأقلا كهاوكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومآذنها ونباتها وحيواتها وجميع أجزائها فلا قدرته على درة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط جوسا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات داهلكه فليس له بعد قدرة إلا بتسكين مولاة كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إنا نمكنها له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتسكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض والأرض كلها مدرة بالاضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحيط بها الناس من الأرض وغيره من تلك القدرة ثم تلك العبرة أيضا من فضل الله تعالى وتمكّنه فيبتجبل أن يحب عبدا من عباده تعالى لقدرة تواسيسته وتمكّنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا
تفرد للمقامات دون
سابقة الأحوال . وأما
الأحوال فبما يصير
مقاما ومنها ما لا يصير
مقاما والسر فيه
ما ذكرناه أن الكسب
في القامظهر والوهبة
بطنت وفي الحال ظهرت
الوهبة والكسب
بطن فلا يمكن في
الأحوال الوهبة غالبة
لم تتيسر وصارت
الأحوال إلى مالاتها
لها ولطف سنى
الأحوال أن يصير مقامها
ومقدورات الحق غير
متناهية ومواجه غير
متناهية ولهذا قال
بعضهم لو أعطيت
روحانية عيسى وكاملة
موسى وخلة إبراهيم

القاهر والعالِم القادر السموات مطويات يمينه والأرض وملكيها وماعليها في قبضته وناصية جميع الخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وسلوكه ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يصب غناؤه ولا عسره لئلا يفتقر في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا هو وأثر من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والمظنة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان تصور أن يحب قادر لئلا يفتقر قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواء أصلا . وأما صفة التزهد عن العيون والنقائص والتفقد عن الرذائل والحباث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصدِّيقون وإن كانوا منزَّهين عن العيوب والحباث فلا يتصور كمال القدوس والتزهد إلا بالواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاکرام . وأما كل مخلوق فلا يغلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله وليس في القدور أن ينعم بتمتتي السكالي على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بشيئه وذلك محال في حق غيره فهو للتفرد بالكمال التزهد عن النقائص للقدوس عن العيوب وشرح وجوه القدوس والتزهد في حقه عن النقائص بطول وهوم من أسرار علوم المكشفات فلا يتناول يذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوا فلا تملك حقيقة تله كمال غيره وتزهد لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد نقصانا كما أن للفرس كالا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كالا بالإضافة إلى الفرس وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقص ؛ فأذن الجبل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لا تد له الفرد الذي لا تد له الصمد الذي لا تنازع له الفنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء . ويحكم ما يريد لا أراد الحكيم ولا مدبّر لقضائه العالم الذي لا يهرب عن غلته مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا يفتل من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأزلَى الذي لا أول لوجوده الأبدى الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجبال والحيوان والنبات والتفرد بالعزة والجبروت للتوحد بالملك وللحكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتجبر في معرفة جلالة العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الاتِّقار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتميت على نفسك » (١) وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك سبحانه من لم يجعل للخلاق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقا وعمله مجازا أن ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجلال والحمد وتوحيات الكمال والحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والمظنة محبوبا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بشار العيان غيره على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبق له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الحاسرين في ظلمات العمى يتبهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات الهامم يترددون يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن يعطى الربوبية حقها ، وفي الزبور : من أظلم بمن

(١) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتميت على نفسك تقدم .

عليه السلام لطلبت ماوراء ذلك لأن موأب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ولا تغطي الأولياء ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع البعد وتطلعه وعدم قناعت بهما وفيه من أمر الحق تعالى لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلم به على عدم القناعة وقصر باب الطلب واستنزال البركة للزهد بقوله عليه السلام « كل يوم لم أزد فيه علما فلا يورك لي في صبيحة ذلك اليوم » وفي دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم ماصر عنه رأيي وضغف فيه

عبدني لجنة أوتار لولم أخاف جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطلع ، ومريم عيسى عليه السلام على طائفة من البعاد قد تحلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم عجلوا خفتم وعجلوا فارجوتم ، ومريم يقوم آخرون كذلك فقالوا نبيهم جاء له وتطلياً لجلاله فقال أتم أولياء الله خاضعكم أمرت أن أقبل وقال أبو حازم إنني لأستحي أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ولا أجبر السوء إن لم يسلط لم يعمل ، وفي الخبر «لا يكون أحدكم كالأجير السوء إن لم يسلط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل» (١) وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه ويفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالهتوف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالراح ، وهذا أمر تشبه به التجربة وتشبهه الأخبار والآثار كما استقصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصحة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفياً كما في معنى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فالعارف هو التناكب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى الشاهية في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بسفنها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسلط بل يترك تحت غطاء التجربة حتى يستريحه السالكون بالطريق إذا استكملوا شرط السالك فإذ يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر بها بالاعتدائه والتخلق بأخلاق الروحية حتى قبل تخلفوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والخلق وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنيحية لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم التريفة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها آدمي فهي التي يومئ إليها قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - إذ بين أنه أمر ربي خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى - فإذا سويته ونفخت فيه من روحي - ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه بقوله تعالى - إننا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٢) حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة للدركة بالخواص فشيروا وجسموا وصوروا ، تعالى الله عن أن يشبههم عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة قوله تعالى موسى عليه السلام «مرضت فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرضت عبيد فلان فلم تعده ولوعدته وجدتي عنده» (٣) وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالموافقة على التوافق بعد أحكام القرصن كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلى بالتوافق حتى أحبه فإذا أحببته كنت ضمه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» (٤) وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد

عملي ولم تبلغه نبي
وأمنيت من خير وعدته
أحداً من عبادك أو
خبراً أنت معطيه أحداً
من خلقك فأنا أترغب
إليك وأسألك إياه
فاعلم أن مواهب الحق
لا تنحصر والأحوال
مواهب وهي متصلة
بكلمات الله التي يغد
البحر دون قاعها
وتتعد أعداد الرمال
دون أعدادها والله
العلم للعطى .

[الباب التاسع
والخمسون في الاشارات
إلى اللقائات على
الاختصار والابحار]
أخبرنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو الحبيب
السروردي رحمه الله
قال أنا أو منصور بن

(١) حديث لا يكون أحدكم كالأجير السوء إن لم يسلط أجراً لم يعمل لم أجده أصلاً (٢) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٣) حديث قوله تعالى مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالتوافق حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

تخرب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا وحداً للنسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وصل النصارى فى عيسى عليه السلام قالوا هو الإله وما آخرون منهم تدرك الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتبيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السرف فهم الأفلون ، ولعل أبا الحسن النورى عن هذا اللقاع كان ينظر إذا غلبه الوجد فى قول القائل :
لأزلت أزل من ودادك منزلاً تتجير الأبواب عند نزوله

فلم يزل يعدو فى وجهه على أجمة قد قطع فصها وبقي أصوله حتى تشققت قدماءه وتور متاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأقلها وجوداً ، فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك مظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقاً لا مجازاً وفى أعلى الدرجات لا فى أدناها فكان للعقول القبول عند دوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن للعقول الممكن عند العيان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لما ركه إياه فى السبب والشركة نقصان فى الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجوداً ولا يتصور أن يكون ذلك إمكاناً فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق للنقصان إلى حبه كما لا يتطرق للشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا أُمِّلَ المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً .
(يان أن أجل الذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم)

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن الذات تابعة للإدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والفرائز وكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها لمقتضى طبيعيا الذى خلقت له فان هذه الفرائز ماركبت فى الانسان عيشا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتفتى والانتقام فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبيعيا وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به التوام فلا جرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبيعيا وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الإبصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الفرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى الدور الإلهى لقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع فى المعانى لأن الضعيف يطلب المعانى من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مغارق لسائر أجزاء البدن بصفة بهاء يدرك المعانى التى ليست منجذبة ولا محسوسة كما درأ كخافى العالم واقفاً رة إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات هلية ولهم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذه بعض الصوفية إلى فالصفة التى فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغى أن ندم وهذه الغريزة خلقت ليحلم بها حقائق الأمور كلها لمقتضى طبيعيا للرفة والعلم وهى لذتها كما أن متفتى سائر الفرائز هو لذتها وليس غنى أن فى العلم والرفة لذة حتى إن الذى ينسب إلى العلم والرفة ولو فى شئ خديس يفرح به والذى ينسب إلى الجهل ولو فى شئ خثير يفتن به وسحق إن الانسان لا يكاد يصبر عن التحدى والعلم والتجنى به فى الأشياء الحفيرة فالعالم بالهيب بالشطر على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعاليم وينطلق لسانه بذكر ما يلهو وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره

خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طى بن محمد الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعد قال أنا الحسين بن الحسن الروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا الهيثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم الدائنى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إنى رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أنت من الاستغفار فأتى استغفاره

من كمال ذاته به فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى السكّان ولذلك يرتاح الطبع إذا أمسى عليه بالنسكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والحيطة كلذة العلم بسياسة تلك وتدبير أمر الحقائق ولأن لذة العلم بالحواس والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملوكوت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك مجده لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألدّ عنده وأطيب من علمه بواطن حال فلاح أو حائك فان أطلع على أسرار الوزير وتدبيره ومما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده والذم من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بواطن أسرار الوزير كذلك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده والذم من علمه بواطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وجهه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألدّ المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فان كان في العلوم ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألدّ العلوم لأعالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها وزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومزجها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والسكّان والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بعبادى جلالها ومجرب أحوالها وصف الواسعين فان كنت لاتشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الالهية المحيطة بكل الوجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأخرى ماتستشعر به الفوس عند الانصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم لذتياً وإن ألدّ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفضاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والنضب ولذة سائر الحواس الجسدية فان اللذات مختلفة بالنوع أولاً كمخالفة لذة الواقع لذة السماع ولذة المعرفة لذة الرياضة وهي مختلفة بالصف والمثوة كمخالفة لذة الشبق المتعلم من الجماع لذة القاتر للشهوة كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال لذة النظر إلى مادونه في الجمال وإتمام تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان الخير بين النظر إلى صورة جميلة والتعجب بمشاهدتها وبين استنشاق روائح عطرية إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألدّ عنده من الروائح العطرية وكذلك إذا حضر الطعم وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة القلبية في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود قوله: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الجسدية وإلى باطنة كلذة الرياضة والقلبية والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة لعين ولا للأنف ولا للذن ولا لللس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى السكّان من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياضة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستبلاء فان كان الخبير خبيراً بالحمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على الحمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة فاختياره للرياضة يدل على أنها ألدّ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي مات قواه الباطنة كالمنتهى لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والمثوة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

في اليوم واللييلة
مائة مرة ۞ وروى
أبوهريرة رضي الله عنه
في حديث آخر «فاني
لأستغفر الله وأتوب
إليه في كل يوم مائة
مرة» وروى أبوهريرة
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إنه
ليمان على قلبي فأستغفر
الله في اليوم مائة مرة»
وقال الله تعالى - وتوبوا
إلى الله جميعاً أيه
المؤمنون لتلكم
تفلحون - وقال الله
عز وجل - إن الله يحب
التوابين - وقال الله
تعالى - يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله
نوبة نصوحاً - التوبة
أصل كل مقام وقوام
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الالهية الله من الرياسة التي هي أصل الذات العالية على الحق وغاية العبارة عنه: يقال - فلا تعلم نفس ما نحن لهم من قرة أعين - وأنه أعدلهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والتفكير والذكر وينتسب في محار المعرفة ويترك الرياسة ويستعز الحلق الذين يرأسهم لعله بفناء رايسته وفناء من عليه رايسته وكونه مشوبا بالكسور والافتقار لا يتصور الخلق عنها وكونه مقطوعا عالم الموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ف يستعظم بالاضافة إلى الالهية معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فانها خالية عن الزاحمات والمكدرات متصلة للمتعورين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإغما عرضها من حيث التدبير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف عظمة العلم في حجة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويظف من نمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ نمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذا موت لا يهدم محل معرفة الله تعالى وعلمها الروح الذي هو أمر راني صاوي وإيمالات لا يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخلصها من حبسها فأما أن يعدمها فلا ولا تحبين الذين تفلقوا في سبيل الله أو اتاب أحبا عند ربهم يرفقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية - ولا تظن أن هذا مخصوص بالمتقون في المركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر « إن الشهيد يتنقى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يمتنون لو كانوا علماء لما يرونهم من علو درجة العلماء^(١) » فإذا نزع جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحسب موضعه فهو من مطالعة جمال الملكوت في حجة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في المصير تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة هي باطنة أقوى في ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لهيعة ولا لصبي ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لدوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار مملكة أعظم لذة من الرياسة فهذا يخص بعرفته من نال الرتبة للرفعة وذاتها ولا يمكن إثبات ذلك عندهم لا قبل له لأن القلب معدن هذه القوة كأنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الواقع على لذة اللعب بالصبيان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم النسيم عند العنبر لأنه قد قد الصفه التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن لم يتشغوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف الشكليات والخلل والشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة تشرف للمعلومات الإلهية فأما من طالع فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه صادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يظير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكمة فيه قليلة الجدوى فهذا

(١) حديث إن الشهيد يتنقى في الآخرة إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يمتنون لو كانوا علماء الحديث .

حال وهي أول المقامات
وهي بمثابة الأرض
للبناء فمن لا أرض له
لابناء له ومن لا توبة
له لا حال له ولا مقام له
وإن يبلبل على وقدر
وسعى وجهدى واعتبرت
للمقامات والأحوال
ومررتها فإيتها يجمعها
ثمثة أشياء بمد صحة
الإيمان وعقوده
وشروطه فصارت مع
الإيمان أربعة ثم رأيتها
في إفادة الولادة العنوية
الحقيقية بمثابة الطابع
الأربع التي جعلها الله
تعالى بأجراء سنته
مفيدة للولادة
الطبيعية ومن تحقق
عقائقي هذه الأربع
لمح ملكوت السموات

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أقد الأشياء وأنه لائدة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبدا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله وذلك قال بعض إخوان معروف السكرخي له أخبرني يابا محموطاى شىء هاجك إلى العبادة والانتطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأى شىء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأى شىء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شىء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحبته نساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفالك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفسق مشغوبا بطلب الرب تعالى فقد نلأه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى بأكلان وبشر بان قلت فأنت قال علم الله قوة رغبتى فى الأكل والشرب فأعطانى النظر إليه وعن على بن اللوق قال رأيت فى النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قعدا على مائدة ومساكن عن يمينه وشماله بلغماته من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصنع وجوه الناس فيدخل بضاً ويرد بضاً قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص بصره بنظر إلى الله تعالى لا يطرף فقلت لرضوان من هذا فقال معروف السكرخي عبد الله لا خوف من نار ولا خوف إلى جنته بل جأ له فأبأه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل وكذلك قال أبو سليمان : من كان ليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لرابعة ماحقية إسمائك قالت ما عبدته خوفا من نار ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه . وقالت فى معنى المحبة نظما :

أحبك حين حبب الهوى وحبا لأنك أهل لداكا
وأما الذى هو حبب الهوى فشغلى بذكرك عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك إلى المحب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذاوذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها عظوظ الماجة وبعبه لها هو أهل الحب لجمالها وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقوامها واذمه مطالعة جمال الرب ويتهى إلى عبرتها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعدت لعبادى الصالحين ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) وقد تعجل بعض هذه الذات فى الدنيا لم انتهى صفاء قلبه إلى الغاية لذلك قال بعضهم إني أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جالسا ينادى جليسه وقال إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجاز رأى يخرج كلامه عن حد عتولهم فيرون مائة وله جنونا أو كفرنأه تصد العارفين كلهم وصله وهماؤه فقط فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ما تخفى لهم من أرواح حصلت أتحقت لهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بعبدها فلو أتى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم ينتفت إليه لسكران نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية وليت شعرى من لم يفهم لإحباب المحسوسات كيف يؤمن بلمدة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوعده الله تعالى بعباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن الذات للفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللمدة كما قال بعضهم :

(١) حدث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعدت لعبادى الصالحين مالا عين رأيت الحديث البخارى من حديث أبي هريرة .

ويكشف بالقدر والآيات جميع له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المزلات ويعطى بجميع الأحوال والمقامات فكلمها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت فأود الثلاث بيد الإيمان التسوية النصح والثاني الزهد فى الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالية من غير غشور وقصور ثم يستعان على إنعام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهى

كانت لقي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأيتك العيون أهواي
فصار يحدني من كنت أحسده وصرت مولى الوري مذ صرت مولاي
تركك للناس دينام ودينهم شغلا بذكرك يادبي ودنيائي
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إثبات لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فلذته في لقاء الله قسط ومثال أطوار الخلق في لذتهم ما نذكره
وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده
ألفة من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة
اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة
الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأنها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ونكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الآخر إذ يظهر حب اللعب في سنن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
العشرين وحب العلوم يقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضعك على من يترك اللعب
ويشتغل بملعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن المذركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور التخيلية والأجسام الثلاثة والمشكلة من
أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالماء والقدرة
والارادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
ولكن إذا قنع العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة للرؤية تكون مواقة للتخيلة وإنما الافتراق بعز يد الوضوح والكشف فان صورة
الرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشيء يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء
التأثير ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تفرق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف، فاذن
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وهي ذلك الرؤية لأنه
غاية الكشف لأنه في الدين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل للكشف في الجبهة أو الصدر
مثلاً لاستحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخييلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً
في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداها أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين التخييل والرئي فيسمى الثاني أيضاً بالإضافة إلى الأول
مشاهدة واقعة ورؤية وهذه التسعة حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن سنة
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون جباباً بين البصر
والرئي ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة سوارض البدن ومقتضى الشهوات

قلة السلام وقلة الطعام
وقلة النوم والاعزال
عن الناس . وانفق
العلماء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
المقامات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدان أبدلاً بتأييد
الله تعالى وحسن
توفيقه وتبيين بالبيان
الواضح أن سائر
المقامات تدرج في
سعة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالمقامات
كلها أو لمّا بعد الإتيان
الثوبة وهي في مبدأ
صحتها تغتر إلى أحوال
وإذا صحت تشتمل
على مقامات وأحوال
ولا بد في ابتدائها
من وجود زاجر

وما عاب عليها من الصمات البشرية فانها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجنان عن رؤية الأصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراني - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أي في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة الميراج (١) . فإذا ارتفع الحجاب بالموث بقت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالسكينة وإن كانت متفاوتة ففها من تراكم عليه الحث والصدأ فصار كالمرآة التي قد بطول تراكم الحث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفية وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد فعوذ بالله من ذلك . ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصفية فيعرض على النار عرضاً يقع منه الحث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كاوردت به الأخبار بسبعة آلاف سنة (٢) . ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وبصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحد من خلقه فانه واقع بعد انقضاء وقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل صفاته ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قنرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيجلب له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالاضافة إلى ماعله كانكشاف تجلي المرآة بالاضافة إلى ما تجليه ، وهذه للمشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية ، فادن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في تمثيل متصور مخصوص بجهة . ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل قبيل كال الكشف والوضوح وتتقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

ووجدان الزاجر حال
لأنه موهبة من الله
تعالى على ما تقرر أن
الأحوال مواهب
وحال الزجر مفتاح
الثوبة ومبدؤها .
قال رجل لبشر الحافي
مالي أراك مهموماً .
قال لأنني ضالٌّ
ومطلوب ظللت
الطريق والتقصّد وأنا
مطلوب به ، ولو
تبينت كيف الطريق
إلى المقصد لطلبت
ولكن سنة الغفلة
أدركتني وليس لي
منها خلاص إلا أن
أزجر فأزجر . وقال
الأصمعي : رأيت
أعرايا بالبرصة
يشتمكون عبيدهم وإسبيل
منها المساء فقاتلوا

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة الميراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أني أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي ذر دل فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناد شيء . مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيت نوراً إلى أراه . رجال إسناده رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى الملك في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمم الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضيف .

الكشف أيضا صورة لأنها هي بعينها لا تفرق منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة المرئية هي التخلية بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبأعينهم يقولون ربنا آتهم لننورنا - إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يؤثر بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن العرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كانت قلب النواة شجرة والحب زرعا ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت العرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لاهلها بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام «إن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة» (١) فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشرة عشره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشرة ولما فضل الناس بسر وقرى صدره فضل لاهلها بتجلّي أقره به وكأنك ترى في الدنيا ما ينمو في لذة الرياسة على الطعوم والتكسوح وترى من يؤثر في لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى التكسوح والطعوم والشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى الطعوم والتكسوح وهؤلاء بينهم هم الذين حالم في الدنيا ما وضعناه من إشارات لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة للتكسوح والطعوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابية ماثولين في الجنة قالت الجارم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يصحبه أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يديم به بينه فقط إلا أنه ينقلب مشاهدة يكشف النقاء فتضعف اللذة به كما تضعف لذة العاشق إذا استبدل خيال صورة الممشوق رؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلأنه له في غيره بل ربما تأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الترفع عنها بالإيمان. فان كانت لذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافا لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضعفها إلى حشد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها. فاعلم أن هذا الاستحقاق لذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن الطوى على معرفة ضيق قلبه مشحون بلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلما رافق في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدل عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لائسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والشاهدة كالأنسبة للذة خيال الممشوق إلى رؤيته ولللذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ولللذة المس باليد إلى لذة الواقع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول

(١) حديث إن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الاستناد والميزان الذهبي أن لدار قطي رواء عن الهاملي عن علي بن عبيدة وقال الدار قطن إن علي بن عبيدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

نفس عنيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا يزرع فالزاجر في الباطن حال بها الله تعالى ولابد من وجودها للثواب ثم بعد الأزجار يجد العبد حال الانتباه. قال بعضهم: من لزم مطالعة الطوارق انتبه. وقال أبو يزيد : علامة الانتباه خمس إذا كر نفسه افتقر وإذا كر ذنبه استغفر إذ ذكر الدنيا استغفر وإذا ذكر الآخرة استغفر وإذا ذكر المولى استغفر . وقال بعضهم: الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفلته أود ذلك الانتباه إلى

لذة النظر إلى وجه المشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المشوق ونقصاته فان اللذة في النظر إلى الأجل أكل لأعماله . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والمشوق فليس التذاه رؤية المشوق في ظلمة أومن وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاه إدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء وإدراكه اللذة الضاحية مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع العوائق للشهوة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاه الصحيح القارغ التجرد فنظر إلى المشوق كالتذاه الخافض للدعور أو الرضا للتألم أو للشغول قلبه بهم من الهمات قدر عائقاً ضيف المشق ينظر إلى وجهه مشوقاً من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حلة اجتمع عليه عقارب وزينار تؤذي بمرئيه وتشتل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة مامن مشاهدة مشوقه فلو طرأت على الصبابة حالة انبهاك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سلباً فارغاً وهجمت عليه الشهوة القوية والمشق للفرط حتى بلغ أقصى الذباب فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يلا الأولى إليها نسبة يستدعيها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة العرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات للتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والتم والحزن وضيق الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا ونقصاتها عن الشوق إلى اللذات الأولى والتفتاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والفتاة إلى اللعب بالسفور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه اللذات ولا ينصور أن يخلو عنها البتة نعم قد تنصف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال للعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب ينفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقدا يدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينقصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة القانية فلا تزال هذه اللذة منصفة إلى اللوات وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة لمي الحيوان لو كانوا يعلمون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في العرفة فان العرفة كالبلد وبهر العرفة لا ساحل له فلا حيلة بكنه جلال الله تعالى فكما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار ملكه وقوت كثر التمتع في الآخرة فتعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله» (١) لأن العرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانتطاع عن علائق الدنيا والتجرد لطلب ويستدعي ذلك زماناً لا يحصى فمن أحب الموت أحببه لأنه رأى نفسه واقفاً في العرفة بالغا إلى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما يحتمله فوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل العرفة . وأما سائر الحائق فنظروهم مقصور على شهوات الدنيا وإن اتسمت

التيقظ فإذا تيقظ
أقرمه تيقظه الطاب
طريق الرشيد في طلب
وإذا طلب عرف
أنه على غير ميل الحق
في طلب الحق ويرجع
إلى باب توبته ثم يعطى
باتباعه حال التيقظ.
قال فارس : أوفى
الأحوال التيقظ
والاعتبار . وقيل :
التيقظ تبيان خط
للسالك بعد مشاهدة
سبيل النجاة . وقيل :
إذا صحت اليقظة كان
صاحبها في أوائل
طريق التوبة . وقيل :
اليقظة خردة من
جهة الولي لقلوب
الحائضين تدلهم على
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي ليحة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ووالد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف في صحته وأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الأمانة والترمذي من حديث أبي بكر أن رجلاً قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم.

أجوا البقاء وإن ضاقت أتموا اللوت وكل ذلك حرمان وخسران معمدرة الجهل والفتنة فالجهل والفتنة مفرس كل شقاوة والسلام والعرفة أساس كل سعادة قد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى الشقى فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها اللبنة سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما تسمى الرضاة الله من المعلومات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن اللبقة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا ينظر إليه ولا يحكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالتصور عن أحد الأبرين ، هذا في حكم الجواز ، فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إلا يجوز إزالة الظواهر بالضرورة والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى)

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فان الآخرة منهاها التقدم على الله تعالى ودرج سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منقصة ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع ولأن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب المبدح حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى يتجس إلى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثل الماء يخرج منه الماء - ما ملئ الله لرجل من قلبين في جوفه - وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ويقدر ما يبق من الماء في الإناء ينقص من الخل المصوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم - ويقول تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان المبدع القيد والمعبود هو القيد به وكل يحب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - رأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال ^{عليه السلام} « أبغض إلي عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله محمدا دخل الجنة (٢) » ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبق فيه شرك للغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله قاله نيا - جنة لأنها مائة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وتقدم على المحبوب لما حال من ليس إلا المحبوب واحد وقد طال إلي معشوقه وتعمداه عنه حبسه على من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبدا بأدأ أسباب ضعف حب الله في القلوب بقوة حب الدنيا ومحبة أهل المال والولد والأقارب والنساء والبساتين والتزهات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله محمدا دخل الجنة تقدم .

يقضه قل بذلك إلى مقام التوبة فهذه أسواق ثلاثة تقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى الحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالحاسبة .
تدل عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا ونزبوا لغيركم الأكر على الله يومئذ تصرضون لا تخفى منكم خافية - والحاسبة بحفظ الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإشغال الهمة ويعلم البدر أن

حتى إن التفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأشجار ملئت إلى نعم الدنيا وتعرض لنقص حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنسى بالدنيا فينقص أنسه بقاءه ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدرة من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من للشرق إلا ويبعد بالضرورة من الغرب بقدرة ولا يطيب قلب امرأته إلا ويتقرب به قلب ضرتها بالدنيا والآخرة ضربتان وهما كالشرق والغرب وقد انكشف ذلك كدوى القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاشتياق إليهما بزم الحوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الإيمان بقاءه واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الحوف والرجاء ويتشعب منها التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميع طهارة القلب عن غير الله قطع حتى يتسعم بعده لزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شوائب الدنيا وعلاقتها بمجرى مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الخشيش وهو الشطر الثاني ثم يتوله من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي السكمة الطيبة التي ضرب الله بها ملائحته قال - ضرب الله مثلاً كلة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - وإليها الإشارة بقوله تعالى - إليه يعصم السكك الطيب - أي المعرفة - والعمل الصالح بفرقه - فالعمل الصالح كالخالد للجنة والمعرفة كالخادم وإتمام العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا للهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإتمام الأول علم العاملة وغرضه العمل وغرض العاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويتبين بلم المعرفة وهو علم الكشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبينها المحبة بالضرورة كما أن من كان متدلاً المزاج إذا أبصر الجليل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت الفذة فالله تعالى تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شوائب الدنيا من القلب إلا بالفكر الصادق والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعمرون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفنام ثم يترقون منها إلى الفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وبقوله تعالى - شهد أقدمه أنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له لم عرف ربك قال عرف ربى وربى ولولا ربى لما عرف ربى وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق - الآية - وبقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وبقوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وبقوله تعالى - الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خالق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خاشعاً وهو حير - وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر . فان قلت كلا الطريقين مثلكل فأوضح لنا منهما

(١) حديث الطهور شطر الإيمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لعله سبحانه بعده واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستبد به الهوى وتستره الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية أداء حق الربوبية وبرايق العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرباطة ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل المقدن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الصرع تسكت في

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى الهبة . فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستقمام بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيرادها في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشؤون الدنيا وحفظ النفس واللحاف من ذكر هذا اتساعا وكثرة وانتساب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية إذ ما من ذرة من أطن السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى - قل لو كان البحر مدادا للكتابات لرفق لنفذ البحر قبل أن تنفذ كتابات ربه فالحوض فيه انقصاص في بحر علوم للكشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم العامة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليتم التنبيه لفنسه . فنقول : أسهل الطريقين النظر إلى الفضائل فلتتكم فيها ولنترك الأعلى ثم الفضائل الإلهية كثيرة فطلب ألقها وأحضرها وأصغرنا ولنظر في عجائبها فأقل الخلق هو الأرض وما عليها أعنى بالاضافة إلى اللائكة وما كوت السموات فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة وثلاثين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالاضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالاضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لانبية لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكرسي خليفة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادر وما أضر الأرض كلها بالاضافة إليها بل ما أضر الأرض بالاضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ «الأرض في البحر كالاسطبل في الأرض» (١) ومصدق هذا عرف بالاشاهدة والتجربة وعلم أن للكشوف من الأرض عن اللاء بكثرة صغيرة بالاضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الأبيس الخلق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغرها بالاضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البوض على قدر صغر قدره وتأمله بقول حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه القيل لزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضاء الظاهرة فأنتب جناحه وأخرج يده ورجله وشق صممه وبصره ودير في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والماضية ماركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هديته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشره الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يرضيه الخرطوم وكيف علمه اللس والتجرج للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته عجوا حتى يجري فيه الدم الرقيق ويتبى إلى باطنه وينتثر في سائر أجزائه وينغديه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصد يده فسلمه حيلة الحرب واستعداد آله وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعيدة عنه فترك اللس ويهرب ثم إذا سكنت اليد يود ثم انظر كيف خلق له حدقين حتى يصير موضع غذائه فيقصد مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حدة كل حيوان صغير لما لم يحتمل حدة الأجنان لصغره وكانت الأجنان مصقلة لمرأة الحدة عن القذى والتبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالاسطبل في الأرض لم أجده أصلا .

القلب نكته سوداء
وتنفذ عليه غفدة
والنفذ المحاسبين
الباطن لصلابة يضبط
الجوارح ويعقق مقام
الحاسبة فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق
على أجزاء وقته إلى
الصلاة الأخرى فلا تزال
صلاته متوارة بنور
وقته ووقته متوارة
معمورا بنور صلاته .
وكان بعض المحاسبين
يكتب الصلوات في
قرطاس ويدع بين كل
صلتين يابضا وكما
ارتكب خطيئة من
كله غيبة أو أمر آخر
خطا وكما تكلم
أو تحرك فيها لا يجنيه
قطعة ليشعر
ذنبه وحركته فيها

قرأه على الدوام يمسح حديقته يديه وأما الإنسان والحيوان الكبير خلق لخدمته الأجنان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع القبار الذي يلحق الحديقة ويرمي إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان القبار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول القبار ولا يمنع الإبصار وأما البؤس فخلق لها حذقتين مصقلتين من غير أجفان وعليها كيفية التصقيل باليدين ولأجل ضعف أبصارها تراها تهافت على السراج لأن بصره ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الوضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يصبها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لقصاها وجهها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الأكباد على الشهوات الدنيا صورة الفرائش التي تهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن يغمس فيها ويتبدد بها وهلاك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي كجهل الفرائش فاتها باعترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أومدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني محمك بحجركم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفرائش» (١) فبذره لمعة بحجة من محاب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من المعانيب ما واجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه وعجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهرها صورته فأما خفاها معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان نبات أعجوبة وأعاجيب نخسة لا يشاركها فيها غيره فانظر إلى الدحل ومحابها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يجامعون وكيف استخرج من لهاها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت محاب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترارها عن التماسات والأقدار وطاعتها لواحد من جملة ما أكرمها وأكبرها شخصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى أنه يقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها محبا آخر العجب إن كنت بصيراً في نفسك وفارغاً من هم بطوك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أفرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بانها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل السدس فلابتني بيتاً مستديراً ولا مبرها ولا عسها بل سدساً لحافية في الشكل السدس بقصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوال المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ضاممة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لا تضع الزوايا فبقى قارعة ثم لو بانها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضاممة فإن الأشكال للمستديرة إذا جمعت لم تجتمع مترامة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراس الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا للسدس وهذه خاصية هذا الشكل فالنظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطائفه

(١) حدث إني محمك بحجركم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفرائش متفق عليه من حديث أبي هريرة ، بنى ومثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفرائش يقعن فأتانا أخذ بحجركم وأنتم تفتحمون فيه لفظ مسلم واقصر البخاري على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجركم وأنتم تفتلون من يدي .

لا يعبه لضيق المحاسبة
مخاري الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء
لوضع صدقة في حسن
الافتقار وحرصه على
تحقيق مقام العباد وهذا
مقام المحاسبة والرياسة
يقع من ضرورة صحة
التوبة . قال الجنيد : من
حسن رعايته فاست
ولا ينه . وسئل
الواسطي : أي الأعمال
أفضل قال مراعاة السر
والمحاسبة في الظاهر
والمراقبة في الباطن
ويكمل أحدهما بالآخر
وبهما تستقيم التوبة
والمراقبة والرياسة حالان
شريفان وصبران
مقامين شريفيين
صحاح بصحة مقام
التوبة وتستقيم التوبة

لعلنا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتنبأ بشيئه فسبحانه أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر هذه اللمعة البسيرة من عتبرات الحيوانات ودع عنك محابب ملكوت الأرض والسماوات فإن القدر الذي بلغه فهما القاصر منه تنقضي الأعمار دون إرضاه ولا نسبة لما أحاط به علنا إلى ما أحاط به السماء والأنبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما انتأثر الله تعالى بطله بل كل ما عرفة الحق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالبا لصداقة الله تعالى فأنبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فمسالك تحظى منها بقدر يسير ولكن تال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا يفرقون في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت معهم فخلقونها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما يطلعوها على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتخيّلون هم الضالون والمارفون بالحقائق هم القربون وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من القريبين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لانهم الأمور إلا بالاشك فالنضرب لتمامات الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يصف علمه مجالا وأقبحه يعرفه - فعلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وجبه له أشد فأن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأجعب تضاعف لامحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذفه وصنفته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفنائل والعامي قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري مافي التصنيف فيكون له معرفة مجمل ويكون له محبة ميل مجمل والبصير إذا فقه عن التصنيف واطلع على ما فيها من الجائبات تضاعف حبه لامحالة لأن محب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والصف والخلق بعلمته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي - لم ذلك ويعتقد وأما البصير فإنه يطالع فضيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويحير فيه له ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلا ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد بمعرفة حبه وبمعرفة هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى محرا لاساحل له فالجزم تهوت أهل المعرفة في الحب لاسحره وبما تفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب المحمّلة التي ذكرناها للحب فإن من محب الله مثلا لكونه محسنا إليه منها عليه ولم يحبه لكانه منصف محبة إذ تثير بغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعاء وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجهاله وعجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فزاد وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب لتفاوتهم في معاداة الآخرة وقد قال تعالى - ولا تحزنوا كبر درجات وأكبر فضيلا -

على الكمال بهما
فصارت المحاسبة
والرقابة والرعاية من
ضرورة مقام التوبة .
أبرنا بورعة وإجازة
عن ابن خلف أبي بكر
الشيرازي قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن
الغفاري يقول سمعت
الجريري يقول أمرنا
هنا مني على ضلعي
وهو أن نلزم ضحك
للراقة تعالى ويكون
العلم على ظاهره قائما .
وقال للرحمن: للراقة
مراعاة السر للاحطة
الحق في كل لحظة
ولقطة قال الله تعالى
- ألن هو قائم على
كل نفس بما كسبت -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر الوجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفة أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسرها على العقول وترى الأمر بالصدق من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر الوجودات وأجلها معنى لانتميه إلى المثال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الوجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطابة أجلي عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهرته وغضبه وخلقه ومهته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كقدر طول واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتفق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بغياطه وحركته فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته لمناغليه لإدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل مناشهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وساء وأرض وكوكب وبر ومجر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهدنا مادة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وسكته والوجودات للمدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسننا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شئ داخل قوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فاتها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولئك التركيب أعضاءنا واتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شئ مدرك وعحس ومقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبرت العقول ودهشت عن إدراكه فان ما تنصرف عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغوصه وذلك لا يخفى مثاله . والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كإن الحفاش يصير بالليل لا يصير بالهار لاختفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصير الحفاش ضعيف ببه نور الشمس إذ أنشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إلا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحصر الإلهية في نهاية الإشراف والاستتار وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره مسبب خفاءه فيسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اخفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تسبحان بأمدادها ومعهم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأغياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس الشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرش من الأعراض يحدث في الأرض وزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الانشراق لا غرب لها لكانت نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال
ومعرفة الزيادة
والقصان وهو أن يعلم
ميار حاله فيما بينه
وبين الله وكل هذا
ملازم لصحة التوبة
وصحة التوبة ملازم لها
لأن المخاطر مقدمات
العزائم والعزائم
مقدمات الأعمال لأن
المخاطر تحقق إرادة
القلب والقلب أمير
الجوارح ولا تحرك
إلا بتحريك القلب
بالإرادة وبالمرابطة
حسم مواد المخاطر
الردية فصار من تمام
المرابطة تمام التسوية
لأن من حصر المخاطر
كفى مؤنة الجوارح لأن
بالمرابطة اصطلاح عروق
إرادة للكارة من

فأنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت للواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فقلنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واضئت بضعة فارتقتا عند العروب ففرقا وجود النور بعده وما كنا نطلع عليه لولا بعده إلا بصر شديد وذلك لمشاهدة الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذامع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبصارهم أمره اسبب ظهوره لولا طريق ضده فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولسكن دلالاته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال لا يتغير لضعفه فلا جرم أورت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته ولم يصف منه فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما الوجود واحد الحق الذي بوجوده الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه التفاعل ويضعف عن العمل من حيث إنه محم وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورعى آثاره من حيث أثره لامن حيث إنه حبر وعفص وزاج ورقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى في نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه إنه في التوحيد وأنه في عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا فقينا عنا فقينا بلا نحن فبهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء باعن إشباحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للعرض إلى الأفهام أو اشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يسهل فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه نالدركات كلها التي هي شاهدة على أن الله يدركها الإنسان في الصبا عند قد العقل ثم تبدو فيه غرزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق فيهم يشهونه وقد نس بمدركاته ومحسوساته وأهملها فسقط وقها عن قلبه بطول الأتس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارجا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمرقة طبعيا فقال سبحانه الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطمة لا يحسن بصيادتها لطول الأس بها ولو فرض أنه بلغ غلاته ثم انشغمت غشاوة عينه فامتنع بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة تخلف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقهم فهذا أمثاله من الأسباب مع الانهالك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسياسة في مجارها الواسعة فالتاس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب بالثلل إذا كان راكبا لجماره وهو يطلب حماره والحيات إذا صرت مطلوقة صارت معناسة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ذلك قيل:

قد ظهرت لما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يفسر العمرا
لكن بطن بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

القلب وبالهامة
استدراك ما اختلف
من المراقبة. أخبرنا
أبو زرعة عن ابن
خلف عن السلي قال
سمعت أبا عبد الله القري
يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في هذا
الطريق الهامة
والمراقبة وسياسة
العمل بالعلم وإذا صحت
التوبة صحت الإجابة
قال إبراهيم بن آدم
إذا صدق البصير في
توبته صار متبنا لأن
الانابة تأتي درجة
التوبة وقال أبو سعيد
القرشي المنيب الراجح
عن كل شيء يشغله
عن الله إلى الله وقال
بعضهم الانابة الرجوع
منه إليه لامن شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار والنظر بأبواب البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيسكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشق إلى الله في غيبته لا محالة فأما الحاصل الحاضر فلا يشق إلى الله فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر للوجود لا يطلب ولكن ياتيه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشق إلى الله فإن من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشق إلى شيء وما أدرك بكامله لا يشق إليه وكال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوماً للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يشق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه ومن وجهين لا ينكشف إلا بالاعتناء بالشهادات . فقول مثل من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فهو انحس عن قلبه ذكره وخیاله ومعرفة حتى نسيه لم يتصور أن يشق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشق في وقت الرؤية فمن شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قدره في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ونعم الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسن فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوحيان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما انتبه للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحاً غاية الانضاج بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فإن الخيالات لا تنفرد في هذا العالم عن التخيل والها كما تلجع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنصتات وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وعلم إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة وجوب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين وهذا أسد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيها انضاجاً ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غائصة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالعلم الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من الشائقين فقال قلت ذات يوم يارب إن أعطيت أحداً من المؤمنين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطي ذلك فقد أضربني القلق قال فرأيت في النوم أنه أوفى بين يديه وقال يا إبراهيم أما استجيت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءي وهل يسكن الشائق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم أدرك ما أقول فاغترلى وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه ما أن لا يكون له نهاية لافي الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للبدن في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وسكنته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالماً بأنه في من المحال والمحال ما لم ينفع له فلا يسكن قط شوقه لاسمها من يرى فوق درجته مدرجات كثيرة إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد ذلك شوقاً لا يظفر فيه أم ولا يمد أن تكون

غيره فمن رجح من غيره إليه ضيق أحد طرفي الانابة والنيب على الحفيظة من لم يكن له مرجح سواء فرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شيقاً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة . قال أبو سلمان ما استجست من نفسي عملاً فأحسبه وقال أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئاً من أحواله في حال إرادته حدث عليه إرادته إلا أن يرجع

أطراف الكشف والظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعم واللذة متزايدة أبداً لا يباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعم شاغلة عن الاحساس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيها لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمر على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أئتم لنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأعمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور وعتمل أن يكون للراية بأعمام النور في غير ما استعار في الدنيا استشارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى - انظرونا نقب من نوركم قبل أرجوا ورءكم فالتقوا نوراً - يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً فإما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم يشكف لثانيه بعدما يوتى به ففسأل الله تعالى أن يزيدها علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر ككشف لخصائص الشوق ومعانيه. وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن نحصى فها أشهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك (١) » وقال أبو البرداء، كتب أخبرني عن أخيه أبي بني في التوراة فقال يقول الله تعالى: طالع شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقاءهم لأعبد شوقاً قال ومكتوب إلى جانبها من طلبة وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فقال أبو البرداء، أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال يادادو أبلغ هل أرى أي حبيب لمن أحيى وجلس لمن جالس ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبي ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأجبتة حيا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبة الحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فأرضوا بأهل الأرض ما أتم عليهم من غرورها واهلوا إلى كرامتي ومصاحبي ومجالستي وانفسوا إلى أوائسكم وأسارع إلى محبتكم فاني خاتمت طلبة أحيائي من طلبة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب الشائقين من نوري ونعمتها بجلاي . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكركم وينظرون إلى وأناظر إليهم فان حدثت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عنهم مفك قال يارب وما علمتهم قال براعون الظلال بالتيار كما يراعي الراعي الشفيق غنموه يحون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب فإذا جنم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرس ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بمحبته فصبوا إلى أقدامهم واقترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتعلقوا إلى باضامي فيبين صارخ وبالك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعني مجتمعون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حي أول ما أعطيهم ثلاث : أفند من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم . والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه يادادو إلى كم تذكر الجنة ولا تنسأني الشوق إلى قال يارب من الشائقين إليك قال ان للشائقين إلى الدين صفيتهم من كل كدر ونهبهم بالخدر وخرقت من قلوبهم إلى خرقا ينظرون إلى واني لأحمل قلوبهم بيدي فأضيها على سماءي ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا (١) حديث أنه كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت الحديث أحمد والحاكم وتقدم في الدعوات .

إلى ابتداءه فيروض نفسه ثانياً ومن لم يكن فيه ميزان الصدق فيها له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الأنفال من ضرورة صحة الانابة وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة إلا بسبق المجاهدة ولا يسدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر. وروى فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك إلا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله يكوف لهم عليه وصديق الرقابة له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لي فأقول إنني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب الشقائق إلى وأباهي بكم أهل الشوق إلى فإن قلوبهم تنفض في سبيلي لئلا تنكس كما تنفض الشمس لأهل الأرض. يادادو إنى خلقت قلوب الشقائق من رثنواي ونصتها بنور وجهي فأنخذتهم لنفسي محدني ، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلى زبدادون في كل يوم شوقا . قال داود يارب أرني أهل محبتك ، قال يادادو أنت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شبوخ وفيهم كهول فإذا أنشيتهم فأفرهم مني السلام وقل لهم إن ربكم يفرحكم السلام ويقول لكم الأنسألون حاجة فانكم أحيائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم فأنام داود عليه السلام فوجدتم عند عين من العيون يشكرون في عظمة الله عز وجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليترقوا عنه ، قال داود إن رسول الله إليكم جيشكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماهم نحو قوله وألقوا أقسامهم إلى الأرض ، قال داود إن رسول الله إليكم يفرحكم السلام ويقول لكم الأنسألون حاجة الاتنادوني أجمع صوتكم وكلامكم فانكم أحيائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيرة الرقيقة . قال بغرت الدومع على خدودهم ، فقال شيخهم سبجناك سبجناك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا . وقال الآخر . سبجناك سبجناك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبجناك سبجناك نحن عبيدك وبنو عبيدك أنيجرتي على الدماء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فألم لنا زوم الطريق إليك وأنهم بذلك اللثة علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بجودك . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتمسك في عظمتك أنيجرتي على السلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وعلتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كنت ألسنتنا عن دعاتك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة متك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هدبت قلوبنا فذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إتمامها النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجتري البعد على سيده إذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا تهدي به في الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا وتدعنا عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيها وهبت لنا ونفضت به علينا . وقال الآخر : لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تمنى عني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أوليائك فامتن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك . فأحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأحببتكم إلى ما أحببت فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سرياً فاني كاشف المحجاب فيها بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي . فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكشف عن الدنيا وأهلها والمحلات في مناجاتهم لي وإن هذا منزل لا ياله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولربشتل شيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف المحجاب فيها بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأربه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ، إن

الحواطر والصبر
ينقسم إلى فرض
وفضل فالفضل كالصبر
على أداء للقرضات،
والصبر عن المحرمات
ومن الصبر الذي هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى وسكان
المصائب والأوجاع
وترك الشكوى
والصبر على إخفاء
الفقر، والصبر على كتم
النسب والكرامات
ورؤية العبر والآيات
ووجوه الصبر فرضا
وفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهذه الأقسام من
الصبر ويضيق عن
الصبر على الله بفروم
صفة المراقبة والرباطية

مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيرة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا
 فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لا يغتر عن الاشتغال به .
 يستعجلني القدم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلتي لا يرى غبرى ولا أرى
 غيره . فلو رأيته يادادود وقد ذابت نفسه وتخلل جسمه وتهشمت أعضاؤه وأخلع قلبه إذا سمع
 بذكرى أباهى به ملاسكتى وأهل مساكنى يزداد خوفاً وعبادة ، وعزى وجلالى يادادود لأقصدته فى
 الفردوس ولأعفين صدره من النظر إلى حق يرضى ونوق الرضا . وفى أخبار داود أيضاً : قل
 لىبادى للتوجهين إلى محبى ماضركم إذا احتجبت عن خلتي ورفست الحجاب فيما بيني وبينكم
 حتى تنظروا إلى بيوت قلوبكم وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت دوى لكم وما
 ضرركم مسخطة الخلق إذا التمس رضى . وفى أخبار داود أيضاً : إن الله تعالى أوصى إليه نزع
 أنك تحبى ، فإن كنت تحبى فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب .
 يادادود خالسى حببى محالة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك قهدينه ولا تقلد دينك الرجال ، أما
 ما استبان لك بما وافق محبى فتسلك به ، وأما ما أشكل عليك فتقديه حقاً على آتى أسارع إلى
 سياستك وتقولك ولكن قائمك ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعنيك على الشدائد
 وإن قد حلفت على شئى آتى لا أتبب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كفه بين
 يدي وأنه لا غنى به عنى ، فإذا كنت كذلك نزعته القلة والوحشة عنك وأسكن التقي قلبك
 فأتى قد حلفت على شئى أنه لا يطمئن عبدى إلى نفسه ينظر إلى ضالها إلا وكلته إليها أضفت
 الأشياء إلى لاخاد عمالك فحكون متنبها ولا يتنفع بك من مصحك ولا تجد لمرقى حدا فليس
 لها غاية ، ومتى طلبت منى الزيادة أعطيك ولا تجد للزيادة منى حدا ، ثم أعلم بنى إسرائيل أنه
 ليس بيني وبين أحد من خلتي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أجمع لهم مالا عين رأت ولا
 أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمنى بين عينيك وانظر إلى بصير قلبك ولا تنظر بينك
 التى فى رأسك إلى الدين حببت عقولهم عنى فأمرجوها وسخت باططاع ثوابى عنها فأتى حلفت
 بمرقى وجلالى لا أخرج ثوابى لىبد يدخل فى طاعنى للتعجربة والتسويق تواضع لمن تملنه ولا تطاول
 على الرديدين ، فلو علم أهل محبى منزلة الرديدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها . يادادود
 لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كتبته عندي
 جهيدا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين . يادادود : تمسك بكلامى وخذ من تسك
 لنفسك لا تؤثمن منها فأحجب عنك محبى لا تؤيس عبادى من رضى اقطع شهوتك لى قائما
 أعبت الشهوات لفسخة خلتي مابال الأقوياء أن يتلوا الشهوات قائما تنقص حلاوة مناجاتى ،
 وإنما عقوبة الأقوياء عندي فى موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فأتى
 لم أرض الدنيا لطيبى وزهنت عنها . يادادود : لا تحبلى بيني وبينك قالما يصحبك بسكره عن
 محبى . أولئك قطع الطريق على عبادى الرديدين استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ،
 وإياك والتجربة فى الإنظار فإن محبى لعموم إيمانه . يادادود تحب إلى بمعادة تسك امنمها الشهوات
 أنظر اليك وترى المحب بيني وبينك مرفوعة إنما أداربك مداراة لتقوى على ثوابى إذا مننت
 عليك به وإن أحسبه عنك وأنت متمسك بطاعنى . وأوحى الله تعالى إلى داود يادادود لولم لا بدرون عنى
 كيف انتظارى لهم وورقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما اتوا شوقاً إلى وتقطعت أوصالهم من محبى

ونفى الخواطر ، فاذن
 حقيقة الصبر كاتبة
 فى التوبة ككينونة
 للراقة فى التوبة
 والصبر من أعز
 مقامات الوقتين وهو
 داخل فى حقيقة
 التوبة . قال بعض
 العلماء : أى شئ
 أفضل من الصبر
 وقد ذكره الله تعالى
 فى كلامه فى نيف
 وتسمين موضعا وما
 ذكر شيئا بهذا العدد
 وصحة التوبة تحوى
 على مقام الصبر مع
 شرفه . ومن الصبر
 الصبر على النعمة ،
 وهو أن لا يجرفها
 فى معصية الله تعالى
 وهذا أيضا داخل
 فى صحة التوبة

يادادوه هذه إرادتي في الدبرين عنى فكيف إرادتي في المقبلين على يادادوه أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما أكون بعدي إذا أدر عنى وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإجماع تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

(بيان عجة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك . ولتقدم الشواهد على معنيته ، فقد قال الله تعالى - يحيم ومحبونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فلم يمدكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والثابت من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تنزهه الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال - إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب » (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » (٣) وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » (٤) الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورد من أنظار المحبة خارج عن الحصر ، وقد ذكرنا أن عجة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الوافق والعشق عبارة عن الميل الغالب القلبي ، وقربنا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والمحبة يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسمى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليها بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود التبويع ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التباعد في سائر الأسماء

(١) حديث أسى إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والثابت من الذنب كمن لا ذنب له في ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود تقدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم وصححه اسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محبة الناس والصبر على الجحود والتواضع والذل داخل في الزهد وإن لم يكن دخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوب من القامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركها وتركها بالنوبة

أظهر كالم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضح اللغة إنما وضع هذه الأسماء أولا للخالق فان الخلق أسبق إلى العقول والأنهم من الخالق فكان استعما للخالق حق الخالق بطرق الاستعارة والتجوز والنقل والمجبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملامح وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما واقعها فتستفيد بنيله كالا فتلتذ بنيله وهذا عمل على الله تعالى فان كل كمال وجمال وهناء وجلال يمكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدد ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الليثي رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - عجبهم وعجبونه - فقال بحق عجبهم فانه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ حبه لصاحبه فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأول حبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بمحدث السبب للفتنى له كما قال تعالى ولا يزال عبيدي يتقرب إلى بالتوازل حتى أحبه فيكون تقربه بالتوازل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى واطفاه به فهو معنى حبه ، ولا يفهم هذا إلا بالاعتلال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوة أوليسترخ مشاهدته أوليسترخه في رأيه أوليسترخه أسباب طعامه وشرابه فيلزم أن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق للملائم له وقد يقرب عبدا ولا يتمتع من الدخول عليه إلا بالاتفاق به ولا بالاستعجاب به ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق الرضية والحاصل الجميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الجميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وجب نفسه إلى الملك فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني بالمعنى الأول وإنما يصح تخيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسيباع والاشياطين والتخلق بكمال الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا لصار قريبا قد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد قد تغير وصف العبد والرب جميعا فصار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال بل لا يزال في نموت الكمال والجلال على ما كان عليه في أول الأزال ولا يتكشف هذا الاعتلال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التلذذ يطلب القرب من درجة متذاته في كمال العلم وجهاله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالتزول إلى درجة تنفيذ والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترق إلى أن يقرب من أستاذة والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب فكذلك صار أكل صفة وأهم علما وإحاطة بمقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن

فالنفس اذا تركت
بالتوبة النصح زالت
عنها الشراسة الطيبة
وقفة الصبر من وجود
الشراسة للنفس وإبائها
واستصاها والتوبة
النصح تلين النفس
وتخرجها من طبيعتها
وترواها إلى اللين
لأن النفس بالمحاسبة
والمرقبة تصفو وتنطفيء
نيرانها للتساجدة
بتأية الهوى وتبلغ
بطمانيتها محل لرضا
ومقامه وتنطق فيه
بجاري الأقدار قال
أبو عبد الله التياجي
قد عباد يستحيون
من الصبر ويتلقفون
مواضع أقداره بالرضا
تلقافا ، وكان عمر بن
عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله، نعم قد يقدر التليد على القرب من الأستاذ على مساوئ على مجاوزته وذلك حتى حق الله تعالى فانه لا نهاية لأكمله وسواك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينهي إلا إلى حد محدود لا يقطع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله للعبد تفرقه من نفسه بدفع الشواغل والمناهي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقدر له فلا جرم يشاقق إلى مفاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والمحبة بهذا المعنى حال على الله تعالى . فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب الحب البالغ اقتناه قليل وما اقتناه ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً (١)» فعلامته محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل ليسى عليه السلام لم لا تشترى حماراً فتزكبه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشاقق عن نفسه بحمار ، وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه (٢)» وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يتليك فاعلم أنه يريد يصافيك ، وقال بعض المريدن لأستاذة قد طوالت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فأثرت عليه إياه قال لا قال فلا تقطع في المحبة فانه لا يعطيه عبداً حتى يبلوه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه (٣)» وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً أيسره ويسوب نفسه (٤)» فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله . وأما الفصل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو الشير عليه والدبر لأمره والزرني لأخلاقه وللمستعمل لجوارحه والسدد لظواهره وباطنه والجناح همومه وأحداً والبيض لدنيا في قلبه واللوحش له من غيره والثؤنس له بلدة الناجاة في خلواته والكشاف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا أمثاله وهو علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعيها كل واحد وما أسهل الدعوى وما أعز للمنى فلا ينبغي أن يفتخر الإنسان بتألييس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتمتعها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتجارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة النار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقائه وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموث فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه فان الحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولم في مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً يسره يسوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس زيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالي سرور
إلا مواقع القضاء قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأبي عباس
حين وصاه «اعمل لله
باليقين في الرضا فان لم
يكن فان في الصبر
خيراً كثيراً» وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من خير
ما أعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له»
فالأخبار والآثار
والحكايات في فضيلة
الرضا وشرفه أكثر
من أن تحصى والرضا
نمرة التوبة النصوح
وما تخلف عيد عن
الرضا لا يتخلفه عن
التوبة النصوح فاذن
تجمع التوبة النصوح
حال الصبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليقيم بمشاهدته واللوت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة . قال صلى الله عليه وسلم لمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ^(١) وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود قدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله بقتل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لمعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق جميل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته مريء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من اللوت وهو مدركك وإن ضيقت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من اللوت ولني تمجزه ، وروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فلما رأوا فاجية فطعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا قتبت العدو غدا فقتل رجلنا شديدا بأمة شديدا حرده أقاتله فيك وقاتلني ثم يأخذني فيجده أني وأذني ويقر بطني فاذا القتيت غدا قلت يا عبد الله من جدد أفنك وأذنتك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أشه وأذنه لملعتان في خطب ^(٢) قال سعيد بن المسيب أرجو أن يرى الله آخر قسمه كما أرى أوله ، وقد كان الثوري وجبرا الحافي يقولان لا يكره اللوت إلا حرب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البيهقي لبعض الزهاد أعجب الموت فكانته توقف فقال لو كنت صادقا لأحبته وتلا قوله تعالى - فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - فقال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمين أحدكم الموت ^(٣) فقال إسماعيل لضر نزل به لأن الرضا قضاء الله تعالى أفضل من طلب القرار منه . فان قلت بمن لا يحب الموت فهل يصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب وبدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة قريش في ذلك وقالوا أنسكت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنسكته بإها وهي أعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من ضلته فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولدك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليظفر إلى سالم ^(٤) » فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيجبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون تميزه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فلما رأوا فاجية فطعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا قتبت العدو غدا فقتل رجلنا شديدا بأمة شديدا حرده أقاتله فيك وقاتلني ويجمع أني وأذن الحديث الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واسناده جيد (٣) حديث لا يتمين أحدكم الموت لضر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة قريش في ذلك وفيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليظفر إلى سالم » أنه من حديث حذيفة وروى أبو يعين في الحلية الرفوع منه من حديث عمر أن سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية له إن سالما شديدا يحب الله عز وجل ولم يخف الله عز وجل ما عصاه وفيه عبد الله بن لهيعة

ببقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره
محلته قبل أن يستمد اللقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصفه الحبيب بقدم
حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليبيى له داره ويعد له أسبابه ليقائه كما بهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظاهر عن المواقف فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته
الدعوى في العمل واستغراق القلب في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه
في ظاهره وباطنه فيقوم مشاق العمل ويحنت اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال
مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالدوافع وطالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب
في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالإيثار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
لحاجة بما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقى مستمراً على متابعة الهوى
فحبوبه ما بهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب فتح الهوى فلم يبق له تنعم بشير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه
نهاراً فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلاً سوفت به إلى التهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدين وجاهلها نبيين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه ، فاذن من أحب الله
لا يصيبه ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تصلى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعل بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضاً :

وأترك ما أهوى لما قد هويت به فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسى
وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل
صار حبيباً وإنما الحبيب من اجتنب للناهي وهو كال قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال
تعالى - يحبه ومحبوه - وإذا أحبه الله تولاوه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهوته فلا
يغذله الله ولا يكله إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكي
بالله نصيراً - فإن قلت فالصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فك
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تنصف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى
« أن نبيان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قلب فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن
آتى به يوماً فلهذه فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لآلئنه فإنه يحب الله رسوله (١) » فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة، نعم يخرج به بالمصيبة عن كمال الحب

(١) حديث آتى نبيان يوماً فلهذه فلعنه رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لآلئنه فإنه يحب الله
ورسوله البشارى وقد تقدم .

يغاف ه وجاء في تفسير
قوله تعالى سولاً تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة
هو البسد يذنب
الكبائر ثم يقول قد
هلك لا ينبغي عمل
فالتائب خاف ظن
ورجال المفرة ولا يكون
التائب تابياً إلا هو راج
خائف ثم إن التائب
حيث قيد الجوارح عن
السكران واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
بشكر النعم لأن كل
جارية من الجوارح
نعمة وشكرها قيدها
عن العصية واستعمالها
في الطاعة وأى شاكر
للنعم أكبر من التائب
المتقن فإذا جمع مقام
التوبة هذه القامات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض المارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فادخل سويداء القلب أحب الحب البالغ وترك العاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أحب الله تعالى فاسكت فانك إن قلت لا ، كفرت وإن قلت نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر الموت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أطى من نعيم أهل العرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى العرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك . ومنها أن يكون مستترا يذكر الله تعالى لا يفتخر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلمة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب قلبه عهته فالهبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحسوب ومحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسول الله لأنه كلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فأنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فأنما يكرم الله تعالى . وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلالة المتاجرة في سن الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فاقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فماودت إلى حالي . وقال ابن مسمود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل رحمته الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا وبلغه إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيو اطلب على التهجد وينتظم هذه الليل وصفاء الوقت باقظاع المواقف وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتمتع بمناجاة من كان الزوم والاشتغال بالحديث ألد عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبة قيل لاراهيم بن آدم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخباره ودعاه عليه السلام لاستئناسي إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عني رجلين رجلا استبطأ ثوابي فأقطع ورجلا نسيتي فرضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبة وفي قصة برحق وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برحقا نعم العبد هو لي لأن فيه عينا قال يارب وما عيبه قال يصبغه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلي شي . وروى أن عبدا عبد الله تعالى في غيبة دهرًا طويلا فظفر إلى طائر وقد عتش في شجرة فأوى إليها وصفر عندها فقال لوحولت مسجدى إلى تلك الشجرة فكنت آتس بصوت هذا الطائر

(١) حدث أحبوا الله لما يندوكم به من نعمه الحديث تقدم .

السوية حال الزجر
وحال الانقياء وحال
التبسط ومخالفة النفس
والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والإناية والصبر والرضا
والمحاسبة والمراقبة
والرعاية والشكر
والخوف والرجاء وإذا
صحت التوبة الصوح
وزك النفس انجالت
مرآة القلب وبان قبح
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهد بتحقيق
فيه التوكل لأنه لا زهد
في الوجود إلا لاعناده
على الوجود والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكما بقى
على العبدية في تحقيق
للمقامات كلها بسد
توبته يستدركه

قال قفل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطك درجة لا تتأمله بشئ من محلك أبدا ، فأذن علامة المحبة كال الأنس بمنجاة المحبوب وكان التتم بالحلوة ، وكان الاستيحاش من كل ما ينص عليه الحلوة ويوق عن قلة النجاة وعلامة الأنس مصير العقل والصبر كله مستغرقا بقلعة النجاة كالتدبير مخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه القصة بينهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أمابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الحلوة والنجاة قرعة عينه يدفع بها جميع المحوم بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يهتم أمور الدنيا ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الوطيان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن يذكر حبيبته فالهيب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص حبة الله شغفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحته عن جميع البشر . وقاله طرف بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبي إذا جبه الليل نام عن أبي ليس كل محب يحب لقاء حبيبته فيها أناذا موجود لمن طمئني . وقال موسى عليه السلام: يارب أن أنت فأقصده فقال إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب لقاء بعض نفسه . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس محب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاءه تعالى على لقاء الخلق والباعة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتألف على ما يغتو بمساوي العز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطف والاستغفار والتوبة . قال بعض العارفين إن لله عبادا أحبوه وأطاعوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفاتح فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك ملكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تديره لهم وحق الحب إذا رجع من غفاته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب بأبي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنني نفسي وبمنجاة الشيطان فيخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل السك بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته ويذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستغفلها ويسقط عنه تعها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة . وقال الجنيد علامة الحب دوام النشاط والدروب بشهوة تفرق بدنه ولا تفرق قلبه . وقال بعضهم المدخل على المحبة لا يدخله الفتور . وقال بعض العلماء والله ما اشتغيتي محب لله من طاعته ولوحل عظيم الوسائل فكل هذا أو مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستغفل السعي في هوى معشوقه ويستغفل خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تداوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يستغفل به فكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لاحالة ما هو دونه فن كان محبوه أحب إليه من السكسل ترك السكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه ، وقبل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أجيبك بقلبي كله وأنت معرض عن بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فايش تنفق على قال باصدي أم لك ما أم لك

بهمه في الدنيا وهو ثالث الأربعة . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خير بن قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن السروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بغاطمة رضي الله عنها فرأها قد أحدثت في البيت سرا وزواله في يدها فلما رأى

ثم اتفق عليك روحى حتى تهلك فقات هذا خلق لحاق وعبد اميد فكيف سيد لميود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيا بهم شديدا على جميع أعداء الله على كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحاء بينهم - ولا تأخذهم لومة لائم ولا يصرف عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفون عني كما يكلف الصبي بالشيء وأبوءن إلى ذى ذكرى كما أبوى النسر إلى وكره ويفضون لحارمه كما يفض الجمل إذا حرطانه لا يبالى بل الناس أو كثروا فانظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلا وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فان نام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه عاد وتوسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجدته ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما الخرافة أنه يكف نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن نمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه نضفا في الآخرة فشرابه وعذبه مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه إذ يخرج شرابه بقدر من شراب القربين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لى نعم - ثم قال - يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومن اجتمع من تسنيم عينا يشرب بها المقربون - فإذا طاب شراب الأبرار لشرب الشراب الصريف الذى هو لائقه القربين والشراب عبارة عن جملة نعم الجنان كما أن الكتاب عبارة عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لى عليلين - ثم قال - يشهد القربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارفعهم إلى حيث يشهد القربون وكان الأبرار يجدون المزيد في حلهم ومعرفتهم بقربهم من القربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حلهم في الآخرة - ما خلقه ولا يشك إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكما قال تعالى - جزاء وما قال - أى وافق الجزاء نعمهم قبول الحاصل بالصرف من الشراب وقبول الشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وإن الله لا يخبر ما يقوم حتى يغيرها ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - من كان حبه في الدنيا رجاءه لنعم الجنة والخور العين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فليعب مع الولدان ويتنعم بالنسوان فهناك تنتهى لذته في الآخر لأنه إنما يعطى كل إنسان في الجنة ما تشبهه نفسه وتلقه عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الخور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقون نعم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها يقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون والامجالاة أقولم آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب » (١) ولما قصرت الأفهام عن إدراك معنى عليين عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارة ما القارة وما أدراك ما القارة - ومنها أن يكون في حبه خائفا متضافلا تحت الهيبة والتعظيم وقد بظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين مخاوف في مقام الهيبة ليست لتيريم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابداء وهذا الذى في سورة هود هو الذى شيب سيد

ذلك رجوع ولم يدخل
ثم جنس فجاء ينسكت
في الأرض ويقول
مالى ولادنيا مالى
ولادنيا فرأت فاطمة
أنه إنما رجوع من أجل
ذلك السر فأخذت
الستر والزوائد
وأرسلت بهما مع بلال
وقالت له اذهب إلى
اللى صلى الله عليه وسلم
فقل له قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فأتى
بلال إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
بأبى وأمى قد فلت
بأبى وأمى قد فلت
اذبح فيه « وقيل
في قوله تعالى - إنا
جعلنا ما على الأرض
زينة لها لعلهم أهم

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب الذين آمنوا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مقتصرا على الشطر الأول وقد تقدم والشرط الثاني من كلام أحمد بن أبي الخوارى ولله أدرج فيه .

المهين ^(١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنور - ألا بعدا لمدين كما بدت نمود و إنما نظم هية البعد وخوفه في قالب من ألف القرب وذاته وتنعم به لحديث البعد في حق المبددين بشيب جماعه أهل القرب في القرب ولا يعن إلى القرب من ألف البعد ولا يبيح لحوف البعد من يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب الزيد فانا قدما أن درجات القرب لانهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون » ^(٢) وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة » ^(٣) و إنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا لاضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على القصور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما صنع بالعلم إذا آثر شئوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي فسلم للزيد بسبب الشئوات عقوبة للموم فأما الخصوص فيجبهم عن الزيد مجرد الدعوى والحبب والركون إلى ماظهر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخين ثم خوف فوت مالا يدرك بعد فوته . مع إبراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفور سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فالت فهب ما فالت منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان الحب يلزمه الشوق والطالب الخيث فلا يفتر عن طلب الزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية مماوبة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله للسكر به واستدرجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويفتر بحسن النظر أو بقلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلوم والمقل والدكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحسنة من أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والمرة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرامان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حبه غيره وذلك هو الوقت والسلو عنه مقدمة هذا التمام والأعراض والمحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبروا بشاغبة عن دوام الكرم وملاحة لوظائف الأوراد أسباب هذه العافی ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على التقل عن مقام الحب إلى مقام التفت نمود بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاة الرابطة دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لامحالة فقدته فلا يغلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب بما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فحرقه ومكنه وعلمه فالحب لا يغلو عن خوف والخائف لا يغلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة

(١) حديث شيبتي هود أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي ذر واد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

أحسن عملا - قيل
الزهد في الدنيا . مثل
أمير المؤمنين على بن
أبي طالب رضى الله
عنه عن الزهد فقال
هو أن لا تلبى بمن
أكل الدنيا مؤمن أو
كافر . وسئل الشبل
عن الزهد فقال وبسلك
أمر مقسار الخناج
بموضة أن يزهد فيها .
وقال أبو بكر الواسطي
إلى متى تصول بترك
كيف وإلى متى تصول
بإعراضك عما لا تزن
عند الله جناح بموضة
فاذا صح زهد العبد
صح توكله أيضا لأن
صدق توكله مكنه من
زهده في الوجود فن
استقام في التوبة
وزهد في الدنيا وحقق

حق اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويسد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت ذلك طاقة البشر فاعلموا الخوف يسده ويخفف وقته على القلب فقد روى في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك ففهم في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا يتنفع بشيء ولا يتنفع به شيء فقال له الصديق ربه تعالى قال يارب انقصه من القدرة بعضها فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتاه جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة ففهم أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخبرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيها سألت أعطيتهم كما أعطيتك ففهم من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيت فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاؤه وسكن وصار كسائر المارفين ، وقد قيل في وصف حال المارفي :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الأحرار منهم والعييد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد
قد عزت معانيه وجلت عن الأبصار إلا للتبديد
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عبيد
وللاحباب أفرح بعيد ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجليل رحمه الله ينشد أياتا يشير بها إلى أسرار أحوال المارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الأيات :

سرت بأناس في التيوب قلوبهم خلوا قرب الماجد التفضل
عراسا قرب الله في ظل قدسه تجسول بها أرواحهم وتنقل
مواردم فيها على الز والتهى ومصدرم عنها لما هو أكل
تروح بز مفرد من صفاته وفي حلل التوحيد تنشى وترقل
ومن جد هذا مانتق صفاته وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكم من علمي به ما يصونه وأبذل منه ما أرى الحق ينذل
وأعطي عباد الله منه خفونهم وأمنع منه ما أرى للنعم بفضل
على أن قرع من سرا يصونه إلى أهله في السر والعلن أجمل

ومثال هذه المارفي التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لحربت الدنيا والحكمة تقتضي حمل الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لحربت الدنيا وهدم فيها وبطلت الأسواق ولما بقي بل لو أكل العلماء الحلال لا شغلوا بأنفسهم ولو قففت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن الله تعالى عياها وحش في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخير أسراراً وحكماً ولا منتهى لحكمته كالآفة لا قدرته ، ومنها كتمان الحب واجتباب الدعوى والتوقى من إظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له وهيبة منه وغيرة على سره فإن الحب سر من أسرار الحب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد الحق ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقتراف وتعظم العقوبة عليه في العقب وتسجل عليه البؤى في الدنيا ، نعم قد يكون للحب سكرة في حبه حتى يهدش فيه وتضطرب أحواله

هذين اللقامين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقق بها وترتيب
التوبة مع الرابطة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
العبد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب الشك
شيئاً ثم يرضى من
تطهير الجوارح عن
للصالح إلى تطهير
الجوارح عما لا يليق
فلا يسمح بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
ينقل للعبادة والمجاهدة
من الظاهر إلى
الباطن وتستولى
الرابطة على الباطن
وهو التحقق بعلم
القيام بمحو خواطر
الصية عن باطنه

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لأنه مهمور وربما تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يضيئ القلب به فلا يدفع فيضانه فالتقدير على الكتمان يقول: وقالوا قريب قلت ماأنا صانع بقرب شمع الشمس لو كان في حجرى لمالى منسه غير ذكرى بخاطر يهيج نار الحب والشوق فى صدرى والماجز عنه يقول :

يخفى فيصدى الدمع أسرارہ ويظهر الوجد عليه النفس ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره فى جفنه كيف يكتم وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكثر التبرص به فى كل شئ. ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محمقوت عند المحبين والصلاء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصرى على بعض إخوانه ممن كان يذكر الحجة فرآه مبتلى بالله فقال لاجمه من وجد أُمُ بصره فقال الرجل لكى أقول لاجمه من لم يتم بصره فقال ذو النون ولكى أقول لاجمه من شمر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فان قلت الحجة بمنتهى القامات وإظهارها لإظهار للغير فلماذا يستنكر . فاعلم أن الحجة محمودة وظهورها محمود أيضا وإنما اللوموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والامتكبار وحق الحب أن يتم على حبه الخفى أفضاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغى أن يظهر حبه من غير قصدته إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى أن يكون قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فأما إرادته اطلاع غيره فشرك فى الحب وقاح فيه كما ورد فى الإنجيل إذا تصدقت تصدقت بحيث لاتعلم ثم لك ماضعت يمينك فالتى يرى الخفيات بجزبك ءلاية وإذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لاتعلم بذلك غير ربك فإظهار القول والفعل كله مضموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجبه فيه فأخبر بذلك معروفا السكرخى رحمه الله فقبس ثم قال يا أخى له محبون صفار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم ومعايكره التظاهر بالحلب بسبب أن الحب إن كان عارفا وعرف أحوال اللائكة فى جهنم الدائم وشوقهم للزائم الذى به يسبحون الأليل والنهار لا يفرون ولا يصون الله ما صرمهم وبمعون ما يؤمرون لا تستكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين فى ملكه وأن حبه أخص من حب كل حبه قد قال بعض الكاشفين من المجرب عبت الله خالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها قلت صفا من اللائكة جدد جميع ما خلق الله من شئ قلت من أمم فقالوا نحن المجرى لله عز وجل نبيدهمنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمال فوجها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستنجمته حتى الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، ثم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد أنه قال مرض أسناننا السرى رحمه الله فلم نعرف لملته دواء ولا عرفنا لها صيبا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا فارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى أراه بول عاشق قال الجنيد فصمتت وغشى على ووقعت الفارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فقبس ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت بأستاذ وتبين الحجة فى البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر الفضول
فأذا تمكن من
رعاية الحظرات عصم
عن مخالفة الأركان
والجوارح وتستقيم
توبته قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه
وسلم - فاستقم كما
أمرت ومن تاب
معلك - أمره الله
تعالى بالاستقامة فى
التوبة أمرا له ولأتباعه
وأمرته وقيل لا يكون
التريد مريدا حتى
لا يكتب عليه صاحب
الجمال شيئا عشرين
سنة ولا يلزم من
هذا وجود النصبة
ولكن الصادق التائب
فى النادر إذا ابتلى
بذنوب يمتحن بها القلب
من باطنه فى

لوشئت أنول ماأيس جلدى على عظمى ولا سل جسمى إلا حبه ثم غشى عليه وتدل القشبة على أنه
أضحى في غلبة الوجد ومقدمات القشبة فهذه مجامع علامات الحب ونمائه . ومنها الأنس والرضا كما
سيأتى . وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يشمره الحب فهو ابتاع المحوى وهو
من رفائل الأخلاق ، نعم قد يحب الله إحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون
لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام قالوا
ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانهم وكثرة نعمه فلم يتسالكوا أن أرضوه إلا أنهم قتل بحبهم وتكبر
على قدر النعم والاحسان فأما الخاصة فقالوا المحبة بظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته السكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله إبليس وهو مع ذلك
يحبس على نفسه بحكم الضرور والجبل فيظن أنه يحب لله عز وجل وهو الذى قدت فيه هذه
العلامات أو يلبس بها غافقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك كهداه السوء وقرآه السوء أولئك بضياء الله في أرضه وكان سهل إذا تسكلم مع إنسان قال
يادوست أى بإحبيب قليل له قد لا يكون حبيباً فكيف تحول هذا قال في أذن القائل سرا: لا تخلو
إما أن يكون مؤمناً أو منافقاً فان كان مؤمناً فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقاً فهو حبيب
إبليس وقد قال أبو تراب النخعي في علامات المحبة آياتاً :

لا تخدعن فلاحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
● منها تتمه بحر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالتنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألم العادل
ومن الدلائل أن يرى متبهاً والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متشفهاً متحفظاً من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشمراً في خرفتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافراً نحو الجهاد وكل فصل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنجم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باسكياً أن قد رآه على قبيح ضائل
ومن الدلائل أن تراه مسلماً كل الأمور إلى اللبيك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضياً بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكك بين الورى والقلب محزون كقلب النازل

(بيان معنى الأنس بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الأنس والمحوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب
نظره وما ينطب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب القلب إلى متبى الجمال واستشعر
فصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج لهو حاج إليه وتسمى هذه الحالة

ألفظ حاجة لوجود

النعم في باطنه

على ذلك والتزم توبة

فلا يكتب عليه

صاحب التماس شيئاً

فإذا تاب توبة نصوحاً

ثم زهد في الدنيا

حق لا يهتم في غذائه

لشأنه ولا في عشاها

لأنه لا يرى إلا الدار

ولا يكون له خلق

م يند قد جمع

في هذا الزهد

والفقر والزهد أفضل

من الفقر وهو فقر

وزيادة لأن الفقر

عادم للشيء اضطراباً

والزهد تارك للشيء

احتياراً وزهداً

عققت توكله وتوكله

عققت رضاه ورضاه

عققت الصبر وصبره

في الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشيره القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم اللبالات وخطر إمكان الزوال واليعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تأله خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسياب تفتتها لا يمكن حصرها فالأنس منه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وبطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا قال من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الامكان من مزايا الألفاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهيوته إلا في الانفراد والخفوة كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت؟ قال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل ما يوحش عن الخفوة فيكون من أهل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذته الشياطين لأن الحب يوجب غدوة كلام المحبوب وغدوة ذكره فيخرج من القلب غدوة ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وفي مستأنسا ومن سوى مستوحشا وقيل رابعة ثم قلت عليه الغزلة قالت بركي ملا يميني وأنى بمن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مرت رباب قلت له يا رباب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليمان فقلت الوحدة رأس العبادة قلت يا رباب ما أفل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا رباب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت العامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع الهم فصارها واحدا في الطاعة . وقال بعض الحكماء عجبا للخلق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للآلوه كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرته الخلق والتبرم بهم واستهتاره بغدوة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ويجمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور محالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بغدوة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباثروا روح اليقين واستلأوا ما استوعبوا الترفون وأنسا بما استوحش منه المجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والديعة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهنك علامته وهذه شواهد وقد ذهب بعض التكميليين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال للدرجات بالصائر أكل من جمال البصيرات ولأنه معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بسلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والمشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو مذنوب ولكن عنده غير مبعول وقد قيل :

بحقق حبس النفس
وصدق المجاهدة
وحبس النفس لله
بحقق خوفه وخوفه
بحقق رجاءه وجمع
بالتوبة والزهد كل
القمامات والزهد
والتوبة إذا اجتمع
صحة الإيمان وعقوده
وشروطه يوزن هذه
الثلاثة رابع بهتمامها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال السنية
يكشف بعضها بهذه
الثلاثة وتبين بعضها
متوقف على وجود
الرابع وهو دوام
العمل وكثير من
الزهاد للتحققين بالزهد
للتفريقين في التوبة
تخلفوا عن كثير من
معنى الأحوال لتخليهم

الأنس بالله لا يحويه بطلان وليس يدركه بالحول محتمل
والأنسون رجال كلهم نجيب وكلهم مصفوفة فله عمل
(بيان معنى الانبساط والادلال الذى ثمره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكّم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينفضه خوف التفرغ والحجاب فإنه يثمر
نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والنجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه
من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل عن أقيم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك للقيام وبشبهتهم
في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى بكليمه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل بعد أن قطعوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف استجب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم
سرارهم خبيثة يدعوهم على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له
يخرج حتى استجب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى في طريق
إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فرفعه موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما صمك فقال اسمى برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين
اخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعاك ولا هذا من حلك وما الذى بذلك أقصت
عليك عيونك أم عاندت الريح عن طاعتك أم نقد ما عندك أم اشتد غضبك على الذنبيين ألت كنت
اغفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم تربنا أنك مجتمع أم تخشى القوت فتعجل
بالعقوبة قال فارجح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأبنت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف أنصفت
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخا يضحكى كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن
قال اختلفت أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر
بذلك فبعث إلى صاحب الحصن قال فأتى بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربى عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضى الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« لا يكون في أمتى قوم شعبة ردوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرم » (١) قال ووقع حريق بالبصرة
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل ينخل النار فقال له أمير البصرة انظر النار قال إني أقسمت على
ربى عز وجل أن لا يحرقنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فقدم عليها فاطفئت وكان أبو خصص
يعشى ذات يوم فاستقبله رستاقي مدعوش فقال له أبو خصص ما أصابك فقال ضل حمارى ولا أملك غيره
قال فوقف أبو خصص وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم تزد عليه حمارى قال فظهر حمارى في الوقت ومرو
أبو خصص رحمه الله . فهذا وأمثاله يجرى لدى الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجندبر رحمه الله
أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة . وقال مرة لوصعها
العموم لكفروهم وهم يمدون الزيد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليقيهم إليه أشار القائل:
قوم تخالفهم زهو يسيدم والعبد يزهو على مقدار موله
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا يتعبدون رضاه عن العبد بما يرضى به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على
(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون في أمتى قوم شعبة ردوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله
لأبرم ، ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهاله .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد في الدنيا
إلا لكال الفراغ
للسمتان به على إدامة
العمل لله تعالى والعمل
فه أن يكون العبد
لا يزال ذا كرا أو تابلاً
أو مصلياً أو مراقباً
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعى أو مهم
لا بد منه طبعى فإذا
استوى العمل القلبي
على القلب مع وجود
الشغل الذى أداه إليه
حكم الشرع لا يفتتر
باطنه عن العمل
فإذا كان مع الزهد
والتقوى متمسكاً
بدوام العمل قصد
أكل الفضل وما إلى
جهداً في العبودية

هذه الماني لوفظت وفهت فجميع قصص القرآن تنبها لاولى البصائر والأصاوح ينظروا إليها
 بعين الاعتبار فاعلمى عند ذوى الاعتبار من الأنعام . فأول القصص قصة آدم عليه السلام
 وإبليس أماتهما كيف اشتركا فى اسم العصية والمخالفة ثم تباينا فى الاجتناب والصلة . أما إبليس
 فأبلى عن رحمة . وقيل إنه من البعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه - وعصى آدم ربه
 فغوى ثم اجتنبه ربه فتاب عليه وهدى - وقد غاب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض
 عن عبد والاقبال على عبد وهما فى الرودة بيان ولكن فى الحال مختلفان ، فقال - وأما من
 جاءك يسمى وهو يخشى فأنت عنه تلهى - وقال فى الآخر - أما من استغنى فأنت له تصدى -
 وكذلك أمره بالعود مع طاعة ، قال عز وجل - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام
 عليكم - وأمره بالاعراض عن غيرهم ، قال - وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض
 عنهم - حتى قال - فلا تقم بعد الذكرى مع القوم الظالمين - وقال تعالى - واصبر نفسك مع
 الذين يدعون ربهم بالهداة والحق - فكذا الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون
 بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إنى هى لإفنتك قتل بها من تشاء
 وتهدى من تشاء - وقوله فى التليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - فقال - ولهم
 على ذنب - وقوله - إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا يظنق لسانى - وقوله - إننا
 نخاف أن يخرط علينا أو أن يطغى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى
 أقيم مقام الأنس يلاطف ويغتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض
 والهيبة فنوب باليسجن فى بطن الحوت فى ثلاث ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة - لولا أن
 تداركه نعمة من ربه لبذ بالراء وهو مذموم . قال الحسن الغراء هو القيامة ، ونهى ثيننا
 صلى الله عليه وسلم أن يتدى به . وقيل له - فاصبر لحكم ربك ولا تسكن كعاصب الحوت إذ
 نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق فى
 الأزل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين
 على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من
 الفضلين وإدلاله سلم على نفسه ، قال - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا -
 وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم
 مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أتى عليه خالقه ، قال - وسلم عليه - وانظر كيف احتمل
 لإخوة يوسف ماضيه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أول قوله تعالى - إذ قالوا
 ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - إلى رأس الخبرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا
 وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ففهر
 لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر حتى قيل هي من ديوان النبوة
 وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكبر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان
 آصف من السرفين وكانت مصيبة فى الجوارح ففعا عنه قد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان
 عليه السلام بإرأس العابدين وإبان عجة الزاهدين إلى كم يصيب ابن خالذك آصف وأنا أحلم عليه
 مرة بعد مرة فوعزنى وجلالى لئن أخذته عصفة من صفاتى عليه لأتركه مثقه من معه ونكالا
 لمن يبعده . فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :
 من خرج من قلب
 السبوبة منسج به ما
 يصنع بالآبى . وسئل
 سهل بن عبد الله
 التستري : أى منزلة إذا
 قام البسبدها مقام
 البودية قال إذا ترك
 التدبير والاختيار فإذا
 تحقق البسب بالوبة
 والزهو ودوام العمل
 لله يشغل وقته الحاضر
 عن وقته الآتى ويصل
 إلى مقام ترك التدبير
 والاختيار ثم يصل إلى
 أن يملك الاختيار ،
 فيكون اختياره من
 اختيار الله تعالى فزوال
 هواه ووفور علمه
 واشتغال مادة الجهل
 عن باطنه . قال يحيى
 ابن معاذ : الرازى مادلم

العبد يعرف جلاله
 لا تختر ولا تختر مع
 اختيارك حق تعرف
 فإذا عرف وصار عارفاً
 جلاله إن عشت اختر
 وإن شئت لا تختر
 لأنك إن اخترت
 فاختارنا اخترت
 وإن ترك الاختيار
 فاختارنا تركت
 الاختيار فأنك بنا في
 الاختيار وفي ترك
 الاختيار والعبد
 لا يتحقق بهذا المقام
 العالي والحال العزيز
 التي هو الغاية والنهاية
 وهو أن يترك الاختيار
 بعد ترك التدبير
 والخروج من الأخبار
 إلا بإحكامه هذه
 الأربعة التي ذكرناها
 لأن ترك التدبير فناء
 وعليك التدبير

(١) حديث من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي البرداء نحوه (٢) حديث دعاه لابن عباس اللهم قهه في الدين وعله التأويل متفق عليه دون قوله وعله التأويل ورواه أحمد بهه الزيادة وتقدم في المطبوع.

فلنبداً ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والكسوت على الماعى .

(بيان فضيلة الرضا)

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - فكأن أن مشاهدة للذكر في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضائك ^(١) فقولهم الرضا يعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فتسند كحقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب عما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تنصير أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادره من نفسه . وعلى الجملة فلا يرتفع فوق النظر إليه فاعلمنا أنه الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمان لما تقرروا بهم النظر فلما مروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلوا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقاله تعالى - سئل ما يزيد من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلهما فذلك قوله تعالى - فلا تمل نفس مأخوذ لهم من قرء أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فزيد ذلك على الهدية فضلاً وهو قوله تعالى - سلام قولامن رب رحيم - والثالثة يقول الله تعالى : إنى عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أى من التبع الذي فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أتم قالوا مؤمنون فقال ماعلامه إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة ^(٢) » وفي خبر آخر أنه قال « حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء ^(٣) » وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به ^(٤) » وقال ^(٥) « من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ^(٦) » وقال أيضاً « إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه » وقال أيضاً « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطافة من أمق أجنحة فيطفرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فاقول لهم

والاختيار من الله تعالى لعبده ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يسير بالحق وهذا العبد ما بقى عليه من الاعوجاج ذرته واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر السلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفسى بين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستسكانة والافتقار متحققه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكتفى إلى نفسى طرفه عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فأصبح الاكلان كلاءة

(١) حديث إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضائك للبراز والطبراني في الأوسط من حديث أنس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه يتجلى لهم يقول أنا الذى صدقكم وعصى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل إكرامى فسلوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو جلى بلفظهم قول ما ذكره يبدون فيقولون رضائك الحديث ورجاله رجال الصحيح (٢) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أتم قالوا مؤمنون فقال ماعلامه إيمانكم الحديث تقدم (٣) حديث أنه قال في حديث آخر حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء أيضاً (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به الترمذى من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ورواه في أمالي الحاملى بإسناد ضعيف من حديث طى بن أبي طالب ومن طريق الحاملى رواه أبو منصور الديلمى في مسند التردوس .

للاللثة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزئ الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول للاللة من أمة من أمة ؟ فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه اللزة بفضل رحمة الله فيقولون وماها ؟ فيقولون ؛ كنا إذا خلونا نستحي أن نصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول للاللة بحق لكم هذا (١) وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا بثواب قهركم وإلا فلا » (٢) .

الوليد ولا تخجل عني .

[الباب السنون :

في ذكره إشارات

للمشاخ في القامات

على الترتيب]

قولهم في التوبة قال

روى معنى التوبة أن

يتوب من التوبة قبل

معناه قول رابطة

استغفر الله العظيم

من قلة صدق في قولي

استغفر الله . وسئل

الحسن الغزالي عن

التوبة ، قال تسألني

عن توبة الانابة أو

عن توبة الاستجابة

فقال الدلائل ما توبة

الانابة ؟ فقال : أن

تخاف من الله ، عز

وجسل من أجل

قدرته عليك . قال

فما توبة الاستجابة .

وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فطناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليظن ماله عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزه العبد من نفسه » (٣) وفي أخبار داود عليه السلام مالأولياي والهلم بالدنيا إن الهلم يذهب حلالة مناجاتي من قلوبهم . ياداود إن محيى من أولياي أن يكونوا روحانيين لا يتعنون . وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دني على أمر قيه رضاءك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاءي في كرهك وأنت لاتصبر على مانكره . قال يارب دني عليه ، قال فان رضاءي في رضاءك بقضائي . وفي مناجاة موسى عليه السلام أى رب أى حقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه المحبوب سلمنى قال فأنى خلتك أنت عليه سخط . قال من يستخيري في الأمر فاذا قضيت له سخط قضائي . وقدرى ما هو أخذ من ذلك وهو أن الله تعالى قال « أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلاي ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائي فليخذ ربا سواي » (٤) ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى قدرت القادير ودربرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضاء مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني » (٥) وفي الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقت له الشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف » (٦) وفي الأخبار السابقة أن نبيا من الأنبياء شك إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكوا هكذا كان بدوك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنة فيطربون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على القبيسي سافط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللاحداث الصحيحة في الورد وغيره (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا بثواب قهركم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فليظن ماله عنده الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بإفظ منزله ومثله الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلاي الحديث الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الدارمي مقتصر على قوله من لم يرض بقضائي ويصبر على بلاي فليتمس ربا سواي وإسناده ضعيف (٥) حديث قال الله تعالى قدرت القادير ودربرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضاء الحديث لم أجده هذا اللفظ للطبراني في الأوسط من حديث أنى أمامة خلق الله الحق وقضى القضية وأخذ ميثاق الدين الحديث وإسناده ضعيف (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين في شرح

قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة شمن عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحبكم وجلاله جمل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل النعم والحزن في الشك والسخط (١) » .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فأنما أتى من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يبطل الاحساس بالألم حتى يجري عليه الإؤلُم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى النعم استدل به على الجراحة بل الذي يدور في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحرق رأسه بعيدة كاله يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ للزينة والحجامة وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة مشقوقة أو محبة قد يصيبه ما كان يتألم به أو يشتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وآله لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضاً يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجلية للدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجلية الباطنة للدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهده بحيث يدهش وينشئ عليه فلا يحس بما يجري عليه . فقد روى أن امرأة فتحت الوصل عثرت فاقطعت ظفرها فضحك قيل لها أما تجدن الوجع ؟ فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك أنه ولكن يكون راضياً به بل راعياً فيه مريداً له أعم، بقوله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من القصاد القصد والحجامة فانه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقدم من القصاد به منة بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الرخ يدرك مشقة السفر ولكن حب لقرعة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضياً بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لا معنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبواً بآعنده ومطلوباً لكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توصفها المتواصفون في نظمهم وشرمهم ولامنهم له بالاملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظرت إلى الجمال فساهو بالإجلد ولحمهم ومشحون بالأفئدة والأخبار بهائيه من نقطة ملونة ونهايته جيفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل المذرة وإن نظر إلى الدرك

(١) حديث إن الله يحبكم وجلاله جمل الروح والفرح في الرضا والحديث الطبراني من حديث

ابن مسعود إلا أنه قال بفسطه وقد تقدم .

يتوب من الشيء
ويتركه ثم يخطر ذلك
الشيء بقلبه أو يراه
أو يسمع به فيجد
حلاوته فقال الحلاوة
طبع البشرية ولا بد
من الطبع وليس له حيلة
إلا أن يرفع قلبه إلى
مولاه بالشكوى
وينكره بقلبه ويلزم
نفسه الانكار ولا
يفارقه ويدعو الله أن
ينسيه ذلك ويشغله
بنفسه من ذكره
وطاعته قال وإن غفل
عن الانكار طرفة
عين أخاف عليه أن
لا يسلم وتعمل الحلاوة
في قلبه ولكن مع
وجدان الحلاوة يلزم
قلبه الانكار ويحزن
فانه لا يضره . وهنا

للجمال فهي العين الحسيدة التي تفلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعد قريبا والقيبح جيلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأولي الأبدى الذي لا منتهى لكياهه الدرك بعين البصرة التي لا يمتريها الفلظ ولا بدور بها اللوت بل تبقى بعد اللوت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد سألت سرياً السقطي هل يجد الحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء عجبته حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوطاً في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس فخبته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لأنى عاشق قتلته ولم سكنت ؟ قال لأن معشوقى كان مجذأً ينظر إلى قتلته فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال فزعت زعقة خرميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهب عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم فما غنك بقلوب وقت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابت وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أعمى محذور مجنون قد صرع والفيل يأكل لحمه فرفضت رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام فلما أفأق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي لو قطعنى إرباً ما زددت له إلا حبا . قال بشر فما رأيت بعد ذلك قفمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشفطهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن ملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شاباً وفي يده مديّة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم الفراق من القيامة أطول واللوت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرحيل قتلست براحل لكن مهجتي التي ترحل

ثم يقر بالمديّة بطنه وخرميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي أنه كان يهوى فتي بعض الملوك حجب عنه يوماً واحداً ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دنى على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بصره فسمعه وهو يقول : ألمى متنتي بهما ماشئت أنت وسلبتني ماشئت أنت وأقيت لي فيك الأمل يارب يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشيتم على هذا الشيخ إن حدث بهذا الكلام حدث فمات الكلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سروراً أبداً منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضىنا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالدبك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه اللبأ ويمد لهم خبائهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فخرزوا له . وكان الرجل صالحاً فقال عسى أن يكون خيراً ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فخرزوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيراً ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيراً ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقواهم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذى قاله سهل كاف
بالع لى كل طالب صادق
يريد مهة توبته .
والعارف القوى الحال
يتمكن من إزالة
الحلاوة عن باطنه
ويسهل عليه ذلك .
وأدب سبوة ذلك
متوعة للعارف ومن
يتمكن من قلبه حلالة
حب الله الحاص عن
صفاء شاهدته وصرف
يقين فأى حلالة تبقى
في قلبه وإنما حلالة
الموى لعدم حلالة حب
الله . وسئل السوسى
عن التوبة فقال التوبة
من كل شيء ذمه العلم
إلى مادمه العلم وهذا
وصف بيم الظاهر
والباطن لمن كوشف
بصره العلم لأنه لا باق

والخير والديكة فكانت الحيرة لمؤلا في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف حق
 لطف الله تعالى رضى بقله على كل حال . وروى أن عيسى عليه السلام مرّ بـ رجل أعمى أبصر بمقد
 مضروب الجنين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافنى مما ابتلى به كثيرا
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل
 الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فتناولته يده فاذا هو أحسن الناس وجها
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتبعه معه وقطع عروقه بن الزير
 رجله من ركبتيه من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وإني كنت أخذت
 لقد أنبت ولئن كنت ابتليت لقد عاقبت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول القفر والقرى
 مطشان ما أتى أبتهما ركبته إن كان القفر فإن فيه الصبر وإن كان القرى فإن فيه البذل . وقال
 أوسليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فإلى منه الإشمام الربيع وذلك لو أدخل
 الحلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا . وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا فقال
 أما النعمة فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يبرر الخلائق على إلى الجنة فلا أبى
 جهنم تحته لقسمه وبدلا من خليفته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منه الاحساس بألم النار فإن بقي إحساس فينصرمه بمحصل من لا تتقي
 استدعاه حصول رضا محبوبه بولائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان
 بعيدا من أحواله الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء . ويظن أن
 ماهو عاجز عنه يصبر عنه الأولياء . وقيل الروضاني قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان
 وددت أن جسدی قرض بالقرابض وأن هذا الخلق أطاعوه مامنا قال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف . وإن كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فأعرف قال
 ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصينة . استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
 ولا يقعد قد قب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء
 فجعل يسكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي ؟ ولأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي فإن أحبه
 إلى الله تعالى أحبه إلى ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به وإني أكنتم على حق أموت إن لا تشك
 تزورني فأكنس بها وتسلم على فأسمع تسليتها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بقوة يذهب بسبب هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة
 نودوه فرائيا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف فقال له امرأته أهلى قد أؤك ما نفعك
 ما نسيتك فقال طالت العنجة وديرت الحرافيف وأصبحت نضوا لأطعم طاموا ولا أسخ شربا منذ كنا
 فذكر أياما وما يسترني أنتي تنصت من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد
 كان كلف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه لهذا ولهذا وكان يجاب
 الدعوة . قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قارى أهل مكة ؟
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها قتلته بإعم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصرك تقسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى . وضاع بعض الصوفية ولد صغير
 على ثلاثة أيام لم يبرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترضني عليه فإني أشد
 على من ذهب ولدى . وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو ؟ قال قلت مررت بكى كان ليته

لجعل مع العلم كالأبناء
 الليل مع طلوع الشمس
 وهذا يستوعب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الخاص والعالم وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن بتطهير الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأعم
 أوصافها . وقال
 أبو الحسن التوري
 التوبة أن تتوب عن
 كل شيء سوى الله
 تعالى . قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ملك
 دينكم الورع » أخبرنا
 أبو زرعة إجازة عن
 أبي بكر بن خلف عن
 أبي عبد الرحمن السلي
 إجازة قال أنا أبو سعيد
 الحلال قال حدثني

لم يكن . وقال بعض السلف لو فرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لعبد الواحد بن زيهنا رجل قد تعبد خمسين سنة قصد قتاله بإحبيي أخبرني عنك هل قتلت به ؟ قال لا قال أنست به ؟ قال لا قال فهل رضىت عنه ؟ قال لا ، قال فاعلم أنك من الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولائي أمتعتي منك لأخبرتكم بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ودمنا أنك لم يفتح لك باب القلب فتدري إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تمدني طبقات أصحاب الجن لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشيلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لمن أتم ؟ فقالوا محبوبك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة قهاريوا فقال ما بالكم ادعيتهم حتى إن صدمتهم فاصبروا على بلائي ، والشيلي رحمه الله تعالى :
إن الهبة للرحمن أسكرني وهل رأيت مجاهدا غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصدقا وله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصعب من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يوارجها يعني بذلك أن النهب مذموم عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستكفون منه . وقيل إنه موضع الحريق في السوق قيل للهري احترق السوق وما احترق فكانك قال الحمد ثم قال كيف قلت الحمد في سلامتي دون السليبي فتاب من التجارة وترك الخانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحفظوا الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين : أحدهما الرضا بالأهلي أي ترفع من التراب الوجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد ينلب الحب بحيث ينفر مراد الحب في مراد المحبوب فيكون أذن الأشياء عنده سرور قلب محبوه ورضا وتقوى إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل : فما لخرج إذا أركم ألم • وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من تقدم من نفسه لأنه إنما قدده لقصده سببه وهو فرط حبه ومن لم ينفق طعم الحب لم يعرف محاببه فلهم حين محابب أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الراضي قال : كنت في مجلس بالرة عند صديق لي وكان معنا فتى يتشقق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالفضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا

ولاسبا عاشق إذا لم يجد مشككا

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أنأذنين لي أن أموت فقلت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فمركناه فإذا هو ميت . وقال المجند رأيت رجلا متعلقا بكم صي وهو يتضرع إليه ويظهر له الهبة فالتفت إليه الصي وقال له إلى متى هذا التفاني الذي تظهر لي قال قد علم الله أني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لما تقال إن كنت صادقا قالت قال فتشيت الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال صموئيل الحب كان في جيراننا رجل وله جارية يهاها في الحب فاعتلت الجارية فطلس الرجل ليصلح لها حيسا فيينا هو يحركه القدر إذ قالت الجارية آفة قال فدهش الرجل وسقط للانعق من يده وجعل يحركه مافي القدر يده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية بما هذا ؟ قال هذا ما كان قولك آء . وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبرصة ابا على سطح مرتفع وقد أشرط على الناس وهو يقول :

ابن قتيبة قال ثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مرزب عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوحا على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في التهر وقال يله الله عز وجل قوما ينغمس . قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف السكري احتفظ لسناك من اللعك كما تحفظه من البقم . قال عن الحرث بن أسد المحاسي أنه كان على طرف أمجة الوسطى عرق إذا مديده إلى

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه إلى الأرض فخلعه ميتا فهذا أو مثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق
أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في
العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد الصبر ينكر جمال الصور والذي قد السمع ينكر لغة
الألحان والنفحات اللوزونة فالذي قد القلب لا بد أن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا منظر لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير منافع للرضا)

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة للعاصي ومقتضى أهل الوفاء أسبابها والسعي في إزالتها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين للترنيز وزعم أن
العاصي والنجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالثأويل وغفلة
عن أسرار الشرع، فأما الدعاء فقد تبعنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تمل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أعلى القامات من الرضا وقد أثبت الله تعالى على بعض عبادته قوله لا يدعوا ثارا غيرا ورهابا أما نكار العاصي
وكرهاتها وعدم الرضا بها فقد تبعنا الله في عبادته وضمنهم على الرضا به فقال السورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
بها - وقال تعالى - رضا بأن يكونوا مع الخولاف وطبع على قلوبهم - وفي الخبر المشهور - من شهد
منكرا فرضى به فكأنه قد فعله - وفي الحديث - الدال على الشر كفاؤه (١) وعن ابن مسعود: إن البعد
ليغيب عن التكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك؟ قال يئله فيرضى به وفي الخبر - لو
أن عبدا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر بالمرتب كان شركيا في قتله (٢) وقد أمر الله تعالى بالحسد للنافسة
في الحيرات وتوفى الشرور فقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم
« لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبش في الناس ويسلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على
هلكته في الحق (٣) وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاه الله إلهيا والهارفي قول الرجل
لو آتاه الله مثل ما آتى هذا فقلت مثل ما يفعل. وأما بعض الكفار والنجار والانسكار عليهم ومقتهم
فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى - لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين - وقال تعالى - يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء هؤلاء حوالة تعالى
- وكذلك نولي بعض الظالمين بضاً - وفي الخبر « إن الله تعالى أخذ اللياق على كل مؤمن أن
ينفض كل منافع وعلى كل منافق أن ينفذ كل مؤمن (٤) » وقال عليه السلام « الرء مع من
أحب (٥) » وقال « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة (٦) » وقال عليه السلام « أوفق

(١) حديث الدال على الشر كفاؤه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد
ضعيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر في الترتيب كان شركيا في قتله
لم أجده له أصلا بهذا اللفظ ولا بن عدى من حديث أبي هريرة من حضر مصبة فكرهها فكأنما
غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حسد
إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم
(٤) حديث إن الله أخذ اللياق على كل مؤمن أن ينفذ كل منافق الحديث لم أجده له أصلا
(٥) حديث الرء مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما ووالاهم حشر معهم الطبراني من حديث
أبي هريرة وابن عدى من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرة من زاد ابن عدى
يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف.

طعام فيه شبه ضرب
عليه ذلك المرق.
مثل الشبلي عن الورع
فقال الورع أن تورع
أن ينشئت قلبك عن
الله طرفة عين. وقال
أبو سلمان الداراني
الورع أول الزهد كما
أن الفناعة طرف من
الرضا. وقال يحيى بن
مادة الورع الوقوف
على حد العلم من غير
تأويل. مثل الخواص
عن الورع فقال أن
لا يتكلم العبد إلا بالحق
غضب أو رضى وأن
يكون اهتمامه بما
يرضى الله تعالى.
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن أبي بكر بن خلف
إجازة عن السلي قال
صمت الحسن بن أحمد

عزى الايمان الحب في الله والبغض في الله (١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصلوة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يبعد. فان قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٢) فان كانت العاصي يرضى بقضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكرهاته ومقتها كرهاة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا وموه حسن الحائق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو وعدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك للصبي لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك الملك رضا بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كبه ووصفه وعلامة كونه محبوتاً عند الله وبغضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد ولتقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال فلنفرض محبوباً من الخلق قال بين يدي محبيه إلى أن أريد أن أميز بين من يحبني ويغضني وأنصب فيه مياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أن أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضره ضراً يضره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدواً لي فكل من أبغضه أعلم بأشأنه عدوى وكل من أبغضه أعلم أنه صديق وبهي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب المداواة فحق على كل من هو صادق في محبه وتوكل بشرط المحبة أن يقول أما تدبرك في إبداء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتبريئك إياه للبغض والمداواة فأعجب له وراض به فانه رأيك وتدبرك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك تصدت بضربه استنطاقه بالشتم للوجوب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبرك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لك ذلك نقصاناً في تدبرك وتوحيماً في مرادك وأنا كاره لقوات مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو رادك ومقتضى تدبرك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحبه له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً من حيث لأن شرط الحب أن يكون المحبوب حبيباً ولامدوه عدواً وأما بغضك لك فأنا راضاً من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث إنه وصف ذلك للبغض وكبه وقهله وأمته لذلك فهو محبوت عندى لقمته إياك وبغضه ومقتك لك أيضاً عندى مكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإنما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت
محمد بن داود بنوري
يقول سمعت ابن الجلاء
يقول أعرف من أقام بمكة
ثلاثين سنة ولم يشرب
من ماء زمزم إلا من
ماء استقاه بركوته
ورشاه ولم يتناول من
طعام جاب من مصر
شيئاً . وقال الخواص:
الورع دليل الخوف
والخوف دليل المعرفة
والعرفة دليل القربة
وقولهم في الزهد: قال
الجنييد: الزهد خلو
الأيدي من الأملاك
والقلوب من التبع.
وسئل الشبلي عن الزهد
فقال لا زهد في الحقيقة
لأنه إما أن يزد في
ليس له فليس ذلك
زهداً أو يزد فيها هو

(١) حديث أوثق عزى الايمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصلوة
(٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعادة ابن آدم رضا بما قسم الله عز وجل الحديث وقال عريب وتقدم حديث ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وحديث إن الله يقسطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة واقدري الحير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه ضله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكذب فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة للصبي عليه حتى يجره ذلك إلى حب النسيبة ويجره الحب إلى فعل للنسيبة يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا يجره الضرب إلى التئيب والتئيب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت مصيئته بتدبيره يشبه بضئ الشتم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأجابه فضل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبده أعفى تسليط دواعي النسيبة عليه بدل على أنه سبقت مشيئته بإياديه ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يفيض من أبضه الله ويقت من مقتته الله ويأدى من أبضه الله عن حضرة وإن اضطره جهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فانه بيده مطر ودموعون عن الحضرة وإن كان بعيدا بإياديه قهرا ومطرودا بطرده واضطرا وببعد عن درجات القرب بذى أن يكون مقتيا يفيض إلى جميع المحبين موافقة للمحسوب بإظهار التئيب على من أظهر المحبوب التئيب عليه بإياديه وبهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من الفيض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتليظ عليهم والبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشاله وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في الشئبة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إيهما جميعا منه من غير ائتراف في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف النقطا عنه غير مأذون فيه فلا أولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم «القدر سر الله فلا تشوهه» (١) وذلك يتعلق بلم الكشف وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الترض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والصحة من المعاصي وسائر الأسباب العبدية على الدين غير منافع للرضا بقضاء الله تعالى فان الله عبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا لكشف وسببا لتواثر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس منافع للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبة مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبة الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستغنائه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلايا معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلايا على سبيل الشكر والسكف عن قدرة الله تعالى لا يناقض . وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكابة وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبا يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة السمعة مذمة للصانع والكامل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وحنة واليأس هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدره والملكمة لما لهما ويقول ما قاله عمر رضى الله عنه : لا تألأ أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي .

العمل وحديث أسألك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تشوهه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى في الكامل من حديث عائشة وكلامها ضيف .

فكيف زهد فيه هو
معه وعنده فليس
بالإلغاف النفس وبذل
مواصلة ، يشير إلى
الأنعام التي سبقت بها
الأنعام وهذا لو اطرده
هدم قاعدة الاجتهاد
والكسب ولكن
مقصود السبيل أن يقلل
الزهد في عين للند
بالزهد ثلاثا بشر به .
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا
رأيت الرجل قد أوى
زهدا في الدنيا ومنطقا
فاتربوا منه فانه يلقي
الحكمة» وقدمى الله
عز وجل الزاهد بن
علاء في قصة قارون
فقال تعالى - وقال
الذين أوتوا العلم ولم يك
نواب الله خير - قيل

(بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان للمعاصي ومذمتها لا يندح في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلده يظهر به الطاعون (١) يدل على النهي عن الخروج من بلده ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهم فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أن ينفوق قس هذا الباب لا يحمل عنه الأصحاء. وبقي فيه المرضي مهملين لا يعتمد لهم فيه ليكون هؤلاء وضراً وذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالقرار من الزحف (٢) ولو كان ذلك لفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذ عرفت للمعاصي ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان للمعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار عما لا بد من القرار منه وكذلك مذمة الواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها أجل التفرغ عن الصبي ليست ممنومة لئلا زال السلف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها قال ابن المبارك قد طفت التبرق والترب فما رأيت بها شراً من بغداد بل وكيف قال هو بله تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه مصيبة الله ولما قمم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها إلا شراً غضبان أو تاجراً لهفان أو قارئاً حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من النية لأنه لم يتعرض لشخص بينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه بغداد يقرب استعداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم ديناراً كفارة لقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحمار . وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراق قال لما صنعت به بلقياً أنا من أحد يسكن العراق إلا قبض الله له قريناً من البلاد وذكر كعب الأحمار يوماً العراق قال فيه تسعة عشر الشرو وفيه البلاء الضال وقد قيل قسم الحيرة عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشام وعشرة بالعراق وقسم الثلث عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوماً عند الفضيل بن عياض فجاء صوفي متدبر عبادة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال يا فتينا أحدهم في زى الرهبان فإذا سأله أين تسكن قال في عسى الظلة وكان يسر بن الحرث يقول مثال التبيد بغداد مثال التبعيد في الحبس وكان يقول لا تخشوا بي في المقام به من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثراً في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالنعور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد من زاهد وشري من شري فبغوا يدل على أن من بلى ببلدة تكره فيها المعاصي ويحل فيها الحيرة فلا عذر له في اللقاع بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تسكن أرض الله واسعة فتأجروا فيها - فإن منه عن ذلك عيال أو علة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مزيج القلب منها قلائلاً على الدوام - ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم زل البلاد وهجر الجميع وشمل الطامعين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب هدم البنية رضا مطلق إلا من حيث إضاقها إلى فعل الله تعالى فأما هي في نفسها فلا حرج للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القمامات الثلاث رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة الولي ورجل قال لا اختار شيئاً بل أرضى

هم الزاهدون . وقال سهل بن عبد الله التستلي ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا ، وقيل في قوله تعالى - وجعلناهم أممته يهودن بأمرنا لما صبروا - قيل عن الدنيا . وفي الخبر والعلاء أثناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم . وجاء في الأثر لا تزال إلى الله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله مالم يألوا ما عصى من دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين .

(١) حديث النهي عن الخروج من بلده الطاعون تقدم في آداب السفر (٢) حديث إنه شبه الخروج من بلده الطاعون بالقرار من الزحف تقدم فيه .

بما اختاره الله تعالى ورفضت هذه المسألة إلى بعض المارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه ألقمهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال للثوري كنت أكره موت الصغاة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم ؟ قال لما أعوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم ؟ قال لملي أصادف يوما أنوب فيه وأعمل صالحا فقبل وهيب بشي تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختار شيئا أحب ذلك إلى أحب إليه نفسه سبحانه وتعالى قبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب السكينة .

(بيان جملة من حكايات المحبين وأتوالمهم ومكاشفاتهم)

قيل لبعض المارفين إنك محب فقال لست بمحبا إنما عجب وبوالحب ومتعوب وقيل له أيضا الناس يقولون إنك واحد من الشيعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول إذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلائل وكيف وأنت شخص واحد قال لأنني رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلنا أنك ترى الحضر عليه السلام تنسب وقال ليس العجب بمن يرى الحضر ولكن العجب بمن يريد الحضر أن يراه فيحبب عنه وحكي عن الحضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأبي يزيد البسطامي مر حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى ضاحك ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل فحدثنا بأحد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمعت على فزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . وبعثني عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بدسلة الشام إلى طلوع الفجر مستوفيا على صدور قديمه رافعا أحضيه مع عتيقه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بدينه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قد قال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيهم الشيء على الماء والشيء في الهواء قرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيهم على الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأكفؤهم كسوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ثم انفتق فرآه فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذمت أنت ههنا ؟ قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء . فقال أذا حدثك يا سيدي أدخلني في الفلك الأسفل فدور في في الملكوت السفلى وأراني الأرضين ومن تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء . رأيت حتى أحبه لك ؟ فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا . استحسنته فأنا لك إياه فقال أنت عبيدي حقا تعبدني لأجل صدق لأفان بك ولأنهم فذكر أشياء ، قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لأسأله للفرقة به . وقد قال لك ملك اللوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وملك غرت عليه متى حق لا أحب أن يعرفه سواه . وحكي أن أبا تراب النخعي كان محباً لبعض الزيديين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والبريد مشغول بمبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يوماً لو رأيت أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فلما أكره عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد حاج وجد المرید فقال وبعك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغتنى عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وملك نعت بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أضع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبت النبي من قوله وأنسكروه فقال وكيف ذلك قال له وملك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ترى أبا يزيد

وقال سهل : أعمال البر كلها في موازين الزهاد ونواب زهدهم زيادة لهم . وقيل من سمى باسم الزهد في الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود ومن سمى باسم الرغبة في الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم . وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع مافي الدنيا ويجمع هذا الحظوظ والمالية والجاهية وحسب اللزلة عند الناس وحسب المهدمة والثناء وسئل الشبلي عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة وقال بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقداره فصرف ماقلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوصفوا على تل ينظرون
ليخرج إلينا من الغيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سبع قال لمربنا وقد قلب فروع على ظهره قتلت
لأفنى هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر إليه الفقى فصرق خرقناه فاذا هو ميت فضاونا على دفنه قتلت
لأفنى يزيد ياسيدي نظره إليك قتله قال لا، ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم يكشف
له بوصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضايق عن حمله لأنه في مقام الضحا، الليريدن فقتله ذلك.
ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا لوسألت الله تعالى
فدهم فسكت ثم قال إن لله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم
إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قبل لم قال لأنهم لا يهجون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولوسأله أن لا يقيم الساعة لم يقيمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يحلو عن التصديق والإيمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل
عظيم ومحائب الملك والمسلوك كثيرة ومتدورات الله تعالى لانهائية لها وفضلها على عباد الله الذين اصطفى
لأغاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فأطلب
ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضافا مضاعفة فان سكنت إلى ذلك حبيبك به وهذا بلاد مناهم
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل. وقد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء
رأيتن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجواهر يتخشش ويتنى مهن فنظرت
إلهن نظرة فعوقت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك شمانين حوراء فوثن في الحسن والجمال،
وقيل لي انظر إلهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي ثلاثا أنظر إلهن وقلت أعوذ بك
بماسوآله لاجابة لي بهذا فلم أزل أنضرع حتى صرفهن الله عني. فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي
أن يسكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها فلولم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه للظلمة وقلبه
القاسي لاضاق بحال الإيمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات وتبيل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا، ثم
مكاشفة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحسن المحلول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق فيفيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك. دون التجربة وسلوك الطريق يجرى
مجري إنكار من أنسرك إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت وهيت وصقلت وصورت
بصورة المرأة فنظر للنسك إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنسرك إمكان انكشاف الرقى فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجهل والاضلال فهذا حكم كل من أنسرك كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك
وفصور من رآه وبش السند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يتم روايت المكاشفة من
سالك شيئا ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه للزلة قال كنت أكرم الله
تعالى حالي معناه أسأله أن يكرم على ويغني أمرى. وروى أنه رأى الحضرة عليه السلام، فقال له
ادع الله تعالى لي، فقال يسر الله عليك طاعته. قلت: زدني قال وسترها عليك، فقبل معناه
سترها عن الخلق، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها. وعن بعضهم أنه قال أقلقى
الشوق إلى الحضرة عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئا كان أهم الأشياء
علي. قال فرأيتة فما غلب على همى ولا همى إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئا إذا قلته حبيبتي عن
قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرف أحد بصلاح ولا ديانة، فقال قل: اللهم اسبل على كشف

زهدهم في الدنيا
لهوانها عندهم وغدي
أن الزهد في الزهد
غير هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزاهد اختار الزهد
وأرادته وإرادته تستند
إلى عقله وعمله قاصر
فاذا اتقى في مقام ترك
الارادة وانسلخ من
اختياره. كاشفه الله
تعالى بجراده فيترك
الدنيا غير اد الخلق لا يبراد
نفسه فيكون زهد
بالله تعالى حينئذ أو
يعلم أن مراد الله منه
التلبس بشيء من
الدنيا فما يدخل بالله
في شيء من الدنيا
لا ينقص عليه زهد
فيكون دخوله في

سترك وحط على سرائقات حبيبك واجعلنى في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلائك قال ثم غاب
فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الحكايات في كل يوم خشى أن يصارحني كان يستدل
ويتعجب حتى كان أهل الدمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم يسقطونه عليهم
وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذل وهول فلهكذا حال أولياء الله
تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا للمفرورون إنما يطلبونهم تحت الرقعات والطباستوى للسهورين
بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأني الإخفاء كما قال تعالى : وأولياي
تحت قباب لا يعرفهم غيري ، وقال صلى الله عليه وسلم : «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم
على الله لأبره» (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه العالما القلوب الشكيرة العجيبة بأفهام السنبصرة
عملها وعلمها وأقرب القلوب إليها القلوب النكسرة المستمرة ذل نفسا استثمارا إذا ذللها وانضم
لم يحس بالذل كما يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاة فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بسد التفاته
إلى الذل بل كان عند نفسه أحسن منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون
ذلك حتى صار التواضع الطبع صفة ذات فمثل هذا القلب يرجى له أن يستشقى مبادئ هذه الروائح
فإن قد قدا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الابعان بإمكان ذلك لأنه قد
لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤنابهم فمضى أن يحشرهم من أحب ويشهد
لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب قال بل يحق أقول
لستم لتأبى الحكمة إلا في قاب مثل التراب ولقد انتهى الريدون لولاية الله تعالى في طلب شروها
بأذلال النفس إلى منتهى الضعة والحسة حتى روى أن ابن الكربي وهو أستاذ الجند دعاه رجل إلى
طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في الرقار البقة فأنه عن
ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينظر ثم يدعى فيرمى
له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال زلت في محلة
فصرفت فيها بالصالح ففتشت على قاي فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها لم يست
مرقفتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني قترعوا مرقفتي وأخذوا الثياب وصفعوني
وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فكذا كانوا يروئون أنفسهم
حتى يخافهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فإن التفتت إلى نفسه محبوب عن
الله تعالى وشغفه بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بهد وتخل حائل وإنما بعد
القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ، ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من
أعيان أهل بسطام كان لا يارق مجلس أبي يزيد ، فقال له يوما أنامند ثلاثين سنة أموم الدهر
لأنفطر وأقوم الليل لأنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأجبه ،
فقال أبو يزيد ولوصمت ثلثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محبوب
بنفسك قال فلماذا دواء ؟ قال نعم قال قل لي حتى أحمله قال لا تقبله ، قال فاذكره لي حتى أعمل قال
أذهب الساعة إلى الزين فاحلق رأسك ولحيتك واتزع هذا اللباس وأزر عبادة وعلق في عنقك
عملاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق
وطلف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول
لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسبحها

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

التي من الدنيا بالله
وباذن منه زهدا
في الزهد والزاهد
في الزهد استوى عنده
وجود الدنيا وعدمها
إن تركها تركها بالله
وإن أخذها أخذها
بالله وهذا هو الزهد في
الزهد وقد رأينا من
العارفين من أقبح في
هذا التمام . وفوق هذا
مقام آخر في الزهد هو
لمن رد الحق إليه
اختياره لسة على
وطهارة نفسه في مقام
البقاء فيزه زهدا
ثالثا وترك الدنيا بعد
أن مكن من ناهيتها
وأعبدت عليه
موهوبة ويكون تركه
الدنيا في هذا القام
باختياره واختياره

وما سبحت ربك فقال هذا لأفعله ولكن دلتى على غيره فقال ابتدء بهذا قبل كل شيء فقال لأطبقه قال قد فات لك إنك لا تقبل فهذا الذى ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينجى أن ينسكرك إمكان الشفاء فى حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يعرض بعثله هذا المرض أصلاً فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة فى السرعة واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال **عليه السلام** «لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف» (١) وقد قل عليه السلام «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدين والآخر للأخرة أترأى الأمر الآخرة على الدنيا» (٢) وقال عليه السلام «لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له» (٣) وفى حديث آخر «ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والتعذب والقصد فى التقى والفقر وخشية الله فى السر والعلانية» (٤) فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولى الإيمان فالعبد ممن يدعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يعجزه ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عالية وراء الإيمان ، وفى الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إيماناً أخذ خلق من لا يفتقر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيئاً من خلق وإن حرق النار لم يجد لحرق النار وجعاً وإن قطع للمناشير لم يجد لئس الحديد ألماً ، فمن لا يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من السكرات والسكرات فكل ذلك دور الحب والحب وراءه آل الإيمان ومقامات الإيمان ونهاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام «الصدق رضى الله عنه» «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى وأعطاني مثل إيمان كل من آمن بعمى ولد آدم» (٥) وفى حديث آخر «إن لله تعالى ثلثاً خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يارسول الله هل فى منها خلق فقال كلها فيك بأبأكبر وأحبهم إلى الله السخاء» (٦) وقال عليه السلام

من اختيار الحق قد
يغتار تركها حيناً تأمينا
بالأنبياء والسالحين
ويرى أن أخذها فى
مقام الهدى رفق أدخل
عليه موضع ضعفه عن
درك شأوا الأقوياء من
الأنبياء والصديقين
وتبرك الرفق من الحق
بالحق لائق وقد يتناوله
باختياره رفقاً بالنفس
بتدبير يسوسه فيه
صرع العلم وهذا
مقام التصرف لأقوياء
العارفين زهدوا ثالثاً
بالله كما رغبوا ثانياً بالله
كما زهدوا أولاً .
[قولهم فى الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الحمد وتوابعها
وقال بعضهم : الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طلحة وعلى هذا فهو مفضل على ابن أبى طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجده أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف فى الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة فى سالم الرادى ضعفه ابن معين والنسائى ووثقه ابن حبان واسم أبى الواسع (٣) حديث لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق الحديث الطبرانى فى الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أوتيهن فقد أوتى آل داود العدل فى الرضا والتعذب غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات فذكرهن بنحوه وقد تقدم (٥) حديث إنه قال الصدوق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن على مع تهميد وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى ثلثاً خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلق بضعة عشر وثلثاً خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلثاً شريعة وثلاث عشرة شريعة

« رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجرى. بأمر فوضعت في كفة فرجح بهم (١) » ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلعة مع غيره فقال « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » بسمي نفسه .

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمهبة ينفع بها)

قال سفيان : المهبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دواب الله وقال غيره إثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات المهبة فأما نفس المهبة فلم يتعرضوا لها ، وقال بعضهم المهبة معنى من المحبوب فهر للقلوب عن إدراكه وتمتع الألسن عن عبارته ، وقال الجليل حرم الله تعالى المهبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعبود فأذا زال الموضع زالت المهبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله أحذر أن تذلل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف إن تسكلم هلك والمحب إن سكنت هلك وقال الشبلي رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقبم
يارافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم
وهبت لن يقول ذكرت إلي وهل أنسى فأذكر ما نسيت
وأوتيت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حبيت
فأحيا بالخي وأموت شوقاً فكيف أحيا عليك وكما أموت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نقد الشراب وما رويت
قلبت خياله نصب لعيسى . فان قصرت في نظري عجت

وقالت رابعة العدوية يوماً من بدلتا على حبيبتنا فقالت خادمة لها حبيبتنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلمت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حي وتوليت به غفطى وقيل تسكلم ممنون يوماً في المهبة فإذا بطائر زل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فأت وقال إبراهيم بن آدم إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأستنى بذكرك وفرغني للتفكير في عظمتك . وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يندو وروح في لاش والماعقل عن عبوبه فئاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله إنى لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد الحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذّة وحيرة في تعظيم ونيل الحقيقة أنجو أثرك عنك حتى لا يبق فيك شيء راجع منك إليك وقبل المهبة قرب القلب من المحبوب بالاشتياق والفرح وقال الخواص المهبة محو الارادات واعتراق جميع الصفات والحاجات وسئل عن المهبة فقال

وفيه وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الإيمان وللإيمان حديث عثمان بن عفان إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضعيفة (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة إسناد ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر - مليا الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن تصبر في الصبر
أى لا تطالع فيه
الفرج . قال الله تعالى
والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون .
وقيل : لكل شيء
جوهر وجوهر الإنسان
العقل وجوهر العقل
الصبر فالصبر عرك
النفس وبالعرك تلين
والصبر جارٍ في الصابر
يجرى الأنفاس لأنه
يحتاج إلى الصبر عن
كل ما يـ ومكروه
ومذهوم وظاهره وباطنه
والعلم يدل والصبر
يقول ولا تنفع دلالة العلم
بغير قبول الصبر ومن
كان العلم سائس في
الظاهر والباطن لا يتم

عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل بمعاملة الحب على أربع منازل بل المحبة والمهبة والحياة والتظيم وأفضلها التعظيم والمهبة لأن هاتين المنزلتين يتيان مع أهل الجنة الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف به عز وجل أحبه وإذا أحبه وأذاعه أقبل عليه وإذا وجد جدولة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين النبوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسر في الدنيا وتروح في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد صحت امرأة من التبيدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لأشترته شوقاً إلى الله تعالى وحبا لقائه قال قتلت لها ضليقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني بأقراءه بعدني وأنا أحبه وأوصي الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم الدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لما تواتر شوقاً إلىي وتقطعت أوصالهم من محبي إذا داود هذه إرادتي في الدبرين عنى فكيف إرادتي في القبلين على إذا داود أوج ما يكون البعد إلىي إذا استغنى عنى وأرحم ما أكون ببدي إذا أدر عنى وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلىي وقال أبو خالد الصغار لقي نبي من الأنبياء عابداً فقال له إنسك معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله أوصي الله تعالى إلى داود عليه السلام إذا داود ذكرى لهذا كرين وجنتي للعطيين وزيارتي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوصي الله تعالى إلى آدم عليه السلام ما آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فله ومن اشتاق إليه جد في مسيره . وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يراني ولا أراه . وقال الجليل رحمه الله بئس على السلام حق عني وقام حتى انحنى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك محرمان نازحتني إليك شوقاً مني إليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبي وذكر الله أنيسى والافتة كزبى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردايى والرضا غنيمة والمعز غفري والزهد حرفي واليقين قوتي والصدق شيعي والطاعة حبي والجهاد خلقى وقررة عيني في الصلاة (١) وقال ذو النون سيجان من جبل الأرواح جنوداً مجندة فأرواح المارفين جلالية قدسية فذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك حنوا إلى الجنة وأرواح الفاذلين هواية فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض المشايخ عزيت في جبل الكام رجلاً أمر اللون متعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

ويقول الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والآراء والعوارض والمجاهات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله للوفى للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلو كتاب النية والإخلاص والصدق .

﴿ كتاب النية والإخلاص والصدق ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الوقنين ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله

(١) حديث على سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجده إسناداً .

﴿ كتاب النية والإخلاص والصدق ﴾

ذلك له إلا إذا كان الصبر مستقراً وممكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الفرزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يتعامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وباتصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح ويان ذلك بدق وناهيك بشرف

إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والأنس والملائكة القرآن أن يدعو عبادة المحاصنين فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فإله الإلادين الخالص للدين . فانه أغنى الأغنياء عن شركة الشاركن والصلاة على نبيه محمد سيد الرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] فقد انكشف لأرباب القلوب بصيرة الإيمان وأتوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكت إلا المالمون والمالون كلهم هلكت إلا العالون والمالون كلهم هلكت إلا المحاصنون والمحاصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناه والنية بغير إخلاص رياء وهو للفتاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوا بغيره - وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعناه هباء منثورا - وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب المحاسن نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والإخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب : الباب الأول في حقيقة النية ومعناها . الباب الثاني : في الإخلاص وحقيقته . الباب الثالث : في الصدق وحقيقته . [الباب الأول في النية] وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان فضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار .

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والعشى يريدون وجهه - والراد تلك الإرادة هي النية وقال عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينسكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرس ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيه (٢) » وقال تعالى - إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما - فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٣) » وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد للملائكة في مصحف ممتعة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألتوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون ياربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعمله في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمسكت كما يعمل فيها في الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤتمه علما فهو يتخطى بحمله في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمسكت كما يعمل فيها في الوزر سواء (٥) » ألا ترى كيف شركة بالنية في محاسن عمله

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرس ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن أبي هريرة (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة الحديث الفارغاني من حديث أنس بن مالك (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علما ومالا الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - كل أجر بغير حساب وأجر الصابرين بغير حساب . وقال الله تعالى لنيته : - واصبر وصابركم - إلا بالله - أضاف الصبر إلى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به . قيل وقف رجل على الشبل فقال أي صبر أشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال الشبل وقال ومكك أي شيء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبل صرخة كاد أن تتلف روحه . وعندى

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ولما كان بالمدينة أقواما ماقطعا واديا ولاوطشا موطئا يحيط السكفار ولاأنه قنا نفقة ولاأما بقنا محصاة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك؟ رسول الله وليسوا معاقل حبسهم العذر فشركوأبحسن النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له فاجر رجل فزوج امرأة فانسكان يسمى مهاجرا أم قيس (٢)» وكذلك جاء في الخبر «إن رجلا قتل في صبايل الله وكان يدعى قتيل الحار (٣)» لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عباد عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يبتغي إلا عقلا لله مانوى (٤)» وقال أبي «استعنت رجلا بزمي فقال لآحي تجعل لي جملا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنيا وآخرته إلا ما جعلت له (٥)» وروى في الاسرائيليات أن رجلا مركبكان من رمل في حاجة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك. وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فصدقت به ، وتدور في أخبار كثيرة «من هم بمنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٦)» وفي حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيقه وفارقها أرهد ما يكون فيها (٧)» وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم السكره والأجير فقال يخشرون على نياتهم (٨)» وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القتيلون على النيات (٩)» وقال عليه السلام «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تسكب الخلق على مراتبهم فلان يقال للدنيا فلان يقال حمية فلان يقال عصية ألافلا فلولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لشكون كلمة الله من حديث أبي كشة الأعماري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإنما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس إن بالمدينة أقواما ماقطعا واديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فاجر رجل فزوج امرأة وكان يسمى مهاجرا أم قيس الطبراني بإسناد جيد (٣) حديث إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحار لم أجده أصلا في الموصولات والتمارواه أبو اسحق القرأوى في السنن من وجه مرسل (٤) حديث من غزا وهو لا يبتغي إلا عقلا لله مانوى للنسائي من حديث عباد ابن الصامت وتقدم غير مرة (٥) حديث أبي استعنت رجلا بزمي فقال لآحي تجعل لي جملا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له الطبراني في مسند الشاميين ولأبي داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا للفرز ومضى له ثلاثة دنانير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة لإدائانه التي متى (٦) حديث من هم بمنة فلم يعملها كتبت له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبدالله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد قوله وفارقها أرغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أرهد ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبدالله بن عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف بهم يخشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم (٩) حديث إنما يقتل القتيلون على النيات ابن أبي الدنيا في كذب الإخلاص والنية من حديث عمر بإسناد ضيف باهظ إنما بيعت ورويناه في فوائد تمام بلفظ إنما بيعت المسلمون على النيات ولأبي ماجه من حديث أبي هريرة إنما بيعت الناس على نياتهم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه .

في معنى الصبر عن الله وجهه ولو سكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك أن الصبر عن الله يكون في أقصى مقامات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء وإحلالا وتنطق بصبره خجلا وذوبانا ويتغيب في مفاز استنكاته وتحفقه لإحساسه بعظيم أمر اتجلى وهذا من أشد الصبر لأنه ود استدامة هذا الحال تأدية لخلق الجلال والروح تود أن تكتحل بصبرتها باستلماع نور الجلال وكأن النفس منازعة لعموم حال الصبر فانروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر

هي العليا فهو في سبيل الله ^(١) » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ويبحث كل عبد على مامات عليه ^(٢) » وفي حديث الأحف عن أبي بكره « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتاقل والقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال القاتل ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه ^(٣) » وفي حديث أبي هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لا يوي أداءه فهو زان ومن أدان ديناً وهو لا يوي قضاءه فهو سارق ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب لله تعالى يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنف من الجيفة ^(٥) » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ، وكذب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن قصت نقص بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائي البرهمته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية سالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . ونال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير ، وكان بعض الرديين يطوف على العلماء يقول من يداني على عمل لا أزال فيه علاماً لله تعالى فاني لا أحب أن يأتي على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله قليل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا قربت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كماله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أكثر من أن تعدوها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر الله لهم ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولاهم بمصيبة وانتهت إلى غير إيم . وقال أبو هريرة : يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ أو سألوا يسألونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأ أخباركم - يبكي ويردها ويقول : إنك إن بولت فاضحنا وهنتك أشتارنا . وقال الحسن : إنما خلق أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلاحت نيته في الحرى أن يصلح دون ذلك ، فذن عماد الأعمال النيات فالعمل مقتصر إلى النية ليصير بها خيراً أو نية في نفسها خيراً وإن تعذر العمل بانقضى .

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكنثها

(١) حديث إذا التقى الصفان نزلت الملائكة كتبت الحائق على مراتبهم فلان قاتل لادنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٢) حديث جابر يبحث كل عبد على مامات عليه مسلم (٣) حديث الأحف عن أبي بكره إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتاقل والقتول في النار متفق عليه (٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا يوي أداءه فهو زان أحمد من حديث صبيب ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الدين دون ذكر الصداق (٥) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسلاً .

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أغنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يسهل فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يجد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للعرض إما في الحال أو في الكمال فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور ويلازم غرضه ومخالفة بعض الأمور فيحتاج إلى جلب اللذات الموافقة إلى نفسه ودفع الضار الناقض عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك الشيء الضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصير الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصير النار لا يمكنه الحرب منها خلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والليل ولقد بدأت الحركة إليه خلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعنى به نزوعا في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يمكنه فكيف من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زمانا خلقت له القدرة والأعضاء للتحركة حتى يتم به التناول والعوض لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا فإذا جازمت المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلت عن ممارسة باعث آخر صارف عنه انبثت الإرادة وتحقق الليل فإذا انبثت الإرادة انتبضت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالباعث عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والليل إلى ما هو موافق للعرض إما في الحال وإما في الكمال فالحرك الأول هو العرض المطلوب وهو الباعث والعرض الباعث هو المقصد النوي والانتباه هو المقصد والنية والانتباه القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انتباه القدرة للعمل قد يكون يباعث واحد وقد يكون يباعثين اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان ملبا ينتباه القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاتحاد وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتبض عاضدا له ومعاوننا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه فصارا فانبثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نية الفرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خاصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى العرض الباعث ومعناه أنه خلاص عن مشاركة غيره وممازجته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بالانتباه لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قربه الفقير حاجة فيضها للفقير وقرايته وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرايته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غنى فيرغب في قضاء حاجته وبقدر أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفه لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة فصام وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مراقبة لبواعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوته المهب من ألم الشوق

ق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر

رفض المهب للصبر صبرا

قال جعفر الصادق رحمه الله أمر الله تعالى

أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأجل للرسول

صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله

لأنفسه فقال - وما صبرك إلا بالله -

وسئل السري عن الصبر فتكلم فيه فذهب

على رجليه فغرب فجعل يضربه بإمرته فقبل له لم

لا تدفعه ؟ قال أستحي من الله تعالى أن أتكلم

ولكن قوى مجموعهما على إتهاض القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضميعة على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه التي فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بجموع الباعثين وهو الترابية والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لفرش الثواب ولفرش الشاة ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يسيئه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لاثواب في التصديق عليه لكان لا يسيئه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورتا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لاستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسويل . ومثاله في المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوى على الحمل ولو انفرد القوى لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فأن ذلك بالجملة يسول العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة عادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار العمل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يقتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا ومتذكر حكمها في باب الاخلاص والفرش الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لاحكام لها في نفسها وإنما الحكم للنيوع .

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله »)

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله قلبه أو يتفكر في مصالح للدين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكير خيرا من التفكير وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية بمجرد خبر من العمل بمجرد دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية أوهى الفعلة لا خير فيه أصلا والنية بمجرد خبر وظاهر الترجيح للشركتين في أصل الخير بل المعنى به أن كل طاعة تنظم بذية وعمل وكانت النية من جملة الحيرات وكان العمل من جملة الحيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في القصد وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والفرش أن للبعد اختيارا في النية وفي العمل فهما إعلان والنية من الجملة خيرا منها فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود فن قال الخبرين من الفاكهة فانما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاعتناء ولا يشبه ذلك إلا من فهم أن الغناء مقصود وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فمما فهم أثر كل واحد وقاس بعضهم ببعض البعض

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث التواس ابن سميان وكلاهما ضعيف .

في حال ثم أخالف
مائتكم فيه . أخبرنا
أبوزرعة بإجازة عن
أبي بكر بن خفاف بإجازة
عن أبي عبد الرحمن
قال سمعت محمد بن خالد
يقول سمعت الفرغاني
يقول سمعت الجنييد
رحمه الله يقول إن الله
نألي أكرم المؤمنين
بالاعان وأكرم الأيمان
بالعمل وأكرم العقل
بالصبر فالاعان زين
المؤمن والعقل زين
الاعان والصبر زين
العقل وأشد من
إبراهيم الحسواس
رحمه الله :
صبرت على بعض
الأذى خوف كله
وداهت عن نفسي
نفسى فزرت

فالطاعات غذاء للقلوب ، وللقصود شفاؤها وسلامتها في الآخرة وصلاحها وتتمها ببقاء الله تعالى . فالقصود لذة السعادة ببقاء الله قط ولن ينعم ببقاء الله إلا من مات عبدا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره له ، فالأمن يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والمحبة تتبع للعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعاده في الآخرة منوط بها كما يميل المائل إلى القصد والحجامة لعله بأن سلامته فيها ، وإذا حصل أصل الليل للمعرفة فأنما يقوى بالعمل بمقتضى الليل والمواظبة عليه فإن الواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا ، فان اتبع مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه التزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانقطع بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا لوتبعه وعمل بتمتضا فداوم على النظر والمجالسة والمحاطة والمحادثة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على التزوع عنه ، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الليل ويكون ذلك زبرا وضعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه ويتضع ويضعف وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تزد بها الآخرة والبرور كلها هي التي تزد بها الدنيا والآخرة ، وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابه جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بطلعه يموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للنبوع فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والرعيا والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيده صفاتها فيه فالقلب هو للقصود والأعضاء آلات موصلة إلى القصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد (١) » وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعي والرعية (٢) » وأراد بالراعي القلب . وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منك - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لاحتمال أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ، ثم يجب أن تكون النية من جملة أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب بإرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكسب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود بوهذا كان للعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالكرب والدواء الواصل إلى العدة ، فالعرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر

وجرحها للكروه

حتى تدرت

ولولم أجرحها إذن

لاشأزت

ألارب ذلساق للنفس

عزة

وإرب نفس بالتذلل

عزت

إذا ماددت الكف

ألتس التي

إلى غسبر من قال

اسأونى فقلت

سأصبر جهدي إن في

الصبر عزة

وأرضى بدنياى وإن

هى قلت

قال عمر بن عبدالعزيز

رحمه الله : ماأنتم الله

على عبد من نعمة ثم

اتزعها ففاضه عما

اترع منه الصبر

إلا كان مانعه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية تقدم ولم أجده .

إلى العدة ، فما يلاقى عين العدة فهو خير وأضع فهكذا ينبغي أن تعم تأثير الطاعات كلها ، إذ للطلوب منها تغير القلوب وتديل صفاتها قسط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا ، فاذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لأن من مسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو طأن أنه مسح نوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيده الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمه وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض للطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فاذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شرافته لم يؤكد الصفة للطلوب تأكيدها حتى تأكد الصفة للطلوب ففما وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل ، وهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأن هم القلب هو سبيل إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدها فليس التصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبطلان إثارة لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاقب عن العمل عائق فلن يتأثر الله لحومها ولا دماؤها ولكن يراه التقوى منك ، والتقوى ههنا أعنى القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوما بالمدينة قد شربوا كؤفا جهادا » كأنهم ذكروه لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلاله تعالى كقلوب الحارثيين في الجهاد وإنما فارقوم بالبدان لموافق تخص الأسباب الخارجية عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وهذه المعاني فقيم جميع الأحاديث التي أو ردتاها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا تنطول بالإعادة.

(بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية)

اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة فمن فضل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك بما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي وباحات. القسم الأول: للأداسي وهي لا تتغير عن موضعيها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام وإنما الأعمال بالنيات فيظن أن للنية تنقلب طاعة بالنية كالذي يفتاب إنسانا مراعاة لغيره أو يعظم فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رابطا بمال حرام أو تصد الخيرية فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونه ظلما وعدوانا ومعضية بل قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طاب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيات بل الرجوع لذلك على القلب حتى الشهوة وباطن الهوى فإن القاب إذا كان لا يلا إلى طلب الجاهل واستماله قلوب الناس وسائر مخلوقات النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى: ماعنى الله تعالى بحسبة أعظم من الجهل. قولي يا يا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالسكينة باب التعلم فمن يظن بالسكينة بنفسه أنه عالم فكيف يعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

بما انتزع منه وأشد
لسنون :

تخرجت من حالبه
نمى وأبوسا

زمانا إذا جرى عزاليه
أحصى

فكم غمرة قد جرعنى
كؤوسا

فجر عثام من بحر صبري
أكؤوسا

تدرعت صبري
والتحفت صروقه

وقلت لنفسي الصبر أو
فأهلكنى أسمى

خطوب لوان الشم
زاحمن خطبا

لساخت ولم تدرك لها
الكف ملسا

[قولهم في الفقر] قال
ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فاذا كان
لك لا يكون لك حتى

فان من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم الزخرفة التي هي وسائهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والقصود أن من قصد الخير بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم ، وقد قال الله سبحانه - فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يضر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ^(١) » ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم السفاه والأشهرار للشغوليين بالفسق والفجور القاصرين همهم على مكارمة العلماء ومباراة السفاه واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والسالكين فان هؤلاء إذا تموا كانوا قاطع طريق الله وانتمض كل واحد منهم في بلدته ناثبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتبعه عن التقوى ويستجرى الناس بسبب مشاهدته على مفاصل الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى العلم الذي علمه العلم مع علمه ففساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وأنتى ستغطون لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في السداد فالمصيبة منه لاني وما قصدت به إلا أن يستبين به على الخير وإعنا حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلم العلم بحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجلية وقد صدقت به أن يغزو هذا السيف والفرس في سبيل الله فان إعداد الخيل والرباط والقوة اللازمة من أفضل القربات فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام لمع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ثلاثة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء ^(٢) » فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم يجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فادلاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمد به غيره والعلم سلاح يقاوت به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لذنيه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إيماده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه تقصيرا في نقل من التواضع أنسكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه وشوه عن مجالسهم وتركوا تسكيبه فضلا عن تعليمه لهم بأن من تعلم بمسأة ولم يعمل بها وحاولها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تودع جميع السالف بالله من الفاجر العالم بالسنة وماتوا وذوا من الفاجر الجاهل . حتى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تقريره عليه وهو

نؤثر . وقال السكاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح التقى بالله تعالى لأنهما حالان لا يبرأ أحدهما إلا بالآخر . وقال النوري : نست الفقراء السكون عند العدم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاضطراب عند الوجود . وقال الدراج فتشفت كنف أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة تحيرت ، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنفك هذه القطعة . قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا فقلت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقي

(١) حديث لا يضر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يضر الجاهل على الجهل وقال لا ينبغي بدل ولا يحل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن لله ثلاثة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب الحبة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلى أنك طبقت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو
 أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فمكنا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا
 وأمثلة مما يلبيس على الأغنياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأحكام الواسعة وأصحاب
 الألسنة الطويلة والفضل الكثير ، أعنى الفضل من العلوم التي لا تشمل على التحذير من الدنيا
 والرجوع عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعاقب بالحق وتوصل بها إلى جمع
 الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فاذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يختص
 من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون العاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والبيع ينقلب
 معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً ، نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذاضاف
 إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة . القسم الثاني الطاعات
 وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها . أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى
 لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فيكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة
 يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
 حسنة عشر أمثالها ^(١) كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات
 كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال التقين ويبلغ به درجات القربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله
 وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
 «لأن قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على الزور إكرام زائره» ^(٢) وثانيها أن يخطر الصلاة
 بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى - ورباطوا - . وثالثها الترهيب
 بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كفو هو في معنى الصوم وهو
 نوع ترهب ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهبانية أمتي القعود في المساجد» ^(٣) ورابعها
 عكوف المم على الله ولزوم السر للتفكير في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاغترال إلى المسجد
 وخامسها التجرد لذكر الله أولاً استماع ذكره والتذكر به كما روى في الخبر «من غدا إلى المسجد يذكر
 الله تعالى أوبذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى» ^(٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر معروف
 ونهي عن منكر إذ المسجد لا يغلو عن شيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له في أمره بالمعروف وبشرده
 إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتضاعف خيرا ته . وسابعها أن يستفيد أخا
 في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة وللمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله . وثامنها
 أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما ينقض هناك الحرمة ،
 وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : من أضمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع
 خصال أخا مستغدا في الله أو راحة مستترلة أو علماً منظرافاً أو كلفة تدل على هدى أو تصرفه

الله تعالى من الدنيا
 مفرها ولا يضاعف
 غيرها فأردت أن
 أوصي أن تشد في كفى
 فأردتها إلى الله وقال
 إبراهيم الحواشي الفقر
 رداء الشرف ولباس
 المسلمين وجلباب
 الصالحين . وسئل
 سهل بن عبد الله عن
 الفقير الصادق فقال
 لا يسأل ولا يرد ولا
 يحس . وقال أبو علي
 الرودباري رحمه الله
 سألت الزقاق فقال
 يا أبا علي لم ترك الفقراء
 أخذ البلعة في وقت
 الحاجة قال قلت لأنهم
 مستغنون بالمعطى عن
 العطايا قال نعم ولكن
 وقع في شيء آخر فقلت
 هات أفدني ما وقع لك

(١) حديث تضعيف الحسنة بعشر أمثالها تقدم (٢) حديث من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى
 وحق على الزور إكرام زائره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحوه من
 رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بساند صحيح وقد تقدم في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمتي القعود
 في المساجد لم أجده أصلاً (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله ويذكر به كان كالمجاهد في سبيل
 الله تعالى هو معروف من قول كعب الأحبار روي في جزء ابن طوق وللطبراني في الكبير من حديث
 أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حج تامحج أو إسناده جيد
 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة زكلاً دعا أو راح

عن ردى أو يترك الذنوب خشية أحياء فهذا طريق تسخير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتل نيات كثيرة وإنما يحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمه له وتفكره فيه فهذا تركو الأعمال وتتضاعف الحسنات [القسم الثالث الباحات] كومان شئ من الباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فاعظم خسران من يقبل عنها ويتعاطاها تعاطى البهائم للهمة عن سهو وغفلة ولا يبنى أن يستحق العبد شيئا من المحطرات والخطوات والملاحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذى قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب»^(١) وفى حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عينه وعن ثنات الطينة بإصبعيه وعن لمه ثوب أخيه»^(٢) وفى خبر آخر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أثمن من الجيفة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية . فان قلت لما الذى يمكن أن ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله . فاعلم أن من تطيب مثلاً يوم الجمعة وسائر الأوقات بصورة أن يقصد التمتع بلبات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال لجسده الأقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبية إذا كان مستحلاً للنظر إلين ولأمور أخر لا تخص وكل هذا يجعل التطيب مصيبة فبذلك يكون أثمن من الجيفة في القيامة إلا لا قصد الأول وهو التلذذ والتمتع فان ذلك ليس بمصيبة إلا أن يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره ونهايك خسرانا بأن يستعمل ما يفى ونعسر زيادة نعيم لا يفى وأما النيات الحسنة فانه ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة^(٣) وينوى بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله لإطيب الرائحة وأن يقصد به ترويع جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدى إلى إبداء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الفرية عن الغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيصون الله بسببه فمن تعرض للعبية وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المصيبة كاقبل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحمون هم

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزبد به فقلته وذلك يؤهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله فهذا مثاله من النيات لا يصحز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبه على قلبه وإذا لم يلقب على قلبه إلا النعيم الدنيال تخضر هذه النيات

(١) حديث حلالها حساب وحرامها عقاب تقدم (٢) حديث معاذ إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عينه وعن ثنات الطين بإصبعيه وعن لمه ثوب أخيه لم أجده إلا إسناداً (٣) حديث إن ليس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من اعتدل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده وليس أحسن ثيابه الحديث ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وفى إسناده اختلاف وفى الصحيحين أن عمر رأى حلة سبراء عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يرم الجمعة الحديث .

قال لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود إذ فقه فاقهم ولا تضرم الفاقة إذ فقه وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال السوحي الفقير الذى لا تنبيه النعم ولا تفقره المحن . وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر أن لا يستغنى إلا بالله ورحمه عدم الأسباب كلها وقال أبو بكر الطوسى بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجنى أحد بجواب يقتضى حق سألت نصرين الجامى فقال لى لأنه أول منزل من منازل

وإن ذكرت له لم يبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من الية في شيء
والباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النبات فيها نفس بهذا الواحد ماعده ولهذا قال بعض العارفين من
السلف إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشرب ونوم ودخول إلى الحلاء
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن و فراغ القلب من
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة ومن الوراق تحسين دينه
وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يعبده الله تعالى بعبده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان
طيباً بأكله ونسكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوراق وقصد الخير بهما غير ممنوع لمن غلب
على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله وإذا بلغه
اغتيال غيره له فليطيب قلبه بأنه سيجعل سيئاته وستة إلى ديوانه حسنة ولينو ذلك بسكوته عن
الجواب في الخير « إن العبد ليحاسب فيظلل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يارب هذه أعمال ما عملها قط فيقال هذه
أعمال الذين اغتابوك وآدوك وظلوك ^(١) » وفي الخير « إن العبد لو أوفى القايمة بحسنات أمثال الجبال
لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقص لهذا من حسناته ولهذه من
حسناته حتى لا يبق له حسنة فتقول الملائكة قد فبت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه
من سيئاتهم ثم صكوا له صكاً إلى النار ^(٢) » وبالجملة فإياك أن تستحق شيئا من حركاتك ولا تتعزز
من غرورها وشروها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد بما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد وسال بعض السلف كتب كتاباً وأردت أن أتربه من حافظ جارلي فخرجت
ثم قلت تراب وما تراب قربة تهب في هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدام سوء الحساب
وصلى رجل مع الثوري فرآه مغلوب الثوب وفرقه قد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوءه فساء له عن ذلك
فقال إني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة
فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت ابنة من حاطني وأخذت خيطاً من
نوبي فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين فإن كنت من أولى الزم والتهب ولم تكن من المغترين
فانظر نفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قيل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن
ولا تتحرك ما لم تأمل أولاً أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفتوك
من الآخرة وبما ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأمن عزمك وما خطر
ببالك وإلا فأسك ثم راقب أيضاً قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية
صحيحة فلا ينبغي أن يكون الداعي هو خفي لا يطلع عليه ولا يفرنك ظواهر الأمور ومشهورات الطغرات
واقطن للأغوار والأسرار تخرج من حين أهل الاعتراض قد دروي عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل
في حائط بالطين وكان أجيرا تقوم قدموا له رغباً إذ كان لا يأكل إلا من كسبه فدخل عليه قوم

(١) حديث إن العبد ليحاسب فيظلل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه الأعمال الذين اغتابوك الحديث أبو منصور
الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شيب بن سعد البلوي مختصراً إن العبد
لإني كتابه يوم القيامة منتقراً فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا في يوم العمل وإني قال بما
اغتابك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لبيعة (٢) حديث إن العبد لو أوفى القايمة بحسنات أمثال
الجبال وفيه وبأني قد ظلم هذا وشتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف .

التوحيد فقتعت بذلك
وسئل ابن الحلاء عن
الفقر فكنت حتى صلي
ثم ذهب ورجع ثم قال
إن لم أسكت إلا الدرهم
كان عندي فذهبت
فأخرجته واستجيت
من الله تعالى أن أسكك
في الفقر وعندي ذلك
ثم جالس وتكلم .
قال أبو بكر بن
طاهر عن حكم الفقير
أن لا يكون له رغبة
فإن كان ولا بد لا يجاوز
رغبته كفايته . قال
فارس قلت لبعض
الفقراء مرة وعليه أثر
الجوع والضر لم لا تسأل
فقطعموك ؟ فقال إني
أخاف أن أسألهم
فيمنعوني فلا يفلحون
وأشد لبعضهم :

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتعجبوا لما عرفوا من سخاوتهم وهدوءهم وأن الحريق طلب الساعدة في الطعام فقال إني أعمل لقوم بالأجرة وقدما إلى الرغيف لأتقوى به على عملهم فلما كلمهم معي لم يكلمهم ولم يكلمني وضعت عن عملهم فالصبر هكذا ينظر في البواطن بنور الله فإن ضعفه عن العمل قص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام تنص في فضل ولا حكم للفضائل مع الرغاض . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلى حتى لمق أصابه ثم قال لولائي أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد بأحد الوزيرين اتفاق وبالتالي تحريضه أخاه لما يكره لوعله فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يحتم ولا يجزم بالإتية فإن لم تحضره التبة توقف فإن التبة لا تدخل تحت الاختيار .

(بيان أن التبة غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين التبة وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارتها أو أكله نويت أن أدرس فلأول كل لله وظن ذلك نية وهيات فذلك حديث نسي وحدث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية تعزل من جميع ذلك وإنما التبة إنبات النفس وتوجيهها وسيلها إلى مظهر لها أن فيه غرضا إما عاجلا وإما آجلا والليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كتول الشيطان نويت أن أشتري الطعام وأميل إليه أو قول القارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه يفتلي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك بما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما تذبت النفس إلى الفعل إيجابا للعرض الباعث للوافق للنفس اللاتم لها وما لم يستقد الإنسان أن غرضه منوط بخلع من الأفعال فلا توجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد قائما بتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوراف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يستقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يلبس على قلبه أن إقامة سنة النكاح (١) اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم فضلا لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية ، ثم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بظلم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنغرات عن الولد من تهلؤنة وطول التنب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك أعضاءه لما يشره المقدر فإذا تبرعت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فإن لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويرده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم التبة وكانوا يقولون ليس يحضرنا فيه حتى وإن استمررت لم يصل على جنازة الحسن العصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره وأن هات المدي قالت أجيء بالمرأة فسكت ساعت ثم قال نعم قبل له في ذلك فقال كان في المدي نية

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

قالوا غدا العيد ماذا

أنت لابس

فقلت خاضعة ساق

عبد الجرجا

فقر صبرها نوبان

تحرمها

قلب يرى ربه الأعياد

والجماء

أحرى اللابس أن تلقى

الحبيب به

يوم التزاور في الثوب

الذي خلما

الدهر لي مأنم أن غبت

يا أملي

والعيد مادمت لي

مرأى ومستعما .

[فوهم في الشكر]

قال بعضهم الشكر

هو التبة عن الذمة

برؤية النعم . وقال

يحيى بن معاذ الرازي

لست بشاكر مادمت

تشكر وطاعة الشكر

ولم يحضرني في المراجعة فتوقفت حتى هياها الله تعالى ومات حماد بن سلمان وكان أحد علماء أهل
السكوفة قبيل الثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لعلت وكان أحدم إذا سئل عما عمل من أعمال
البر يقول إن رزقي الله تعالى نية فقلت وكان طاموس لا يحدث إلا بنية وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث
ولا يسأل فيتدبره فقلت له في ذلك قال أفتحيون أن أحدث بشيء نية إذا حضرته نية فقلت. وحكي
أن داود بن الجهم لما صنف كتاب العقل جاء أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد فصاح وورده
فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فأأنظر فيه بين الجهم وإنما
نظرت فيه بين العمل فانتصت قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث
عنده طويلاً ثم قال جزاك الله خيراً فقد انتصت به وقيل لطاموس ادع لنا فقال حتى أجد له نية. وقال
بعضهم أنا في طاب نية لقيادة رجل منذ شهر لما صحت لي بعد . وقال عيسى بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من ثيابي
وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بنية لهم
بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صدقة رياء وتكلف وهو سبب مقتل لاسبب قرب وعلوا
أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعث القلب يجرى مجرى الفؤاد من الله تعالى
فقد تيسر في بعض الأوقات وقد تعذر في بعضها ، نعم من كان الطالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في
أكثر الأحوال إحضار النية فخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالباً
ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم تيسر له ذلك بل لا تيسر له في القرض إلا بالمجدد ويدواغياته
أن تذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فرجاً تبعث له داعية ضيقة
فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيتته وأما الطاعة على نية لإجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا
تيسر للراغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلاً عن
يتعاطاها وينت الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يثق النار
ومنها من يحمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصد طاعة الله
وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواء فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى اللوعود في الآخرة وإن
كان من جنس المألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرها الجنة
فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لبالها بعمله إذا كثرت
أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الأبواب فأنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه جباله ووجلاله وسائر
الأعمال تكون مؤكداً وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى النكوح والطعوم في الجنة
فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالصدقة والعشى يريدون وجهه فقط وثواب الناس بشتر
نيتهم فلا جرم يقسمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون عن يثقت إلى وجه الحور العين كالسخر
المتنم بالنظر إلى الحور العين مما يقسم بالنظر إلى وجه الصور للصنوعة من الطين بل أشد من التفاوت
بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين
والصور للصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البشرية الشبوانية لقضاء الوطن من غلاطة الخلدان
وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها وإلهامها وإعراضها عن
النظر إلى جمال وجوه النساء فمضى أكثر القلوب عن إحصار جمال الله جلالة ضاهي عن الخنفساء
عن إدراك جمال النساء فأنها لا تنشر به أصلاً ولا تلفت إليه ولو كان لها عقل ودكرن لها
لا تحسنت عقل من بانغت إليهن - ولا يزلون مختلفين - كل حزب بما لديهم فرحون - ولذلك خلقهم -

التحير وذلك أن
الشكر نعمة من
الله يجب الشكر
عليها وفي جوارده
له السلام إلى
كيف أشكره وأنا
لا أستطيع أن
أشكره إلا بنعمة
تأتي من نعمك فأوحى
الله إليّ إذا عرفت
هذا قد شكرته
ومعنى الشكر في اللغة
هو الكشف والانتهاز
يقال شكر وكشرك
إذا كشف عن قعر
وأظهره فشر النعم
وذكرها وتصددها
بالسان من الشكر
وباطن الشكر أن
تستعين بالعم على
الطاعة ولا تستعين بها
على المعصية فهو شكر

حكى أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أبا زيد فان يطلى ورأى أبو زيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال أترك نفسك وتعال إلى . وروى التلميذ بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعوى بل ربهان إلا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والقرص أن هذه الثبات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العود إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق ثورث أعمالا وأفعالا لا يستكرها الظاهريون من الفقهاء فانها لو من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالحال أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه قبيصة لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ويرغب نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تنبثق نية في الحالين للصوم والصلاة فلا أكل والشرب والنوم هو الأفضل بل لو لم للعبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت ورغبته ولم علم أنه لو ترك فصاعدا لم يوحى به عاده نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة . قال أبو الفداء إني لأستجيبه نبي حتى ممن الله فيكون ذلك عوناً لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها إذا كرهت عمت وهذه دقائق لا يدركها إلا ساهرة الصفاء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يبالغ الخمرور بالجمع حرارته ويستبقده القاصر في الطب وإنما يبتنى به أن جيداً أولاً قوته ليحتمل المعالجة بالصد والحاذق في لعب الشرطع مثلاً قد ينزل عن الرخ والفرس بجنانا ليتوصل بذلك إلى الطبقة والضعف البصرية قد يضحك به ويتهجب منه وكذلك الحبيب بالقتال قد يفر بين يدي قرينه وبولي دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيسكن عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعاجلة القلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستعملها الضعفاء فلا يبتنى للمريد أن يضمن إنكار ما يراه من شيء ولا للمعلم أن يترضى على أستاذه بل يبتنى أن يقف عند حد بصيرته وما لا يهجمه من أحوالها بما سمعه لها إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

(الباب الثاني في الاخلاص وفضيله وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال - لأنه الدين الخالص - وقال تعالى - إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - زلت فيمن يعمل لله ويجب أن يعبد عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله ^(١) وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال « ظن أبي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضمها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم ^(٢) وعن الحسن عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من

(الباب الثاني في الاخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي ومعه من حديث النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بضمها ودعوتهم وإخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخاري بلفظ هل تصرون وترزقون إلا بضمائكم .

الذمة . وصحبت شيخنا

رحمه الله يشد عن

بعضهم :

أوليتي نعماً أيوخ

بشكرها

وكفتني كل الأمور

بأسرها

فلا شكر لك ما حيت

وإن أمت

فلا شكر لك أعظمى

في قبرها .

قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« أول من يدعى إلى

الجنة يوم القيامة الذين

يحمدون الله في السراء

والضراء . » وقال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم « من ابتلى صبر

وأعطى تشكر وظلم

فغفر وظلم فاستغفر »

فيل باله قال وأولئك

أحبت من عبادي ^(١) » وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه لانهما لقتله العمل وانهما لا يقبل
 فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل «أخلص العمل بمحركه من القليل ^(٢) » وقال عليه السلام
 « مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بنائيع الحسنة من قلبه إلى الله ^(٣) » وقال عليه
 السلام « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فاعلمت فيقول
 يارب كنت أقوم به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن
 يقال فلان عالم ألا فصدق ذلك ورجل آتاه الله ما فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فإذا صنعت وتقول يارب
 كنت أتصدق به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت
 أن يقال فلان جواد ألا فصدق ذلك ورجل قدل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب
 أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتل فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان
 شجاع ألا فصدق ذلك قال أبو هريرة ثم خطب رسول الله ﷺ على غزاه وقال يا أيها البررة أولئك أول
 خلق تسع نار جهنم بهم يوم القيامة ^(٤) » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فكسح حتى
 كادت نفسه ترهق ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية في الاسرائيليات
 أن عابدا كان بعد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا إنهم ناقوا ما يبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب
 لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد رمك
 الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذلك تركت عبادتك واشتغاك بنفسك وتفرغت لغير ذلك
 فقال إن هذا من عبادي قال فاني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على
 صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أكلك فقام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا
 ولم يفرغه عليك وامتد بها أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في آقالم الأرض ولوشاء لبعثهم
 إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فإذ به للقتال فقبله العابد وصرعه وقعد على صدره
 ففزع إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنتع قال وما هو أطلعتني حتى
 أتول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لاشيء لك إنما أنت كل على الناس ببولوك ولعلك
 تحب أن تقض على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستنق عن الناس قال نعم قال فارجع عن
 هذا الأمر ولاك على أن أجعل عندك أسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهم فأفقتت على نفسك
 وعمالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أشفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس
 مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك للمؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال
 صدق الشيخ لست بغيري فيلزم قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودنته قلب من أحببت
 من عبادي رويته في جزء من مسلسلات القرويين مسلسلا يقول كل واحد من رواه سألت فلانا
 عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء المجيعي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن
 عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد
 كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند
 ضعيف (٢) حديث أنه قال لمعاذ أخلص العمل بمحرك من القليل أبو منصور الديلمي في مسند
 القردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن
 عدى ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل
 يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم .

لهم الأمن وم
 مهتدون . وقال
 الجليل فرض الشكر
 الاعتراف بالعم بالقلب
 واللسان . وفي الحديث
 « أفضل الذكر لا إله
 إلا الله وأفضل الدعاء
 الحمد لله . » وقال بعضهم
 في قوله تعالى - وأسبغ
 عليكم نعمه ظاهرة
 وباطية - قال الظاهرة
 العوافي والغنى والباطنة
 البسلاوي والفقر
 فان هذه نعم أخروية
 لما يستوجب بها من
 الجزاء . وحقيقة
 الشكر أن يرى جميع
 النقص له به نعمًا غير
 ما يضره في دينه لأن
 الله تعالى لا يقضى للعبد
 المؤمنين شيئًا إلا وهو
 نعمة في حقه فيما عاينه

وما ذكره أكثر منفعة فساهده على الوفاء، بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبه فبات فلما أصبح رأى دينار بن عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بهد فإرشيا فتنصب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كأفد أول مرة فقال له بات فأنه إبليس وصصره فإذا هو كالصفر بين رجله وقد لبس على صدره وقال لتبين عن هذا الأمر أولاً فذكرتك فنظر العابد فإذا لاطاقة له به قال يا هذا غلبني غفل عني وأخبرني كيف غلبتني أولاً وغلبني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة فله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله بالصورة هذه لعل غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - لإعابك منهم المخلصين - إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالأخلاص ولذلك كان معروف السكوف : المخلص من يكتم حسنة كما يكتم سيئته . وقال سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيتك كفاء الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له : خلص الية في أتمالك بكفك القليل من العمل . وقال أبو السخاني : تخلص النيات على العباد أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا صني له ومن خلط خلط عليه . وروى بعضهم في المنام قيل له كيف وجدت عمداك ؟ فقال كل شيء عمله فله وجدته حتى حبة رمان لقطها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسان وكان في قلنسوتي خيط من حرير فأرأيت في كفة السيئات وكان قد نحق حمالي قيمته مائة دينار ففأرأيت له ثوبا فقلت موت سنور في كفة الحسان وموت حمالي فيها فقبلت إبهذه وجع حيث يثب به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فقبل أجرك فيه ولولت في سبيل الله لوجدته في حسناك . وفي رواية قال وكنت قد صدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرم إلى فوجدت ذلك لاطى ولالى . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من القث والهم ، وقيل كان رجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فصرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتق فكاوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت التوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال إن نجوت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدرّة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرّة فقد وجدنا الدرّة . وقال بعض الصوفية : كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرق أرضه بيد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدان فساره بشي فقال أبو عبيد لا ، فمر كالسحاب يسبح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك ؟ فقال سألت أن أحج معك قلت لا قلت فملا فقلت ؟ قال ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتم هذه الأرض العشة فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمت الله تعالى لأنى أدخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أتانيه أعظم عندي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر فمرض بضنا فحملت فقلت أشتريها فأنتفع بها في غزوى فإذا دخلت مدينة كذا بعثا فرمحت فيها فاشترتها فأرأيت تلك البلية في اليوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب المرأة فأطلى عليه خرج فلان منزها وفلان مراثيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر إلى وقال اكتب فلان خرجا فقلت

بفرها ويفهمها وإما
أجله بما يغضى له من
الكاره فاما أن تكون
درجة له أو تحبها أو
تكفيرا فإذا علم أن
مولاه أنصح له من
نفسه وأعلم بمصالحه
وأن كل ما منه نعم فقد
شكر .

[قولهم في الخوف]
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «رأس
الحكمة مخافة الله»
وروى عنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال
«كان داود النبي عليه
السلام يعود الناس
يظنون أن به مرضا
وما به مرض إلا خوف
الله تعالى والحياة منه»
قال أبو عمر الدمشقي
الخائف من يخاف من

الله في أمرى ماخرجت أنحر وما معى تجارة أنحر فيها ماخرجت إلا للأنز وقال بإسبع قد اشترت
أمس عملة تريد أن ترع فيها فبكيت وقلت لا تسكتوني تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال
اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه عملة ليرع فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه عابري.
وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى : لأن تصل ركعتين في خلوة تخلدك خير لك من أن تسكتب
سبعين حديثا أو سبعائة بعلو . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاه الأبد ولكن الإخلاص عزيز
وقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص . وقال بعضهم إذا أنقض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنه
ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنه الإخلاص فيها وأعطاه
الحكمة ومنه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلاق الإخلاص فقط . وقال
الجنيدي : إن لله عبادا عقلا فاعلموا عملا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب
البر أجمع . وقال محمد بن سعيد للروزي : الأمر كله يرجع إلى أصلين فعل منه بك وفعل منك له
تقرضى ماقل وتخلص فيها تعمل فاذن أنت قد سمعت بهذين وفزت في الدارين .

(بيان حقيقة الإخلاص)

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخالص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل
الخالص الإخلاص قال الله تعالى - من بين فوئد دم لنا خالصا - سائغا للشاربين - فاعلموا خلوص
الباين أن لا يكون فيه شوب من الدم والفوئد ومن كل ما يمكن أن يمتزج به والاختلاص يضاده
الاشتراك فمن ليس مخلصا فهو مشترك إلا أن الشريك درجات فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك
في الإلهية والشريك منه خفي ومنه جلي وكذا الإخلاص والاختلاص وضده يتواردان على القلب
فمصلحة القلب وإيمانا يكون ذلك في التصرد والليات وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة
البواعث فمعها كان الباعث واحدا على التجرد سمى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى النوى
فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو محاص ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب
كما أن الأحاد عبارة عن الليل ولكن خصصته العادة باليل عن الحق ومن كان ناعته مجرد الرياء
فهو معرض للهلاك ولنا تنسكهم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربيع للمهلكات
وأقل أموره ماورد في الخبر من « إن الرائي يدعى يوم القيامة بأربع أسماء امرأى يا مخادع يا مشرك
يا كافر (١) » وإيمانا تنسكهم الآن فيمن انبث قصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر
إيمانا من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحاجة الحاصلة بالصوم مع
قصد التقرب أو يمتنع عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصحب مزاجه بحركة السفر
أو يتخلص من شر يمرض له في بلده أو ليهرب عن عدو له في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو يشغل
هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو لينزو ولجارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على نهضة
الساكر وجرحها أو يسلل بالليل وله غرض في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله وأرحله أو يتعلم
العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيا بين المشركين أو ليكون قناره أو ماله محروسا
بمن العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدريس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلبذة الحديث
أو تكفل بمهمة الماء والصوفية لتكون حرمته وافرقة عندهم وعند الناس أو ليال يدقق في الدنيا

(١) حديث إن الرائي يدعى يوم القيامة يا مخادع يا مشرك يا كافر الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب السنة
والإخلاص وقد تقدم .

نفسه أكثر مما يخاف
من الشيطان . وقال
بعضهم ليس الخائف
من يتيكى ويحس
عنيه ولكن الخائف
التارك ما يخاف أن
يغضب عليه . وقيل
الخائف الذي لا يخاف
غير الله قيل أى
لا يخاف نفسه إيمانا
يخاف إحلالا له
والخوف للنفس خوف
العقوبة . وقال سهل
الخوف ذكر والرجاء
أنفى أى منها تولد
حقائق الإيمان . قال
الله تعالى - ولقد
وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم
وإياكم أن اتقوا
الله - . وفي هذه الآية
نقط القرآن لأن مدار

أو كتب مصحفاً ليجود بالوفاة على الكتابة خطه أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه السكراء أو توسلاً
لبدنك أو يتبرد أو اعتدلت تطيب رائحته أو روى الحديث ليرف بعلو الاسناد أو اعتكف في المسجد
ليخفف كراء السكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليتفرغ لأعماله فلا يشغله
الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إمرامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضاً ليعاد إذا مرض
أو يشيع جنازة ليشيع جناز أهل أو يفعل شيئاً من ذلك ليرف بالحجر ويدكر به وينظر إليه بمن
الصالح والوفار فهم ما كان ناعته هو التقرب إلى الله تعالى ولسكن انضاف إليه خطرة من هذه
الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج
عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «أنا نغنى الشركاء عن الشرك»
وبالجمل كل حظ من حظوظ الدنيا تسترغ إليه النفس ويبدل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق
إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه بنفس في شهواته قلما
يفتق فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك
قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعمدة الاخلاص وعسر تفتية القلب
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ
إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظراً فيها إذا كان قصد
الأصل هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الواقعة أو في
رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في النية ، وبالجمل فاما أن يكون الباعث النفس مثل الباعث
الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وإنما الاخلاص تخليص العمل
عن هذه الشوائب كلها قليلاً وكثيراً حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث وما وهذا
لا يتصور إلا من يحب الله مستتر بالله مستغرق بهم بالآخرة بحيث لم يبق لطلب الدنيا في قلبه قرار حتى
لا يحب الأكل والشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث لا ضرورة الجلبة
فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويتعنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج
إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدراً الضرورة مطلوباً باعتداله
لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان
خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً حتى يرغب - ليتقوى على العبادة بعده
كان نومه عبادة وكان له درجة الخاصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الأعمال مسدود
عليه إلا على الدور وكان أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكسبت حركاته الاعتدالية صفته
وصارت إخلاصاً فالدني يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة ، وبالجمل غير الله فقد اكسبت جميع
حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً فإذا علاج الاخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن التجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاز ذلك يتيسر
الاخلاص وكمن أعمال يعجب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى
وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول
لأن تأخرت يوماً لعذر فضليت في الصف الثاني فاعتزني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني
فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان مسرئاً وسبب استراحة قلبي من حيث لا أظن وهذا دقيق
غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقد من ينسب له الإلمن وقته الله تعالى والثافلون عنه يرون حسناتهم كلها في
الآخرة سيئاتهم والرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبدا لهم من سيئاتهم ما لم يكونوا

الأمر كله على هذا .

وقيل إن الله تعالى جمع

للخائفين مافرقه على

الؤمنين وهو الهدى

والرحمة والعلم

والرضوان فقال تعالى

- هدى ورحمة للذين

هم لربهم يرهبون -

وقال - إنما يخشى الله

من عباده العلماء -

وقال - رضى الله عنهم

ورضوا عنه ذلك لمن

خشى ربه - . وقال

سهل: كمال الإيمان بالعلم

وكمال العلم بالحجوف .

وقال أيضاً: العلم كعب

الإيمان والحجوف

كعب للمعرفة . وقال

ذوالنون لا يبقى الحب

نكس المحبة إلا من بعد

أن ينضج الحجوف قلبه .

وقال فضيل بن عياض

وبقوله تعالى - قل هل ينشكركم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأعد الخلق تمرضا لهذه الفتنه العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم للذة الاستيلاء والفرح بالاستبصار والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظين على الله تعالى بصيغة الخلق وعظه للمسلمين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسره من نصرة الدين ولوظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وعنه ولو كان باعته الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إننا غمك لا قطع الثواب عنك لا انصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو انقلبوا بقولك لكنت أنت المصاب واثامك لقوات الثواب محمودا لا يدري للسكان أن انتياده للحق وتسلمه الأسر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من انفراده ، وليت شعري لو اعتم عمر رضي الله عنه بتصدع أبي بكر رضي الله تعالى عنه للإمامة أكان غمه محمودا ومذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن انتياده للحق وتسلمه الأمر إلى من هو أصح منه أعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر ، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد يتخذه بعض أهل العلم بفرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان غش الجاهل والغرور فان النفس سهلة التياد في الوعد بأشكال ذلك قبل نزول الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يبق بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحنائها ، ففرقة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يفرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والقرء القذ وهو المستثنى في قوله تعالى - لاعبادك منهم المخلصين - فليكن العبد شديد التقدير والرافة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر .

(بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص)

قال الوصي : الإخلاص فقد رؤىة الاخلاص ، فان من شاهد في إخلاصه الاخلاص قد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الاخلاص والنظر إليه بحجب ؟ وهو من جملة الآفات . والخالص : ماصفا عن جميع الآفات فهذا تمرس لآفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطه بالفرض وفي معناه قول إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أى شئ أشد على النفس ، فقال : الاخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال روم : الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة أجلا وعاجلا والمأبد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معاول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلاوجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الاخلاص الطلق . فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة الى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما للطلوب الحق لدوى الأبواب وجه الله تعالى فقط ، وهو القائل لا يتحرك الإنسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى الله صلى الله عليه وسلم أن يوبكر الباقلاني بشكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات

إذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك ان قلت لا
كفرت وإن قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من يخاف .
[قولهم في الرجم] قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يقول الله
عز وجل أخر جوامع
النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل
من إيمان ثم يقول
وعزني وجسالي
لأجعل من آمن بي
من ساعة من ليل
أو نهار كمن لا يؤمن
بي » . قيل « جاء أعرابي
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من بي
حساب الحق ؟ فقال
الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه ؟ قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسيبه الناس حظوظاً ، وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة والناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعمد الناس حظاً بل ينسجون منه . وهؤلاء لوعوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والناجاة وملزمة الشهود لاجتماع الشهادة سرّاً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحقاقه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره . وقال أبو عبيان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط وكذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكفيه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا أجمع للنقاد . وقال المحاسي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص العبودية . وقال الحواريون لميسى عليه السلام : ما الخالص من الأعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يجب أن يعمده عليه أحد وهذا أيضاً تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجنيّد : الاخلاص تصفية العمل من السكذورات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعاينك الله منها . وقيل : الاخلاص دوام المراقبة . ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقوال في هذا كثيرة . ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم « إذ سئل عن الاخلاص فقال : أن تقول ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت (١) » أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقاً .

(بيان درجات الشواهب والآفات السكدة للاخلاص)

اعلم أن الآفات الشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الحفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الحفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلندكر منه مثالا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلوات على الصلوات في صلاته ثم نظر إليه جماعة أودخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر سجين الوقار والصلاح ولا يذرك ولا يتناكب فتخضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على البصيرين من الرابين . الدرجة الثانية يكون المراد بدفع هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطبع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه بمعرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وامتنعه يؤثر عك وتبأس بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسن عليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فصار مقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أعمس من الأول وقد يندفع به من لا يندفع بالأول وهو أيضاً

تجسم الأعرابي فقال
النبي صلى الله عليه
وسلم م من صحتك
يا عسراي ؟ فقال
إن الكريم إذا قدر
عفا وإذا حاسب
سامع . وقال شاء
الكرماني : علامة
الرجاء حسن الطاعة .
وقيل : الرجاء رؤية
الجلال بين الجلال .
وقيل : قرب القلب
من ملاطفة الرب .
قال أبو علي الروذباري :
الخسوف والرجاء
كجناسي الطائر إذا
استوى استوى الطائر
وتم في طيرانه . قال
أبو عبد الله بن خفيف :
الرجاء ارتياح القلوب
لرؤية كرم الرجو .
قال مطرف : لو

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ ولم ترمئني وصحبه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال قل ربّي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم .

عين الرياء وبطل للإخلاص فانه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس بل القنبدى هو هو الذى استقام في نفسه واستقر قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما غذا فبعض الشفاق والتلبس فمن اقتدى به أثيب عليه . وأما هو فيطالب بتلبس مواعيب على إظهاره من نفسه مالىس متصفا به . الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها أن يجرب المبدئى في ذلك ويثبت عليه كيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخسع لمشاهدة خلقه تخسعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويعسن صلاته على الوجه الذى رتبته في اللأ ويصلى في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء فالمتأمل لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتفاتة في الخلوة واللأ إلى الحلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الحلق على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة اللرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة واللأ وهما بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الحلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا وللجميع وهذا من شخص مشغول المه بالحق في اللأ والخلأ جميعا وهذا من للكاييد الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له أخضع لأجلمه فقد عرف أنه تفضل لذلك فيقول له الشيطان شكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين اللكر والحداع فان خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الخطئة تلازمه في الخلوة ولكان لا يخصص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الحاضر مما يأمله في الخلوة كأيأله في اللأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة مبيها دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو مبدل خارج عن صفو الإخلاص مدنى الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بصحة الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشرعن لعبادة الله تعالى لا يميل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء على كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفى لا يتأمل نظر الخلق بها ولا تستأس الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تركها ويكون أنبهاث القلب ما لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شواجر يخرج عن حد الإخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يتكف في مسجده مور نظيف حسن العمارة بأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفى في سره هو الأنىس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويثبت ذلك في ميله إلى أحد السجدين أو أحد للوضعين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امرج بشواهب الطبع وكودرات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الخلة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة تقدم في العلم وفي ذم الجاه والرياء .

وزن خوف اللؤم

ورجاؤه واعتدلا .

والخوف والرجاء

للإيمان كالجنائين

ولا يكون خافا إلا

وهو راج ولا راجيا

إلا وهو خائف لأن

موجب الخوف الإيمان

وإلإيمان رجاء

وموجب الرجاء الإيمان

ومن الإيمان خوف

ولهذا الخى روى

عن لقمان أنه قال

لأبنة خف الله تعالى

خوفا لا تأمن فيه

مكره وأرجه أشد من

خوفك ، قال فكيف

أستطيع ذلك وإني

لى قلب واحد ؟ قال

أما علمت أن اللؤم

لقد قلبين يخاف

بأحدهما ويرجو

النفس وبطل حقيقة الاخلاص لعمري النفس الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فيها مايلب ومنها مايل لكن يسهل مدركه ومنها مايدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغش القاب ودغل الشيطان وخبث النفس أغشى من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حرمة الدينار الموهو واستدارته وهو مفسوش زائف في نفسه وقبراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغر القبي فكمذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات للتطرفة إلى فزون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينفع بما ذكرناه مثالا والفتن يغني القليل عن الكثير والبلد لا يغني التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل .

(بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس قد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب للقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في للشوب وظاهر الأخبار يدل على أنه لا ثواب له ^(١) وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذي يتقدم لما فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فإن كان الباعث الدنيوي مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقتا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتضى للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمزج به شاة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما نضل من قوة الباعث الدنيوي وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها - فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء ضبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الظاهر عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من الهلكات وإمعا غداء هذا الهلك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من التنجيات وإمعا قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فمما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالنضر بالحرارة إذا تناول مياضره ثم تناول من البردات ما يقاوم قدره فليكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يغل الغالب عن أثر فكل لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الأخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والناس من حديث أبي أمامة بإسناد حسن أريت رجلا غزا يبتغي الأجر والذكر ماله فقال لا شيء له فأعاده ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ولترمذى وقال غريب وابن جبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال له أجزاؤك أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم في ذم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأنها

من حكم الإيمان .

[قولهم في التوكل]

قال السري : التوكل

الانخلاع من الحول

والقوة . وقال الجنيدي

التوكل أن تسكون لله

كما لم تكن فيكون الله

لك كما لم يزل . وقال

سهل : كل للقمامات

لها وجه وفقا غير

التوكل فانه وجه بلاها

قال بعضهم يريد توكل

الصابتة لا توكل السكامة

والله تعالى جعل التوكل

مقرونا بالإيمان فقال

- وعلى الله فتوكلا وإن

كنتم مؤمنين - وقال

- وعلى الله فتيتوكل

المؤمنون - وقال لبيد

- وتوكل على الحى

الذى لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إثارة القلب أو تسويده وفي تزيينه من الله أو إبعاده فإذا جاء بالآية به شيئا مع ما يعمده شيئا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان الفصل بما يقربه بشرين والآخر يبعده شيئا واحدا فضل له لا محالة شيئا وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض فغلبه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صبح حبه وأتيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انشائه إلى مكه وبجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما اشترك طول السافة ولأنواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب. وما عدى أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم غزوة بين غزو الكفار في جهة تكره فيها التنازع وبين جهة لا غنى فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحيط بالسكينة ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والمزج القوي هو إغلاء كلمة الله تعالى وإتمام الرغبة في النجاة على سبيل التبعة فلا يحيط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى النجاة أصلا فان هذا الالتفات نقصان لعمالة. فان قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحبط للثواب وفي معناه شوب طلب النجاة والتجارة وسائر المحظوظات قد دروي طاموس وغيره من التابعين «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مصطنع المعروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى زلت - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» (٢) «وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره من عملت له» (٤) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فأشرك معي غيره ودعت نصيب لشركي» وروى أبو موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون تدملا دفن راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٦) فنقول هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاموس وعده من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مصطنع المعروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فزلت - فمن كان يرجو لقاء ربه - ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحو من رواية طاموس مرسل وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ في الرياء شرك الطبراني والحاكم وتقدم فيه (٤) حديث أبي هريرة يقال لمن أشرك في عمله خذ أجره من عملت له تقدم فيه من حديث محمود بن يزيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه معي غيره تركه وشركه وفي رواية مالك في الوطأ فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تقدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له تقدم في الباب الذي قبله.

خواتون: التوكل ترك

تدبير النفس والأخلاق

من الحول والقوة.

وقال أبو بكر الرقاق:

التوكل رد العيش إلى

يوم واحد وإسقاط

هم غد. وقال أبو بكر

الواسطي: أصل التوكل

صدق القاعة والافتقار

وأن لا يفارق التوكل

في أمانيه ولا يلتفت

بسرته إلى توكله لحظة

في عمره. وقال بعضهم

من أراد أن يقوم بحق

التوكل فليحفر لنفسه

قبرا يدفن فيه وينس

الدنيا وأهلها لأن حقيقة

التوكل لا يقوم لها أحد

من الخلق على كاله.

وقال سهل أول مقامات

التوكل أن يكون العبد

بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشر كـ حيث ورد فطلق للتساوى وقدينا أنه إذا تساوى التضدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشر كـ أبدا في خطر فانه لا يدري أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالأولئك قال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أى لا يرجى اللقاء مع الشر كـ اتى أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالاخلاص في الغزو وبعد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزججه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنمة وقدر من غرور وطافقت من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله والغنمة لا ثواب له على غزوه ألبتة ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ويدخل للبأس على المسلمين لأن أمثال هذه الشرائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا بل الدور فيكون تأثير هذا في حصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلا نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون في عبادة الله فتكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا أعتمد بما ظهر من عملى وقال عبدالعزیز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فمادخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا واحسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا لى ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغيه الشيطان منه إذ للتصدد أن لا يوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم بأيسر الحراز وخفى في أعماله فكسبهم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد فاقبه عند كل حركة وإطاليه بالاخلاص فتمدر عليه قضاء الحوائج واستغفر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبتة نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تفعل إذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فاقبلت لك أترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياءه لأنه لأجل الخلق شرك.

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم - إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (١) ويكفى في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض اللذخ والثناء فقال - واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صادقا نبيا - وقال - واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدقا نبيا - وقال تعالى - واذكر في الكتاب يوسف قال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر بن الحر ثمن عامل الله بالصدق

(الباب الثالث في الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

صكبت بين يدي
القاسل بقلبه كيف أراد
ولا يكون له حركة
ولا تدبير وقال حمدون
القصار : التوكل هو
الاعتماد بالله . وقال
سهر أيضا : العلم كله باب
من التمدد والتعبد كله
باب من الورع والورع
كله باب من الزهد
والزهد كله باب من
التسوكل . وقال :
النفوى واليقين مثل
كفتى الميزان والتوكل
لسانه به تعرف الزيادة
والنقصان ويقع لى أن
اتوكل على قدر العمل
بلوكل فكل من كان
أتم معرفة كان أتم
توكلا ومن كل توكله
غالب في رؤية الوكيل
عن رؤية توكله ثم إن

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصوراً المديونى فى المنام قلت له ما فعل الله بك قال غفرلى ورحمنى وأعطانى مالم أؤمل قلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا قال الصدق وأقبح ما توجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجمل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك . وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن على السكتانى قال وجدنا بن الله تعالى مبنيًا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على القول . وقال الثورى فى قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا حبة الله تعالى ويكفونواها صادقين، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإداده من صدقى فى سريره صدقه عند الخلقين فى علانيته وصاح رجل فى مجلس الشبل ورمى نفسه فى دجلة فقال الشبل إن كان صادقا فله تعالى نجيجه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فله تعالى يفرقه كما أفرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والملاء على ثلاث خصال أنها إذا صحت فيها النجاة ولا يتم بعضها إلا بيمين الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى فى الأعمال وطيب الطعم . وقال دهب بن مينا وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى إسرائيل يجمعون فقره ونها ويتدارسونها . لاكثر أنفع من العلم ولأمال أربح من الحلم ولا حسب أوسع من التصدق ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أظلم من الصبر ولا سبئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرقيق ولا داء أوسع من الحرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصع من الصدق ولا قهر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجوع ولا حياة أظلم من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أخف من الصمت ولا غائب أقرب من الموت . وقال محمد بن سعيد الروزى إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرة يدك حتى تبصر كل شئ من محابب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق أحفظ الصدق فبا ييناك وبين الله تعالى والرفق فبا ييناك وبين الخلق وقيل لدى النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ قال :

قد قينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقل

وقيل لسبل ما أمل هذا الأمر الذى نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة قبل زنا فقال التقي والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق (١) وعن الجنيد فى قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان صدق فى القول وصدق فى البنية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن انصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صادق لأنه مبالغة فى الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ فى الصدق فى شئ من الجلة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدق . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا فى الإخبار أوفيا يتضمن الإخبار وبنه عليه والخبر إيمان بتعلق بالماضى أو بالمستقبل (١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ .

قوة للرفة ضد صرف
العلم بالعدل فى القصة
وإن الأقسام نصبت
بأزاء للقسم لمعدلا
وموازنة فإن النظر
إلى غير الله لوجود
الجهل فى النفس وكل
ما أحس بشئ يندفع
فى توكله يراه من
منبع النفس فقصاص
التوكل يظهر بظهور
النفس وكاله يثبت
بضية النفس وليس
لأفواى اعتداد
بتصحيح توكلهم وإنما
شغلهم فى تنبيط
النفس بتقوية مواد
القلب فإذا غابت
النفس انحسرت مادة
الجهل فصح التوكل
والعبد غدير ناظر
إليه وكلا تحرك من

الفسق بقية برد علي
ضميرهم - قوله تعالى
- إن الذين يماثلون
من دونه من شيء -
فيطلب وجود الحق
الأعيان والأكوان
وبرى الكون بأنه
من غير استقلال
الكون في نفسه
وصير التوكل حينئذ
اضطراراً لا بيقدر
في توكل مثل هذا
التوكل ما يقدر في
توكل الضعفاء في
التوكل من وجود
الأسباب والوسائل
ومواتاً لاحية لها إلا
نالتوكل وهذا توكل
خواص أهل المعرفة .
قوله في الرضا قال
الحلوت الرضا سكن

3

لَهُ تَعَالَى فَالْعَبْدُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي وَجُودُهُ لَوْلَا لَافْتَهُ وَهَذِهِ دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ . وَأَمَّا الْحَرَبِيُّ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ
فَدَرَجَاتُ الصَّادِقِينَ وَبَعْدَهَا تَحَقُّقُ الْعُبُودِيَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا ذَلِكُمْ إِلَّا بِالنَّيِّبِ هَذَا فَلَا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ أَنْ يُسَمَّى صَادِقًا
وَلَا صِدِّيقًا لِهُذَا هُوَ مَعَى الصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ . الصِّدْقُ التَّائِي : فِي النِّيَّةِ وَالْأَرَادَةِ وَرُجُوعِ ذَلِكَ إِلَى الْإِخْلَاصِ
وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ بَاعْثٌ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَإِنْ مَارَجَهُ شَوْبٌ مِنْ حَقْلِ الْوَسْطِ النَّفْسِ
بَطَلَ صِدْقُ النِّيَّةِ وَصَاحِبُهُ يَجُورُ أَنْ يُسَمَّى كَاذِبًا كَرُوبًا فِي فَضِيلَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ حِينَ
يَسْتَلِ الْعَالَمُ مَاعْمَلًا مِمَّا عَمِلْتَ ؟ فَقَالَ فَعَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَبْتَ بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ
فَلَانٌ عَالِمٌ ^(١) فَانَّهُ لَمْ يَكْذِبْهُ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ لَمْ تَعْمَلْ وَلَكِنَّهُ كَذَبَ فِي إِيرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُم : الصِّدْقُ
صَحَّةُ التَّوْحِيدِ فِي الْقَصْدِ وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى - وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ النَّاقِثِينَ لَكَاذِبُونَ - وَقَدْ ذَلَّلَ الْإِنْكَارُ
لِرَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا صِدْقٌ وَلَكِنْ كَذَبَهُمْ لِأَمِنْ حَيْثُ نَاطَقُ الْإِنْسَانِ لِمَنْ حَيْثُ ضَمِيرُ الْقَلْبِ وَكَانَ التَّكْذِيبُ
يَنْطَرِقُ إِلَى الْخَبَرِ وَهَذَا الْقَوْلُ يَضْمَنُ إِخْبَارًا بِقَرِينَةِ الْحَالِ إِذْ صَاحِبُهُ يَظْهَرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ يَقُولُ
فَكُذِّبَ فِي دَلَالَتِهِ بِقَرِينَةِ الْحَالِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ فَانَّهُ كَذَبَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَكْذِبْ فِيمَا يُلَظَّفُ بِهِ فَيُفْرَجُ أَحَدُ
مَعَانِي الصِّدْقِ إِلَى خُلُوصِ النِّيَّةِ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ فَكُلُّ صَادِقٍ فَلَا يَدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا . الصِّدْقُ الثَّلَاثُ :

صِدْقُ الْعِزِّ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَقَدَّمُ الْعِزُّ عَلَى الْحَمْلِ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ إِنْ رَزَقَنِي اللَّهُ مَا لَصَقْتُ قَدْ تَجَمَّعَ بِهِ
أَوْ بَشَّرَهُ أَوْ إِنِّي لَقِيتُ عَدُوًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى قَاتَلْتُ وَلَمْ أَبَالُ وَإِنْ قُتِلْتُ وَإِنْ أَعْطَانِي اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يَلَا
عَدَلْتُ فِيهَا وَلَمْ أَعْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْظُرُ وَمِيلَ إِلَى خِلَاقِ هَذِهِ الْعِزَّةِ قَدْ يَصَادِقُهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهِيَ عِزَّةٌ
جَائِزَةٌ صَادِقَةٌ وَقَدْ يَكُونُ فِي عِزِّهِ نَوْعٌ مِيلَ وَتَرَدُّدٌ وَضَعْفٌ يَضَادُ الصِّدْقَ فِي الْعِزَّةِ فَكَانَ الصِّدْقُ
هَهُنَا عِبَارَةً عَنِ الْقِيَامِ وَالْوَقْوَةِ كَمَا يَقَالُ لِقَوْلِهِ شَهْرَةٌ صَادِقَةٌ وَبِهَا هَذَا الرِّيشُ شَهْرَةٌ كَاذِبَةٌ مِمَّا لَمْ
تَكُنْ شَهْرَتُهُ عَنْ سَبَبٍ ثَابِتٍ قَوِيٍّ أَوْ كَانَتْ ضَرْفَةً قَدْ يَطْلُقُ الصِّدْقُ وَرَادَهُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَالصَّادِقُ
وَالصِّدِّيقُ هُوَ الَّذِي تَصَادَفَ عِزَّتُهُ فِي الْخَيْرَاتِ كَمَا هُوَ تَامَةٌ لَيْسَ فِيهَا مِيلٌ وَلَا ضَعْفٌ وَلَا تَرَدُّدٌ بَلْ
تَسَخَّرَ نَفْسَهُ أَبَدًا بِالْعِزِّ الصَّعْمِ الْجَائِزِ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَهُوَ كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لِأَنْ أَقْدَمَ فَتَضَرَّبَ
عَنْقِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانَّهُ قَدْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ الْعِزَّ الْجَائِزَ
وَالْحُبَّةَ الصَّادِقَةَ بِأَنَّهُ لَا يَتَأَمَّرُ مَعَ وَجُودِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُوَ كَذَلِكَ بِمَادِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ . وَمِرَاتِبُ
الصِّدِّيقِينَ فِي الْعِرَاقِ تَخْلَفُ قَدْ يَصَادَفُ الْعِزْمَ وَلَا يَتَبَيَّهَ بِهِ إِلَى أَنْ يَرْضَى بِالْقَتْلِ فِيهِ وَلَكِنْ إِذَا خَلَى
وَرَأَاهُ لَمْ يَقْدَمْ وَلَوْ ذَكَرَ لَهُ حَدِيثُ الْقَتْلِ لَمْ يَنْقُصْ عِزْمَهُ بَلْ فِي الصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَوْحٍ بَيْنَ أَنْ
يُقْتَلَ هُوَ أَوْ أَبُو بَكْرٍ كَانَتْ حَيَاتُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ حَيَاتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ . الصِّدْقُ الرَّابِعُ : فِي الْوَفَاءِ بِالْعِزْمِ
فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَسَخَّرَ بِالْعِزْمِ فِي الْحَالِ إِذْ لَامَشَقَّةُ الْوَعْدِ وَالْعِزْمُ وَالْمُؤْنَةُ فِيهِ خَفِيفَةٌ فَادَّخَلَتْ الْحَقَائِقُ
وَحَصَلَ التَّحَكُّنُ وَهَاجَتِ الشَّهَوَاتُ أَهْلَتْ الْعِزَّةَ وَغَلَبَتِ الشَّهَوَاتُ وَلَمْ يَتَّقِ الْوَفَاءَ بِالْعِزْمِ وَهَذَا يَضَادُ
الصِّدْقَ فِيهِ ، وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - قَدْ رَوَى عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ
عُمَرَ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ لَمْ يَشْهَدْ بِدِرٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَشَقَّقَ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ أَوَّلُ
مَشْهَدٍ شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْبَتْ عَنْهُ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَرَأَيْتُ أَهْلًا مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
جَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرِينَ اللَّهُ مَا مَنَعَهُ قَالَ فَخَسِدَ أَحَدًا فِي الْعَامِ الْقَابِلِ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَقَالَ
يَا أَبَا جَرَّحٍ إِلَى أَيْنَ تَقَالُ وَاهَا لِرِجْلِ الْجَنَّةِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا دُونَ أَحَدٍ قَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَوَجَدْتُ فِي جَسَدِهِ
بَضْعَ عُثْمَانَ وَمَا بَيْنَ رِمِيَّةٍ وَضَرْبَةٍ وَطَلْعَةٍ فَقَالَتْ أُخْتُهُ بِنْتُ النَّضْرِ مَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ ، فَزَلَّتْ
هَذِهِ الْآيَةُ - رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - ^(٢) . « وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَصِيبِ

(١) حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ حِينَ سَأَلَ الْعَالَمُ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَمِلْتَ فَقَالَ (٢) حَدِيثُ أَنَسٍ عَنْ عُمَرَ أَنَسِ بْنِ

القلب تحت جريان
الحكم وقال دوالنون
الرضا سرور القلب بر
القضاء . وقال سفيان
عند رابعة اللهم ارض
عنا فقالت له أما
تستحي أن تطلب رضا
من است عنه براض
فألها بعض الحاضرين
مق يكون البدر اضيا
عن الله تعالى فقالت
إذا مكان سروره
بالصبي كسروره
بالعمة . وقال سهل إذا
انصل الرضا بالرضوان
انصلت الطمانينة
- فطوبى لهم وحسن
مآب - وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« ذاق طعم الإيمان من
رضى الله ربه » وقال
عليه السلام « إن الله

ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - ^(١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حق قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقفت قلنسوته . قال الراوى : فلأدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أثناء سهم عائر فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة ^(٢) » وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس فماتوا فقالا إن رزقنا لله تعالى مالا لصدقن فيخلوا به فنزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يشكروا به قتل - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله غلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبتهم نقابة في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل المزمع عبدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصديق أشد من الصديق الثالث فإن النفس قد تسخو بالمرم ثم تسكب عند الوفاء لشدة حبها ولهيجان الشهوة عند التحكك وحصول الأسياب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن تأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يثقل عليا ذلك فتضرب عن عزما ، أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالمرم وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما لالصدق قتل الوفاء بالعهد فقالا لى صدقت وعرجا لى السماء . الصديق الخامس فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لأبأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجير الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف لما ذكرناه من ترك الرياء لأن للرائى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذه أفعال صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرأيا لىام ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء وبغوت بها الاخلاص وإن كانت عن غير تصديق فبوت

النصر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى قتاله بأحد حتى قتل فوجد فى جسده بضعة ومائة من بين رمية وضربة وطعنة وتزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر ^(١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا ^(٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخطة وقال الجندب الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمجة كالحلو والرياء فانها حال لا ينفك عن البعد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجلة لا يستغنى عن الرضا والمجة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قدوم اختيار الله للعبد لأنه اختاره الأفضل فى رضى له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس ببال الرضا من الله من

بها الصدق ، وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريري خير من علاني و اجعل علاني صالحا » (١) وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأشدوا :

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعناء
فما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المرود لا يقتضى الثنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به اللائكة بقوله هذا عبيدي حقا . وقال معاوية بن قرة من يدنى على بكاء بالليل باسم بالتهار ، وذل عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمال الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ثم أرأ أحد اقاط أشبه سريرة بعلانية منه ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول للمني عاملت الناس في بيبي وبينهم بالأمانة وطامتك في بيبي وينك بالحيانة ويكي ، وقال أبو يعقوب التهرجوري : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهو والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته مضى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى - إنم المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية (٢) « ولضرب سألك عن الإيمان فقال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية (٢) « ولضرب للتعرف مثلا لما من عيب يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرسه ويتنصم عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد يزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفا من ذلك المهدور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر على شيء من ذلك عند جريان مصية عليه ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طلبها » (٣) فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه اللغات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبيد منه حظ بحسب حاله إما ضيف وإما قوى فإذا قوى مضى صادقا فيه فمرة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لانهابة لها وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام « أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل أرى فواعده القبيح في لجة مقمرة فأثابه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق يعني جوانب السماء فوق النبي ﷺ مغشبا عليه فأفاق وقد عاد

(١) حديث اللهم اجعل سريري خير من علانيته ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سأته عن الإيمان فقرأ قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - رواه محمد بن نصر للروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجده إلا شاذ .

(٣) حديث لم أر مثل النار نام هاربها الحديث تقدم .

جبريل صورته أدولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرائيل إن العرش لملئ كاهله وإن رجليه قد مرقنتا تحت غيوم الأرض السفلى وإنه ليصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع ^(١) يعني كالصفور الصغير، فانظر ما الذي يشاء من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في اللزقة فهذه أحوال الصدق في التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى ^(٢) يعني الكساء القدي بلقي طي ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يلدوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما إن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله . وقال مطرف مامن الناس أحد إلا وهو أحقق فبا بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أمون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير ^(٣) » فالصادق إذن في جميع هذه اللقائات عزيز ثم درجات الصدق لانهائية فلما وقد يكون للبعد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فبين قوى وفيما سواهن ضعيف ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دقها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق فقال ابن السيب ما ظننت أن هذه الحصال تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة وآتوا الجناز ولم يبلغوا هذا البلوغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات للأئمة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لأحد هذه المعاني ثم قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق للفرقة وصدق التوحيد لامة المؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل البيت الورع وصدق للفرقة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم تختَر عليك غيرك فقال تعالى - هو اجبتاكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا ابتليته بيلابا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابرا أخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوا بشكوني إلى خلقي خذته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان الصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والإخلاص ، يتلوه كتاب الرقابة والمحاسبة والمحدثة .

بقطعه عن الله . وقيل للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا ذر يقول العقر أحب إلى من النبي والسقم أحب إلى من الصحة قال رحمه الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من استكمل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له وقال علي رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله في كل حال . وقال يحيى رجع الأمر كله إلى هذين الأصلين فضل منه بك وفضل

- (١) حديث قال جبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك الحديث تقدم في كتاب الرجاء والخوف أخصر من هذا والذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين (٢) حديث مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى . يث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإبادي ضمنه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجده أصلا في حديث مرفوع .

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارة بما اجتاحت الطلع على ضئال القلوب
إذا هجست الحبيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يحزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والأرض تهزرت أوسكت الحاسب على النقيز والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت
الفضل قبول طاعات العباد وإن سمرت التطول بالغو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما محاسبهم
لنظم كل نفس مأحضرت وتنظر فما قدمت وأخرت فعمل أنه لولا زوهمها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا
لثقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولافضل قبول بناعيتها للزجاة
لحات وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد ومملت واستخرقت رحمة الخلائق في الدنيا
والآخرة ونحمرت فنبضات فضله انست القلوب للإيمان وانتشرت ويسمن توفيقه فهدت الجوارح
بالمبادات وتآذيت وبمغن هدايته أنجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقضت وبأبيده ونصرت
انقضت مكابد الشيطان واندمت وباطف عناية ترجع كفة الحسنات إذا تمملت وبشيره
تيسرت من الطاعات ماتيسرت فنه العطاء والجزاء والاباد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلاة
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأضياء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال
حبة من خردل أثينا بها وكفى نا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب قرىءه المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا معاملا
حاضرا ولا يظلم ريك أحدا - وقال تعالى - يوم يبعثهم الله جميعا فلينبهم بما عملوا أخصاهم الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وقال تعالى - ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -
وقال تعالى - يوم نحمدك على نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بيننا وبينه أمدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه - وقال تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - ففرغ الرباب البصائر من
حجة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب بباطلون عتاقيل الدرمن الحطرات
واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق للمراقبة ومطالبة النفس
في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الاطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفي في القيامة
حسابه وحضر عند السؤال الجواب وحسن من قبله وما ومن لم يحاسب نفسه مات حسرا ومطلعت في عرصات
القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والقت سيناته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله
وقد أمرهم بالصبر والرابطة فقال عز من قائل - يا أيها الذين آمنوا صبروا واصبروا وراوا وراوا فإبطوا فإبطوا
أنفسهم أولا بالشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة تست
مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل
حساب فبعمد مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحصران العاتية والمعاقبة فلنذكر شرح هذه القامات وبالله
التوفيق .

(المقام الأول من الرابطة للشارطة)

اعلم أن مطلب للتعاين في التجارات للتركيب في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكان التاجر

منك له قرضي بما
عمل وتخلص فيا تعمل
وقال بعضهم الراضي
من لم يندم على فائت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وتبل ليحي
ابن معاذ على يبلغ البد
إلى مقام الرضا قال إذا
أقام نفسه على أربعة
أصول فيها يامل به يقول
إن أعطيني قبلت
وإن منعتي رضيت
وإن تركتني عبت
وإن دعوتني أجبت
وقال الشبلي رحمه الله
بين يدي الجني لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
الجنيد قولك ذائق
صدر فقال صدقت قال
فضيق الصدر ترك
الرضا بالقضاء وهذا
إنما قاله الجنيد رحمه

يستعين بحريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما
مطلبه ورجعه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أفلق من رزاقها وقد خاب من
دساعها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرجها
فيها يزكيا كما يستعين التاجر بحريكه وعلامه الذي يتجر في ماله وكأن التريك يصير خصا منازعا
يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا وبقائه أو ما يبرأ به بما فكذلك
العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويحصر عليها الشروط ويرشدها إلى
طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم يربحها
إلا الحيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وأترد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن
يحاسبها ويطلبها بالوفاء بمأثرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى ويبلغ سدره للثمنى
مع الأنياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدبايع أنها
عقوبة بالاضافة إلى نعم العبي ثم كيفما كانت قصيرا إلى الصبر والاقتضاء ولا خبر في خير لا يدوم بل
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا قطعت في الفرح باقطة داء مائة واقضى
الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على اعطائه دائما وقد اقضى الخير ولذلك قيل :

أشد الغم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

لحم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطواتها وحظواتها فان كل نفس من أنفاس الصبر جوهره نفيسة لا عوض لها يمكن أن
يشترى بها كنز من الكنوز لا ينتهى نعيمه أبد الأباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائفة وأمصروفة إلى
ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسع به نفس عاقل ، فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى التريك
العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة إلا للعمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال
ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهأى الله فيه وأنشأ في أجل وأتم على
به ولو توفانى لكنت أمتى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا حق أحمل فيه ما لا أحسى أنك قد توفيت
ثم قد ترددت فإياك ثم إياك أن تضيق هذا اليوم فان كل نفس من أنفاس جوهره لا قيمة لها على بالنفس
أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر «أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مخلوعة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيثاب من القرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسلته عند الملك الجبار المورع
على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة
فرح نبتها ويشاء ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيثاب من المحول والفرح بالوقوع على أهل
الجنة لتنعس عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه (١) وهي الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ * من مباحات الدنيا فيتجسر على خلوها ويناله من غنى ذلك ما ينال
القادر على الربح الكثير والمالك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته ونأهيك به حسرة وغنا
وهكذا تعرض عليه خزائن ثوابه طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم في أن تعمى خزانتك ولا تدعها
فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ماسكك ولا تميل إلى الكسل والدعة والاستراحة فيقول تلك من

الله تنبها منه على
أصل الرضا وذلك أن
الرضا يحصل لا بشرط
القلب وانقضاءه
وانشراح القلب من
نور اليقين قال الله تعالى
- أفن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور
من ربه - فاذا تمكن
النور من الباطن اتسع
الصدر وانفتحت عين
البصيرة وعان حسن
تدبير الله تعالى فينزع
السخط والضجر لأن
اتساع الصدر يتضمن
حلاوة الحب وفعل
المحبوب بوقع الرضا
عن المحب الصادق لأن
المحب يرى أن العقل
من المحسوب مراده
واختياره فيبقى في لذة
روية اختيار المحبوب

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها
مخلوعة من حسناته الحديث بطوله لم أعده له أصلا .

درجات عليين ما يدرك غيرك وتبقى عندك حسرة لا تشاركك وإن دخلت الجنة فأثم العين وحسنة لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن السوء قد عني عنه أليس قد فاعته توجب
 الحسين أشار به إلى العين والحسرة وقال الله تعالى - يوم يحكمكم ليوم الجمع ذلك يوم التناوب -
 فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان
 والبطن والفرج واليد والرجل وتسلمها إليها فاتها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة - وهما تم
 أعمال هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب اسلك باب منهم جزء مقسوم وإنما تعين تلك الأبواب
 لمن عصى الله تعالى بهذه الأجزاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى
 وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى
 عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن
 هذا لم تنفع له حتى يشغلها بما فيه تجارتها ورجعها وهو ما خلقت له من النظر إلى محابب صنع الله
 بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وحنه رسوله ومطالعة كتب
 الحكمة للانعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضولها لسانها والبطن
 أما اللسان فلائه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجناته عظيمة بالقيّة والكذب واليمين
 وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة والأمن والدعاء على الأعداء والمارة على الكلام وغير ذلك
 مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق لذلك كروا الذكروا تكرر العالم
 والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراتة فليشترط على نفسه أن
 لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظرة عبدة وصمته ففكرته - ما يلفظ
 من قول إلا لديه رقيب عتيد - وأما البطن فيكفاه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب
 الشهوات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً
 من ذلك عاقبها بالمتع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشرط عليها في
 جميع الأعضاء واستقصاء ذلك بطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف
 الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في التوافل التي بقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها
 ويرتب لها تحصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتر إليها في كل يوم
 ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن
 المرافطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المرافطة فيها بقي ولكن لا يخلو كل يوم
 عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء
 من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن
 يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والاشياد للحق في مجاريها ومغذرها
 مغبة الإهمال ويمنعها كما يوعظ المبد الآتي للتعذر فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستحبة
 عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - فهذا
 وما يجري مجراه هو أول مقام للمرافطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد
 العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وهذا للسبق
 وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة نقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر في بين يدي البعد
 في نهاره يعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم
 في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

عن اختيار قسه كما
 قيل :
 وكل ما يغفل المحبوب
 محبوب .
 [الباب الحادي
 والستون في ذكر
 الأحوال وشرحها]
 حدثنا شيخنا شيخ
 الاسلام أبو النجيب
 السهروردي رحمه الله
 قال أنا أبو جعفر الزيني
 قال أخبرتنا كريمة
 السروزي قالت أنا
 أبو الهيثم الكشميني
 قال أنا أبو عبد الله
 القسري قال أنا
 أبو عبد الله البخاري
 قال تاملان بن حرب
 قال حدثنا شعبة عن
 قتادة عن أنس بن
 مالك رضى الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال « ثلاث من

– ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه – ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها لاحترار منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه وبسطه . وإذا أردت أمرا فقدر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانه عنه ^(١) . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون القتل غالبا للهوى فلا تمهل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله » ^(٢) . دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله – أنا لمدينون – أي لمحاسيون . وقال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموت . تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتنبهوا للمرض الأكبر . وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تمجدنا في كتاب الله قال ويلدنا من الأرض من ديان السماء فعلا بالذرة وقال لإلأمن حاسب نفسه فقال كعب بأمر المؤمنين : إنهم إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتبذرها ثم أقدم عليها فيآثرها . [الرابطة الثانية الرقابة] إذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبق إلا الرقابة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين السكاكة فانها إن تركت طفت وقسدت . ولنفكر فضيلة الرقابة ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاصلان فقال « وأن تعبد الله كأنك تراه » ^(٣) . وقال عليه السلام « واعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ^(٤) . وقد قال تعالى – أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت – وقال تعالى – ألم يعلم بأن الله يرى – وقال الله تعالى – إن الله كان عليكم رقيبا – وقال تعالى – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قاعون – . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عثمان الغري : أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرقابة وسياسة عمله بالعلم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريزي : أمرنا هذا مبني على أصلين أن نلزم نفسك الرقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عثمان : قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكُنْ واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يرافون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكي أنه كان لبعض المشايخ . هذه الطائفة ينفذ شاب وكان يكبره ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكبر هذا وهو شاب ونحن شيوخ فعدا بدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكبنا وقال ليدبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كأقلامهم فزع كل واحد بطائرهم مذبحا ورجع الشاب والطائر حتى في يده فقال مالك لم تدبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الرقابة وقالوا حق لك أن تكبر .

كن فيه وجد حلاوة
الايمان : من كان الله
ورسوله أحب إليه مما
سواها ومن أحب عبدا
لا يحب إلا الله ومن يكبره
أن يهود في الكفر وجد
إذ أهذه الله منه كما
يكبره أن يلقى في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهر بن
أبي الفضل قال أنا
أبو بكر بن خلف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو عمر بن حيوة
قال حدثني أبو عبد بن
مؤمل عن أبيه قال
حدثني بشر بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهب عن إبراهيم
ابن أبي عتبة عن
العرباض بن سارية
قال « كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فقدر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث عبد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خات يوسف عليه السلام قامت فغطت وجهه حتى كان لها فقال يوسف مالك أستمعين من مراقبة جاد ولا أستمعي من مراقبة الملك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا أستمعي فقال عن أستمعي ؟ وما يرانا إلا السكواك قالت فأين مكوكها . وقال رجل للجديد أستمعين على غض البصر فقال بملك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى للتطور إليه . وقال الجديد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبون والذين اثنت أصلاهم من خشيق وعزى وجلالى إلى لألم يصذاب أهل الأرض فاذا نظرت إلى أهل الجوع والمطعم من مخافتي صرفت عنهم المذاب . وسئل المحاسبي عن المراقبة قال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال للرئيس : المراقبة مراعاة القلب لملاحظة القلب مع كل لحظة ولقطة . وروى أن الله تعالى قال لا لاكنه أنهم موكلون بالظواهر وأما الرقيب على الباطن . وقال محمد بن على الترمذى اجمل مراقبتك لمن لا تنيب عن نظره إليك واجمل شكره لمن لا تنقطع نمه عنك واجمل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجمل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يترن القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لماده . وسئل ذوالنون بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سوء ومراقبة الله تعالى فى السرو والملايق وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا فلناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن على عطى فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد احترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء عليك بالحدذر ممن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن للتافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبادة بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فمرسنا فى بعض الطريق فاعتذر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بنى شاة من هذه الغنم فقال إني مملوك فقال قل لسيديك أكلها القتب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى الملائكة فاشتراه من مولاه وأعفه وقال اعتنك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك فى الآخرة .

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فى احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبى ويعنى بهسفه المراقبة حالة القلب يشمرها نوع من المعرفة وتشمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشغاله به والانتباه إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأمانه معرفة التى تشمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الصائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشره للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه العروة إذا صارت بقينا

صلى الله عليه وسلم
يدعو : اللهم اجعل
جك أحب إلى من
نفسى ونفسى وبصرى
وأهلى ومالى ومن
لله الباردة فكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
خالص الحب وخالص
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكليته وذلك
أن العبد قد يكون فى
حال قائما بشروط
حاله بحكم العلم والجلبة
تفاضاه بضد العلم مثل
أن يكون راضيا
والجلبة قد تصكره
ويكون النظر إلى
الانقياد بالعلم لا إلى
الاستصاء بالجلبة
قد يحب الله تعالى
ورسوله بحكم الإيمان

أخى أيها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لاشك فيه لا يلبث على القلب كالمعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والوقوف بهذه المراقبة ثم للتقربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليقين ، فراقبتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة القرين من الصديقين ، وهي مراقبة التنظيم والجلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للانتفات إلى التبر أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها لأنها مقصورة على القلب . أما الجوارح فأنها تتصل عن الالتفات إلى اللباحات فضلا عن المخطورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمتعلقة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد ، بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالعبوديات الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه مما واحدا فكذلك الله سائر الموم ، ومن نال هذه الدرجة قد ينفل عن الحلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو قانع بعينه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يسمع به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يملكه حتى كان بضمهم يمر على ذلك ، قال لمن عابه إذا مررت بغيرك ولا تستبد هذا فأنك تجد نظير هذا في القلوب العظيمة للولك الأرض حتى إن خدم للولك قد لا يحسون بما يمر على عليهم في مجالس الولك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيفوس الرجل في الفكر فيه ويمشي فرحبا يحاول للوضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له . وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بماله عن الحلق ، قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليهم الساعة فكان لا يسريما حتى دخل عتبة الغلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عبتي ، فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لبيت في الطريق فقال ما رأيت أحدا . ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسهقت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا ؟ فقال ما ظننتها إلا جدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بمجموعة يترامون وواحد جالس يبدا منهم فقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشبهى قلت أنت وحدك فقال معي ربى وملسك قلت من سبق من هؤلاء ، قال من غفر الله له قتل ابن الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يشك إلا أنه ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه لأنها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الثبلى على أبي الحسين النورى وهو متكف فوجده ساكنا حسن الاتضاع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه الراقبة والسكون ، فقال من سنون كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس العسرى العسرى بالزاهد إن فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال الراقبة ، فلو نظرت إليهما نظرة لملك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقعة وليس على كتفى شيء فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما لما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . قلت : نشدتكما بالله إلا ردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقته فظهر إلى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير . يا ابن خفيف : ما أقل شغلا حتى تنفرد إلى قائمتي . قال فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في السكبان فبقيت عندهما حتى صابنا الظهر والعصر

وحب الأهل والولد
بحكم الطبع . والمجبة
وجوه وبواعث الهبة
فى الإنسان متنوعة
لأنها عجة الروح
وعجة القلب وعجة
النفس وعجة العقل
فقول رسول الله
سلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الأهل
ولئال والماء البارد
منه استعمل عروق
الهبة عجة الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى غالبا فيجب الله
تعالى بقلبه وروحه
وكلية حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
فى الطبع أيضا والجلبة
من حب الماء البارد
وهذا يكون حبا
صافيا لغواص تنمر

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرغم رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب الصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندها ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكل شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعطاني لعل أن أشتبع بظلمتهما فرغم الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بسجدة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبة على قلبك يظنك بلسان ضله ولا يظنك بلسان قوله والسلام ثم عنا فهدى درجة للراغبين الذين غلب على قلوبهم الأجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لتبر ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب اليقين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم واطمئن على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن الرقابة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يجردون إلا بعد التثبت فيه ويعتدون عن كل ما يفضضون به فى القيامة فاتهم يرون الله فى الدنيا مطالعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتامل أعمالا فيضرك صي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغربك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغربك التعظيم حتى ترك كل ما أنت فيه فضلا به لحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته والجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران نظرا قبل العمل ونظرا فى العمل . أما قبل العمل فلينظر أن مظهره وتحركه يظنه خاطره أهو الله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق ، فان كان لله تعالى أمضاء ، وإن كان لتبر الله استحيا من الله وانكشف عنه ثم لم تأم نفسه على رغبته فيه ووجه به وبيله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحها وأنها عدوة قسما إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا يحيس لأحد عنه فان فى الخبر «إنه ينشر لأبعد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الدويان الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن^(١)» ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تنظم لمولك أو ملئت إليه بشهوتك وهو لك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى قيل له كيف فعلت هذا فان شئى كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بلمل يقال له كيف فعلت أبلغ محقق أم يجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو الطلبة بالأخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصاً ووافى بقلوبك لا إله إلا الله فيكون أجرك على الله أو لم تأت آت خلق مثلك غدا أجرك منه أم حملته لتتال عاجل دينك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسهو وغفلة قد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيرى فقد استويت معى وعنائى إذ كنت عبدلى لم تأكل رزقى وترفع بعمق ثم تعمل لغيرى أما سمعتى أقول لسان الدين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - وعلمك أما سمعتى أقول - أالله الدين الخاص - فاذا عرف العبد أنه بصدده هذه اللطائف والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب بأعد للذوال جواباً وليسكن الجواب صواباً فلا يبدى ولا يبعد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر لأبعد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن . لم أنتف له على أصل .

به وبوره نار الطبع
والجيلة وهذا يكون
حب الذات عن
مشاهدة بكوف
الروح وخلوصه إلى
موطن الترب . قال
الواسطى فى قوله تعالى
- يحبه - ويجونه -
كما أنه بذاته يحبه
كذلك يحبون ذاته
فالهاء راجعة إلى
الذات دون النعوت
والصفات . وقال بعضهم
الحب شرطه أن تلحقه
سكرات الهبة فاذا لم
يكن ذلك لم يكن حبه
فيه حقيقة فاذن الحب
حباب حب عام وحب
خاص فالحب العام
مفسر بامتنال الأمر
وربما كان حباب من
معدن الصلح بالآلاء

ولا يحرك جفا ولا أمة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكره إن الرجل ليستل عن كحل عينيه وعن فته الطين بأصبعيه وعن لسه ثوب أخيه (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يصعد بصدقة نظر وثبت فإن كان لله أمضاه . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عندهم فإن كان لله معنى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد بن أوساه سلمان « اتق الله عندكم إذا هممت (٢) » وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كما طبل ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الراقية ولا يخلص من هذا إلا العلم للثبوت واللعنة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكابد الشيطان فحق لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله وبرضاه في نيته وهمنه وفكرته وسكونه وحركته فلا بد في هذه الراقية بل الأكثرون يرتكبون الجهل فما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التمل فيه بمنزلة هيات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكابد الشيطان وموانع التوروت في ذلك والجاهل لا يعرف فكيف يجتاز منه فلا يزال الجاهل في تمب والشيطان منه في فرح وهمة نعوذ بقله من الجهل والقفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران لحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالقل وسعيه بالجراحة فيتوقف عن الهمة وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه قد تعالى قمضيه أو هو لم يرق النفس فينتبه ويرى القلب عن الفكر فيه وعن الهمة بفان الخطر الأول في الباطن إذا لم تدفع أورث الرغبة والرغبة تورث الهمة والهمة يورث جزم التعمد والتصد يورث القمل والقمل يورث بورث البوار والقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه وهما أشكل على البعد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فتفكر في ذلك بنور العلم ويستعين بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن هجر من الاجتهاد والفكر بنفسه فيستغنى بنور علماء الدين ولغير من العلماء الضالين للقبائل على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عنى طالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي ، فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محبوبة من نور الله تعالى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستغنى بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بيضها ومقبتها وهي شهوات الدنيا فتتمكن همة المرید أولا في أحكام العلم أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أوضف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات (٣) » جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقان ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام « من قارف ذنبا فارق عقل لا يهود إليه أبدا (٤) » فما قدر العقل الضعيف الذي سعد آدمي به حتى يصعد إلى محوه ويحطه بمقارعة الذنوب وبمعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا

والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذي يكون لكسب البعد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السررات وهو الاصطناع من الله الكريم لبيده واصطفاؤه إياه وهذا الحب يحسبون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس لكسب مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « أحب إلى من الماء البارد لأنه

(١) حديث قال لمذاذ إن الرجل ليستل عن كحل عينيه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد بن أوساه سلمان أن اتق الله عندكم إذا هممت أحمد والحاكم وصحه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر المدني ضعفه الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا فارق عقل لا يهود إليه أبدا تقدم ولم أجده .

بالوسط بين الخلق في الخصومات الكثيرة في اتباع الشبهات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ماقصد به بالإدفع الشواغل عن القلوب لينصرف لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للمسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه التثبت» (١) ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل الرقاق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لهوهم معجراً به وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شعراً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك» (٢) وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وأراد به مظانير دليل كما يستق في بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاه الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأتابع الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان ردهم فاتبه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى الله» (٤) وقد كان من دعاه النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم» (٥) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتثنا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيماً - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاعتدون - وقال تعالى - إن علينا الهدى - وقال - ثم إن علينا كيانه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه: الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طاردهم اليقين وعبادة الكذب الندم وفي الصديق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يمدح من حبيب سوء ظن نعم الخلق التسكريم والحياء سبب إلى كل جميل وأوتق العرائق وأوتق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق طلبه ورزق يطلبك فإن لم تأت به إنك كنت جازعاً على ما أصيب بمحبة في يدك فلا تخرج على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فأنما الأمور أشباه والره يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تسكرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تبقه نفسك أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيها بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة - فاذن النظر الأول للمراتب نظره في العلم والحركة أهى لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى شئ من عمله وإذا عرض له أمر أن يعدمه هالداً الدنيا والآخرة للآخرة أثر الآخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما يكشفه في حركته أن يكون مباحولكن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للمسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه التثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شعراً مطاعاً وهوى متبعاً الحديث تقدم (٣) حديث إياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح
تلتذ بحب الذات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظهر عن
مطالعة الصفات وطالع
من مطالع الإيمان
قال هذا الروح ولما
صحت محبتهم هذه أخبر
الله تعالى عنهم بقوله -
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب بذل المحبوبة
والمحسوب محسوبه
وينشد :

لعين قدى ألف عين
وتنقى
ويكرم ألف للحبيب
التكرم

وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
السنية وموجها وهو
في الأحوال كالتوبة
في اللقائات فمن صحت

لا يبينه فتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١). النظر الثاني للمراقبة عند التروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يغفل عن جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما مستقبل به القبلة»^(٢) ولا يجلس متربها إذ لا يجالس للولوك كذلك ومملك للولوك مطلق عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله جلست مرة متربها فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس للولوك فلم أجلس بعد ذلك متربها وإن كان نيام فنباح على المبدأ النبي مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لأدائها وفاء بالمراقبة فاذن لا يغفل البصير عما إن يكون في طاعة وفي مصيبة أو في مباح لمراقبته في الطاعة بالاخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في محبة لمراقبته بالتوبة والندم والافتاع والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم يشهود للنعم في النعمة والشكر عليها ولا يغفل البصير في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الضرر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك البصير في كل حال من فرض الله تعالى عليه إما فعل بآمره مباشرة أو محذور بآمره تركه أو نذير عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام للمراقبة. ومن يتدد حدود الله قد عظم نفسه فينبغي أن يتفقد البصير نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتبس أفضل الأعمال ليستعمل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تتالجزأيا الفضائل فبذلك يأخذ البصير من دنياه لآخرته كما قال تعالى «ولا تنس نصيحتك من الدنيا» وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على البصير كيما انقضت مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدرى البصير أبشئ إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راضية فينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحصر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أوقاته فقله آخر أوقاته وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أوقاته فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على مراءاه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو وقعة في غير هرم»^(٣) وما روى عنه أيضاً في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يتأجر فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يغفل فيها بالمعظم والشرب»^(٤)

نوبته على الكمال
تحقق بسائر اللقائات
من الزهد والرضا
والوكل على ما شرعناه
أولاً ومن صحت
عبته هذه تحقق
بسائر الأحوال من
القاء والبقاء والصحو
والحو وغير ذلك
والتوبة لهذا الحب
أيضا بمثابة الجنيان
لأنها مشتتة على الحب
العام الذي هو لهذا
الحب كالجسد ومن
أخذ في طريق
المجوبين وهو طريق
خاص من طريق
الهيئة يتكامل فيه
ويجتمع له روح الحب
الحامس مسع قالب
الحب العام الذي
تقتل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه تقدم (٢) حديث خير المجالس ما مستقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد الحديث أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنه في صفح موسى وقد تقدم (٤) حديث وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتأجر فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فان في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم
والشرب لا ينبغي أن يغلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله
مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس
فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بعين النصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباطها
الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسيابها وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات السخيرة للشيوة
فيه كما فصلنا بضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين القتل والكرهة
ويلاحظون وجه الاضطراب إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين
لشهوته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون
مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهومن مقامات
العارفين وعلامات المحبين إذ الهب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشغلت قلبه
بالصانع وكل ما يتردد البعد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فحمت له
أبواب السموات وذلك عزيز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون
على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرم من جلته ويذمون منه ما لا يوافق هوام وبسببونه ويذمون
فاعله فيذمون الطيخ والطايخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطايخ ولقدرته ولطعمه هو الله تعالى
وأن من ذم شيئاً من خلق الله يغير الله إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا
الدهر فإن الله هو الدهر »^(١) فهذه الرابطة الثانية عميقة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك
يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المزاج لمن أحكم الأصول .

(الرابطة الثالثة : محاسبة النفس بعد العمل . ولذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها)

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسها وهذه
إشارة إلى المحاسبة على ماضي من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم
قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا وفي الخبر « أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني
فقال أمتوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأَمْضِهِ وإن كان غياً
فانته عنه» وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى
- وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم
عليه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة »^(٢)
وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وعن عمر
رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جبه الليل ويقول لنفسه ماذا فعلت اليوم وعن
ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة غيره بكونه التريكان
بتجاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبأكبر رضوان الله عليه قال لها
عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال قال لا أحد
أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكرامة قد رها وأبدلها بكلمة غيرها « وحديث أبي
طلحة حين شفه الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى تداوم جاءه لا موضع بمغافاته »^(٣)

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث (إبن هزيمة) (٢) حديث (إبن أبي عمير) (٣) حديث أبي طلحة حين شفه الطائر عن صلاته
فجعل حديثه صدقة تقدم غير مرة .

النصوح وعند ذلك
لا يتقلب أطوار
المقامات لأن القلب
في أطوار المقامات
والترقي من شيء منها
إلى شيء طريق المحبين
ومن أخذ في طريق
المجاهدة من قوله
تعالى - والذين جاهدوا
فينا لنمدينهم سبلنا -
ومن قوله تعالى
- وهدي إليهم
نبي - أثبت كون
الانابة سبباً للهداية
في حق الحب وفي حق
المحبوب صريح بالاجتناب
غير معلل بالكسب
فقال الله تعالى - يجزي
إليه من يشاء - فمن
أخذ في طريق المحبوبين
يطوى بساط أطوار
المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب قيل له يا أيوسف قد كان في بيتك وغلامك ما يكونونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تتكبر . وقال الحسن : المؤمن قوام على نفسه بحاسب الله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شقي الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يعجزه الشيء يسبحه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجي ولكن هبات جيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيفرج إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعثر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعه يقول ويبي وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخج والله لتعنين الله أو ليعذبك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس الواهمة - قال لا يلقي المؤمن إلا ما يحب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكثري ماذا أردت بشربي وبالفاجر يعصى قعلاً لا يحب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبداً قال لنفسه أألت صاحبة كذا أألت صاحبة كذا ثم ذهبا ثم خطمها ثم أزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معانية النفس كما سيأتي في موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقي أئد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعاني أبحارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدتها وأعاني سلاسلها وأعاني قتل نفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أود إلى الدنيا فأعمل صالحاً قلت فأنت في الأمانة فأعلمي ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بستان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكانه ليرحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حق أكناني ، وحكي صاحب للأحفن بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يحمي إلى الصباح يضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوسعة الحق فيفني أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسنها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لسكانت الحيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يفي إلا بما لا فائلاً فكيف لا يحاسب الناقل نفسه فيما يخلق به خطر الشقاوة والسعادة أبدأ بالأبادهما هذه المسألة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسارة ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وهكروم وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تدارك في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه القراض وربيحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملته نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها على العرائض أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها القضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اغتفل بعقوبتها وتعديها ومعانيها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتنى في حساب الدنيا عن الجنة والبراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يفتنى في شيء منها فيفتنى أن يفتنى غيبة النفس ومكرها فاتها خداعة ملبية مكارة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تملك به طول نهاره وليستكمل بنفسه

صفوها وخالصها بأنم وصفها والمقامات لا يتقده ولا تحبسه وهو يقيدها ويحبسها بترقيتها وارتزاعه صفوها وخالصها لأنه حيث أشرفت عليه أنوار الحب المحاسن خلع ملابس صفات النفس ونسوتها والمقامات كلها مصفية للثبوت والصفات النفسانية فازده صفه عن الرغبة والتوكل يصفه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود النفس ما أشرق عليها ثموس الحجة الخاصة فيفتي ظلمها

من الحساب ماستيولاه غيره في صعيد القيامه وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن ؟ فاذ عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنه قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي القلى على شريكه على قلبه وفى جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون . أما بضها في الترامه والضان وبضها بردهينه وبضها بالقوية لها على ذلك ولا يمكن شىء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتميز الباقي من الحق الواجب عليه ، فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما تفل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقه وكان محاسباً لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أياما فاذا هو وأحد عشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال : يا باقى ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مفتشاً عليه فاذا هويت فسمعوا قاتلا يقول يالك ركضة إلى التردوس الأعلى فكذلك ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى مصيئه بالقلب والجوارح فى كل ساعة ، ولو رمى العبد بكل مصيئة حجرا فى داره لامتلات داره فى مدة يسيرة فرية من عمره ولكنه يتساهل فى حفظ العاصى والمسلان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه .

(للرابطة الرابعة فى معاينة النفس على تصورها)

مهما حسبته فلم تعلم عن مقارفة مصيئة وار تكاب تصير فى حق الله تعالى فلا ينبغي أن يحملها فانه إن أهمها سهل عليه بمقارفة العاصى وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فاذا أكل لقمة شبهة يشبوه نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطرافه بدنه بمحرمه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على غدها ثم ندم فوضع يده على النار حتى بدت . وروى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل يتعبد فى صومته فكذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساجدة فقال ماهذا الذى أريدان أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فقدم فله أراد أن يجدر رجله إلى الصوم فقال بهاتين بهات رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود معى فى صومتي يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة فى الصومه تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فستقطت فشكر الله له ذلك وأزله فى بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكرمي يقول أصابني ليلة جنة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسجن الماء أو أدخل الحمام ولا أعي على نفسي فقلت وإيهام أنا أعامل الله فى طول عمري فوجب له على حق فلا أجدي للساعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا فى مرقعتي هذه وآليت أن لا أزعها ولا أعصرها ولا أجنفها فى الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا فى بعض مغازيهم فاستشف جارة فظهر إليها غزوان فرفع يده فاطلم عينه حتى بقرت وقال إنك للحاظلة إلى ما يضرلك ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينفص على نفسه البش . ويحكى أن حسان بن أبى سنان مر بفرقة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسأين عما لا ينبتك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن ضيفم جاء رباح القيسي يسأل عن

وجودها فمن تحق
بالحب الخاص لانت
نفسه وذهب جودها
فاذا ينزع الزهد منه
من الرغبة ورغبة
الحب أحرقت رغبته
وماذا يصنع التوكل
ومطالعة الوكيل حشو
بصيرته وماذا يسكن
فيه الرضا من عروق
للنازعة ممن لم تسلم
كليته . قال الروذباري
مالم تخرج من كليتك
لا تدخل فى حد الهبة
وقال أبو يزيد من
فتنته محبته فدينه
رؤيته ومن قتله عشقه
فدينه متاعته ، أخبرنا
بذلك أبو زرعة عن
ابن خلف عن أبى
عبد الرحمن قال سمعت
أحمد بن على بن جعفر

أبى ببد المصّر قفلنا إله نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نومهم ولي نصر فأفأ بعنارم رسولنا
له ألا نوظفه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عن شيئا أدركته وهو يدخل القابر وهو
يغيب نفسه ويقول أفلت وقت نوم هذه الساعة أنساكن هذا عليك بنام الرجل من غلام ما يدرك أن
هذا ليس وقت نوم تكلمين بما لا تطيقن أما إله على عهدا لا أقضه أبدا لأوسدك الأرض لنوم حولا
إلا لمرض حائل أو لفعل زائل سواء لك أما تستجين كم توخين وعن غيبك لا تتبين قال وجعل يكي
وهو لا يشعر بكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . ويجي عن نعيم الداري أنه نام ليلة لم يقم فيها يتجدد
فقام سنة لم يتم فيها عقوبة لذى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال « انطلق رجل ذات يوم ففرغ
ثيابه وتفرغ في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوق ونار جهنم أشد حرا أجنة البائل بطلاة البهار فيينا
هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأناه فقال غلبني نفسي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما قد فتحت لك أبواب السماء وقد باهى الله بك الملائكة
ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم معهم فقال اللهم اجعل التوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأجهم (١) . وقال حذيفة بن قبادة قيل لرجل كيف تصنع
بنفسك في شربها فقال ما لي وجه الأرض نفس أبض إلى منها فكيف أعطيها شربها ودخل ابن
الساك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يادادو سجت نفسك قبل أن تسجن
وعذبت نفسك قبل أن تعذب فالיום ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلا صيد
زمانا ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سببا بكل في كل سبت إحدى عشرة قرعة ثم سأل حاجته
فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أنيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فقلز إليه ملك وقال
يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا
في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد البرح وإذا رجل أمامي وهو
يخاطب نفسه ويقول أي نفسي ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لأهلك وعياك فأطعنتك ورجعت
ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لأهلك وعياك فأطعنتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله
أخذك أو تركك قتلتي لأرغمته اليوم فرمته فجعل الناس على عدوهم فكان في أوامهم ثم إن العدو وحل
على الناس فأنكشفوا فكان في موضعه حتى أنكشفوا امرأته وهوانت . قال فوالله ما زال ذلك أهدأ حتى
رأيتهم صريحا فصدت به وبدات به ستين أو أكثر من ستين طلعة وقد ذكرنا حديث ابن طلحة لما اقتتل
قلبه في الصلاة بطائر في خاطئه فتصدق بالخاطف كفارة لذلك وإن عمر كان يشرب قديمه بالدرة كل
ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على
نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأحننف بن قيس لا يفرقه الصباح بالبائل فكان
يضح أصميه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا . وأنكر وهيب بن الورد شيئا على
نفسه فتفت شمرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك إني أريدك الخير ورأى محمد
ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا ابتصر ملح فقال له لو أكلته بملح فقال إن نفسي تدعوني
إلى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا فكذا كانت عقوبة آل أبي الحزم لأنفسهم والعجب

يقول سمعت الحسين
ابن علويه يقول قال
أبو يزيد ذلك فإذا
التنلب في أطوار
للقامات لولم الحبين
وطى بساط الأطوار
لحواس الحبين وم
المحبون تخلفت عن
همهم اللقامات وربما
كانت اللقامات على
مسدأرج طبقات
السماوات وهي مواطن
من يتعثر في أذيال
بهايم . قال بعض
الصكبار لأبراهيم
الحواس إلى ماذا أدى
بك التصوف فقال إلى
التوكل فقال نعم في
عمران بابطك أن
أنت من القناء في
التوكل برؤية الوكيل
فالنفس إذا تحركت

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم ففرغ ثيابه وتفرغ في الرضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم
أشد حرا الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع
أو مرسل ولا أدري من طلحة هذا .

أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وللدنك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخلف أنك لتجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبضوا عليك ثم تهمل تسلك وهي أعظم عدوك وأشد طغيانا عليك وضرك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فإن غلبهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولوعقت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم القيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنفض عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

[الرابعة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرأها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فتن من الوظائف جبرا لما فاتته وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحياناً تلك الليلة وأخر ليلة صلاة للقرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مراعاة للنفس ومؤاخذه لها بما فيه نجاتها . فإن قلت إن كانت نفس لا تطاوعني في المجاهدة والمواظبة على الأوراد فماسبيل معالجتها . فأقول سبيل في ذلك أن تستمع ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين (١) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب محبة عبد من عباد الله يجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعتزيت بفترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهداه فعملت على ذلك أسبوعا إلا أن هذا العلاج قد تعمز إذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين فينبغي أن يعدل من للشهادة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا يفتنون من الجهد الجيد وقد انقضت عليهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الأبد لا ينقطع لها أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتنع نفسه أياما فلا تلبس بشموات مكدره ثم يأتيه الموت وهال بينه وبين كل ما يشتهي أبد الأبد نموذج بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة اللربد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى ومما يرضى (٢)» قال الحسن أجهدهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة - قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (٣)» ويروي أن الله تعالى يقول للأنبياء ما لا ينطق به لسان بشر من

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين وله وللنساء وابن ماجه من حديث أبي هريرة باسناد صحيح رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته وللترمذي من حديث بلال عليه السلام قيام الليل فانه ذاب الصالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث رحم الله أقواما يحسبهم مرضى ومما يرضى لم أجده له أصلا في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في ازهد مؤتوفا على علي في كلام له قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض (٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة عن وهو مدلس وللترمذي من حديث أبي بكره خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفتها مظنة من دائرة الزهد يردّها الزاهد إلى الدائرة يزهد . وللتوكل إذا تحركت نفسه يردّها بتوكله والراضى يردّها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تختلج إلى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بيده وهو أداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن أخذ في طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأتوار فضل الحق ومن اكتسب ملابس نور القرب بروح داغة المكوف محبة عن

فيقولون إلهنا خوتهم شيئا غفوه وشوقهم إلى شيء فاشتقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لورائي عبادي لسكونوا أشد اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون شيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولمي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تظفونه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جمل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جهنم الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يتاجون ربهم في فكك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة آحزتهم وسألوا الله أن يفرها لهم والله ما زالوا كذلك على ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة . وعجني أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا بهم شاب ناضل الجسم فقال عمر له يا فتى ما الذي بلغ بك ماأرى فقال ياأمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظلمات لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقابل حقير كل ماأنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز قليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكبرون فضول النظر كما يكبرون فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزيق من غدة إلى العصر فلما انفتحت مئمة ولايسرة قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خالق العيين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر غير اعتبار كتب عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفخان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال أبو الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل وجلسة أقوام ينتقون أطياب السلام كما ينتقى أطياب البحر ، وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصغر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لأع من الاستكانة شيئا لا أجت به ، وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أفرد من رجليه فكان يصلي جالساً ألف ركعة فإذا صلى العصر احتجى ثم قال عجبت للخلقة كيف أرادت بك بدلائلك عجبت للخلقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ، وكان ثابت البناني قد جبت إليه الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري . وقال الجنيد : مارأيت أعبد من السرى أمت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا في علة الموت . وقال الحرث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فسلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأهل والهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم ، وعن أبي محمد الغازي قال جاور أبو محمد الجربري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه ففسر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له ياأبا محمد به قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطن

الطوارق والصروف
لا يزعمه طلب ولا
يوحده سلب فازهد
والتوكل والرضا كائن
فيه وهو غير كائن
فبها على معنى أنه كيف
تقلب كان زاهدا وان
رغب لأنه بالحق لا
بنفسه وإن رؤى منه
الاتفات إلى الأسباب
فهو متوكل وإن وجد
منه الكراهة فهو
راض لأن كراهته
لنفسه ونفسه للحق
وكراهته للحق أعيد
إليه نفسه بدواعيها
وصفاتنا مطهرة
موهوبة محمد - ولة
ملطوف بها صار عين
الداء دواء وصار
الاعلال شفاء وثاب
طلب الله له متاب كل

فأعاني على ظاهري فأفترق الكفائي ومشى مفكرا ، وعن بعضهم ول دحات على فتح الموصلي
 فرأيت أنه قد مد كفيه يميني حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدأبت منه فادا دموعه قد
 خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتاح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفني بالله ما أجبرت ، نعم بكيت دما
 فقلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
 لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيت بعد موته في المنام فقلت ما صحت الله بك ؟ قال غفرتي فقلت
 له فهاذا صنع في دموعك ؟ فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتاح الدمع على ماذا ؟ قلت يارب على
 تخلفي عن واجب حقك فقال والله على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتاح
 ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صمد حافظك أربعين سنة بصحبتك ما فيها خطيئة ، وقبل
 إن قوما أرادوا سفرا لحادوا عن الطريق فأتبوا إلى راهب منفرد عن الناس فادعوه فأشرف عليهم
 من صومعته فقالوا ياراهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء فقام القوم
 ما أراد فقالوا ياراهب إنا سألوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تكثروا فان التهارلن رجع والعمير
 لا يعود والطالب حيث فجبب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الخلق غدا عند ملبسكم فقال
 على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بالغ البقيتم أرشدكم إلى الطريق
 وأدخل رأسه في صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
 فناديته ياراهب فلم يجني فناديته الثانية فلم يجني فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا
 يراهب إنما الراهب من رهب الله في سبائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحده
 على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وفكر
 في حسابه وعقابه فباراه صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومساءه الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا
 فكلب عقور حيث نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعظمهم فقلت ياراهب لما الذي قطع
 الخلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها جعل
 المصاعى والذنوب والمغالل من رمي بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من
 ربه . وقال لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذن افارغ ، وكان أوبس القرني يقول هذه
 ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل
 كله في سجدة ، وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتبنا بالطعام والشراب فقالت له أمه لورقت بنفسك
 قال الرفق أطلب دعيني أتمب قليلا وأنتم طويلا وحج مسروق فما تام قط إلا ساجدا . وقال السفيان
 الثوري عند الصباح بحمد القوم السري وعند المات بحمد القوم التقي . وقال عبد الله بن داود :
 كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن
 يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي بما أوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسين ركعة كان
 يبيكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الريح بن خبث تقول له يا أبت مالي أرى الناس يتامون
 وأنت لاتام ؟ فيقول يا ابتاه إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الريح ما يلقي الريح من البكاء
 والسر نادته يا بني لملك قتلت قتيلًا قال نعم يا أماه قالت لمن هو حق نطلب أهله فيغفر عنك فوالله
 لو يملكون ما أتت فيه لرحولك وغفوا عنك فيقول يا أماه هي نفسي ، وعن عمر ابن أخت بشر بن
 الحرث قال سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لأمي يا أختي جوفي وخواصري تضرب على قناتلها
 أُمي يا أختي أنا أنذل لي خفي أصلك لك قليل حساء بكف دقني عندى تتحساه برم جوفك فقال لها
 ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إيش أقول له فكنت أُمي وبكى معها

طالب من زهد وتوكل
 ورضا أوصار من جالوبه
 من الله ينوب عن كل
 مطلوب من زهد
 وتوكل ورضا . قالت
 رابعة : محب الله لا يسكن
 أينته وحبسه حتى
 يسكن مع محبوبه .
 وقال أبو عبد الله
 القرشي حقيقة المحبة
 أن تهب لمن أحببت
 كلك ولا يبقى لك نك
 شيء . وقال أبو الحسين
 الوراق : السرور بالله
 من شدة المحبة والمحبة
 في القلب نار تحرق كل
 دنس . وقال يحيى بن
 معاذ صبر المحبين أشد
 من صبر الزاهدين
 وإيجبا كيف يصبر
 الانسان عن حبيبه .
 وقال بعضهم من ادعى

وبكى معهم . قال عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضيقاً قالت له أمي يا أختي ليت أمك لم تلدني فقد والله تخطعت كبدى عما أرى بك فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني وإذا ولدني لم يدر ثديها على . قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الربيع : أتيت أويسا فوجدته جالساً قد صلى الفجر ثم جلس فجلست قاتلاً لأخذه عن التسبيح فشككت مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء . ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلبت عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نومة ومن بطن لا تشبع قتلتي حسي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأويس أن لا يكون مريضاً بطعم المريض وأويس غير طاعم ونيام المريض وأويس غير نائم . وقال أحمد بن حرب : يا عجباً لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف بنام بينهما ، وقال رجل من النسك أتيت إبراهيم بن آدم فوجدته قد صلى العشاء فقدمت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءاً إلخ ذلك في صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجاً ثم لم تجد وضوءاً . فقال كنت الليل كله جالساً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلاً كان أحدهم يصلي فيمجزع عن أن يأتي فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش وتزل الماء في إحدى عينيه فشككت عشرين سنة لا يلم به أهله وقيل كان ورد ممنون في كل يوم خمسمائة ركعة ، وعن أبي بكر الطرقي قال كان وردى في شبقي كل يوم وليلة أقرأ فيه : قل هو الله أحد إحدى ثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى ، وكان منصور بن النعمان إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لملك يابني أصبت نفساً لملك قتلت قتيلاً ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أنى صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح فإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : سمعت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار . وبرى عن رجل من أصحاب بنى أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت خلف على رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انشلت عن يمينه وعليه كآبة فشككت حتى طلمت الشمس ثم قلب يده وقال وإنه لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصحون شتاءً غبراً صيفاً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الربيع وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غائلين يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون السكل منك لأمى فلما دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابق وكان يقول ايظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لأزاحمهم عليه زحاحاً حتى يملوا أنهم قد حلفوا ورواهم رجلاً . وكان صفوان بن سليم قد تقدمت سابقاً من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

محبة الله من غير تورع
عن محارمه فهو كذاب
ومن ادعى محبة الجنة
من غير إيقاق ملكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب الفقراء فهو كذاب
وكانت رابعة تشهد :
نعمى الإله وأنت
تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال
يديع
لو كان حبك صادقا
لأطمته
إن الحب لمن يحب
حطيط
وإذا سكن الحب
للأحوال كالنسوة
للمقامات فمن ادعى
حالة لا يهتجره ومن
ادعى محبة لا تحترق

ما وقيل له القيامة غدا ما وجد مزايدها ، وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحِبّ لقائي . وقال القاسم بن محمد غدت يوما وكنت إذا غدت بدأت بمأشاة رضى الله عنها أسلم عليها فغدت يوما إليها فإذا هي تصل صلاة الضحى ، وهي تقرأ - فن الله علينا ووقانا عذاب السموم - وبكى وتدعو وتردد الآية فمقت حتى ملكت وهي كاهي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت لأفزع من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كاهي ثم تردد الآية وبكى وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبدالرحمن بن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال طي بن أبي طالب كرم الله وجهه سميا الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاء من الصوم عليهم غيرة الحاشئين . وقيل للحسن : ما بال المتجهدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهي خلقتني ولم تأمرني وتميتني ولا تمنني وخلقت معي عدوا وجعلته يجرى مني مجرى الدم وجعلته يراني ولأمره ما قلت لي استمسك إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا المموم والأحرار وفي الآخرة العقاب والحساب فأبين الراحة والفرح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صبيحات كان إذا صلى الضحى وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صبيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثاني صاح صبيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صبيحة قال جعفر بن محمد حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصبيحتين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زعما نازلا عندنا بالحصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيا الركب للرسول أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فتوثابون فيسبح من ههنا بك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضي ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح بحمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصار قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوايت للطمعة وخرائن للقدرة فهم بين الخلق متبولون ومدبرون وقلوبهم تجول في اللسوك وتلوذ بمحجوب النجوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف القوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر متناديل مبتذلون لمن أرادهم تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تحييه لها دوى حال فانبعث الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا - إلى قوله - ويحذركم الله نفسه - قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صبيحة خر منشيا عليه فقلت وأسفاه هذا لثقتي ، ثم انتظرت إفاضة أفأقي بعد ساعة فسمعت وهو يقول أعوذ بك من مقام السكدين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض العافلين ثم قال لك خست قلوب الحاشئين وإليك فرغت آمال القصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم قض بدته فقال مالي ولله دنيا

فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القالب والأحوال أعراض قوامها بجوهر الروح . وقال سمون : ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا لزم مع من أحب ه فهم مع الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسي لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في القلب ولم يكن هذا بالمحبة فإذا خرج الحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة

وما لاسيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف تعيمك إلى محبك فاذنعي وإياهم فأخذني ثم قال
 أين القرون الماضية وأهل الدهور السائلة في التراب يبلون وعلى الزمان ينفون فتاديت يا عبد الله ألمعدن
 اليوم خلكم أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من ياد الأود فتوباديه يخاف سبغها بالموت إلى نفسه
 أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع تزولها ثم لما عني
 ساعة وقرأ - وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر
 منشيا عليه قتل قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما ذا طرى
 هب لي إسماء من فضلك وجللي بسترِكَ واعف عن ذنوبي بكرم وجهك وإذا وقت بين يديك قتل
 له بالي ترجوه لنفسك وتثق به إلا تخلي فقال عليك بكلام من ينفك كلامه ودع كلام من أوقفه
 ذنوبه إني لفي هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ومجاهدين فليجده عونا لي ليخرجني مما أنا فيه
 غبرك فاليك عني يا مخدوع قد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك شعة من قلبى وأنا أعوذ بالله
 من شركك ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويتفضل علي رحمة . قال قتل هذا ولي الله أخاف أن أشغله
 فأعاقب في موضعى هذا فانصرف وتركته . وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في مسجدي إذملت إلى
 شجرة لأستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لي يا هذا قم فإن اللوت لم يمت ثم هام على وجهه
 فابنعت فسمعت وهو يقول - كل نفس ذائقة اللوت - اللهم بارك لي في اللوت قتل وفيها بعد اللوت
 فقال من أيقن بما بعد اللوت شعر مژر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجه عنت
 الوجوه يبيض وجهي بالنظر إليك وإملا قلمي من الهبة لك وأجرني من ذل التوبيع غدا عندك فقد
 آن لي الحياء منك وحن لي الرجوع عن الاعراض عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسخى أجلي ولولا
 غفوك لم ينسبط فيها عندك أملى ثم مضى وتركني ، وقد أنشدوا في هذا المني :

نحيل الجسم مكنث الواد
 تراه بقعة أوبطن وادي
 ينوح على معاص فاضحات
 يكدر ثقلها سفو الرقاد
 فان حاجت مخاوفه وزادت
 فدعوته أغشى يا عسادي
 فأتت بما ألقى عليه عليم
 كثير الصفع عن زلل الباد
 وقيل أيضا :
 ألد من التلذذ بالوواني
 إذا أقبلان في حلال حسان
 منيب فر من أهل ومال
 يسيح إلى مكان من مكان
 ليخمل ذكره ويبعث فردا
 ويظفر في العباد بالأماني
 تلذذه التسلاوة أين ولي
 وذكر بالسواد وباللسان
 وعند اللوت يأتيه بشير
 يشير بالنسجة من الحوان
 فيسدر ما أراد وما عسى
 من الزاحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يحتم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية الجاهدة قليل له
 قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا قليل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قليل خمسون
 ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني ألك لو عشت عمر الدنيا
 واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك
 كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصر والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف
 الصالحين في مراعاة النفس ومرايتها لهما تدرت نفسك عليك وامتنعت من اللواظبة على العبادة
 فظالم أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثاهم ولودرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجح

مثل الجنيد عن
 الحصة قال : دخول
 صفات المحبوب على
 البديل من صفات
 المحب . قيل هذا على
 معنى قوله تعالى وإذا
 أحببتك كنت له معيا
 وبصره . وذلك أن
 الهبة إداسفت وكملت
 لأنزال تجذب بوصفها
 إلى محبوها ، فاذا
 انتهت إلى غاية جهودها
 وقفت والرابطة تتأمله
 متأكدة وكالوصف
 الهبة أزال اللوانع من
 المحب وبكالم وصف
 الهبة تجذب صفات
 المحبوب تعطفا على
 المحب الخاص من
 موانع قادحة في صدق
 المحب ونظرا إلى
 قصوره بعد استفاد

في القلب وأبى على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا هجرت عن هذا لتفعل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن إيل لمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والسكون في زميرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تتخطف في ملك الحق وتقع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا طاقا للاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجنوبات وقل لها يا نفس لا تستكفي أن تكوني أقل من امرأة فأغض رجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ، ولندكر الآن نبذة من أحوال المجنوبات قد روى عن حبيبة المدوية أنها كانت إذا صلت الضمعة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وحماها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت الصيون وغلقت اللوك أبوابها وخلاكل حبيب حبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم قبض على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم رددتها على أغزى وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما يقيتى وعنك ولا تهترى عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . وروى عن هجرة أنها كانت تحي الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها معزون إليك قطع العابدون دجى الليلي بسبقته وإن رزحت وفضل مغفرتك فك يا إلهي أسألك لا يضر بك أن تجعلني في أول زمرة الساجدين وأن ترفعني إليك في عليين في درجة القربين وأن تلحقني بسادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم المعطاء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تحي ساجدة فيسمع لها وجة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع عن النياحة والبكاء قلت لصاحب لوانيتنا إذا دخلت فأمرناها بالرق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأنيها فقلت لما لورقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى على ما تريدن قال فبكيت ثم قالت والله لو ددت أنى أبكى حتى تنفد معي ثم أبكى دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جرحه من جوارحى وأتى لي بالبكاء وأتى لي بالبكاء فلم تزل ترددو أنى لي بالبكاء حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من المجنوبات قالت رأيت في منامي كأنى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أم مسودة من أهل الأبيكة يقال لها شعافة قالت فقلت أختي والله قالت فيينا أنا كذلك إذ أقبل بها على نحية تطير بها في الهواء ففارقا أنها ناديت يا أختي أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك قالت فتبسمت إلى وقالت إيا أن لقدومك ولكن احفظي عنى اثنتين أترمي الحزن قلبك وقدمى عجة الله على هؤلاء لا يضر بك ميت . وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكنت في بعض الليالي نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتفتها فلم أجدها فقمت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما غفرت لي ذنوبى فقلت لها لا تتولى بحبك لي ولكن قولى بحبى لك فقالت يا مولاي بحبى لي أخرجنى من الشرك إلى الاسلام وبعبى لي أنظ عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أينا وعشيها فقلت يوما لحامد لي أشرف على هذه المرأة ماذا صنعت قال فأشرف عليها لما رأيها صنعت شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلت القبلة تقول خالقت سرية ثم غديتها بعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جيل وهى مع ذلك متعززة لسخطك بالتوبت على معاصيك فلة جد فلة أترأها ظن أنك لا ترى سوء ما لها وأنت علم خبير وأنت على كل شئ تدبر . وقال ذو النون المصري خرجت لية من وادى كنعان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول

جهد فيعود الحب
بفوائد اكتساب
الصفات من المحبوب
فيقول عند ذلك :
أنا من أهوى
ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أجبرته
وإذا أبصرته أجبرتني
وهذا الذى عبرنا عنه
حقيقة قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« تخلقوا بأخلاق الله »
لأنه بزهة النفس
وكمال الزكية يستمد
للمحبة والمحبة موهبة
غير معلة بالزكية
ولكن سنة الله
جارية أن يركب نفوس
أحبابه بحسن توفيقه
وتأييده وإذا منح
زاهة النفس وطهرتها

- وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ويكي فلما قرب من السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف
ويدها ركة قالت لي من أنت غير فزعة مني قتلت رجل غريب قتلت يا هذا وهل يوجد مع
الله غربة قال فسكنت لقولها قالت لي ما الذي أبكاك قتلت قد وقع الدواء على داء قد فرح فأسرع
في نجاحها قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت برحمك الله والصادق لا يكي قالت لا قلت ولماذا قالت
لأن البكاء راحة القلب فسكنت متجبا من قولها . وقال أحمد بن علي استأذنا على عذرة فجبنا فلا لزما
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فمحمها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني
عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها قتلنا لها يا أمة الله ادعي لنا قتالت جبل الله قراكم في بيتي
للغرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فانت منه نظرة فغمضها
عليه فأصابه فتق في بطنه فبالت عذرة إذا رفعت رأسها لم تفس وباليها إذا عصمت تعد . وقال بعض
الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومسي جارية حبشية فاحتبسني في موضع باحثة السوق وذهبت في جنس
حوامشي وقلت لا تبرح حتى أنصرف اليك قال فأنصرف فلم أجدها في الوضع فأنصرفت إلى
منزلي وأنا عديد الغضب عليها فلما رأيته عرفت الغضب في وجهي قالت يا مولاي لا تسجل على إنك
أجلسني في موضع لم أر فيه ذاكر الله تعالى خفت أن يخسف بذلك الوضع فصبت قولها وقلت لها
أنت حرة . قالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عن أحدهما .
وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم قال لها بريرة تبتد وتكثيرة القراءة في المصحف فكلمنا
أنت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عناهما من البكاء فقال بنوعهما انطلقوا بنا
إلى هذه المرأة حتى نضلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها قتلنا بإبرة كيف أصبحت قالت أصبحت
أضيقا منيخين بأرض غربة تنتظر مني ندعي تنجيب قتلنا لها كهد البكاء قد ذهبت عناهما قالت
إن يكن لعيني عند الله خير فلما يضرها ما ذهب منها في الدنيا وإن كان لهما عند الله فسيديها بكاء
أطول من هذا ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فهي والمشي على شيء ما نحن فيه . وكانت معاينة
المدوية إذ جاء النهار تقول هذا يوم الذي أموت فيه لما تطعم حتى تمسي فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي
أموت فيها فصلني حتى تصبح . وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند ابنة فقامت إلى عرابها لما وقت أنا
إلى ناحية من البيت فلم تزل قابعة إلى السحرف فلما كان السحر قلت ما جزا مني فقامت على هذه الليلة قالت
جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شموانة تقول في دعائها إلى ما أشوقني إلى لقائك وأعظم رجائي لجزائك
وأنت الكبريم الذي لا يغيب لديك أمل الآملين ولا يبطئ عندك شوق المشتاقين إلى ما كان دناءا جلي
ولم يقرب منك عمل فقد جملت الاعتراف بالتدب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك
وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلى قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك
فالويل لها إن لم تسعدها إلى إنك لم تزل في برا أيام حياتي فلا تقطع عني برك بدمعائي ولقد رجوت
من تولا في حياتي إحسانه أن يسخني عند مماتي بفقرانه إلى كيف يأمن من حسن نظرك بعد
مماتي ولم تولى إلا الجليل في حياتي إلى إن كانت ذنوبي قد أخافتني فأن عسى لك قد أجارتني فتول من
أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره تجهله إلى لو أردت إهانتني لما هديتني ولو أردت فضيحتني
لم تسترني فتمتني بما له هديتني وأدم لي ما به سترتني إلى ما أطنك تردني في حاجة أفيت بها عمري
إلى لولا ما قازفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .
وقال الحواريون دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وحملت
حتى أقصدت وكانت تصل قاعة فلسنا عليها ثم ذكرناها شيئا من الصوابيون عليها الأمر قال فقشقت

جذب روحه بمجاذب
الحبة خلع عليه خلج
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك عنده
رتبة في الوصول فثارة
ينبت الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطاي الله
غير متناهية
وثارة يقبل بما منح
فيكون ذلك وصوله
الذي يسكن نيران
هوقه ويأبغ الشوق
بشتر الصفات للهوية
المحققة رتبة الوصول
عند الحب ولولا باعث
الشوق رجع القهقري
وظهرت صفات غسه
الحالقة بين للره وقليه
ومن ظن من الوصول
غير ما ذكرناه وأنما خيال
له غير هذا التفرع

ثم قالت على بنفى فرح فؤادى وكلهم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أقبلت على صلاتها . فليك إن كنت من الرابطين الراقيين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين ليثبت نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطع أكثر
من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيها ذكراته كفاية للمعتبر وإن
أردت مزيدا فليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصالحين
والتائبين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بصدق وبدد أهل عصرك من أهل الدين فإن
حدثك شك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت وإنما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة الأعوان
والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخرؤا بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك
إلا ما جرى عليهم والصلية إذا عمت طابت فإياك أن تتدلى بجمل غرورها وتتخضع بزورها وقول
لها أرىبت لوهج سبيل جارف يفرق أهل البلد ويبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقهم وتركى فى سفينة تخلصين بها من الفرق فهل يخلج
فى نفسك أن الصلية إذا عمت طابت أم تركين مواضعهم وتستجلبينهم فى صنيهم وتأخذين حذرهم
عما دهاك فإذا كنت تركين مواضعهم خوفا من الفرق وعذاب الفرق لا يتمدى إلا ساعة فكيف
لاهرين من عذاب الأبد وأنت معرضة له فى كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل
النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار إلا عواقة أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - فليك إذا اشتغلت بمعاجة نفسك
وحلها على الاجتهاد فاستصحت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقرعها وتحرقها سوء نظرها لنفسها
فصاها تخرج عن طغيانها .

(الرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقتك مارة بالسوء ميلة إلى الشر فرار من الخير
وأمرت بتزكيتها وتوحيها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها
عن لذاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل
واللما كانت نفسك هى النفس اللوامة التى أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة للدعوة
إلى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تنفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تنفلن
بوعظ غيوك مالم تستغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ
نفسك فإن امتطت فطت الناس وإلا فاستحي منى وقال تعالى - وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين -
وسيلك أن تقبل عليها فقرر عندها جهلها وغياوتها وأنها أبدا تعزز بفطنتها وهذائها وبشدتها
واستكناها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والدكاه والظننة
وأنت أشد الناس غباوة وحقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وألك صائرة إلى إحداها على
القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم
تختطفين أوغدا فأراك تزين اللوت بميدا ويراها الله قريبا أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
البيد ما ليس بآت أما تعلمين أن اللوت بآت بضعة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة
وأنت لا يأتى فى شيء دون شيء ولا فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل
دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون
فيه اللوت فجأة فإن لم يكن اللوت فجأة فيكون للرض فجأة ثم بغضى إلى اللوت فمالك لا تستعدين للوت

متعرض للهيب

النصارى فى اللاهوت

والناسوت وإشارات

الشيوع فى الاستراق

والقضاء كلها عائدة إلى

تحقيق مقام المحبة

بإستلاء نور اليقين

وخلاصة الذكر على

القلب وتحقيق حق

اليقين بزوال الأعوجاج

البقايا وأمنت اللوث

الوجودى من بقاء

صفات النفس وإذا

صحت المحبة ترتبت

عليها الأحوال وتبينها.

سئل الشبل عن المحبة

فقال كئس لها وهج

إذا استقر فى الحواس

وسكن فى النفوس

تلاشت . وقيل للعبة

ظاهر وباطن ظاهرها

اتباع رضا المبوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أمتدبرين قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم وهم في عملة معرضون ما يتبين من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يامنون لاهية قلوبهم - وعليك يا نفس إن كانت جراتك على عصية الله لا تغتداك أن الله لا يراك فاعظم كفرك وإن كان مع علك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياك . وعليك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أع من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومفتك له فبأي جسارة تعرضين لمقت الله وغضبه وعدده عقبه أظنن أنك تطيقين عذابه هبته هبته جري نفسك إن الهالك البطر عن ألم عذابه فاحبس ساعة الشمس أوفى بيت الحمام أوفرني أصبعك من الدار ليتبين لك قدر طاعتك أمتدبرين بكرم الله وفضله واستثنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تتولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستبطين الحيل في دفعه ولا تسكينه إلى كرم الله تعالى وإذا أهرقت حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم فمالك نزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تتولين على كرم الله تعالى حتى يثر بك على كنز أو يسخر عبدا من عبيده فيجعل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أتحمسين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا يتبدل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وعليك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعائك الباطلة فانك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخرة - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبت به فأفهاك وأصبحت تكالين على طلبها تكال بالدهوش للستهر وكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراضا للفرور وللستعجر ما هذان علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان الناقضون في الدرك الأسفل من النار . وعليك يا نفس كآك لا تتولين يوم الحساب وتظنين أنك إذا مت اغفلت وتخلصت وهبته أتحمسين أنك تتركين سدى ألم تكن في نقطة من متى - يعني ثم كنت علقه غلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فإن كان هذان إظهارك فما أ كفرك وأجهلك أمتدبرين أنه مماذا خلقك من نقطة خلقك قد كرم السيل يسرك ثم أمانك فأقربك أفكذبينه في قوله ثم إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فمالك لا تأخذين حذرَكَ ولو أن يهوديا أخبرك في آفة أطمعتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته واجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع قصان عقل وقصور علم والمجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحمال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أم صار حرجهم وأغلاهم وأنكأهم وزقومهم ومقامهم وصديدهم ومومها وأفابعها وعقوبها أحقر عندك من عقرب لا تخمين بألها إلا يوما أو أقل منه ماهذه أفعال العقلاء بل لو أنك كشف لإهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فإن سكنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به فمالك تسوفين للعمل والوت لك بالمرداد ولله غنطفك من غير مهلة فبا إذا أمنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالامهال مائة سنة أظنن أن من يطعم الدابة في حضيض القبة يفلح ويقدر على قطع القبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرايت لو سافر رجل لينفق في الغربة فأقام فيها سنين مستظلا بظل ليد نفسه بالنفقة في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من غفله وظنه أن تنفقه النفس بما يطعم فيه بجنة قرية أو - بأنه أن مناصب القتها تال من غير غفقه اعتقادا على كرم الله سبحانه وعلمى

وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا نفسه فمن الأحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يلهيها المحب إلا يدل على أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم : حزني كسنتك لآلها أمد

ينهي إليه ولا آلا أمد ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي الحواري دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر الصبر نافع وأنه موصل إلى الدرجات الملائم اليوم آخر محركك فلا تشتغلين فيه بذلك فإن أوحى إليك بالاسمال لما للنافع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف فلما لم يصب إلا بهزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التنب والشفقة أنتظرين يوما يأتيك لا يصبر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمسكوك ولا تكون الكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتاملين مذكم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء القد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن القد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمل لا بل تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أهيج وأهيج لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد قلبها فإذا هجم العبد عن قلبها للضعف وأخرها كان كمن هجم عن قاع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول اللذة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفًا ووهنًا فلا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في الشباب بل من الصاء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب القلب والتعذيب الرطب يقبل الانحاء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجليلة وتركين إلى التسويف لما بالك تدعين الحسكة وأية حماقة تزيد في هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يعني عن الاستقامة إلا حرصى على لغة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والشفقات فما أهد غباوتك وأتبع اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التمتع بالشهوات الصافية عن السكودرات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهواتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما فوقك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويهينأ بشر به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنًا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أصبر ثلاثة أيام ليتتم طول العمر أم بقضى شهوتي في الحال خورًا من ألم مخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم مخالفة ثلاثة أيام وثلاثة آلاف يوم وجميع محرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طال مدته ، وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراكم تتوابعين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو لحق جلي . أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك يوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتناك على كرم الله تعالى وغفوه من غير التفات إلى مكروه واحتداجه واستغفاله عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو أكلة واحدة تسميها من الخلق بل توصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهول تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان نفسه وحمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ويحك يا غنى لا ينشئ أن تحرك الحياة الدنيا ولا يفرحك بالله الفرور فانظري لنفسك فما أراك مهم لتترك لاضعى أو فانتك فالأفاس معدودة فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بضعك فاغتنمي الصحة قبل السقم والغنى قبل الشغل والثنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للأخرة على قدر بقائك فيها يا غنى أما تستعدين لشتاء بقدر طول مدته فتجعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأمصاب ولا تتكلمين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البره من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فاته قادر على ذلك أنتظنين أيها النفس أن زهربر جهنم أخف بردًا وأقصر مدة من زهربر الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلاً أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداراني فرائته يكي
قلت ما يريك رحلك
الله قال ويحك يا أحمد
إذا جن هذا الليل
اقرشت أهل الحبة
أندامهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأشرف الليل
جل جلاله عليهم
يقول « يعنى من تقذ
بكللى واستراح إلى
مناجى وإلى مطلع
عليهم في خلواتهم أسمع
أنينهم وأرى بكاهم
يا جبريل ناد فيهم
ما هذا البكاء الذى
أراه فيكم هل خيركم
مخير أن حبيبا يذب
أجابه بالنار كيف
يجعل بي أن أعذب
توما إذا جن عليهم
الليل تملقوا لى فيهم

في الشدة والبرودة أنظنين أن العبد يجو منها بغير سعي هبات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجيو والثار
وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحسن التوحيد وخذق الطاعات وإنما كرم الله تعالى
في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لاني أن يندفع عنك العذاب دون حسنة كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهذا الطريق استخرجها من بين حديدته وجبرحت تدعى
بها برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراب الحطب واللبية بما يستغنى عنه خالقك ومولادك وإنا تشرته
لنفسك إذ خلقه سبباً لاستراحتك فطاعتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها وإنا بما هو طريقك إلى
نجاتك فمن أحسن فلسفه ومن أساء قلبها والله غنى عن العالمين . وعلمك ياتسئ ازعي عن جهلك
وقبي آخرك بدنياك فما خلفك ولا يتكلم إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده . وكما
بدأكم تودون وسنة الله تعالى لا تجدن لها تبديلاً ولا تحويلاً . وعلمك ياتسئ ما تراك إلا ألفت الدنيا
وأنتس بها فسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مفارقتها وتؤكد في نفسك مودتها فاحس أنك
غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها أنت مؤمنة بالوثق الفرق بينك وبين حمايك
أقرب أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجه ملبس يعلم أنه يستغرق ذلك
قلبه ثم يضطر لاصحالة إلى مفارقتها فهو ممدود من العقلاء أم من الحق . أما تعلم أن الدنيا دار الملك
للوك وماك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببته فانك مغارقاً ومعمل ماشئت فانك مجري
به وعش ماشئت فانك ميت (١) » . وعلمك ياتسئ أن كل من يثبث إلى ملذات الدنيا وأتس
بها مع أن الموت من وراءها فاما يستكر من الحسرة عند المفارقة وانما يتر ومن السمل الملك وهو لا يدري
أو ما تنظيرين إلى الدين مضوا كيف بنوا وعلاوهم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم
أما تترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون وبينون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون بين كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر عفور تحت الأرض فهل في الدنيا حمى وانكسار أعظم من
هذا يصير الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يتينا ويحرب آخرته وهو سائر إليها قاطعاً ، أما تستحين ياتسئ
من مساعدة هؤلاء الحق على حماقتهم واحس أنك لست ذات بصيرة تهتدى إلى هذه الأمور وإنما غلبت
بالطبع إلى التشبه والافتداء فقيس عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بقول هؤلاء للتكبين على الدنيا
واقترى من الفريقين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقد في نفسك العقل والله كما ياتسئ ما أعجب
أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، عجالك كيف تعين عن هذه الأمور والواضحة الجلية ولعلك ياتسئ
أسرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض
الناس إليك فاحس أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تترين أنه بعد خمسين سنة
لا يتبين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر
من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
فكيف تبين ياتسئ ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكاً
من ملوك الأرض سلم لك الترق والغرب حتى أدعت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف وبأي
إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محملك بل أمر دارك فضلاً عن محملك فان كنت ياتسئ لا تتركين
للدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعي بصيرتك فما لك لا تتركها ترضا عن خسة شركائهم وتزهاعن
كثرة عنايتهم وتوقيا من سرعة فناءها أم مالك لا تترهين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ومالك

حلفت إذا وردوا
القيامة على أن أسمر لهم
عن وجهي وأرجهم
رياض قدسي وهذه
أحوال قوم من المحبين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كالرهد من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الزهد وإذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق . قال الواسطي
في قوله تعالى وسجعت
إليك رب لترضى . قال
شوقاً واستهانة بن
وراءه . قال هم أولاء
على أثرى من شوقه
إلى مكانة الله ورضى
بالألواح لما فاته من
وقته . قال أبو عثمان
الشوق غمرة المحبة فمن
أحب الله اشتق إلى

(١) حدث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببته فانك مغارقاً ومعمل ماشئت فانك مجري به وعش ماشئت فانك ميت (١) .

تفرحين بدنيا إن ساءرتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف لعنيا يسبقك بها هؤلاء الأفساء فما أجھلك وأفس همتك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تكون في زمرة الملقين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين أبدأ الأبدن لتسكن في صف النعال من جملة الحق الجاهلين أياما فلا تل فاحسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري وبحك يا نفس قد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد الذرف من دأب على عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضى عنك ربك بعد الموت . وبحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن أنجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لست مفصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك . أماتلين يا نفس أن الموت موعدك والقر بينك والفرح فراشك والدود أنيسك والفرع الأكرين يديك ، أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالآمان اللطمة أنهم لا يرحون من مكانهم ما يأخذوك معهم ، أماتلين يا نفس أنهم يمتنون الرحمة إلى الدنيا وما ليستنلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمنيتهم ويوم من عمرك لو يسع منهم بالدنيا بخدا فيلاشترؤهم لو قدروا عليه وأنت تضعين أيامك في الغفلة والبطالة . وبحك يا نفس أما تستحيين تزئين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالظنم أفستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق . وبحك أهو أهون الناظرين عليك تأتمر من الناس بالحير وأنت متلطفة بالذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ، أماتلين يا نفس أن الذنب أنق من المذرة وأن المذرة لا تظهر غيرها فلم تطمئني في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . وبحك يا نفس لو عرفت نفسك حق العرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك . وبحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لإيلس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا تمجعين بملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في يدك وكيف تصجين بملك مع كثرة خطاياك وزلك وقد لمن أنه إيلس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . وبحك يا نفس ما أغدرك وبحك يا نفس ما أوقحك وبحك يا نفس ما أجھلك وما أجراك على العاصي وبحك كم تعقدين فتقضي وبحك كم تهددين فتعدين وبحك يا نفس أنت تغفلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تظنن إلى أهل القبور كيف كانوا جميعا كثير أو بنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح جميعهم بورا وبنياهم ثبوراً وأملهم غرورا وبحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدن هيات هيات ساء ماتوا وهم ماتت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس ملك التراق أن تدور سلك ربك منحدرة إليك بمواد الأوان وكلع الوحوم وبشري بالذباب فهل ينقم حينئذ الدم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والحب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما تنفع مال يزيد وعمر ينقص . وبحك يا نفس تم ضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتضلين على الدار وهي معرضة عنك ، فك من مستفهم يوم لا يستكلمه وك من مؤمل لمد لا يلبثه فأنت تشاهد من ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قربين تحسرم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهنم فاحدري أبنا النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دوقه وجليله سره وعلايته

لقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فان أجل الله لآت - قسرية للمشتاقين معناه آلى أعلم أن شوقكم إلى غالب وأنا أجلت للقائم أجلًا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه وقال ذواتون: الشوق أعلى الدرجات وأعلى القامات إذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقاً إلى ربه ورجاء لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السكّن في الهجين إلى رب يتوقفونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقفون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل دمه بطايا يعبدونها

فانظري يا نسي بأى بدن تنفيع بين يدي الله وبأى لسان تبيين وأعدى لسؤال جوابا وللجواب صوابا واعلمي بقية حرك في أيام تصار لأيام طوال وفي دار زوال الدار مقام توفى دار حزن ونصيب دار نصيب وخلود اعملى قبل أن لا تملأ اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطراب ولا تفرجى بما يساعدك من زهرات الدنيا قرب مسرور مضيون ورب مضيون لا يشرفون بل لمن له الولي ثم لا يشرف ضحكك وفرحك ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار فليكن نظرك يا نسي إلى الدنيا اعتبارا بوسعك لها اضطرابا ورفضك لها اختيارا وطلبك للأخرة ابتدارا ولا تكونى ممن يجز عن فكر ما أوتى ويتنى الزيادة فيما بهى وبهى الناس ولا يتنى واعلمى يا نسي أنه ليس للدين عوض ولا للآيمان بدل ولا للجسد خلف من كانت مطيته الليل والنهار فانه يساره وإن لم يسر فاطمئنى يا نسي بهذه اللوعة وإقبل هذه النصيحة فان من أعرض عن اللوعة قد رضى بالنار ومأثرها بها راضية والله للوعة واعية فان كانت القساوة تحملك عن قبول اللوعة فاستمعى عليها بدوم التجدد والقيام فان لم تزل قبل المواتة على الصيام فان لم تزل فيقة المحاطة والكلام فان لم تزل فيصلة الأرحام والطف بالآياتم فان لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئ ضحكك على النار قد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يرق فيك مجال للوعظ فاقطعى من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر فمؤذ بالله من ذلك فلا تميل لك إلى القنوط ولا تميل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس بجراء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هلمه النصية التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان صحت فاستمعى الدعاء من بحر الرحمة قد بقى فيك موضع لرجاء فوافظي على النجاة والبقاء واستمعى بأرحم الراحمين واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدنى الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية فله أن يرحم ضحكك وينيك فان مصيبتك قد عظمت وبلبتك قد ضاقت وتماذك قد طال وقد اقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ إلى مولاك فافزعى إليه بالتضرع واخضعى في فضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم بالتضرع الدليل وفيه الطالب للتلف وبجيب دعوة الضطر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق واقطعت منك الحيل ولم يتجع فيك العظات ولم يكسر لك التوبيخ فالمطلوب منه كرمه والسئول جواد والمستغاث به برّ دونه والرحمة واسعة والكرم فاض والفوضا شمل وقولى بأرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا رحيم يا عظيم يا كريم أنا للذهب الصرّ أنا الجريء الذى لا أقلع أنا للتباعدى الذى لا أستحي هذا مقام للتضرع للسكين والبائس الفقير والضعيف الخفير والمالهك التريق فجعل إغاثتى وفرجى وأرأى آثار رحمتك وأذقنى برد دعوك وسفرتك وارزقنى قوة عظمتك بأرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قد قال وهب نسيه لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو عززون كئيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذى أرى بك قال يا رب عظمت معيقتى وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربى فصررت فى دار الهوان بعد الكرامة توفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار اللوث والنفاء بعد الخلود والبقاء فكيف لأبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم أسطفتك لنفسي وأحطتكم دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطتى ألم أخلقك بيدي وخبثت فيك

علما ويطلبونها فوفا
فكذلك يكون شوقهم
لصبر ألم ذوقا وليس
من ضرور مقام الشوق
استبطاء اللوث وربما
الأصحاء من المحين
يتلذذون بالحياة فله
تعالى كما قال الجليل
رسله عليه الصلاة
والسلام قد إن صلاتى
ونسكى ومحياي ومماتى
له رب العالمين فمن
كانت حياته لله منه
الكرم لله للنجاة
والهبة فتمت عينه
من القدر ثم يكلفهم من
النخ والعطايا فى الدنيا
ما يتحقق مقام الشوق
من غير الشوق إلى
ما بعد اللوث وأنكر
بضم مقام الشوق
وقال إنما يكون الشوق

من روعي وأسجدت لك ملائكتي فصبت أُمري وسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزني وجلالي
لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يبدونني ويسبحونني ثم عصوني لأزلتهم منازل العاصين وبكى آدم
عليه السلام عند ذلك ثلاثة عام . وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلة: إلهي أنا
الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت في شهوة أخرى واعبيده
خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى واعبيده إن كانت النار لك مقبلا ومأوى واعبيده إن كانت
القماع لرأسك تهيأ واعبيده قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار سمعت
في بعض الليالي بالكوفة غابدا ينادي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أدركت بمصيبتك عافاك ولا عصيتك
إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت في نفسي
وأعاني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى على فصيتك بجمل وخالفك بفعل فمن عذابك
الآن من يستغنى أو يجمل من أتعصم إن قطعت جبلك عني وأسوأناه من الوقوف بين يديك غدا
إذ قيل للمخنفين جوزوا وقيل للمتقين حطوا مع المخنفين أجوزا مع المتقين أحطوا لي كما كبرت حتى كثرت
ذنوبي وبلى كلما طال عمري كثرت معاصي فإني متى آتوب وإلى متى أعود أما أني أذا استعجيت من ربي
فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترخاء ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والامتناع فمن أهل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعى ويوشك أن لا يكون
الله تعالى عنه راضيا والسلام . ثم كتاب المحاسبة والمراقبة . ويتلوه كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

(كتاب التفكير)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لم يخر لانهاء عزته نهوا ولا قطرا ولم يجعل لراق أقدام الأدهام ومرسى سهام الأفهام
إلى حمى عظمتها جبرى بل ترك قلوب الطالبين في يدها كبرياته والهبة حيرى كلما اهتزت لنيل
مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا هممت بالانصراف آيسة توديت من سرادقات الجلال صبرا
صبرا ثم قيل لها أجيلى في ذل البوذية منك فكرا لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدرى
له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا فانتظري في نعم الله تعالى وإياديه كيف توالى عليك
تبرى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى في بحار القادر كيف فاضت على العالمين خيرا
وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وإيمانا وكفرا وعرفانا
ونكرا فان جاوزت النظر إلى الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمبرا وخاطرت بنفسك
بما جاوز حد طاقة البشر ظفرا وجورا قد انهرت العقول دون مبادئ إشرافه وانتقصت على أعقابها
اضطرابا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يمد سيادته غرا صلاة تبقى لنا في
عرصات القيامة عنة وذخرا وعلى آله وأصحابه الدين أصبح كل واحد منهم في معاد الدين بدرا
وإطراف للمسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد وردت السنة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »^(١) وكثر الحديث في كتاب

(كتاب التفكير)

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة

لغائب ومضى غيب
الحبيب عن الحبيب
حتى يشاق ولها مثل
الأنطاكى عن الشوق
قال إنما يشاق إلى
الغائب وما غبت عنه
منذ وجدته وإنكار
الشوق على الإطلاق
لا أرى له وجهاً لأن
رتب العطايا والنسج
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف يشكر الشوق
من الحب فهو غير غائب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجد ولكن
يكون مشتاقاً إلى ما لم
يجد من أنصبة القرب
فكيف يمنع حال
الشوق والأمم هكذا
ووجه آخر أن الإنسان
لا بد له من أمور يردها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يعني أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته ولكن جعلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجره ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وإذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لهينه أم ثمرة تستفاد منه فإن كان ثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن قوما تفكروا في الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره ^(١) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسلكون؟ قالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تشكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان بهنا القرب أرضا يضاء نورها يياضها ويأضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصو الله طرفه عين قالوا يا رسول الله فأن الشيطان منهم ؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم ؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا ^(٢) » وعن عطاء قال « انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمنا وبيننا وبينها حجاب قالت يا عبيد ما يملكك من زيارتنا ؟ قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زرغبنا تردد حبا قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبككت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لرب عز وجل فقام إلى القربة فوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحبته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه صلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ويحك يا بلال وما يعني أن أبكي وقد أزل الله تعالى علي في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ^(٣) » قيل

بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة ^(١) حديث ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره أبو نعيم في الحلية بالرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في الترهيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا الإسناد فيه نظر قلت فيه الزايع بن نافع متروك ^(٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسلكون فقالوا نتفكر في خلق الله الحديث وروناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام ^(٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض - وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء .

حكم الحال لموضع بشرته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور متزايدا الشوق ولا نفي بالشوق إلا متطابقة يثبت من الباطن إلى الأولى والأعلى من أنصبة القرب وهذه الطالبة كاشفة في الحبين فالشوق إذن كائن لوجهه لانكساره وقد قال قوم شوق للمشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيوبة فيكون في حال الغيبة مشتاقا إلى اللقاء ويكون في حال اللقاء والشاهدة مشتاقا إلى زواجر ومبار من الحبيب

للأوزاعي ما غاية التفكير فمن قال يقرؤهن ويقتلن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : الفكر مرآة تركب حسانتك وميثاقتك ، وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مع الفحل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمثل بقول القائل :

إذا للره كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون ليسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطقة ذكرا وصمته فكرا ونظرة عبدة فانه مثلي . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قال أمتع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظا من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير فيه الاعتبار عند مجابهة (١) » ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت . لو تطالعت قلوب التقيين شكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب القيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان آتس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ساكتا متفكرا أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشرى : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصى الله عز وجل . وعن ابن عباس ركتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شرحبش إذ جلس فتفتح بكسائه فجعل يركب قفيل له يركب ؟ قال تفكرت في ذهاب عمرى وقلة عملي واقتراب أجلي . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب . وقال حاتم من العبدة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إنه لست أؤبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهو أهو فإذا كان همه هو أهو إلى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والتفكير على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال إسحاق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة فقرأه تفكرا في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبيح حتى وقع في دار جارية له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا ويده سيف وظن أنه لاس فلما نظر إلى داود رجوع ووضع السيف وقال من ذا الذي طر حرك من السطح قال ما شمرت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتشم بنسيم المعرفة والشرب بكأس الحجة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن أنه عز وجل ثم قال يا بهائم مجالس ما أجملها ومن شرب ما ألد طوي لمن رزقه

(١) حدث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف .

وفاضله وهذا هو الذي أراه وأختاره . وقال فارس : قلوب الشقائق منورة بنور الله فإذا تحركت اشتياق أسماء النور ما بين للشرق والتراب فيمرضهم الله على اللانفكة فيقول هؤلاء الشقائق إلى أشهدكم أنني إليهم أشوق . وقال أبو يزيد : لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستثاوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار . سئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب . سئل بعضهم هل الشوق

بالإتقان وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة تامة وهو أن الآخرة أولى بالآثار فراجع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة تامة . وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرة الخاصة العلم لاغير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر ، فالتفكير إذن هو للبدأ وللفتح للخبرات كلها وهذا هو الذي يكشفك عن ضيقة التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن التفكير ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فاذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تشكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذي ينقل من الكسار إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى - لهم يقون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يرفقنا أن الآخرة أولى بالآثار فإذا رسخت هذه المعرفة بقيت في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عني به بالحال إذا كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته وورغته ثم تغيرت إرادته وأعمال الجوارح في طراح الدنيا والآمال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار للمعرفتين في القلب . وثانيها التفكير وهو طاب للمعرفة للضرورة منها . والثالثة حصول للمعرفة المطلوبة واستئثار القلب بها . والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح لقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها للوضو قصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنهض الأعضاء للعمل فكذلك زناد نور للمعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينمت نور المعرفة كما تنبت النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حق ميل إلى مالم يكن ميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى مالم يكن يراه ثم تنهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما تنهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر مالم يكن يصبره ، فاذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لاها يتلها والأحوال التي تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فقول الفكر ومجاريه وأنه فيها ذائق الفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية ، نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فاتها مشتملة على علوم تلك العلوم تستمد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر .

(بيان مجاري الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بشؤون الدارين وإما غيرهما متعلق بالدين فلترك القسم الآخر ونرى بالدين المعاملة التي بين البدن وبين الرب تعالى بجميع أفكار العبد إيمان متعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته أو أفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبعد إيمان أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيها هو مكروه ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى فلها أن يكون في أفعاله وملكوته وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما ويكشف

أنظر إليك وأنت

لروم :

شملت قلبى بمالك فلا

ينفك طول الحيلة

عن فكر

آسنى منك بالوداد قد

أوحشتى من جميع

ذا البشر

ذكرك لى مؤنبر

بما رضى

بوعدن عنك منك

بالفكر

وحيثا صكت

يامدى همى

فأت منى بوضع النظر

وروى أن مطرف

ابن الشخير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنك بالله

واقطعناك إليه فان

له عبادا استأنسوا

بالله وكانوا في وحدتهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام مثال وهو أن حال السائر إلى الله تعالى والشتاقين إلى لقائه يضاهاى حال العاشق فلينتخذ العاشق المستر مثالا ، فنقول : العاشق يستغرق الهم شغلا لا يبدو فكمرة من أن يتعلق بمشوقه أو يتأق بنفسه فإن تفكر في مشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته لينتم بالفكر فيه ومشاهدته وإما أن يتفكر في أهاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعا للذمة ومقويا لجهته وإن تفكر في نفسه فيكون تفكره في صفاته التي تسقط من عين محبوه حتى ينزه عنها أوفى الصفات التي تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوى القلب حتى لا يترك فيه مقصدا لغيره فحب الله تعالى يبنى أن يكون كذلك فلا يبدو نظره وتفكره محبوه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلينبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعاله نفسه لئلا يميز المحبوب منها عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذى يتعلق به العاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتم على علم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله ومحبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصى وإلى باطن كالصفات النجيات والمهلكات التى عليها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المهلكات والنجيات والطاعات والمعاصى تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالقرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور : الأول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فربما لا يظهر كونه مكروها بل يدركه بديق النظر . والثانى التفكر في أنه إن كان مكروها فطريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فحتجز عنه أو قارفه فيامضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجارى الفكر في هذه الأقسام على مائة والعديد فودع إلى الفكر كما في جميعها أوفى أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات بطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات النجيات فلنذكر في كل نوع مثالا لئلا يفتى بالمريد سائر ما يفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصى] يبنى أن يفتش الإنسان صيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمصيبة بها فيتركها أو لا يسها بالأسى فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهارة فيستد لاحترار والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض للفتنة والكذب وتركه النفس والاستهزاء والتبذير والمماراة والملاحقة والحوش فبالايسى إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالهزلة والافتراء أو بأن لا يجالس إلا صالحا محتشيا يسر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والإقضيح حجرا في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فبهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في جميعه أنه يبنى به إلى التيقن والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه يبنى أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالتسبي عن النكر فمهما كان ذلك فيتفكر في بطله أنه إنما يبنى الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرة أو كمال من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدو الله وإما بأكلى الحرام والشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه وممكبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخلة ثم

أشد استئناسا من
الناس في كثرتهم
وأوحش ما يكون
الناس أنس ما يكونون
وأنس ما يكون الناس
أوحش ما يكونون .
قال الواسطي : لا يصل
إلى محل الأنس
من لم يستوحش من
الأكران كلها . وقال
أبو الحسين الوراق :
لا يكون الأنس بالله
إلا بومه التعظيم لأن
كل من استأنست
به سقط عن قلبك
تعظيمه إلا الله تعالى
فانك لا تترابد به أنسا
إلا ازددت منه هبة
وتعظيما . قالت رابعة :
كل مطيع مستأنس
وأنشدت :
ولقد جعلتك في الواد
عندي

يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضامة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام (١) كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهم حاصل التفكير حقيقة للفرقة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها [وأما النوع الثاني وهو الطاعات] فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر قصصاتها بكثرة التوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها بما يجبه الله تعالى فيقول مثلا إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبدة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قاهر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لأضله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع ببعض التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بين الأزدراء فأزجره بذلك عن مصيئته فلم لأضله وكذلك يقول في ممه إلى قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة تذكروا في أعطاه وقد أنعم الله على به وأودعته لأشكره لما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إن قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعلم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالأسوال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمره العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فلها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقي الله تعالى مثله وإن كنت محتاجا الآن فأنا إلى ثواب الأثار أحوج مني إلى ذلك للال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وحيلة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغفائه وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات للمسكنة بها ويتفكر فيها برغبة في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يركو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات لله للسلطنة التي عملها القلب] فيعرف بما ذكرناه في ربيع الهللكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والخبول والكبر والحب والرياء والحسد وسوء الظن والفتنة والغرور وغير ذلك ويتقدم قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه مزده عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستعداد بالعلاجات عليه فان النفس أبدا تعد بالحير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبرائة من الكبر فينتهي أن تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الأولون يجرؤون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض لضرب بئانه من غيره ثم يجربها في كظم النغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل هو موصوف بالصفة السكرة وهما لا أولئك علامات ذكرناها في ربيع الهللكات فاذا ذلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تنبع تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والفتنة وخبث البهيلة كالوراء في نفسه عجا بالعمل فيتفكر ويقول إنما على يدي وإرادتي وقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلى وإياها من خلق الله فضله على فهو الذي خلقني وخلق جازحي وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أعجب بسمي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحاجة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف ببند اللوث وكمن كافر في الحال يموت مقربا إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكمن مسلم يموت شقيا

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه

مجهول وقد تقدم .

وأهت جسي من

أراد جلوس

فالجسم من الجلوس

مؤانس

وحبيب قلب في الفؤاد

أنسى

وقال مالك بن دينار:

من لم يأنس بحادثة

أفد عن محادثة الخواصين

قد قل عليه وعي

قلبه وضع عمره .

قيل لبعضهم من مك

في الدار قال الله تعالى

معي ولا يستوحش من

أنس بره . وقال

الحراز: الأنس بحادثة

الأرواح مع المحبوب

في مجالس القرب .

ووصف بعض العارفين

صفة أهل المحبة

الواصلين فقال: جدد

لم الود في كل طرفة

بتغير حاله عند الموت بسوء الحظاءة فإذا عرف أن السكر مهلك وأن أصله الحظاءة وتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشهره تفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والواقع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات اللائكة كالمم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن اللائكة القريب أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتبع في طريق الفكر فلا بد له من تحصيل مافي هذه الكتب [وأما النوع الرابع وهو للتبقيات] فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاد والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات وحبة الله وتمتعهم بالرضا بأعماله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليستكر البعيد كل يوم في قلبه ما الذي يوزنه من هذه الصفات التي هي للقرية إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها ليتحقق عنده نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبت له حال الندم وإذا أراد أن يستقر من قلبه حال الشكر فليتنظر في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحتنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال الحبة والشوق فليتنظر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليتنظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيها يهده من سؤال منكرو ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول الحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في القبر والقطيع ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى التبال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى العيين فيزول دار القرار ثم ليحضر بسد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودرجاتها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقوماتها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية للوكلين بها وأنهم كلما نصبت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها نغيظا وزفيرا وهلم جرا إلى جميع ماورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليتنظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها للقيم وملوكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التزهد عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل المسكر أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يرجع عن سائر الصفات للذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة قراءة آية بتفكر وفهم خير من خمسة بغير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها أسرار لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق الماملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتي جوامع الكلم ^(١) وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

بدوام الاتصال وآوام
في سكنته بحقائق
السكون إليه حتى
أنت قلوبهم وحت
أرواحهم شوقا وكان
الحب والشوق منهم
إشارة من الحق إليهم
عن حقيقة التوحيد
وهو الوجود بالله
فذهبت سائر ما انقطعت
آمالهم عنده لما بان
منه لهم ولو أن الحق
تعالى أمر جميع الأنبياء
يسألون لهم مسائله
بعض ما أعد لهم من
قديم وحدانيته ودوام
أزليته وسابق علوه
وكان نصيبهم معرفته
به وفراغ فهم عليه
واجتماع أهوائهم فيه
فصار يحسدهم من
عبيده العموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم تقدم.

العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار بطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فأنتك مفارقة وعش ماشئت فأنتك ميت واعمل ماشئت فأنتك مجزئ به» (١) فلهذه الكلمات جامعة حب الأولين والآخرين وهي كافية لتأمين فيها طول العمر إذلو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستمرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التفت إلى الدنيا بالسكينة فهذا هو طريق الفكر في علوم العمالة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أوسكروهة واليتدى ينشئ أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يصر قلبه بالأخلاق الحمودة والقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن اللسكاره وليلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس حوله غاية للطلب بل للشغول به محبوب عن مطلب الصديقين وهو التمس بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يغنى عن نفسه أى ينشئ نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحسوب كالمعاقق للشتت عند لقاء الحبيب فإنه لا يفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالبهوت القائل عن نفسه وهو منتهى لذة المشاق . فأما ما ذكرناه فهو تشكر في عمارة الباطن ليلصق للقرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فنى ينعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فقلبه الحسين بن منصور وقال فمأت؟ قال أدور في البوادي أصلح حالى في التوكل قال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالقضاء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نيم الصديقين . وأما التزعم عن الصفات للهلكات فيجربى مجرى الخروج عن السدة في النكاح . وأما الانصاف بالصفات النجيات وسائر الطاعات فيجربى مجرى تهية المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقتاء زوجها فإن استغرقت جميع عمرها في تربة الرمح وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب ، فهكذا ينشئ أن تخم طريق الدين إن كنت من أهل المجاملة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطعنا في الأجرة فدونك وإتباع البدن بالأعمال الظاهرة فإن يترك وبين القلب حجابا كشيفا فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للجمالة أقوام آخرون وإذا عرفت جمال الفكر في علوم العمالة التي بين البد وبين ربهم فينبى أن تتخذ ذلك عادتك وديندك صباحا ومساء فلا تنفل عن نفسك وعن صفاتك للبعد من الله تعالى وأحوالك للقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل مرید فينبى أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات للهلكات وجملة الصفات للنجيات وجملة للعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتبه من الهلكات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة التضب وشدة المطامع وشدة الوقاع وحب المال وحب الجاه . ومن النجيات عشرة : التمس على القنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهد في الدنيا والاعتدال في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمما كنى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويضع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على نحو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على النعمة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالانصاف بالنجيات ، فإذا انصف بواحدة منها كالطوبة والتمس مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ، وهذا يحتاج إلى المرید الشمر .

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فأنتك مفارقة الحديث تقدم غير مرة

وأما كثر الناس من المدودين من الصالحين فينبى أن يشبوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة وإطلاق اللسان بالفتية والنجمة والراء والثناء على النفس والافراط في مباداة الأعداء وموالاة الأولياء والداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاختشال بمسارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يخلب عليهم نوع من الصبغة فينبى أن يكون تقدم لها وتفكرهم فيها لافي محاسنهم بمنزل عنها مثاله الماء الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالمع والطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من الهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن غيظ وأتفة وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن عيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد خرقه بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحك للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالتناء واستكف من الرذائل والأعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين القفظ والإيراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب التكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لنشر الحق وبحسن موقعي القلب بإعلاء دين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وتناء الناس عليه أكثر من فرحه بتناء الناس على واحد من أقرانه فهو خندوع وإثما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين وبهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للورق له التقدر لقضائه أكثر احتراماً ويكون بلفظه أشد فرحا واستبشاراً ممن يغلو في موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتفاربوا تخافوا النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه متفجع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات الهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما يتكشف ذلك بهذه العلامات فتنته العالم عظيمة وهو إماما لك وإماما لك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى ومهاصل فقد كان المسجد يحوى في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقى شياطين الانس إذا قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الحق وليلقى لهم دين الاسلام مستثنى عنى فإنه قد كان معمورا قلى وكذلك يكون بدى ولوست لم تنهد أركان الاسلام فإن الدين مستثنى عنى وأما أنا فلست مستثنيا عن إصلاح قلى ، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم لخيل يد على غاية الجمل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرابطة والبلو يعملهم على كسر القيود وهم حيطان الحصون والخروج منها والاختشال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب إلى الخلق الرابطة والشيطان لا يفتقر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينهض لنشر العلم أقوام لانصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»^(١) و «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٢) ولا ينبغي أن يفتقر العالم بهذه التليسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترى في قلبه حب الجاه والتناء والتعظيم فإن ذلك بذور النفاق

ليس هو حال الأنس الذى يكون للدهجين والأنس حال شربف يكون عند طهارة الباطن وكسبه يصدق الزهد وكال التقوى وقطع الأسباب والملائق ومحو الخواطر والمواجس وحقيقته عندى كنس الوجود يشغل لأفع العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفسوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القاب فيجمعه به عن الهية وفى الهية اجتاع الروح ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذى وصفناه من أسس الدات وهية الدات يكون فى مقام البقاء بعد الصور على

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تقدم أيضا فى العلم .

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يثبت النفاق في القلب كائنت الماء البقل » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان ضاربان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم » (٢) ولا يقطع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والحرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التفتن لحفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم اللقي فأما أمثالك فينبغي أن يكون تشكركنا فيما بقوى إيماننا يوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون يوم الحساب فأعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئاً هرب منه ومن رجاشنا طلبه وقد علمنا أن الحرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتسكير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في القرائن منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والاعتساب عليها ويقال لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالوهم إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا لما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تشكركنا ففسأل الله تعالى أن يصلحنا و يصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا النعم علينا فله عجاير أفكار العلماء والصالحين في علم السامعة فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتمتع بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانشكاف من جميع الهلكات والانصاف بجميع النجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً ماعولاً مكدراً مقطوعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالماشي الذي خلا بمحشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تدلغه مرة بعد أخرى فتفصص عليه قمة الشهادة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات الممنومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على عجاير أفكار البدي في صفات نفسه المجهولة والمكرهه عند ربه تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبرائه ، وفيه مقامان اللقائ الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تشكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن العقول تتعجز فيه فلا يطبق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطبقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الحفاش بالإضاءة إلى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يخفى نهاراً وإتما يتردد ليلاً ينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فانه يقدر على النظر إليها ولا يطبق دوامه ويخفى على بصره لو أدام النظر ونظره المتخالف إليها يورث العمى ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهش واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لجاري التفكير في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لا تختمه بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومزده عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجاً ولا هو متصل بالمالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروهم إذ لم يطبقوا إجماعهم ومعرفة بل ضعف طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسماً مشخفاً له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قبح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحق من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله لظن السكين أن الجلالة

محر القناء وما غيبر
الأنس والهية اللذين
بذهبان بوجود القناء
لأن الهية والأنس
قبل القناء ظهرا من
مطالعة الصفات من
الجلال والجمال وذلك
مقام التلويح وما ذكرناه
بعد القناء في مقام
التكئين والبقاء من
مطالعة الذات ومن
الأنس خضوع النفس
للطمشة ومن الهية
خشوعها والخضوع
والخشوع بتقاربان
وبتفرقان بفرق لطيف
يدرك ليمساء الروح.
ومنها القرب قال الله
تعالى لئيب عليه الصلاة
والسلام - واسجد
واقرب - وقد ورد
« أقرب ما يكون البعد

(١) حديث حب المال والجاه يثبت النفاق في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذئبان ضاربان أرسلا في زريبة غنم الحديث تقدم .

والعظمة في هذه الأجزاء وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يابسه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالس على سريره ويحب يديه غلمان يتكلمون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لحاقلتك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال كيف يكون خالق أشخص مني أف يكون مقصوص الجناح أو يكون زماما لا يشد على الطيران أو يكون آلة وقدره لا يكون له مثله وهو خالق ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الإنسان لجهول ظلم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فيتكبروني ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصالح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل إلى القيام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره ومجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وقدرته وتعالى وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى فاعذ مشيئة وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فإنما لا نطق النظر إلى صفاته كما أنا نطق النظر إلى الأرض مهما استتارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع وجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لا ظلة أشد من الدم ولا نور أظلم من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته اليوم بنفسه كأن قولم نور الأجسام بنور الشمس الضئيلة بنفسها ومهما انكشف بعض الشئ قد جرت العادة بأن يوضع ثلث ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة ينض قليل من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأفلاك واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا تنبر بأوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفلاك فهذا سر قوله **يَتَفَكَّرُ فِي خَلْقِ الْفُلُوفِ** «تفكروا في خلق الفلوات وتفكروا في ذات الله تعالى» .

(بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل مائي الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلق الله وكل ذرة من الدرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها مجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لكدت لحد البحر قبل أن ينفد عشر عشره ولكننا نشير إلى جملته ليسكون ذلك كالمثال لما عده . فنقول للوجودات الخالقة منقسمة إلى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وكَم من الوجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى **وَمَا يَخْلُقُ مَا لَا يَعْلَمُونَ** سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يحلون - وقال - ونشكك فيها لا تعلمون - وإلى ما يعرف أصلها ومجئها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما ذكرناه بحسب البصر وإلى مالا ندره بالبصر أما الذي لا ندره بالبصر فكالألكوا الجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق قلنمد إلى الأثر إلى الأنفهام وهي الدركات بحسب البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهد بكوا كلها ومهمها وقهرها وحركتها ودوراتها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بأفهام من جبالها وماءها وأبنهارها ومحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بنومها وأمطارها وثقوبها ورعدها وبرقها وصورها وسموها وأصنافها من الجناس الشاهد من السموات والأرض وما بينهما وكل جلس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينقسم كل قسم

من ربه في سجوده

فالساجد إذا أدبى طعم

السجود يقرب لأنه

يسجد ويطوى

بسجوده بساط الكون

ما كان وما يكون

ويسجد على طرف

رداء العظمة فيقرب.

قال بعضهم إلى لأجد

الحضور فأقول بالله

أو يارب فأجد ذلك

على أنقل من الجبال

قيل ولم قال لأن النداء

يكون من وراء حجاب

وهل رأيت جليسا

يتكلم جليسه وإنما

هي إشارات وملاحظات

ومتناغاة وملاطفات

وهذا الذي وصفه مقام

عزى متحقق فيه

القرب ولكنه مشعر

بعمق ومؤذن بكر

إلى أصناف ولا نهاية لانتماء ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك بحال التفكير فلا تحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وأحکمان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك
شاهد قد تعالى بالوحديانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره ، فلنذكر كيفية التفكير
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنفضي الأنهار على الوقوف على عشر وعشرين وأنت غافل عنه ، فيأمن هو غافل
عن نفسه وجاهل بها كيف تطعم في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال - قتل الإنسان
مأ كفرة من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه قدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء
أنشره - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حسر تنكثون - وقال تعالى - ألم
يك نطفة من منى ثم كان علقة خلقى نسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين - وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والنطفة عظاما
فقال تعالى - وقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة - الآية ، فتنكرر ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليعلم لفظه ويترك التفكير في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لتورثت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنت كيف أخرجهما
رب الأرباب من الصاب والتراب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والحببة في نفوسهم وكيف
قدم بسلسلة الحب والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الولاغ وكيف
استجاب دم الحيض من أمحاق المروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق للولود من النطفة وسقام بهام
الحضن وغذاء حتى يمازوا بكر ، وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علة حمراء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والمروق والأوتار والدم
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والمروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وعق السمع والبصر
والأنف والتم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم ، وسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأظفار ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب والعدة والكبد والطحال والرة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة ولو قدرت طبقة
منها أوزان صفة من صفاتها تطلت العين عن الإبصار فلقد ذهبنا إلى أن نصف ما في أحاديث هذه الأعضاء
من العجائب والآيات لا تنفي فيه الأعمار فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خادها
من نطفة خفيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه ضير وكبير وطويل ومستدير وجوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا
إلى الحركة جملة بدنه وبعض أعضائه مفتتحة للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تيسر بها الحركة وقد ركب كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وأصله بالمعظم

يكون ذلك لمن غابت
نفسه في نور روحه
لغلبة سكره وقوة محوه
فادماحو أفاق تتخلص
الروح من النفس
والنفس من الروح
ويسود كل من البدن
إلى محله ومقامه فيقول
يا الله ويلرب بلسان
النفس للطمشة العالمة
الى مقام حاجتها وحمل
هبوديتها والروح
تستغل بفنوحه وبكمال
الحال عن الأقوال
وهذا أتم وأقرب من
الأول لأنه وحق
القرب باستقلال الروح
بالتفوق وأقام رسم
السبوعية بعود حكم
النفس إلى محل الاعتقاد
وحظ القرب لا يزال

الآخر كالرباط له ثم خاق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرة اغصاصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتمتع عليه ولولا للفواصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فيها ستة خمس الحشف وأربعة عشر للحي الأعلى واثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها عورفات وزادات ونقعات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خزرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيصنع به من أسفله عظم المعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام المانة وعظام العجز وعظام العنق والساقيين وأصابع الرجلين ، فلانطول بذلك عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وعمانية وأربعمائة عظم سوى العظام الصغيرة التي حتى بها خلل للفواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة صغيرة رقيقة ، وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء وللمفردون وإنما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها وودعها وخالف بين أشكالها وأقدارها خصصا بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج إلى قلمه ولو نقص منها واحدا لكان قصصا يحتاج إلى جبره فاطيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات غلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعة وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ، وهي مختلفة القادور والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفائها لو قصت واحدة من مجملها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرابين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه بطول ، فلنفكر بحال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تترك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان واطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصفة ما يفيض به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة تسمى من هذا صنع في قطرة ماء فما صنع في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واحتياج بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارفها ومغارها فلا تظن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل مناسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات وذلك قال تعالى - أنتم أشد خلقا أم الساء بناها رعب سمعكم فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاجها - فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها ولا وماضارت إليه ثانيا وتأمل أنه لو اجتمع الحزن والانسان على أن تخفوا للنطفة صمما أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو عوا أو روحا أو تخافوا فيها عظما أو عرفا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقه بمدان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالحب منك لو ظنرت إلى صورة

بتوفر نصب الروح
باقامة رسم المبودية
من النفس . وقال
الجنيد إن الله تعالى
مقرب من قلوب
عباده على حسب
ما يرى من قرب قلوب
عباده منه فانظر ماذا
يقرب من قلبك .
وقال أبو يعقوب
السوسي مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن
قريبا حتى يغيب عن
رؤية القرب بالقرب
فاذا ذهب عن رؤية
القرب بالقرب فذلك
قرب وقد قال قائلهم:
قد تحققتك في الله
ر فجاك لسان
فاجتمعنا لمان
وافترقا لمان

إنسان مصور على حائط تأتى النقاش في صورتها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها كأنه إنسان عظيم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتماز فطنته وعظم في قلبك محله مع أنه تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبيغ والقلم واليد والحائط والقدرة وبالعلم والارادة وشئ من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فله الجمع بين الصبيغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكبر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القدرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصورها وقسم أجزائها التشابه إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لنفائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها مهيمة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن لحاوي لآلات غذائها والرأس جامعاً لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حاشاها بالأجفان لسترها وتحفظها وتصفلها وتدفع الأقداء عنها ثم أظهر في مقدار عدسة مناصورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهواء عنها وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت قمره إلى صاخبها ولتحمس بدبيب الهواء إليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فينتبه من النوم صاحبها إذا قصده دابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامحه وأغذيته وليستشقى بمنفذ للتخزين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه وفتح الفم وأودع اللسان ناطقاً وترجماناً ومعرباً عما في القلب وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسور والقطع فأحكم أصولها وحدد رهوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناصقة الترتيب كأنها الدر للنظوم وخلق الثغنين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم قصد منفعده ولتم بها حروف الكلام وخلق الخبيرة وهيأها لخروج الصوت وخلق لسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في عجاز مختلفة تختلف بها الحروف ليقسم بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والحشونة واللابة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقة حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصدان وزين الوجه بالعروق والحاجبين وزين الحاجب برقعة الشعر واستوقاس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لقفل مخصوص فسخر للمعدة لتضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والراة والكلى لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بمجذب السوداء عنها والراة تخدمها بمجذب الصفراء عنها والكلى تخدمها بمجذب للمائة عنها والثانة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق البدن وطولها لتند إلى المقاعد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطلوا بديق الفكر وجهها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه إذ بهذا الترتيب صلت اليد للقبض والإعطاء فان بسطها كانت له طبقاً يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن غيبك التد
ظلم عن لحظ عياني
فقد صيرك الوج
د من الأحشاء داني
قال ذو النون ما زاد
أحد من الله قرابة إلا
ازداد هيبة . وقال
سهل أدنى مقام من
مقامات القرب الحياء
وقال النصراني
باتباع السنة تال
للصرفة وبأداء
القراض تال القرية
وبالمواظبة على النوافل
تال الهبة . ومنها
الحياء والحياء على
الوصف العام والوصف
الحاس فاما الوصف
العام فما أمر برسول
الله صلى الله عليه وسلم
في قوله «استحيوا من
الله حتى الحياء قالوا

خا غير تام كانت مفرقة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرقة له ثم خلق الأخفاط على رؤوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكمه لكان أهمل الخلق وأضعفهم ولم يتم أحد مقامه في حكم بدنه ثم هذى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والفتنة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف النشاء والنشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها هيئا فشيئا ولا يرى الصور ولا آتاه فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آتاه ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فبجانته ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمة فانه لما ساق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تتكسب وتحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للتغذ كانه قائل بصير بما يحتاج إليه ثم لما خرج احتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيلا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين القرب والهم سائما خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأثبت منهما حليتين على قدر ما ينطبق عليهما ثم الصبي ثم فتح في حلة الثدي قبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد اللبس تدريجا فان الطفل لا يطيق منه إلا القليل ثم كيف هداه للاقتصار حتى يستخرج من ذلك الضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطشه ورحمته وراقة كيف أخر خلق الإنسان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتنذى إلا باللبن فيستغنى عن اللبن وإذا كبر لم يواقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأثبت له الأسنان عند الحاجة لاقبالها ولا بعدها فبجانته كيف أخرج تلك الطعام الصلبة في تلك الفئات الثينة ثم حتى قلوب والوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أصعب الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والظن والمساعدة تدريجا حتى يبلغ وتكامل فصار مراققا ثم شاكيا ثم كهايا ثم شيخا إما كنفورا أو شكورا مطعيا أو طاعيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن فيها مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجنانا سميما بصيرا إنا هدينا السبل إما شاكرا وإما كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة كهذه الحجاب الحشرة الربانية والصعب كل الصعب ممن يرى خطأ حسنا أو نقسا حسنا على حائط فيستحسنه فيعرف جميعه هو إلى التفكير في النقاش والحطاط وأنه كيف تحفه وخطه وكيف اتدبر عليه ولا يزال يستمطقه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعه وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم ينقل عن صانه ومصوره فلا تدعشه عظمته ولا يحيره جلالة وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنه التي لا يمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال تفكيرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول بيطنك وفرجك لا تصرف من تفكيرك إلا أن تجوع فتأكل وتبعس فتنام وتنشئ فتجتمع وتنضب فتناقل والبهايم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصة الإنسان التي حجت البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الأناقي والأنفس إذ بها يدخل البعد في زمرة للأنسكة للقرين ويحسر في زمرة النيبين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه النبذة لبهايم ولا لإنسان رضى من الدنيا بصوات البهايم فانه شر من البهايم بكثير إذ لا قدرة

إننا نستحي يا رسول الله
قال ليس ذلك ولكن
من استعيا من الله
حق الحياة فليحفظ
الراس وماوعى والبطن
وماحوى وليذكر الموت
والبلل ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا فمن
فضل ذلك فقد استعيا
من الله حق الحياة
وهذا الحياة من
التسامات وأما الحياة
الحاص فمن الأحوال
وهو ماقل عن عذاب
رضي الله عنه أنه قال إن
لا غفلس في البيت المظلم
فأنطوى حياء من
الله . أخبرنا أبو زرعة
عن ابن خلف عن
أبي عبد الرحمن قال
صحت أبا البساس
للجسد الذي يقول
صحت أحمد السقطي

لجميعه من ذلك وأما هو قد خلق الله له القدرة ثم عطاها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل ميلا . وإذا عرفت طريق التفكير في تفكير في الأرض التي هي مقره ثم في أهادها ومحارها وجبالها ومعادنها ثم ارفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتقصوا من كبرها وجعلها قارة لاتتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنحها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى يجرز الأديسون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم قال تعالى - والهاء يبنائها بأيدٍ وإنما لموسعون والأرض فرشناها فقم للماهدون - وقال تعالى حوالى جبل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها - وقال تعالى - الذى جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليفكر في مجابها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأمنوات قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا - فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وانضرت وأنبئت عجايب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض لجبال الراسيات المتواضع الصم الصلاب وكيف أودع المياه منها ففجر الميون وأسال الأنهار تجري من وجهها وأخرج من الحجرة اليابسة ومن التراب الكدر ما رقيقا عذبا صائلا لا لاجل به كل شيء حتى فأخرج به ثمر الأجرار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان ونواكه كثيرة لأغصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأربيع بفضل بعضها على بعض في الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فحق كان في التواتر تحفة مطوقة بناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل على سبلة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وفنش ظاهرها وباطنها قراها ترابا متباها فإذا أنزل على الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متباها وغير متباها لكل واحد طعم وريح ولون وهكل بخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم استأنف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافع القريبة فهذا النبات يشفى وهذا يقوى وهذا يبرى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يستغن وهذا إذا حصل في المدة قطع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع البلمم والسوداء وهذا يستحيل إليها وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يبرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا ينعف ثم تنبت من الأرض ورقة ولابنة لإوقها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربته إلى عمل مخصوص فالتخيل تفرى والسكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل ويبس ذلك يستثبت بيت البدر في الأرض ويبسه بفرس الأصنان وبضه يركب في الشجر ولواردا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله ومجابه لاهض الأيام في وصف ذلك فيمكنك من كل جنس نيلة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجايب النبات [ومن آياته الجواهر اللوذة تحت الجبال وللعادن الحاصلة من الأرض] في الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف خرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منظمة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتثبيتها واتخاذ الأواني والآلات والتقود والحلى منها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والسكرت والقار وغيرها وأقلها للبح ولا يحتاج إلى الانتقيب الطعام ولولحت عنه بلفة لتسارع الملاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبعة بجوهرها بحيث يجمع فيها الماء الصافي من الطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقاله .

ابن صالح يقول سمعت
محمد بن عبدون يقول
سمعت أبا البساس
للؤدب يقول قال لى
سرى : احفظ عنى
ما أقول لك إن الحياء
والأنس يطوفان
بالقلب فإذا وجدانه
الزهد والورع خطا
والإرحلا والحياء
إطراق الروح لإجلالا
لعظيم الجلال والأنس
التذاد الروح بكمال
الجمال فإذا اجتمعا
فهو الغاية فى النى والنهاية
فى العطاء وأنشد
شيخ الاسلام :
أشفاقه فإذا بدا
أطرق من إجلاله
لاخيفة بل هبة
وصيانة لجلاله
لوث في إدباره
والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطبيقاً لطعامك إذا أكلته بينما يعيش وامن حماد ولاحيوان ولآليات الإلحاقه وحكم من هذا الجنس مخلق شيء منها عشا ولالبا ولاهزل بل خلق الكل بالحق كآبائهم وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يلي بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين ما خلقناهم إلا لخلق - ومن آياته أصناف الحيوانات: واتقاهم إلى ما يطير وإلى ما يمشي واتقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما شاهد في بعض الحشرات ثم اتقاهم في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خلقها وقد تقدم ذكرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر بحجائب البقاء والمخافة والنعمة أو أوالضيق وهي من صفات الحيوانات في بنائها بينما وفي جميعها غذاءها وفي إلهائها زواجرها وفي أضرارها نفسا وفي حذقها هندسة بينما وفي هدايتها إلى حاجاتها لم تهدر على ذلك قري الضيق بين يديه على طرفه فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بقدر ذراع لها دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين طرفيه ثم يبتدىء - بقلبي اللعاب الذي هو خيطه على جانب يلتصق به ثم يقف إلى الجانب الآخر فيحك الطرف الآخر من الحيط ثم كذلك يردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متشابها تناسبا هندسيا حتى إذا أمكنه مقاد القسط وربط الجيوب كالسدى اشتغل بالحجة فيضج الحجة على السدى ويضيف بضه إلى بعض ويحكم القصد على موضع التقاء الحجة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في تلك فاذ وقع الصياد إلى أخذها وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط أو وصل بين طرفي الزاوية فحيط ثم علق نفسه فيها بحيط آخر وبقى منكسافا في الهواء ينتظر ذبا يطير فإذا طار ثم رمى بنفسه إليه فأخذه ولب خطه على رجله وأحكمه ثم أكله وامن حيوان صغير ولا كبير إلا فيهم من العجائب ما لم يحصى أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أوعله أو الهادي ولولا علم أولئك ذو بصيرة في أنه مسكين ضئيف عاجز بل القيل العظم خشنه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضئيف أفلا يشهد هو بشكسه وصورته وحر كته وهدايته وعجائب صنعه فاطارده الحكيم وخالقه القادر العالم فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق البار وجلاله كالقدرته وحكمته متاجر فيه الألباب والمقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنها أكثر المشاهد - نعم إذا رأى حيوانا غريبا ولدودا تجد تعجبه وقال سبحانه الله ما أعجب الإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي أنعم الله عليها وأشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها لله لباسا خلقها له كإناهم وظنهم وإقامتهم وآية لأعزبتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقداسهم وجعل ألوانها ولونهم أعذب لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة لانتقال قاطعة للبودى والمقاربات البعيدة لأكثر الباطل التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه مخلقها لإبطل محيط بجميع منافعها سابق على خافه إياها تنبجان من الأمور مكتوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استماعة بوزر أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم التقدير فلتد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب المارفين بتوحيده فما لخلق إلا الأذنان لقهره وقدرته والاعتراف بروبيته والافرار بالعجز عن معرفة قلاله وعظمتهم فمن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإيمانا بما قدره من قضا الاعتراف بالجزء عن

وأشد عنه إذا بدا
وأروم طيف خياله
قال بعض الحكماء
من تكلم في الحياة
ولا يستحي من الله فيها
يتكلم به فهو مستدرج .
وقال ذوالنون: الحياة
وجود الهية في القلب
مع حشمة ماسق منك
إلى ربك . وقال ابن
عطاء . العلم الأكبر
الهيبة والحياء فإذا
فهب عنه الهية
والحياء فلاخير فيه .
وقال أبو سليمان : إن
العباد عملوا على أربع
درجات على الخوف
والرجاء والتسليم
والحياء وأشرهم منزلة
من عمل على الحياء
لما أيقن أن الله تعالى
يراه على كل حال

مرفقه فسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدائه عنه ورافقه . ومن آياته البحار العميقة المكتشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض ^(١) . فأنسب إصطبل إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها تأمل الآن عجائب البحار فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضاعف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سته أضعاف سعة الأرض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فيزل الركاب عليها فرعبا تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحر مثله وأضاعف وفيه أجاس لا يعدلها نظير في البر وقد ذكرت أو ضاعفا في مجلدات وجمعها أقوام غنوا بركوب البحر وجمع عجائبهم أنظر كيف خالق الله للؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عدا من العنبر وأصناف النفاس التي ينشأها البحر وتستخرج منه ثم أنظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف للآلحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصي على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه مفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من آدمي وكيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويفعل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فما تأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فنبها متسع للفكر وبحال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متاصرة ناطقة بلسان حالها مفضحة عن جلال بارئها معربة عن كالحكمته فيها مناداة أرباب الغلو بنبذاتها قائلة لكل ذي لب أمارأى وترى سورتي وتركبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدني أنظني أني كونهت نفسي أو خلقت أحد من جنسي أو ما تستحي أن تنظر في كلمة من رقوة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية للرقوة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله يجعل الحظ ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا قدن هم عن السمع معزولون توهمي في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحيف في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حداثي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى التقرير يظهر شيئا فشيئا على التدرج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجا ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خير منها للألم ولا للآل ولا للنطفة ولا للرحم أم شاهد النقاش بأعجب مما تشاهده ينشأ بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لثلمته فهل تقدر على أن تعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهرا النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنفطة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنة
أكثر مما استحيا
الماصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : الغالب
على قلوب السحجين
الاجلال والتعظيم دائما
عند نظر الله إليهم .
ومنها الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكاشفات القلوب
ومشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
الدهول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يجد
العبد غير خاقه
ولا يتصل بغيره مخطر
لتسريح صانعه . وقال .
سهل بن عبد الله
حركوا بالباله فحركوا
ولو سكنوا أصلا .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لاتعجب من هذه العجائب ولا تنظم بها أن الذي صور
وقش وقدر لانظير له ولا يساويه قاش ولا مصور كما أن قشه وصنه لا يساويه قش وصنع فين
الفاعلين من اللبابة والتابع ما بين الفعلين فان كنت لاتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه
أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان
جدير بأن تعجب منه فسبحان من هدى وأضل ووعى وأرشد وأشق وأسعد وفتح بصائر أعمايه
فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلاؤه الخلق
والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه [ومن آياته الهواء اللطيف
المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض] لا يدرك بحس الشمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى
بالعين شخصه وجملة مثل البحر الواحد والظهور عميقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها
كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأما وجهه عند هبوب الرياح كأن تضرب أمواج
البحر فإذا حرك الله الهواء وجهه ريحاهاة فان شاء جعله نثرا بين يدي رحمة كآمال سبحانه وأرسلنا
الرياح لوائح - فصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات وقسمت لآله وإن شاء جعله عذابا
على العصاة من خلقه كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر نزع الناس
كأنهم أعجاز نخل منقعر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهيا ضغطة للساء فآثر في النفوخ
يتعامل عليه الرجل القوي لينفسه في الماء فينجس عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيبر فيه
فانظر كيف ينقي الهواء من الماء بقوته مع لطافته وهذه الحكمة أسك الله تعالى السفن على وجه
الساء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يتوس في الماء لأن الهواء ينقبض عن التوس في الماء فلا ينصل
عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معاقلة في الهواء اللطيف
كالذي يقع في بحر فيتعلق بذيل رجل قوي محتج عن الهوى في البر فالفينة بمقرها تشتت بأفوال
الهواء القوي حتى تنزع من الهوى والتوس في الماء فسبحان من خلق المركب الثقيل في الهواء اللطيف
من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من اليوم والارعد والبرق
والأمطار والثلوج والسهب والسواقي فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة
ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عين - وهذا هو الذي ينهها وأشار إلى
تفصيله في مواضع حتى حيث قال تعالى - والسحاب السخري بين السماء والأرض - حيث يترى من رعد
والبرق والسحاب والظفر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى للطر بينك وتسمع الرعد بأذنك
فالبهمة تشاركك في هذه المرفة فارفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم اللألهة فقد فتحت عينيك
فأدركت ظاهرها فتمض عينك الظاهرة وانظر بصيرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وخرائب
أسرارها وهذا أيضا باب يطول النكر فيه إذ لا مطيع في استقصائه تأمل السحاب الكثيف المظلم كيف
زاه يجتمع في جو صاف لاكدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى إذا شاء ومضى شاء وهو مع رخاوت حامل
لحاء الثقل ومكس له في جو السماء إلا أن بأذن الله في إرسال الماء وتطبيع القطرات كل قطرة بالقدر
الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش السماء على الأرض ويسر قطرات
متفائلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم
لها لاتصل عنه فلا يتقدم للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسحب الأرض قطرة قطرة فلا يجتمع الأولون
والآخرون على أن يخلطوا ميا قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة
لعمري حساب الجبن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي :العمال أربعة
ثائب وزاهد ومشتاق
وواصل فالثائب
محبوب بتوكله
والزاهد محبوب زهده
والمشتاق محبوب
بجأله والواصل لا يحبه
عن الحق شيء . وقال
أبو سعيد القرشي :
الواصل الذي يصله الله
فلا يخشى عليه القطع
أبدا والمتصل الذي
بجبهه متصل وكادنا
انقطع وكان هذا
الذي ذكره حال
الريد والمراد لكون
أحدهما مبادأ
بالكشف وكون
الآخر مرفودا إلى
الاجتهاد . وقال
أبو زيد : الواصلون
في ثلاثة أحرف هم

لسل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة القلانية التي في ناحية الجبل القلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت القلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الكاوج كالظن للندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لا أحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس له مؤنثين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلالة وعظمته ولا لميمان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلمته فيقول الجاهل للفرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله وبطن أن هذه معرفة انكشفت له وبصرها ولو قيل له مامنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء للصوب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاوب الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فينبذ كل جزء من كل ورقة ويجرى إليها في تجاوب عروق شجرة صفار بروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للمدود في طول الورقة عروق صفار فكان الكبير نهروما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشرها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تتبسط في جميع عرض الورقة فيصل للماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينعما وزيتها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء القواك فان كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فان كان ذلك يجذب جاذب لها الذى يسخر ذلك الجاذب وإن كان ينتهى بالأخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عالمين أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكلك وفاته عجائب السموات قد فاته الكلك تحقيقا فالأرض والبخار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر من نظركيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فأمين سورة لإلا تشتت على تفخيجهما في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والسماء ذات البروج ، والسماء الطارق ، والسماء ذات الحجب ، والسماء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها - وكقوله تعالى - فلا أقسم بالجنس الجوار الكسنى - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى ، فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لولم تعلمون عظيم - قد علمت أن عجائب النطقة القنرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم بها فاعطاك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - سألنى على التفكير في هذه الآية ثم مسح بها سبته ^(١) أي تجاوزها من غير فكر ولم المزمين عنما قال - «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته ^(١) أي تجاوزها من غير فكر ولم المزمين عنما قال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومن عن آياتها معرضون - فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب حد محفوظات عن التغير إلى أن يباع الكتاب أجله وقد كساه الله تعالى محفوظا قال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وبينا فوقكم سبعة شدادا - وقال - أنهم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها - فانظر إلى الملكوت ترى عجائب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه ترى زرة السماء وضوء الكواكب وتعرفها فان البهائم

(١) حديث ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته أى قوله تعالى - ويشكرون في خلق السموات والأرض - تقدم .

له وشغلهم في الله ورجوعهم في الله . وقال السيارى الوصول مقام جليل وذلك أن الله تعالى إذا أحب عبدا أن يوصله اخضر عليه الطريق وقرب إليه البعيد . وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال ربيع أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم فهم محفوظو القصى ممنوعون من الخلق أبدا . وقال ذوالنون ما رجع من رجع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد قرع عنه . واعلم أن الاصل وللوصلة آثار إليه الشيوخ وكل من

تشارك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يبرعه الملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فمسي يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فتندلك بمناجيري ملك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : رأي قلبي ربي . وهذا لأن بلوغ الأوصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مفرك ثم الهواء الكتنف لك ثم النبات والحیوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما وبين هذه الفناوت المنظمة والسموات الشامخة والسموات الشامخة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بواجبك وتدعي معرفتك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقيا ذا أشكر وإلى ماذا أطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها ومسها وقرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير قور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى طي السجل للكتاب وتبرع عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكلها فعضها على صورة القرب وجعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان وامان صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سفرها له خالقتها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف الواقوت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت الماش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل ليأسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إبلاجه الليل في النهار والليل في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إمالة مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس عن وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان ومجائب السموات لا مقطع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على طريق الجملة أنه مامن كوكب من الكواكب إلا وله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي يجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ مامن جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة العاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فانت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركه أو يدور بجوانبها وقد اتفق الناطقون على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها^(١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فنتهم بمجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة في التجلي فيفني فله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا يحل طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والشاهدة منيا في

(١) الحديث الدال على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « يا تار الله الحامية لولا ما زعمنا من أمر الله لأهلكنا

التي تراها أصفرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها يتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وهذا عرف ارتفاعها وبدها إذ لبعد صارت ترى صفارا ولتلك أثار الله تعالى إلى بدها قال - رفع محكما فساها - وفي الأخبار أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام^(١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضغافا فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع

أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة مقدار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس قال لا» ثم فقال كيف تقول لأنهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس خمسمائة عام^(٢) فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أكنافها في حدة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك فهوها تقرأ جميعها فهذه السماء بمظلمها وكثرة كواكبها لا تنتظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبح فهوها بالذهب فلا ينقطع متجك منه ولا تزال تذكره توصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته ونباتاته فتعجب ثم لا تحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه لما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا لا تنتظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشغلت بيطنك وفرجك ليس لك ثم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر مائتا كلة هيجة فتكون الهيجة فوقك بشتر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بألسنتهم بين يديك ويضمررون خبايا الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضررا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا القصور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال ماله الملك وما مثلك ومثل عظمك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي خفرت في قصر مشيد من تصور الملك رفيع البنيان حين الأركان مزين بالجواير والفلان وأنواع الدخائر

ما على الأرض ولطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرقت^(٣) حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال يروي عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي نصر جماع من أبي ذر^(٤) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لأنهم فقال كيف تقول لأنهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجده أصلا.

شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تعجب القات لحواص القربين وهذا القام رتبة في الوصول وفوق هذا حق ايقين ويكون من ذلك في الدنيا لا خواص لم وهو سريان نور الشاهدة في كلية العبد حتى يغشى به روحه وقلبه ونفسه حتى قلبه وهذا من أعلى رتب الوصول فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عصر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوي. ومنها

والهمائس فإما إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق لإعانيتها
وعدايتها وكيفية إخبارها فأما حال القصر. والملك الذي في القصر فهم بمنزل عه وعن التفكير فيه
بل لا قدرة له على المجاوزة بالنظر عن ههنا وغداها وبينها إلى غيره. وكما غفلت التلة عن القصر
وعن أرضه وسقعه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله
تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان ميوانه فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه التلة من سقف بيتك
ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه التلة منك ومن سكان بيتك، نعم ليس للتلة طريق إلى
أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في
الملوكوت وتعرف من عجائبه ما الخالق غافلون عنه ولقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال
لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفعل الله تعالى علينا بعمقه وكل ما عرفناه
قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قائل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم
وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفه للملائكة القربون كإسرائيل وجبريل وغيرهم
جميع علوم الملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى
علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف
ثم خاطب جميعهم فقال - وما أو تيتيم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معاقدا للجل التي تجول فيها فإفكر
التفكير في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في
الخلق لا بحالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكذا استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى
كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم، وهذا كما أنك تعظم علما بسبب معرفتك بعمقه فلا تزال تطلع
على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما
حتى إن كل كلمة من كتابه وكل بيت عجب من آياته شعره يزيدك علما من قلبك يستدعي التعظيم
له في نفسك فكذلك تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه
والنظر والفكر فيه لا ينتهي أبدا وإنما لكل عبد منها بقدر ما رزق، فلنقتصر على ما ذكرناه
ولنصف إلى هذا ما فضلناه في كتاب الشكر فإنا نظرنا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث
هو إحسان إلينا وإتمام علينا، وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فضل الله فقط وكل ما نظرنا
فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والوفاقي ينظر فيه فيكون سبب هدايته
وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يصل بها من يشاء ويهدى بها
من يشاء، فمن نظري في هذه الأمور من حيث إنها فضل الله تعالى وصنعه استفاد منه للفرقة بجلال
الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها أقصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض
لأن حيث ارتباطها بسبب الأسباب فقد شقي وارتنى فعوذ بالله من الضلال، ونسأله أن ينجبنا
مزة أقدم الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته.

(ثم الكتاب التاسع من ربيع النجيات والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلامه)

يتلوه كتاب ذكر الوت وما بعده وبه كل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه.

القبض والبسط وما
حالات شريفان قال الله
تعالى - والله يقبض
ويبسط - وقد تكلم
بهما النبي ص وأشاروا
بإشارات هي علامات
القبض والبسط ولم
أجد ككشاف عن
صفتيهما أنهما كنفا
بالإشارة والإشارة
خضع الأهل وأحببت
أن أشيع الكلام فيهما
لهما يتشوق إلى ذلك
طالب ويجب بسط
القول فيه والله أعلم .
واعلم أن القبض
والبسط لهما موسم
معلوم ووقت محتم
لا يكونان قبله ولا
يكونان بعده ووقتهما
وموسمهما في أوائل حال
الهيئة الخاصة في نهايتها

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع المنجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قسم بالموث رقاب الجبارة ، وكسبه ظهور الأكاسرة ، وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأردام في الحافرة ، فقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء الهوى إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن الضجع الوثير إلى الصرع الويل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، وانخدوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر - هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا - فبجان من انقرد بالهقر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق اللقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ، ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا في حقهم اللقاء وجعل القبر سجنا للأشقياء وجبا عساقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة ، وله الانتقام بالنعم القاهرة ، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

[أمابعد] فنجدر بمن الموت مصرعه ، والرتاب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر وكبير جلسه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره ، وبالقائمة موعده ، والجنة والنار مورد ، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا لله ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا ترجع إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار إلا برب إله ، وحقيق بأن بعد نفسه من الموت وبراه في أصحاب القبور ، فان كل ما هو آت قريب والبعد ما ليس بآت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»^(١) ولن ييسر الاستعداد للشي إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالأصناف إلى المذكرات له والنظر في النهيات عليه ونحن نذكر من أمهات الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا يدلل بعد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستنباط ، ليكون ذلك مستحشا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرجل فمات في العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون - اقرب للناس حساسهم وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالموث في شطرين :

(الشرط الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور ، وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عند الموت . الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المتحضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين . الباب السادس في أقوال العارفين على الجنائز والقبائر وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور . الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمسكفة في النام .

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة .

ولا قبل حال المحبة
الحاصة فمن هو
في مقام المحبة العامة
الثابتة بحكم الإيمان
لا يكون له قبض ولا
بسط وإنما يكون له
خوف ورجاء وقد يجد
شبه حال القبض وشبه
حال البسط وبطن
ذلك قبضا وبسطا
وليس هو ذلك وإنما
هو ثم يتبره قبضته
قبضا وهتزاز نفساني
وتشاطر طبيعي يظنه
بسطا وهم والنشاط
يصدران من محل
النفس ومن جوهرها
لبقاء صفاتها ومادامت
صفة الأمانة فيها بقية
على النفس يكون منها
الاهتزاز والنشاط والنفس
وهج ساجور النفس

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن التمتع في الدنيا السكب على غرورها الحب لشهواتها بفعل قلبه لاجلها عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم - قل إن الموت الذي تفترون منه فانه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إمامتهم وإماماتهم مبتدئ أو عارف منته أئمة التمتع فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشغل بخدمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا ، وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبئ به من قلبه الخوف والحشية فيشتم التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يخطئه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم «من كره لقاء الله كره لقاء الله» (١) فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد لقائه على وجه رضاه فلا يدركه لقاءه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا يشغل له سواء وإلا التحق بالمتع في الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لأنه موعده لقائه لحبيبه والحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستطير بجى الموت ويجب عيشه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح ، نندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك ، فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنیه وأمل منها رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يخار لنفسه وموتوا لاجل بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو العاقب والتمني ، وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثوابه وفضل فان التمتع أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينقص عليه نعيمه ويكدر عليه صفوته وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات» (٢) معناه تنصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركوبكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم «لوتعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما كنتم منها ميمنا» (٣) وقالت عائشة رضى الله عنها «إرسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة» (٤) وأما سبب هذه الفضيلة كماها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الفرور ويتقاضى الاستعداد للأخرة والفطنة عن الموت تدعو إلى الاهتمام في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن الموت» (٥) وأما قال هذا

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره لقاء الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثرُوا من ذكر هادم اللذات الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لوتعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما كنتم منها ميمنا البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجهنمية وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم من حديث عبدالله بن عمر مرسل بسند حسن .

والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذالقا وذاقا وبذا نفس لوامسة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإحسان وحال المحبة الخاصة فيقبض الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطي يقبض عمالك ويبسط فيها له وقال النوري يقبض بياك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبها وظهور البسط لظهور صفة القاب وغلبته

لأن الدنيا سجن للمؤمن إذا لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومداومة شيطانه فالمرت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق نعمة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «الموت كفارة لكل مسلم» (١) «وأراد بهذا السلم حقا للمؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالهم والصفائر فالمرت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض . قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فجلس على قدامته في الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثر ما من ذكر الموت فإنه يبعث الذنوب ويذهب في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كفى بالموت مفرقا» (٤) «وقال عليه السلام «كفى بالموت واعظا» (٥) . «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال: اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦) . «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه ، فقال: كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمع به ذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هنالك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال: أكرم ذكر الموت وأشدهم استمدا له أولئك هم الأكياس ذهبوا يشرف الدنيا وكرامة الآخرة» (٨) وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى ضحك الموت الدنيا فلم يترك لدى لب فرح . وقال الربيع ابن خيثم ما غاب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا ب أحد أو سألوني إلى ربي سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت في هذه الدار قريبا أن تصير إلى دار تبتغي فيها الموت فلا تجده . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة القنهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كان بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئا قطعنا عن لغة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب

(١) حديث الموت كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والحطيب في التاريخ من حديث أنس قال ابن العربي في سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقة في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم يجلس قد استعلاء الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مرسلًا ورويناه في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثر ما من ذكر الموت فإنه يبعث الذنوب ويذهب في الدنيا ابن أبي الدنيا في الموت باسناد ضعيف جدا (٤) حديث كوفي بالموت مفرقا الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر والصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجليل مرسلًا (٥) حديث كوفي بالموت واعظا الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٧) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن مغول فقد كره بلافا زيادة (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكاه باسناد جيد .

والنفس مادامت لوامه
فتارة مغلوبة وتارة
غالبة والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب تحت
حجاب نوراني لوجود
قلبه كما أن صاحب
النفس تحت حجاب
ظلماني لوجود نفسه
فاذا ارتقى من القلب
وخرج من حجاب
لا يقيد الحال ولا
يتصرف فيه فيخرج
من تصرف القبض
والبسط حينئذ فلا
يقبض ولا يبسط اداه
متخلصا من الوجود
النوراني الذي هو القلب
و.وتحققا بالقرب من
غير حجاب النفس
والقلب فاذا عاد إلى

من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وذل مطرف رأيت فيها يرى النائم كأن قائل يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الخائمين فوائه ما ترام الأوالهين . وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فأتاه هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت صفية رضي الله تعالى عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك فقصت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تتخلخأ أوصاله فاذا ذكره الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن . ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمي فقال أليست أول خليفة يموت قال زندي قال ليس من أباك أحد إلى آدم إلا إذا قال الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستدبر بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لقدسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نفس لي أهل النعم نعيمهم فاطلبوا نصيباً لاموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعائشة أكره ذكر الموت فإن كنت واسع العيش شفيته عليك وإن كنت ضيق العيش وسع عليك . وقال أبو سليمان الداراني قلت لأُم هرون : أتحبين الموت ؟ قالت لا ، قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدمياً ما شئت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه تلفة ففكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بهو الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه بالطريق فيه أن يفرغ البعد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يردد أن يسافر إلى مغارة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يفكر إلا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأجمع طريق فيه أن يذكر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيترك موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف حال التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وكيف أرموا لنساءهم وأيتمو أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانطمعت آثارهم فهما تذكر رجل رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت واتخاذها عبواته الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهم وغفلته عما بين يديه من الموت المريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تبددت رجلاه ومفاسده وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فأنكشف له صورة الملك وقرع صممه النداء إما بالجنة أو بالنار فندد ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كيف قلتهم وستكون عاقبتهم كما قبتهم . وقال أبو البرداء رضي الله عنه : إذا ذكرت الموتى فقد نفست كأحدكم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد . من وعظ بشيء . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غداً وأمرأعاً إلى الله عز وجل تضعونه في صعد من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحياء وقطع الأسباب فلا زمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يباب عليه بحيث يصير نصب عينيه فمعد ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار القبر وروايات كذا بظاهر القلب وعذبة اللسان

الوجود من القناء
والبقاء يسود إلى
الوجود التوراني الذي
هو القلب فيموت القلبين
والبسطة إليه عند ذلك
ومهما تخلص إلى القناء
والبقاء فلا قبض ولا بسط
قال فارس أوالا قبض
ثم البسط ثم لا قبض
ولا بسط لأن القبض
والبسطة مع الوجود
فأما مع القناء والبقاء
فلا ثم إن القبض قد
يكون بقوة الأفراس
في البسط وذلك أن
الوارد من الله تعالى
يرد على القلب فيحتله
القلب منه روحاً وفرحاً
واستبشاراً فتشرق
النفس السمع عند
ذلك وتأخذ نصيبها
فإذا وصل أثر الوارد

فيل الجدوى في التدبير والندب ومهما طاب قلبه شيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حداثتها ثم بكى فقال والله لو لاوت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور أفرقت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

(الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة نصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت ولا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك استحك فانك يا عبد الله لا تدري ما صحك غدا »^(١) وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبيض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن الدين أبناء والدنيا أبناء فكرونا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولى إلا أن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب وأولواكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل »^(٢) وقالت أم النذر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أمانتيجون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا تاكلون وتأمّلون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون »^(٣) وقال أبو سعيد الخدري « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عينا إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أقبض ولا لقت لقمة إلا ظننت أنى لأسيغها حتى أغص بها من اللوت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تقولون فسدوا أنفسكم من اللوى والذي نفسي بيده - إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين - »^(٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدري لعلى لأبأه »^(٥) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر في آخر حديث كنى في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث على بن أحمد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بن شيوخه وكلاهما ضعيف (٣) حديث أم النذر أيها الناس أمانتيجون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون ما لا تدركون ما لا تسكنون الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقى في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في الشعب بإسناد ضعيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالباب فأقول الماء منك قريب فيقول ما يدري لعلى لأبأه الحديث ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبخاري بإسناد ضعيف .

إلى النفس طنت بطمها
وأفرطت في البسط
حتى تشاكل البسط
نشاطا فتقابل بالقبض
عقوبة وكل القبض
إذا قفص لا يكون إلا
من حركة النفس
وظهورها بصفتها ولو
تأديت النفس وعدلت
ولم تهر بالطغيان تارة
وبالصبيان أخرى
ما وجد صاحب القلب
القبض وما دام روحه
وأنسه ورعايته
الاعتدال الذى يبد
باب القبض متلقى من
قوله تعالى - لكيلا
تأبوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما
آتاكم - فوارد الفرح
مادام موقوفا على
الروح والقلب لا يكف

بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبده فقال هل تدرون ما هذا فقلوا الله ورسوله أعلم قال هذا
الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويغتنجه لأجل دون الأمل^(١) وقال عليه السلام
«مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته النايا وقع في الهرم^(٢)» قال ابن مسعود هذا
الهرم وهذه الخوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الخوف والأمل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه
الخوف شوارع إليه فأبها أمر به أخذه فان أخطأته الخوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل قال
عبد الله «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطا وخط خطا إلى جنب
الخط وخط خطا خارجا وقال أندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان الخط الذي في الوسط
وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنبهه إن أخطأه هذا تنبهه هذا وذلك الأمل
بني الخط الخارج^(٣)» وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان
الحرس والأمل^(٤)» وفي رواية وتنبهت مع اثنتان الحرس على المال والحرس على العمر وقال رسول
الله ﷺ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وبهلك آخر هذه الأمة باليخل والأمل^(٥)» وقيل بيننا
عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض قال عيسى اللهم أنزع منه الأمل فوضع
الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فساءله عيسى
عن ذلك قال بينا أنا أعلم إذ قالت نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فأقبلت المسحاة واضطجعت
ثم قالت لي غسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقلت إلى مسحاتي وقال الحزن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «أكلكم عجب أن يدخل الجنة قلوبهم يا رسول الله قال قصر وامن والأمل وثبتوا أجالكم
بين أنصاركم واستحيوا من الله حق الحياء^(٦)» «وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني
أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير المات وأعوذ بك من أمل تمنع
خير العمل^(٧)» الآثار : قال مطرف بن عبد الله لوعلت متى أجلى لحشيت على دهاب عتلى ولكن
الله تعالى من على عباده بالنفلة عن الموت ولولا النفلة ماتوا عيش ولا مات بينهم الأسواق. وقال
الحسن السبوي والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا هاتين المشورتين للمسلمون في الطرق. وقال الثوري
يلقى أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك لم يهتأ العيش. وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

ولا يستوجب صاحبه
القبض سببا إذا لطف
بالفرح بالوارد بالأيواء
إلى الله وإذا لم ينجس
بالأيواء إلى الله تعالى
تطاعت النفس وأخذت
حظها من الفرح وهو
الفرح بما أتى المنوع
منه فمن ذلك القبض
في بعض الأحيان
وهذا من أنطف
الذنوب الموجبة للقبض
وفي النفس من حركاتها
وصفات وأبواب متعددة
موجبة للقبض ثم
الحروف والرجاء
لا يمدحها صاحب
القبض والبسط ولا
صاحب الأتس والهمة
لأنهما من ضرورة
الايان فلا يمدحان
وأما القبض والبسط

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد فقرر عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل
واللفظ له الراهم رمزي في الأمثال من رواية أبي التوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده
حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي التوكل مرسل (٢) حديث
مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن الشخير وقال
حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا
الحديث رواه البخاري (٤) حديث أنس يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرس والأمل وفي رواية
ويشبه مع اثنتان الحرس على المال والحرس على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في
قصر الأمل باللفظ الأول باسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وبهلك آخر هذه
الأمة باليخل والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث الحسن أكلكم عجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن والأمل الحديث
ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسل (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني
أعوذ بك من أمل تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير المات وأعوذ بك من أمل تمنع خير العمل
ابن أبي الدنيا فيه من رواية جوشب عن أبي الله عا موسى في إسناده ضعف وجهه ولا أدري من جوشب.

عمرت الدنيا بقوله عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث تعجبتني حتى أضجكتني مؤمل
 الدنيا والوث بظاه وغافل وليس يفغل عنه وضاحك مله فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه
 أم راض وثلاث أحزنتني حتى أتيت فراق الأحبة محمد وحزبه وهول اللطم والوقوف بين يدي الله
 ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زبارة بن أبي أوفى يدمونه في المنام
 فقلت في الأعمال أبلغ عنديكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس
 بأكل القليظ ولا لبس العباة وسأل الفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهب عنه شهوة الطعام
 والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن يا أبا سعيد لا تغسل
 قميصك فقال الأمر أجبل من ذلك . وقال الحسن الموت معقود بنواصيك والدنيا تطوى من ورائكم
 وقال بعضهم أنا كرجل باد عنقه واليهيب عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أعلمت
 أن أعيش شهرا لأبقي قد أتيت غظبا وكيف أوصل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل
 والنهار . وحكي أنه جاء شقيق البخعي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني في طرف كساه منى مصرور
 فقال له أستاذة إيش هذا معك فقال لوزات دفعا إلى أخ لي وقال أحب أن نغفر على أياقنا يا شقيق
 وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الأبد لا كلمك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب ودخل . وقال عمر
 ابن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا محالة فزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة القوي
 وكونوا كعين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتدس قلوبكم
 فتقادوا لعدوك فانه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مساه ولا يعسى بعد صاحبه ورعا
 كانت بين ذلك خطافات للناسي وكما رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مقترا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة
 من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا بدوى كلما إلى أصابه جرح من
 ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن أترك بما لا أنهي عنه نفس فتخسر صفتي وتظهر
 عيني وتبدو مسكتي في يوم يبدو فيه الفنى والفقر والوازين فيه منصوبة قلعة عتيق بأمر لو عنت به
 النجوم لانتكدرت ولو عنت به الجبال لهابت ولو عنت به الأرض لشفقت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة
 والنار مثلة وأنكم صائرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن اليا حله والآخره قطة
 والنوسط بينهما الموت ونحن في أضفان أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل
 والموت من الإنسان قريب وللتقص في كل يوم منه نصيب وللبلاء في جسمه ديب فإدبر قبل أن تنادى
 بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمه خلف ظهره وأمله بين عينيه
 فلما أصاب الخطيئة حول لحبل أمه بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن سبيط سمعت أبي يقول
 أيها المتتر بطول محنته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المتتر بطول اللهة أما رأيت مأخوذا فطمع غير
 عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لتسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصفة تتفرون أم بطول العافية
 تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترون إن ملك الموت إذا جاء لا ينعمنه منك ثمرة مالك
 ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وتدامة على التفريط ثم يقال رحم
 الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل زوال الموت ، وقال أبو بكر الصديق
 سابان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منثور فطلب من يقرأه فأتى بوجه بن منبه فاذا
 فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لرهدت في طول أملك ولرغب في الزيادة من عملك
 ولتصرت من حرصك وحيلك وإنما يثاقل غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلك أهلك وحشمك
 وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناك زائد فاعمل

فيندمان عند صاحب
 الإيمان لنقصان الحظ
 من القلب وعند صاحب
 الفناء والبقاء والقرب
 لتخلصه من القلب
 وقد يرد على الباطن
 قبض وبسط ولا
 يعرف سببها ولا
 يخفى سبب القبض
 والبسط إلا على قليل
 الحظ من العلم القدي
 لم يحكم علم الحال ولا
 علم المقام . ومن أحكم
 علم الحال والمقام لا يخفى
 عليه سبب القبض
 والبسط وربما يشبهه
 عليه سبب القبض
 والبسط كما يشبهه عليه
 الهم بالقبض والنشاط
 بالبسط وإنما علم
 ذلك لمن استقام قلبه
 ومن عدم القبض
 والبسط وارتضى منهما

يوم القيامة قبل الحسرة والندامة فيكي سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذركم متحولكم من دار مهلكة إلى دار إقامتكم وجزاء أعمالكم فتصير في قرار باطن الأرض بدظهارها فإني تيك منسكرك ونسكرك فيقعدانك وينهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تليفيك صبيحة الحشر وتضع الصور وقيام الجبار لنصل قضاء الخلائق وخلاؤه الأرض من أهلها والسماوات من سكانها باتح الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجمع بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فإني تشرعي ما حالي وحالكم يومئذ في هذا ما هدم اللذات وأسل عن الشهوات وقصر عن الأمل وأبطل التائبين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلوب موفقيهم من قلوب التائبين فاعانني بآله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز لحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلعوا عبائكم ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والعدل فيها ينسكم غلاب وعشى غدا بعد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجته التي عرضها السماوات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بياق وشقوة بسعادة لا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بدمكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تمشون غدا يورأحالي الله عز وجل قد قضى غيبه وقطع أمه فضعونه في بطن صعد من الأرض غير مود ولا ممد قد خلع الأسباب وفارق الأسياب وواجه الحساب وإيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلن نفسي ولكنا سنس من الله عادلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن مصيئته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يديه حتى يلت دموعه لحينه وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القناع بن حكيم قد استمددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أناني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن يزول بي ولو أناني ما أمرته بشيء ولا نهيتني عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أ كفا ذلك قد خرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فهاداود الطائي فانتدب قعد ناحية وهي تدفن جثث قعدت قريبا منه فتكلم قال : من خاف الوعيد نصر عليه الجبد ومن طال أمه ضف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم أي أخي أن كل شيء يشكك عن ربك فهو عليك مشوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إما يندمون على ما خلفون ويفرحون بما يقدمون لما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفي يتناسون وعليه عند القضاء مختصمون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي نوبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بك هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصل صلاة أخرى نموذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بذقار قرار كم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظن عنها فكم من عامر موقف عما قليل يغرب وكم من مقيم مقتبط عما قليل يظلم فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من الثقة وتزودوا فان خير الزاد التقوى وإنما الدنيا كقبر ظلال قلبي فذهب بينا ابن آدم في الدنيا يافى وهو قبر العين إذ دعاه الله بقدره ورماء يوم حشفه فسلمه آخاره وديناه وصير لوم آخر من مصائبه ومناشه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

فدسه مطمئنة
لا تنفد من جوهرها
نار توجب القبض ولا
يتلاطم بحر طبعها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط ورعا
صار مثل هذا القبض
والبسط في نفسه لا من
نفسه فتكون نفسه
المطمئنة بطبع القلب
فيجسرى القبض
والبسط في نفسه
المطمئنة وما لقلبه قبض
ولا بسط لأن القلب
منصن بشعاع نور
الروح مستقر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها الفناء
والبقاء) قد قيل
الفناء أن ينفى عن
الحفظ فلا يكون له
في شيء حظ بل ينفى

أنه كان يقول في خطبته أين الوضاعة الحسنة وجوههم للعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يطولون القلبة في مواطن الحرب قد تضرعهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الواحدا الواحدا ثم التجا التجا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا ما أحب الدنيا فهو أذا أنس بها وشهواتها ولذاتها وعلاقتها تفل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمضي نفسه أبدا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه وقد رتب توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كما فعل هذا الفكر موقفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قرب به فان خطر له في بعض الأحوال الأمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تنصر شيئا فإذا صار شيئا قال إلى أن تخرج من بناء هذه الدار وحجارة هذه الضيقة أو ترجع من هذه السفرة أو تخرج من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تخرج من قهر هذا العدو الذي شمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويملك بتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخرى وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم وبغض به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطئه النية في وقت لا يحسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واخرنا من سوف والسوف للسكين لا يدري أن الذي يدعو إلى التسويف اليوم هو معه غدوا إنما زاد بطول اللذة قوة ورسوخا وظن أنه يتصور أن يكون للخائف في الدنيا والحافظ لما فرغ فظوهيات لما فرغ منها إلا من أطرحها :

فما قضى أحد منها لباته وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والفلة عن معنى قوله **﴿عجب من أعجبت فانك مفارقة﴾** (١) . وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعود على شيا به فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يفكر السكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قالوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشباب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض قائم بغير فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا القائل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وريبع من ليل ونهار لعظم استعشاره واشتغال بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يتبع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فانه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسيله أن يمس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره وله اللبن الذي ينطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري قسوته جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالسكر الصافي من القلب الحاضر وبساع الحكمة

(١) حدث أعجب من أعجبت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

عن الأشياء كلها
شغل بين في فيه
وقد قال عامر بن
عبد الله لأبالي
امرأة رأيت أم حانطا
ويكون محفوظا فيها
فعل عليه مصروفا
عن جميع الخائفات
والبقاء ببقية وهو
أن يخفى عماله ويخفى
بما لله تعالى . وقيل
الباقى أن تصوير
الأشياء كلها له شيئا
واحدا فيكون كل
حركته في موافقة
الحق دون مخالفة
فكان قائما من
الخائفات باقيا في
المواقفات . وعندى
أن هذا الذي ذكره
هذا القائل هو

الباقية من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالملاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء المضال الذي أنيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا بالإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطيئ هو الذي يبعث عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استبكت أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منفس فكيف يفرح بها أو يرتسخ في القلب حبا مع الإيمان بالآخرة ففسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أمانا كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأمانا كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لهالة وكيف تشتت عظامها ولينشكر أن الدود يبدأ بمحدثه التي أولأ واليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يشكر فيما سنوره من عذاب التبرؤ والمسكر ونشكر ومن الحشر والتشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار هي التي تجرد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أي دأله الله تعالى - يؤد أحدهم لوسم ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى المزم وهو أقصى العمر الذي شاهدوه أو وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترفوته من الكبر إلى الدين اتقوا وقليل مام » (١) ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يغير لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء ولا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ما يكفيه استهتشتل بالمباداة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا للتهارة وأما اللغد فلا قال عيسى عليه السلام : لانهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأني فيه أربز آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا نهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ « يا عبد الله إذا أصبحت فلا تتحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تتحدث نفسك بالصباح » ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول امل لا بألفه ومنهم من يكون الموت نصب عليه كأنه واقع به فهو ينظره وهذا الإنسان هو الذي يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأنيها أخرى (٢) وكما نقل عن الأسود وهو حديث أنه كان يصلى ليلا وابتغت يمينها وشمالا فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك الموت من أي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صحة التوبة
النصوح وليس من
الفناء والبقاء في شيء
ومن الإشارة إلى الفناء
ماروى عن عبد الله
ابن عمر أنه سلم عليه
إنسان وهو في الطواف
فلم يرد عليه فشكاه
إلى بعض أصحابه فقال
له كنا نراى الله في
ذلك المكان . وقيل :
الفناء هو القية عن
الأشياء كما كان فناء
موسى حين تجلى ربه
للجبل . وقال الخراز :
الفناء هو التلاشي
بالحق والبقاء هو
المختور مع الحق .
وقال الجنيد : الفناء
استجماع الشكل عن
أوصافك واشتغال
الشكل منك بكنيته

(١) خذبت الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترفوته من الكبر إلى الدين اتقوا وقليل مام لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قاب الشيخ شاب على حب انتين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لعاذ عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأنيها أخرى أبو نعم في الخلية من حديث أنس وهو ضعيف .

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة - ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه أصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يعنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليست للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا بالن فرغ القلب عن القدر وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالوت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على يالك يمسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتنما لكل نفس أمهات فيه .

(بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان وينظر قدوم أحدهما في غد وينظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيئ الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالذلة ونسى ما وراء البدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للآلة يكلمها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى نفسه متدعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال عليه السلام « ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقر انمسيا أو مرضا مفيدا أو هراما متيدا أو موتا مجيها أو أوالدجال فالجال شر غائب ينتظر أو الساعوا نساء أو دعى وأمر (١) » وذال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتنم خيرا قبل خسر شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (٣) » نى أنه لا ينتمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة (٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه (٥) » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ناس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أشكم النية رابطة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة (٦) » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد (٧) »

(١) حديث ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقرا منسيا الحديث الترمذى من حديث أبي هريرة بلفظه أهل ينتظرون إلا غنا الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ الصنف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خيرا قبل خسر شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدى مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخارى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذى من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة الحديث الترمذى وحسنه من حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا ناس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أشكم النية الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي بإسناد فيه لين .

وقول إبراهيم بن
شيبان علم الفناء
والبقاء يدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
كان غير هذا
فهو من المغالط
والزندقة . وسئل
الحراز ما علامة
القائم ؟ قال علامة من
ادعى الفناء ذهب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل العناء
في الفناء صحتهم أن
يصحبهم علم البقاء
وأهل البقاء في البقاء
صحتهم أن يصحبهم
علم الفناء .

واعلم أن أقاويل
الشيوخ في الفناء

وقال ابن عمر رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل نوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بغيره فيؤشك ذلك الحيط أن ينقطع ^(٢) وقال جابر كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسيكم بئس أهل الساعة كاتين وقرن بين أصبعيه ^(٣) وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر اتسع فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الفروور والابتعاد إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ^(٤) وقال السدي - الذي خلق الموت والحياة ليولكم أجمع أحسن عملا - أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرجل الرجل وتصديق ذلك قوله تعالى - إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو تأخر في الموت وقال سعيد بن جهم مولى بني تميم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرحنى بحاجتك فاني أبدر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال قدمت عنه وقام إلى صلاته ومردا والطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما أبدر خروج نفسي قال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للأخرة ، وقال للنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه - وعليك بادري قبل أن يأتيك الأمر وعليك بادري قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أجمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في مواعظته البادرة البادرة فأعماهي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل وخدم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم تراها قد آتته - إنا نعلمه عددا - يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك ولو اجتهدت يومومي الأهمري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخيل إذا أرعلت تقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجل أقل من ذلك قال فليرزل في ذلك حتى مات. وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس علي جهنم معبر وقال بعض الحكماء - على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيحين بهم فانتهروا وعلوا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أغسلكم وترحلوا فقد جد بكم وإن غابة تنصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر للذة وإن غالبا يبعد به الجديدان الليل والنهار لخرى بسرعة الأوبة وإن قادمها يحمل بالقوز أو الشقوة تستحق لأفضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم نوبته وغلب شيوته فإن أجله مستور عنه وأمله خاضع له والشيطان موكل به يمنعه التوبة ليسوقها ويرين إليه المصيبة ليرتكبها حتى تهجم ميتته عليه أشغل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به فيها محسرة على ذي غفلة

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا فيه بأسنا وحسن ولترمدى نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل نوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل القلوب اتسع الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحكم في الاستدراك وقد تقدم .

والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء المخلوقات وبقاء للواقعات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرس والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف للذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء الطائفي وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيقبل كون

أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم بمن لا يبطره نعمة ولا تقصيره
عن طاعة الله معصية ولا يحمل به بعد الموت حسرة إنه جميع الدعاء يؤيده الجبرداً فقال لما يشاء وقال
بعض المفسرين في قوله تعالى - فنتنم أنفسكم - قال بالشهوات واللذات - وتربصتم - قال بالتوبة وبترابتم -
قال شككتم - حتى جاء أمر الله - قال الموت - وغركم بالله الغرور - قال الشيطان . وقال الحسن
تصبروا وتشددوا فانما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجب
ولا يلتفت فانتقلوا بالصالح ما يحضر تكم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله
عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات
فيه فقال مرحبا بكم وأهلاً بكم الله بالسلام وأهلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم
وصدقتم وانتم فإلا يكن حظكم من هذا الجحيم رحمة الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه
الأذن فإن من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم قد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لينة على لبته ولا نصبة على قصبه
ولكن رفع له علم فشمع إليه الوحا الوحا التجالعا علم تخرجون أنتم ورب الكعبة كأنكم والأمر
مما رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة ولبس خاقاً وارتقى الأرض واجتهد في العبادة
ويكي على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك^(١) . وقال عاصم الأحول
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك
دونهم ولا تلتل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك التهار في لاشيء فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئا
قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه للنبى القديم .

(الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت مجرد هالكان
جديراً بأن ينقص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويقارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه
فكره ويظم له استعداده لاسماً وهو في كل نفس يصدده بكاف بعض الحكماء كرب يصدواك لا تدرى
مق يشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى مق يتاك استعد له قبل أن يشاك والعجب أن
الانسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس الله فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس
خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس يصد أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات التزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور . واعلم أن شدة الألم في سكرات
الموت لا يرمفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فاما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما
بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو
لأروحه فيه فلا يحس بالألم فاذا كان فيه الروح فالمذكرك للألم هو الروح فهما أصاب العضو جرح
أو حرق سوى الأثر إلى الروح فقدر ما يسرى إلى الروح يتألم واللؤلؤ يتفرق على اللحم والدم وسائر
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فمما أعظم
ذلك الألم وما أشده . والتزع عبارة عن مؤلم تزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق
جزء من أجزاء الروح المنتشر في أحماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابه شوك فالألم الذي
يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي أصابه الشوك وإنما يعظم أثر
الاستراق لأن أجزاء النار تنوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحمد لله
ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى
على كون العبد وهو
ينقسم إلى فناء ظاهر
وفناء باطن فأما الفناء
الظاهر فهو أن
يتجلى الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأفعال
ويسلب عن العبد
اختياره وإرادته فلا
يرى لنفسه ولا لغيره
نعلاً إلا بالحق ثم
ياخذ في المعاملة
مع الله تعالى بحسبه
حتى سمعت أن بعض
من أقوم في هذا
المقام من الفناء كان
يبقى أياماً لا يتناول
الطعام والشراب حتى
يتجرد له فصل
الحق فيه ويقض
الله تعالى له من

وإباطنا لإلواصيه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء الجسم . وأما الجراحة فأنما تصيب الوضع الذي منه الحديد قطع فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النار يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه التزوع المذبذب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلاتألم عن كربه وألمه حتى قالوا إن اللوت لأشد من ضرب بالسيف ونثر بالمنابر وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان للتناول المباشر نفس الروح وإنما يستنبت الضروب ويصبح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت اللبت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتضاعف على قلبه وبلغ كل موضع منه فهذا كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشي وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفتها وبودلوقدر على الاستراحة بالأيمن والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقة ومصدره وقد تغير لونه واربذ حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حباله فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع المحدثان إلى أعالي أجفانه وتمتص الشفتان ويتألم اللسان إلى أصله وترتفع الأنياب إلى أعالي موضعها وتخضر أنامله فلاتسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المذبذب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمذبذب نفس الروح التآلم من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فيرد أو لا قدماء ثم ساقاه ثم غفدها ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويلقى دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تقبل توبة العبد ما لم يفرغر^(١)» وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - قال إذا عين الرسل فسد ذلك تبدوله صفحة وجهه ملك اللوت فلاتسأل عن طعم مرارة اللوت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم هوّن على محمد سكرات اللوت^(٢)» والناس إنما يستعبدون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اللوت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحوار بين ادعوا الله تعالى أن يهونَ على هذه السكرة يعني اللوت فقد خفت اللوت مخافة أوقفي خوفا من اللوت على اللوت . وروى أن ثمران من بني إسرائيل مر بإبنة فقالت بعضهم لبعض لودعوسم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم رجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد دقت اللوت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة اللوت . من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا يهونَ عليه الموت بعد الذي رأيته من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والعصب والأنامل اللهم فأعني على اللوت وهو ته على^(٣)» وعن الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغصته وألمه فقال

بطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب وهذا لعمري فناء لأنه فني عن نفسه وعن الغير نظرا إلى قول الله تعالى فناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يذهب إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبامحمد بن عبيد الله البصري

(١) حديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغر الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر

(٢) حديث كان يقول اللهم هوّن على محمد سكرات اللوت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ

الروح من بين العصب والعصب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صفة

ابن غيلان الجبلي وهو معتل سقط منه الصحابي والثاني .

هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف^(١)». «وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدة فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف^(٢)». «ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا وبألم للموت على حدته^(٣)». وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول إن لم تقاتلوا تموتوا والذي نفس يده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن البيت يجد ألم الموت ما لم يمت من قبره وقال شداد بن أوس الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالناشر وقرض بالمقارض وغلى في القدر وروا أن البيت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتفقوا بهيئ ولا دنوا بهيئ. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يلقها بعمله شدد عليه الموت ليلبلغ بسكرات الموت وكرهه جنة في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجزه هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من الرضى كيف تجدون الموت فها مرض قيل له فأنت كيف تجدته فقال كان السموات مطبقة على الأرض وكان نفسي يخرج من قفيرة وقال صلى الله عليه وسلم «موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر^(٤)» وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو أن شجرة من شعر البيت وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا بأذن الله تعالى لأن في كل شجرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات^(٥)» وروى «لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لقات^(٦)» وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا إيلخيل قال كنفود جبل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالصفيور حين يقلى على اللقى لا يموت فيستريح ولا ينجو فبطير. وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسليخ يد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه كان عنده قترح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت^(٧)»

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغضته وأمله فقال هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا ومرسلا ورجاله ثقات (٢) حديث مثل عن الموت وشدة فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا وبألم للموت على حدته ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بنسند ضعيف ورواه في الرضى والكفارات من رواية عبيد ابن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة بامتناد صحيح قال وأخذة أسف ولأبي داود من حديث خالد السلمي موت النجاة أخذة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شجرة من شعر البيت وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من رواية أبي ميسرة رفته وفيه لو أن ألم شجرة ، وزاد وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أذاها هولاً بضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الامتناد (٦) حديث لو أن قطرة من الموت لو وضعت على جبال الدنيا كلها لقات لم أجده أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قترح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون بقاء التخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الحنفى وكان عندي أن ذلك من الشرك الحنفى فقال لي هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الحنفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة فوقت أسطوانة في الجامع فازرع لهدنها أهل السوق فدخلوا للسجد فرأوه في الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقعها فهذا هو الاستفراق والفناء باطننا ثم قد ينسج وعاءه حتى لعله يكون

وفاطمة رضى الله عنها تقول واكره لكربك يا أباؤه وهو يقول لا كرب على أهلك بعد اليوم^(١) وقال عمر رضى الله عنه لسكعب الأخبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كنعن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكه بقرق ثم جذبه رجل شدبدا الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقتي وأفارقتك إلى يوم القيامة^(٢) » فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، لما حالنا ونحن للتمككون في العاصي وتوالي علينا سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة الزرع كاذكرناه . الداهية الثانية : مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والجوف منه على القاب فلو رأى صورته التي قبض عليها روح العبد المذب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته ، فقد روى عن إبراهيم الحليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تربي صورتك التي قبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر متن الرغ أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهب النار والدخان فقتى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقنعد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فذاهي رجل في الدار قالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناه بلاء . داود فرأه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهلب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت زميل داود عليه السلام مكانه^(٣) » وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجمعة فضر بها برجله فقال تكلمي بأذن الله قالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودى وحشمى في سرى ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى إليه فيألت ما كان من تلك الجوع كان فرقة وبألت ما كان من ذلك الأوس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفهاها الطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة الزرع دون الروعة التي يدركهم من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لنفس عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما الطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتبع فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف الميت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلتها ربه فقال أنا ربه فقال أدخلتها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تربي الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب قد كرم من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ، ومنها مشاهدة المسكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يترامى له ملكه

متحققا بالقضاء ومعناه روحا وتلبا ولا يغيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الآذن في كليات أموره ليكون في الأشياء باقة لا يفسده ففارك الاختيار منظر لنفسه الحق فإن صاحب الانتظار لا إذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله باطنه في جزئياتها فإن ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للأهل ولا منتظرا للإذن هو باقى والباقي في مقام

(١) حديث إن فاطمة قالت واكره لكربك يا أباي الحديث البخارى من حديث أنس لفظ واكره يا أباؤه وفي رواية لابن خزيمة واكره (٢) حديث إن العبد يعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسم بعضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد بإسناد جيد نحوه وابن الدنيا في كتاب الموت بلفظه .

السكرات عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلسنا وعمل صالح
 احضرنا ، وإن كان طاهرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلسنا وعمل غير صالح
 احضرنا وكلام قبيح اسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى
 الدنيا أبدا. **الداية الثالثة :** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل للشاهدة فانهم في حال
 السكرات قد تجاوزت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم لم يسمو الله ملك
 الموت بأحد البشريين إما أشر بإعدو الله بالنار أو أشر بأولى الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف
 أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره
 وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
 ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له
 عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه» (٢) وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود
 وهو لما به من آخر الليل قم فانظر رأى ساعة هي قمام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلع الطمء فقال
 حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه
 فقال أبو هريرة اللهم اشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم
 ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي الجنة أم النار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال «إن الله إذا رضى عن عبد قال بأمك للموت اذهب إلى فلان فأتى بروحه لأمر محمد حسبي
 من عمله قد بولته فوجدته حيث أحب فيزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان
 الریحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة تسعين
 لخروج روحه معهم الریحان فإذا نظروا إليهم يبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال قبيح قوله له جنوده
 مالك باسدينا يقول أمانتون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهنا به
 فكان مصوما» (٣) وقال الحسن لأرواح المؤمنين إياي لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى
 يقوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال
 نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرجع طرفه إليه ثم قال يا أخوانا الساعة
 والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا أخوانا عليكم السلام إلى النار
 أو بغيره والله وتخي بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . يخوف سوء الحاتمة قطع

(١) حدث لنا يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار
 ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفا لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا
 حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من
 أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عباد بن الصامت ما يشهد لذلك إن المؤمنين
 إذا حضروا الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وبعثته الحديث
 (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه
 من حديث عباد بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى عن عبد قال بأمك للموت اذهب إلى
 فلان فأتى بروحه لأمر محمد حسبي من عمله قد بولته فوجدته حيث أحب فيزل ملك الموت من حديث تميم الداري باسناد
 ضيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع وللأساني
 من حديث أبي هريرة باسناد صحيح إذا حضر الميت أئمة ملائكة الرحمة بجزيرة يضاء فيها ولون آخر جي
 راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث .

لا يصحبه الحق عن
 الخلق ولا الخلق عن
 الحق والقاني محبوب
 بالحق عن الخلق
 والقاء الظاهر لأرباب
 التسابو والأحوال
 والقائه الباطن لمن
 أطلق عن وثاق
 الأحوال وصار بالله
 لا بالأحوال وخارج
 من القاب فصار مع
 مقبه لاصح قلبه .
 [الباب الثاني والتون
 في شرح كليات مشيرة
 إلى بعض الأحوال في
 اصطلاح الصوفية]
 أخبرنا الشيخ الثقة
 أبو الفتح محمد بن
 عبد الباقي بن سليمان
 بإجازة قال أنا أبو الفضل
 أحمد بن أحمد قال أنا
 الحافظ أبو نعيم

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الجماعة وسعة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا يتفق بهذا الوضع ، ولكننا لا نطول بذكره وإعادته .

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من سورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيته الخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ^(١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ^(٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهدي ما قبلها من الخطايا ^(٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ^(٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه من عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضي الله عنه : احضر وموتاكم وذكروهم قائمهم يرون مالاترون ولقنوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فظفر في قلبه فلم يجد فيه شيئا فذك ليحيه فوجد طرف لسانه لاصقا بمنكبه يقول لا إله إلا الله ففزع له بكلمة الإخلاص ^(٥) » ويبنى التلقين أن يبلغ في التلقين ولكن تلتطف فرحا لا يطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استئصاله التلقين وكرهه لكلمته يخشى

أن يكون ذلك سبب سوء الحاتمة ، وإنما معنى هذه السكلة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوبا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على فقدانها وكانت السكلة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل وائلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقني ذنوب لي وأشرقت على هلكة ولكن أرجو رحمة ربي فذكر وائلة وكر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ^(٦) » « ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتماعا في قلب عبد في مثل هذا

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الثماني الحكيمة في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهدي ما قبلها تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فظفر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وصي في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف (٦) حديث دخل وائلة ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جريما .

الأصمغاني قال تناهده ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم الكشي قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من معادن التقوى تسلك إلى ما قد علمت علم مالم تسلم والنفس فيها علمت قوة الريادة فيه وإنما زهد الرجل في علم مالم يعلم قوة الانتفاع بما قد علمه فتنازع الصوفية أحكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما طموا لموضع ضوام فلهم الله تعالى مالم

للوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف^(١) وقال ثابت البناني كان شاباً بمكة وكان له أم تظنه كثيراً ويقول له يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذر لك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كبيراً للمروءة وإني لأرجو أن لا يمدني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به . وقال جابر بن وداعة كان شاباً به رهبى فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصني شيء قال نعم خاتمي لتسليبه فإن فيه ذكر الله تعالى فلفل الله رحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال أخبروا أمي أن السكبة قد تقعتي وأن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي فقيل له إنك يموت فقال يا بني يذهب بن قالوا إلى الله قال لما كراحتي أن أذهب إلى من لا يرى الحبر إلا منه . وقال أبو العتير بن سليمان قال أني لما حضرته الوفاة يامعتمر حدثني بالرخس لعل ألقى الله عز وجل وأحسن الظن به وكانوا يستجوبون أن يذكر ليدع محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه به .

(بيان الحسرة عند لقاء ملك اللوت بحكايات يعرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك اللوت واسمه عزرائيل وله عتيان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك اللوت ما صنعت إذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الوهاب بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد ديت له الأرض فتركته مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال حليان بن داود عليهما السلام الملك اللوت عليه السلام مالى لأزالك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتتع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي مصف أو كسب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملكاً من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدنسا بشباب ليسمأ فلم تجبه فطلب غيرها حتى ليس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجهاداً ليس فضخ من مخره نفعه ففلاهم كبراً ثم سار وصار معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراء فجاءه رجل رث الهيئة فلم ير دعي عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن قهره على اللجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى لمرأته فساروه وقال أنا ملك الموت فخير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأخصي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتهلك أبداً قبض روحه غفراً أنه خشية ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساروه وقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته على فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك الموت أقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تخد على ذلك قال نعم إنى أمرت بذلك قال فدعني حتى أتومئناً وأصلى ثم أقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالى فأتى بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه فرأه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فو الذى خولك ما أنا بخارج من ممالك حتى أفرق بين روحك وبينك قال فالهمة حتى أفرقة قال فهبات اضططعت عنك المهمة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه واتى قصره وجعل عليه بايين وثيقين وجمع عليه حراماً من غلغله ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقصد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى الحديث تقدم .

يطفوا من غرائب
العلوم ودقيق الاشارات
واستبطوا من كلام
الله تعالى غرائب العلوم
وحجائب الأسرار
وترسخ قدمهم في العلم
قال أبو سعيد الخراز
أول الفهم لكلام الله
العمل به لأن فيه العلم
والفهم والاستنباط
وأول الفهم لقاء السمع
والمشاهدة لقوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى
لن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شبيب .
وقال أبو بكر الواسطي
الراسخون في العلم هم
الذين رسخوا بأبوابهم
في غيب القيب وفي
سر السر فعرفهم
ما عرفهم وأراد منهم
من مقتضى الآيات

فلما فرغوا ، قال بانفس انصبي لسنين فقد سمعت لك ما يكيفك فلم يرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك اللوت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه عملاء ينشبه بالمساكين فترجع الباب بشدة عظيمة فرما أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الفلان وقالوا ما شأناك فقال ادعوا إلي مولانا كم قالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فسلمت به وفلمتم فترجع الباب فرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنني ملك اللوت فلما سمعوه أتوا عليهم الرعب ووقع على مولاهم الدل والتخضع فقال قولوا له قولنا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتي عن عبادة ربي ومنعتني أن أتغنى لربي فأطلق الله الدل فقال لم تنصني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ورد للقي عن باهمس وكنت تتكلم بالتنعمات بي وتجلس بجالي للولك بي وتتغنى في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أغتني في سبيل الخير نعمتك خلقت وابن آدم من تراب فتنطلق ير ومنطلق يأتي ثم قبض الملك اللوت روحه فسقط . وقال وهب من منبه قبض ملك اللوت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء وقالت لللائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأثبتها وقد ولدت مولودا فرحمها لرثبتها ورحمت ولدها لضره وكونه في فلاة لا تمتهد له بها فقالت لللائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك الولود الذي رحمته فقال ملك اللوت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك اللوت صحيفة فقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليرس القراس وينسك الأرواح ويبنى البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك اللوت يتصمغ كل بيت ثلاث مرات فمن وجد منهم قد استوفى رزقه واغضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء يأخذ ملك اللوت بضادتي الباب فيقول والله ما كنت له رزقا ولا أقيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لمودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لتهلوا عن منبهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بيننا جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس في منزله قد خلا بعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا غضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالتى لا يمنع مني الحجاب ولا أستاذن على للولك ولا أخاف دوة للتسطين ولا يمنع مني كل جبار عتيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك اللوت قال أنا هو قال فهل أنت ممجلى حتى أحدث عهدا قال هيأت اقظمت مدتك واقضت أنفاسك وتغدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإني أبني تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أهد بيتا حسنا قال فإني لأظن زاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارع وبك قال يزيد الرقاشي لو يملون سوء النقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خبيثة قال دخل ملك اللوت على سليمان بن داود وعليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال اتقرا بته ينظر إلى كاهه يريدي قال فإذا تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الربح حتى تحملي إلى أقصى الهند فقامت الربح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أفاء ثانيا رأيته تديم النظر إلى واحد من جلسائي . قال نعم كنت أتجنب منه لأنني كنت أمرت أن أقبضه فأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فنجيت من ذلك.

مالم يرد من غيرهم
وخاضوا بحر العلم
بالفهم لطلب الريادات
فانكشف لهم من
مدخور الحزائن
والخزون تحت كل
حرف وآية من القهم
ومجائب النص
فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا
بالحكمة . وقد ورد
في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه سفيان بن
عيينة عن ابن جريج
عن عطاء عن أبي
هريرة أنه قال إن من
العلم كثرة المسكون
لا يسله إلا العلماء بالله
فاذا انطقوا به لا ينسكرو
إلا أهل الفرة بالله .
أخبرنا أبو زرعة قال

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت آمننا فشق حين دنا الفراق الحديث رواه الزوار وقال هذا الكلام قد روي عن مرة عن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن مسعود قال وعبد الرحمن الأصماني لم يسمع هذا من مرة وإنما هو ممن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله بن عمرو مرة . قلت وقد روي من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورواه في نسخة القاضى أبي بكر الأنصارى من رواية الحسن العربي عن ابن مسعود . ولكنهم انقطعوا عن عثمان والحسن العربي إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

أنا أبو بكر بن خلف
 قالنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت النضر المازني
 يقول سمعت ابن عائشة
 يقول سمعت القرشي
 يقول هي أسرار الله تعالى
 ينبغي إلى أمناه وأليائه
 وصداقت النبلاء من
 غير سماع ولادراسة
 وهي من الأسرار التي
 لم يطلع عليها إلا
 الخواص . وقاله
 أبو سعيد الخراز
 العارفين خزان
 أودعها علوم ما غيرة
 وأبناء حمية يتكلمون
 فيها بلسان الأبدية
 ويخبرون عنها بعبارة
 الأزلية وهي من العلم
 المجهول فقول بلسان
 الأبدية عبارة الأزلية
 إشارة إلى أنهم بالله

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأخذه في أمته وجسده بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بشوا وسيدهم إذا جموا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني (١) وقالت عائشة رضي الله عنها «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقبله بسبع قرب من سبعة أبار فقلنا ذلك فوجد راحة غفر فغسل بالناس واستغفر لأهل أجدودنا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على حبها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيني التي أويت إليها فأكرموا كريمهم بنبي محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم ثم قال إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فيكي أبو بكر رضي الله عنه ووطن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سداً وهذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم امرأة أفضل عندي في الصفة من أبي بكر (٢) قالت عائشة رضي الله عنها «قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري وغيري وجمع الله بين ربي وربتي ورحمته عند الموت فدخل عليّ أخي عبد الرحمن ويده سواك فيقبل ينظر إليّ فيعرف أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأوماً برأسه أن نعم فتاولته بإيه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت آليه لك فأوماً برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن الموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذن والله لا تغترنا (٣) وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زداد تها أطفافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأقبله بكنائهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأقبله بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأقبله بمثل ذلك يده وقالها فتناولوه فقال ما تقولون تخشون أن تغت وتضاعب نساؤهم لا جتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلقي أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم الموت وما تذكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتني إليكم أنفسكم هل خلدني قبلي فيمن بعث فأخذه فيكم إلا إني لاحق بري وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله عز وجل قال - والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا - إلى آخرها وإن الأمور تجري بأذن الله فلا عاينكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يسجل لمجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه - فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي بدى فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأخذه في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي المصطفة من بدى قال أجبر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول قدرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفسي وإسناده ضيف (٢) حديث عائشة أمرنا أن نقبله بسبع قرب من سبعة أبار فقلنا ذلك فوجد راحة فخرج فغسل بالناس واستغفر لأهل أحد أجدودنا لهم وأوصى المهاجرين بن المختار مختلف فيعنه محمد ابن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالنعنة (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومي وبين سحري وغيري وجمع الله بين ربي وربتي عند الموت الحديث متفق عليه .

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «يَنطَقُ» وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر - آتيناه رحمة من عندنا وعلما من لدنا علماً - فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تضحها من بعضهم البعض وإشارة منهم إلى أحوال يحسدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم اجمع والتفرقة قيل أصل اجمع والتفرقة قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فهذا جمع ثم فرق قالوا وللانكة وأولوا العلم وقوله تعالى - آتنا بالله - جمع ثم فرق بقوله - وما نزلنا به - واجمع أصل والتفرقة

أَنْ نَحْسُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يَشَاظِرْكُمْ الْفُجَارُ أَلَمْ يَوْسِعُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّيارِ أَلَمْ يَأْثُرْكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخِصَاصَةُ
أَلَا لَنْ وَلِيَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيُحْلِلَ مِنْ حَسَنِهِمْ وَيُجَاوِزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمَا أَلَا وَلَا تَسْتَأْذِنُوا عَلَيْهِمْ
أَلَا وَإِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَاحِقُونَ بِي أَلَا وَإِنْ مَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ حَوْضِي أَعْرَضَ بَيْنَ يَمِينِي وَبَصْرِي الشَّامُ
وَصَنَاءُ الْيَمَنِ يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابُ الْكَوْثَرِ مَاءُ أَشَدَّ يَاسُنًا مِنَ الْبَلْبَنِ وَالْيَمَنِ مِنَ الزَّيْتِ وَأَحْلَى مِنَ الْقَهْدِ
مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا حِصْبَاؤُهُ الْوَلُّوْهُ وَبَطْحَاؤُهُ لِسُكِّ مَنْ حَرَمَهُ فِي الْوَقْتِ غَدَا حَرَمُ الْحَجَرِ كُلِّهِ
أَلَا لَنْ أَحَبُّ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى غَدَا فَلْيَكْفِ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا بِمَا يَنْبَغِي فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْسَى بِقُرَيْشٍ
قَالَ إِنَّمَا أَوْسَى بِهَذَا الْأَمْرِ قُرَيْشًا وَالنَّاسَ تَبِعَ لِقُرَيْشٍ بَرٌّ لِرَبِّهِمْ وَفَاجِرٌ لِرَبِّهِمْ فَاجِرٌ مِمَّنْ فَاسْتَوْصُوا
أَلْ قُرَيْشِ بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْقَنُوبُ تَغَيَّرَ النِّعَمُ وَتَبَدَّلَ الْقِسْمُ فَادْرَأْ بِرِ النَّاسِ بِرَمَ أَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا فَجَرَ النَّاسَ عَقُومٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ نَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ^(١) »
وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَلِّمْ يَا أَبَا بَكْرٍ
قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ وَتَدَلَّى قَالَ لِيُنْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَتَشَمَّرْ
عَنْ مُنْقَلَبِنَا قَالَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْغَيْثِ ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ النَّارِ وَالْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى
وَالرِّيقِ الْأَعْلَى وَالْحِطِّ وَالْمَيْشِ الْمَهْنِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ يَلِيَّ غَسْلَكَ؟ قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى
قَالَ فَنِعْمَ نَكْنَفُكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةٍ بَعَانِيَّةٍ وَفِي يَاسُنٍ مِصْرٍ قَالَ كُنْ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَنَا
وَبِكُنَّا وَبِكُنْ ثُمَّ قَالَ مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكُنْتُمُونِي فَضَمُّونِي
عَلَى سِرِّي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُوا عَنْ سَاعَةِ فَأَنْ أُولَئِكَ صَلَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ
الَّذِي صَلَّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ - ثُمَّ يَأْذَنُ الْمَلَائِكَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى قَائِلٍ مِنْ يَدِخُلُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
وَيُصَلِّي عَلَى جِبْرِيلَ ثُمَّ مِيكَائِيلَ ثُمَّ إِسْرَافِيلَ ثُمَّ مَلَكُ اللَّوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَنْتُمْ فَادْخُلُوا فِي أَفْوَاجٍ فَضَلُّوا عَلَى أَفْوَاجٍ زَمْرَةٌ زَمْرَةٌ وَسَلُّوا تَسْلِيًا وَلَا تُؤْذَنُ
بِزَكِيَّةٍ وَلَا مِصْبَحَةٍ وَلَا رَنَّةٍ وَلِيَدُكُمْ مِنْكُمْ الْإِمَامُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ثُمَّ زَمْرَةُ زَمْرَةِ الصَّيَّانِ
قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الْقَبْرَ؟ قَالَ زَمْرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا رُؤُوسَ لَهُمْ وَهُمْ يَرُونَكُمْ
قَوْمًا قَادُوا عَنِّي إِلَى مَنْ بَعْدِي ^(٢) » وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ جَاءَ بِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ فَأَذَنَ
بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ صَلَّى بِالنَّاسِ غُفِرَتْ لَهُ أَرْ حُمْضَةُ الْبَابِ الْإِمْرَعُفِي
رَجُلًا لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ قَدْ يَأْمُرُ فَصَلَّ بِالنَّاسِ قَامَ عَمْرٌو فَكَبَّرَ وَكَانَ رَجُلًا مِثْنًا صَمًّا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ إِنْ أَبَا بَكْرٍ بَأَيْ اللَّهِ ذَلِكَ وَالسَّلْمُونَ قَالَهُمَا ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ حَاضِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَدِيقٌ
الْقَلْبِ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ فَقَالَ إِنَّكَ صَوِيحَاتُ يَوْسُفَ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّ بِالنَّاسِ

(١) حَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَزِيدُ تَقَالُفًا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَنَ بِكُنْهِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُرُوجِهِمْ مَتَوَكِّفًا
مُصَوَّبَ الرُّأْسِ مَخْطُ رَجُلِيهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ اللَّبْرِ فَذَكَرَ خَطْبَتَهُ بِطَوْلِهَا وَحَدَّثَ
مُرْسِلٌ ضَعِيفٌ وَفِيهِ نِكَارَةٌ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا وَأَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُرَّازٍ بْنُ الْأَزْوَريِّ تَابِيٌّ. رَوَى عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ سَعِيدٌ لَيْسَ بِالْقَوِي (٢) حَدَّثَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ سَلِّ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ الْحَدِيثُ فِي
سُؤَالِهِمْ لَمْ يَنْ يَلِيَّ غَسْلَكَ وَفِيهِ نَكْنَفُكَ وَكَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَمْرِوهُ الْوَاقِدِيِّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ إِلَى ابْنِ عَوْفٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ مُرْسِلٌ ضَعِيفٌ كَأَقْدَمِ.

فزع فكل جمع
بلا خرفة زنفرة
وكل خرفة بلا جمع
تعطيل . وقال الجليد
الترب بالوجد جمع
وغيته في البشرية
تفرقة وقيل جمهم في
للركة وفرقهم في
الأحوال والجمع اتصال
لا يشاهد صاحبه إلا
الحق في شاهد غيره
لما جمع والتفرقة شهود
لن شاء بالباينة
وعبارتهم في ذلك
كثيرة والمقصود أنهم
أشاروا بالجمع إلى
تجريد التوحيد
وأشاروا بالتفرقة إلى
الاكتساب فلي هذا
لا جمع إلا بتفرقة
ويقولون فلان في عين
الجمع ينون استيلاء

قال صلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمة بعد ذلك وبحك ماذا صنعت في والله لو لا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما ضلت يقول عبد الله إن لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفت عن أبي بكر إلا الرغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والمهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيجسدونه ويغيثون عليه ويتشاهمون به فاذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءه وعصمه الله من كل ما خوفت عليه من أمر الدنيا والدن ^(١) وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوامجهم مستبشرين وأخوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثاء فيينا نحن في ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجين عن هذا للكم يستأذن عليّ فخرج من في البيت غيرة ورأسه في حجرى » جلس وتعتيت في جانب البيت فاجى الملك طويلا ثم إنه دعاني فأعاد رأسه في حجرى وقال لئن شئت أدخلت قتل ما هذا يحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبض حتى تأمرني فإذا أمرتك قلت اكف عني حتى يأتي جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قتلت عائشة رضي الله عنها فاستيقنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجنا وكأنا ضربنا بصخرة مانحير إليه شيئا وما يتكلم أحدهم أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فلم صرفت حسه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تحمدك وهو أعلم بالذي تحمد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمته قال أجذني وجاء فقال أبصر فإن الله تعالى أراد أن يملك ما عدلك فقال يا جبريل إن ملك الموت استأذن عليّ وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يملك الذي يريدك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبزع إذن حتى يجيء وأذن لئن شاء فقال يا عائشة ادني فأكتب عليه فاجابها فرقت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني رأسك فأكتب عليه فاجابها فرقت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها هجبا فساتها بعد ذلك قالت أخبرني وقال إنى ميت اليوم فكبت ثم قال إنى دعوت الله أن يملكك في أول أهل وأن يملكك معي فضحكت وأدنت أنفها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فلم واستأذن فأذن له فقال الملك سأمر تأمر يا محمد فقال الخلق ربى الآن قال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد ترده منك

(١) حدث عبد الله بن زمة جاء بلال في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس غرقت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجل ليس فيه أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل في أول ربيع الأول وقال مروا من يصل بالناس وقال بأبي الله ذلك وللذين من رقيق وفي رواية له فقال لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة يقول ذلك مضيا وأما في آخره من قول عائشة ففي الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا مقامك لم يسمع الناس من البكاء قال إنك صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس .

مراتب الحق على ما طه
فاذا عاد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة
ضحة الجمع بالتفرقة
وحمة التفرقة بالجمع
فهذا يرجع حاصله
إلى أن الجمع من العلم
بالله والتفرقة من العلم
بأمر الله ولا يد منها
جبا . قال اللون
الجمع عني القضاء بالله
والتفرقة السوداء
متصل بعضها بالبيض
وقد غلط قوم وادعوا
أنهم في عين الجمع
وأهملوا إلى صرف
التوحيد وعلوا
الاكتساب فتردقوا
وأما الجمع حكم الروح
والتفرقة حكم القالب
وما دلم هذا التركيب
بأفيا فلا يد من الجمع

والتفصرة . وقال
الواسطي إذا نظرت
إلى نفسك فرقت وإذا
نظرت إلى ربك
جمعت . وإذا كنت
قائما بغيرك فأنت فان
بلا جمع ولا تفرة .
وقيل جميعهم بقاءه
وفرقهم في صفاته وقد
يريدون بالجمع والتفرة
أنه إذا أثبت لنفسه
حكما ونظرا إلى
أعماله فهو في التفرة
وإذا أثبت الأشياء
الحالق فهو في الجمع
والمجموع الاشارات
بني أن الكون يفرق
والكون يجمع فمن
أفرد للكون جمع
ومن نظرا إلى الكون
فرق فالتفرة عبودية
والجمع توحيد فإذا

(۵۸ - احیاء - رابع)

وقالت أم كلثوم يوم أصيب عليّ كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل عليّ وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها «لما مات رسول الله ﷺ اتقحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلانوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأفعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعليّ فيمن أفعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ولم يرجه الله عز وجل وليطمعن أيدي وأرجل رجال من النفاق فينموتون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو أتيتكم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لأسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما عليّ فإنه أفعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والساد وإن كان الناس لم يبرعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبابكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بآني أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينيك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس قال أيها الناس من كان يبعد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبعد رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبابكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعينا تهملان وغضصه ترنفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأهكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكي ويقول : بآني أنت وأمي ونسئ وأهل طبت

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ اللاتكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأفعد آخرون وكان عمر بن الخطاب بمن كذب بموته وعليّ فيمن أفعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت الحديث إلى قوله عند ربكم تختصمون لم أجده أصلاً وهو منكسر (٢) حديث بلغ أبابكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه قبله ويكي ثم قال بآني أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينيك الموت مرتين الحديث إلى آخر قوله وكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ البخاري ومسلم من حديث عائشة أن أبابكر أقبل على فرس من مسكه بالسحق حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيم رسول الله ﷺ وهو منقش ثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه قبله ويكي ثم قال بآني أنت وأمي أنت والله لا يجمع الله عليك موتين أمالوثة التي كذبت عليك قدمتها ولها من حديث ابن عباس أن أبابكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه والله لكان الناس لم يعلموا أن الله نزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر لفظ البخاري فيها .

أثبت طاعته نظراً إلى كسبه فرق وإذا أثبتا بالله جمع وإذا تحقق بالنقاء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبير من موسى ثم كالم فكان للكلم والكلم هو وكيف كان يطبق موسى محل الخطاب ورد الجواب لولا يلاهم مع ومعى هذا أن الله تعالى منحه قسوة بتلك

حيًا وميتًا أقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والتبوة فغطمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخضعت حتى صرت سلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارًا ماتنا لجندا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأخذنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع تبه عنا فسكده وإدكار محال فإن لا يبرحنا اللهم فأبانه عنا إذ ذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولكنك من بالك فلولا ما خلقت من السكنة لم يتم أحد لما خلقت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا (١). وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عجل أهل البيت بحببهم أهل الصل كلها ذكر شيئا ازدادوا لما سكن بحببهم إلا تسليم رجل على الباب صيبت جلد قال السلام عليكم بأهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فآله فارجوا وبه فتقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما أقطع البكاء قدمته فاطمة أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فيكروا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته بأهل البيت إذ كروا الله واحمدوه على كل حال تبركونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى التقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبى بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصه ترتفع كقمع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والقول فأبك عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحفظه فينا إن أبى الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في جماع التعزية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فآله فارجوا وبه فتقوا ثم صعدوا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الحضر في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بل قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله ليكون فدخل عليهم رجل طويل شمر للسكرين في إزار ورداء ينخل على أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بضادى باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك قال في الله تعالى فأنيوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فان للصاب من لم يجبره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فنظروا بيننا وبما لا ظمروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أشوينا عليه السلام جاء بزيينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آت نسمع حسولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فآله فتقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال على تدرون من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه إعطاء بين علي بن الحسين وبين جده علي والاعرف عن بن علي الحسين مرسل من غير ذكر على كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الحضر.

القوة مع ولولا

تلك القوة ما قدر

على السمع ثم أنشد

القاتل مثملا :

وبدا له من بعد

ما اندمل الهوى

بقى تألق موهنا

لما

يدو كاشية الرداء

ودونه

سب البرى متنع

أزكانه

فبدا لينظر كيف لاح

فلم يطق

نظرا إليه وره

أشجان

فالتار ما اشتملت عليه

منلوع

ولما ما مجت به

أجانه

ومنا قولهم التجل

والاستقرار قال الجند

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وعلب الأعداء وحده الله
الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أميائه وأشهد أن الكتاب كآزول والدين كالأشراع
وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك
ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل
صلواتك ومعاذاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الحير
وزعم الحير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقدمه وابسته مقام محمود أبيه بظنه
الأولون والآخرون وانضمنا ببقائه المحمود يوم القيامة واخضعه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة
والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كصليت وباركت على
إبراهيم وإسماعيل محمد أبيه الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن
الله حي لم يموت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد أختار لنبيه صلى الله
عليه وسلم ماعدته على ما عندكم وقبضه إلى ثوبه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أسكر - يا أيها الذين آمنوا كوا قوا أمين بالقبض - ولا يفتنكم
الشیطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تنتظروه فيلحق
بكم ويقتنكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول
مما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا: كذا وكذا ويوم
كذا: كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت ومنهم ميتون - فقال والله لك أني أسمع به في كتاب
الله قبل الآن لما نزل ما أشهد أن الكتاب كما أنزل وإن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت
- إنا قه وإنا إليه راجعون - وصلوات الله على رسوله وعند الله تختب رسوله صلى الله عليه وسلم
ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضى الله عنها لما اجتمعوا لصله قالوا : والله ما ندري كيف
نفسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتمجده عن ثيابه كما نضع حلتبه أو نفسله في ثيابه قالت فأرسل
الله عليهم النوم حتى ما بق منهم رجل إلا واضع لحته على صدره ما نائم قاله لئلا يدري من هو عسلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ففعلوا ذلك فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبره حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قبره فموتونا لا تغفلوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررنه ففعلناه في قبره كما نفسل موتانا مستلقيا ما نشاء
أن يقبل لنا منه عضو لم يالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحيفا في البيت كالجرح الرخاء
وبصوت بنا ارقفوا رسول الله ﷺ فانكم مستكفون كهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يترك شيئا ولا ليذا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرس لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان
يلبس يقطان على القطيفة والفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا يني في حياته
لينة على لينة ولا وضع قصبة على قصبة (١) فني وفاته عبدة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضى الله تعالى عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرس لحده بمفرشه وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا يني في حياته لينة
على لينة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع الفرشة والقطيفة فالذى وضع القطيفة شقرا من مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم
من حديث عائشة وغيرها وثما كونه ما يني في حياته فتقدم أيضا .

إنما هو تأديب
وتهديب وتذويب
فالتأديب عمل الاستتار
وهو للعوام والتهديب
للخواص وهو التجلي
والتذويب للأولياء
وهو المشاهدة وحاصل
الاضرابات في الاستتار
والتجلي راجع إلى
ظهور صفات النفس
(ومنها الاستتار) وهو
إشارة إلى غيبة صفات
النفس بكمال قوة
صفات القلب (ومنها
التجلي) ثم التجلي قد
يكون بطريق الأفعال
وقد يكون بطريق
الصفات وقد يكون
بطريق الذات والحق
تعالى أبقي على
الجسواس موضع
الاستتار رحمة منه

لمسرك ما يبى الثراء عن الفقى إذا حشر جرت يوما وضاق بها الصدر
فكشفت عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تخمد - انظروا نوبى هذين فاعسوا وما كنتم فى الدنيا الا اولاد ذليل - إلى الجديده أحوج من البيت .
وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستقى النمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا ينظر إليك؟
قال قد نظر إلى طبيبي وقال إني ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه
يوجهه فقال يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله فاعل عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك « واعلم أن
من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تضرن الله فى ذمته فبكبك فى النار طى وجهك، ولما نقل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس
له استخلفت عينا فظا غليظا لماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت فى خلقك خير خالفتكم ثم أرسل
إلى عمر رضى الله عنه فجاءه فقال إني موصيك بوصية . اعلم أن لله حقا فى التبار لا يقبله إلا بالوأن
فه حقا فى الليل لا يقبله فى النهار وأنه لا يقبل النافقة حتى تؤدى الفريضة وإنما نقلت موازين من نقلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وقوله عليهم وحى ميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن ينقل
وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحى ميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم ما لم يدرى عملوا
فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون للؤمنين رغبة فى
الجنة ولا يلقى يديه إلى التهلكة ولا يلقى إلى الله غير الحق فان حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب
إليك من اللوت ولا بد لك منه وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من اللوت ولا بد لك
منه ولست بمعجزه ، وقال سعيد بن السيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك . فقال أبو بكر من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق اللبنى قالوا وما الأفق اللبنى ؟ قال فاع بين يدي العرش
فيه رياض الله وأنهار وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا
الساكن : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا
للعسر فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للعسر . اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت
منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيذا فلا تشقى بمصائبك . اللهم إنك علفت مائتكسب كل نفس قبل
أن تخلقها فلا تعيس لها فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لاشاء حتى تشاء
فاجعل مشيتك أن أشاء ما يقربنى إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تتحرك شئ
إلا بأذنك فاجعل حركاتى فى تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا
يعمل به فاجعلنى من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا
فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيق به صدورهم فائسرح صدورى
للإيمان وزينه فى قلبى . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأجنى بمد اللوت حياة
طيلة وقربنى إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى تقته ورجاؤه غيرك فأنت تقى ورجائى ولا حول
ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل .

لهم ولغيرهم فأما لهم
فلا تهم به يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لغيرهم فلا تنلوا مواضع
الاستقرار لم ينفع بهم
لاستراقتهم فى جمع
الجمع وروزمهم الواحد
التهار . قال بعضهم
علامة تجسلى الحق
لأسرار هو أن لا يشهد
السر ما يتسلط عليه
التصير ويحويه الفهم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
اجلال . وقال بعضهم
التجلى رضى حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستقرار أن تكون
البشرية حائلة بينك
وبين شهود الغيب .
(ومنها التجريد والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر مائيه وبينه الإعياء بن عباس وكان إذا مر بين الصنيتين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استوا حتى إذا لم يرفهم خلا تقدم فبكروا وقالوا عماراً سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فهاهو إلا أن كبر فسمته يقول قتلني أو أكلني السكب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار الملح بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد بيننا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن الملح أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما واهي المسجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم قالوا يا ابن العباس انظر من قتاني قال فذاب ساعة ثم جاء فقال غلام البيرة بن شعبة قال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني يد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحيان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكرهم رقيقا قال ابن عباس إن شئت فقلت : أي إن شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانك وصلوا إلى قبلكم وجواحبكم فاحتمل إلى بيته فأنطلقا معه قال وكان الناس لم تصيب مصيبة قبل يومئذ قال قاتل يقول أخاف عليه وقائل يقول لأبأس فأني بنيد ف ضرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن ف ضرب منه فخرج من جوفه فصرخوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يشئون عليه وجاء رجل شاب فقال يا أمير المؤمنين يشري من الله عز وجل قد كان لك محبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مني الإسلام ما قد علفت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان ككفأ لاعي ولأني فلما أدر الرجل إذا إزاره عيس الأرض فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن أخي ارفع ذك فانه أتقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما لي من الدين لحسبوه فوجدوه ستة وثلاثين ألفا ونحوه فقال إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تفسد أموالهم فسل في قريش ولا تدم إلى غيرهم وأد عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تفل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبه فقالت كنت أريد نفسي ولأوترته اليوم مع نفسي فلما أجبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفوني فأسنده رجل إليه فقال ما يد لك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أدنت لي فأدخلوني وإن ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يستترها فلما رأيناها قنا فوجئت عليه فبكيت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلنا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمي عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعمية له فان أصابت الامارة سعدا فذاك وإلا فليستن به أياكم أمرفاني لم أعزله من محز ولا خيعة ولا أوصي لحليف من يدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصيه بالأنصار خير الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقل من عهدهم وأن يعفو عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خير أقاتهم رده الإسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا ياتي بما ياتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإتقانا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما ياتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنى الأغيار والتفريد بنى حقه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن حجبها ومنها هو وجد والتسواجد والوجود فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويضربه عن هيئته

وجبة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضائهم وأوصى بالأعراب خيرا فاتهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حوائش أموالهم ويرد على قرائهم وأوصى بصفة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بمهدم وأن يقاتل لهم من وراءهم ولا يكفهم إلا طائفة قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحشى فسلم عبد الله بن عمر وقال بستان عمر بن الخطاب قتلت أدخلوه فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر ^(١) » وعن ابن عباس قال « موضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيه لم يرعني إلا رجلا قد أخذ بمنكبتي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وإياي الله إن كنت لأظن ليجلنك الله مع صاحبيك وذلك أي كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبنا أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلنا أنا وأبو بكر وعمر ^(٢) » فإني كنت لأرجو أو لأظن أن يجلك الله معهما .

(وفاة عثمان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أنيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور قد خلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهى خوخة في البيت فقال يا عثمان حصرك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلوها في ماء نصرت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين يدي وبين كفتي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تحسطن عثمان في الوت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتحسطن ؟ قالوا معناه يقول : اللهم اجمع أمته محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسى بيده لو دعا الله أن لا يجتمعا أبدا ما اجتمعا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبكم الذين أباك على قال بقى بهما كأنهما هما حلالان أو حاران فأشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستحب غير برء رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوها مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من سلب مالى فأتم اليوم تمنوني أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش السرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن السجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقة آل فلان فيزيعها في المسجد غير منها في الجنة فاشترتها من سلب مالى فأتم اليوم تمنوني أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا تحرك الجبل حتى تساقطت حجراته بالخصيص قال فركنه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب السكبة أنى شهيد ^(٣) . وروى عن شيخ من صبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب الشريعة من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى في الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول علي بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبنا أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائى .

ويتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة بمجدها القلوب عليه بصفات تسمه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود الساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل : قد كان يطربنى وجدى فأقصدنى عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود والوجد يطرب من فى الوجد راحة والوجد عند حضور الحق مفقود

ضرب والدعاء تسبيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم
إني استعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

(وفاة على كرم الله وجهه)

قال الأصمعي الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها على كرم الله وجهه أناده ابن التياح حين طلع الفجر
بؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متناقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على عيشه وهو يقول:

اشدد حيازك للموت فان الموت لا يقيك

ولا تجزع من الموت إذا حلت بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة على رضي الله عنه فجعلت تقول
مالي ولصلاة العدة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة العدة وقيل أبي صلاة العدة وعن شيخ من قريش أن
علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب السمكة وعن محمد بن أبي أنس لما ضرب أوصى بنيه
ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حق قبض ولما نقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله
عنه فقال يا أخى لأى شئ تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب وهما أبو الولى خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله
وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه موافقاً أنهم قاتلوه فقام في أصحابه
خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما نزل وإن الدنيا قد تغيرت وتكررت وأريد معروفها
وانتمعت حتى لم يبق منها إلا كسابة الإثاء لا حسي من عيش كالعري الويل لأتروا الحق لا يسل به
والباطل لا ينقاه عنى ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإنى لأرى الموت بالإمادة والحيمة تقع الظالمين بالإجرما .
(الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمرء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال أقدموني فأفعد جعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى
وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الحرم والامحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضريان وبكى حتى
علا نكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة وأغفر الزلة وعدحك
على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه
في مرضه فأروا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقل الدنيا أجمع إلا ما جرت وأروا
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجذتنا وباستلذاذا ببشيتنا فما لبثتنا الدنيا أن قضت ذلك منا حالا
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من
دار ثم أف لها من دار . ويزوى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إن من زرع
قد استحصد وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى كان من قبل خيرامنى
ويزيد إذا وفى أجلي فول غسلى رجلا ليبياً فان اللبيب من الله يمكن فلينعم القسل وليجبر التكبير
ثم احمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ من شعره ما أنفاده
فاستودع القراصة أنبى وفى وأذى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ويا يزيد احفظ
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جسدى ووضعتوني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم
الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتنى كنت رجلاً من قريش بذي طوى
وإنى لم أكن من هذا الأمر شيئاً . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق
يلوى ثوباً بيده ثم يضرب به للصلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسلاً لا آكل من كسب يدي يوم يوم

(الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين)

(ومنها القليلة) القليلة
وحد متلاحق فالوحد
كالرق يدو والقيلة
كتلاحق السبرق
وتواتره يغيب عن
للتعير فالوحد يتطفئ
سريماً والقيلة تبقي
للاستمرار حزامنيا .
(ومنها السامرة) وهى
تفرد الأرواح بحسب
مناحتها ولطيف
مناغاتها في سر السر
بلطيف إدراكها
للقلب لتفرد الروح بها
فتلذذ بها دون القلب
(ومنها السكر والصحو)
فالسكر استيلاء
سلطان الحال والصحو
المودى ترتيب الأفعال
وتهذيب الأقوال
قال محمد بن خفيف

ولم يكن من أمر الدنيا شيئاً فبلغ ذلك أباحازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضروا الموت لم تمن ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدي قال الله تعالى - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية ، ومات . وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبدالعزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولوسعهم نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبلة فسمعت يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين - ثم هدأ فجلست لأسمع له حركة ولا كلاماً قلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما ثقل عمر بن عبدالعزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولأنتم الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فمعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهب إليه والله لو علمت أن غفائي عند شحمة أذن ما ررفت يدي إلى أذن فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبصر قد أحيا الله بك سنا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لحفت على نفسي أن لا تقوم بجنتي بين يدي إلا أن يلقيها الله جنتي فكيف بكثير مما ضيعت وأفاضت عنياء فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلموتى فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقضت ونهيتني فضيت ثلاث مرات ولكن لإله إلا الله ثم رفع رأسه فأعد النظر فقيل له في ذلك فقال إني أرى خضرة ما هم بأني ولا جن ثم قبض رحمه الله . وهكذا عن هرون الرشيد أنه انتهى أكله أنه يده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماله هلك عني سلطانيه وفرش المؤمن رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه وكان النعمان يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصر ما فعلت وكان للتصبر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبيبه من يأخذها بما فيها ليه كان بعرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لاتغفر لي فكان عمر بن عبدالعزيز تهجبه هذه الكلمة منه ويضبط عليها ولما حكى ذلك للحسن قال أفلها ؟ قيل نعم قال عسى .

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين)

لما حضرت معاذ رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأعمار ولا تفرس الأشجار ولكن لظما لها وأرجو مكابدة الساعات ومزاولة العلماء بالركب عند خلق الذكر ولما اشتد به التبع ونزع نزعا لم ينزع أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخفى خفيك فوعزتك إنك تعلم أن قلمي يملك ولما حضرته سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر غلبان القلب
عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواسطي
مقامات الوجد أربعة
الذهول ثم الحيرة ثم
السكر ثم الصحو ثم
جمع بالحر ثم دانته
ثم دخل فيه ثم أخذته
الأموح ففى هذا من
بقى عليه أثر من
سريان الخيال فيه
فعله أثر من السكر
ومن عاد كل شئ منه
إلى مستقره فهو صاح
فالسكر لأرباب القلوب
والصحو لكاهن الشفين
بمخاطب القيوب
(ومنها المحو والإتيان)
المحو بإزالة أوصاف
النفس والاتيان بما
أدر عليهم من آثار
المحب كؤوس وأوهو

صلى الله عليه وسلم أن تكون ليلة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب (١) فقامات سلمان نظري جميع
 مارك فاذا قيمته بضمة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناته فقال بل واطرباه
 غدا نلقى الأجرة محمدا وحزبه وقيل فتح عبدالله بن المبارك عنه عند الوفاة وحسبك وقال سئل هذا
 فليعمل الصالحون - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قفيل له ماييك قال أنتظر من الله رسولا
 يشترى بالجنة أو بالدار ولما حضر ابن للكندر الوفاة بكى قفيل له ماييك قال والله ما أبكي لنب
 أعلم أني أنيته ولكن أخاف أني أميت شيئا أحبه هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن
 عبد القيس الوفاة بكى قفيل له ماييك قال ما أبكي جزعا من اللوت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكي
 على ما هو في من ظمأ المهاجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح
 عينيه وقال وابعد مغراه واقلة زاده ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لصبر مولاه اجلس رأسي على
 التراب فبكى نصر فقال له ماييك قال ذكرت ما كنت فيه من النعم وأنت هو ذا موت قفيرا
 غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء قال له لقي
 ولا صد على ما لم أكلم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار تبدي إليس لرجل عند اللوت فقال له يموت
 قال ما أملكك بسد وبكى بعضهم عند اللوت قفيل له ماييك قال آية في كتاب الله تعالى قوله
 عز وجل - إنما يتقبل الله من التقيين - فدخل الحسن رضي الله عنه على رجل يعود نفسه فقال إن أمرا هذا
 أوله لجدير أن يتقى آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يهتدى أوله . وقال الجري كنت عند الجند
 في حال نزعهم وكان يوم الجمعة ويوم التبروز وهو يقرأ القرآن فتمت قتلته في هذه الحالة يا أبا القاسم قال
 ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صفيق . وقال روم حضرت وفاة أبي سعيد الخراساني وهو يقول:
 حين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكروا هم وقت للناجاة للسر
 أدبرت كسوف الشمس للمنايا عليهم فأغفوا عن الدنيا كأغفاه ذى الشكر
 هو مهموم جواله بمسك به أهمل ود الله كالأنجم الزهر
 فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو الملائكة
 لما عرسوا بالإحسب حبيبهم وما عرجوا من مس يؤس ولا ضر
 وقيل للجند إن أبي سعيد الخراساني كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن يجب أن تطير روحه
 احتياقا وقيل لدى النون عندهم ما تشبهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو
 في الزرع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأنا عتق ربك . وقال بعضهم كنت عند عشاء الدينوري
 قدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشار وإليه
 فكان وكان ثم عين ماء فجعد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومدرج له ومات
 وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدت فقال لها مني فقامت المرأة فلما
 بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقت ميتة . وبكى عن فاطمة أخت أبي عن الروذباري
 قالت لما قرب أجل أبي على الروذباري وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هذه أبو السباء فتحت
 وهذه الجنان قد زينت وهذا قال يقول يا أبا على قد بلغت الرتبة القصوى وإن لم ترد هاتم أنشأ يقول:
 وحسبك لا نظرت إلى سواك بسنين مودة حتى أراك
 أراك معذبي بفتور لحظ وبالحد للورد من حياك

هو رسوم الأعمال
 بنظر القناء إلى قسه
 وما نسبه والاثبات
 إثباتها بما أنشأ الحق
 له من الوجود به
 فهو بالحق لا بنفسه
 بآيات الحق إياه
 مستأقبا بسد أن
 معاه عن أوصافه .
 قال ابن عطاء بمحو
 أوصافهم وثبت
 أسرارهم (ومنها علم
 اليقين وعين اليقين
 وحق اليقين) فسلم
 اليقين ما كان
 من طريق النظر
 بالاستدلال وعين اليقين
 ما كان من طريق
 العكشوف والتوال
 وحق اليقين ما كان
 بتحقيق الاتصال
 عن لوث الصلصال

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون
 ليلة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم .

وقيل للجنيّد قل لا إله إلا الله فقال ما نسبته فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الديوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بأنوف فلما عليّ قتي شغل أعظم منه ثم قال وصنّي للصلاة فقلت فسميت تحليل لحينه وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحينه ثم مات فبكي جعفر وقال ماتوا يقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أديب من آداب الشريفة يقول لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال التمدد على الله شديد وقيل للصالحين مسار ألا نوصي بابنك وعياك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيرهم ولما احتضر أبو سليمان الداراني أنه أوصاه فقالوا أجبنا فأنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون أحذر فانك تقدم على رب عاصبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال أحفظوا وامرأا الحق فيكم احتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يتيك فقالت عابك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيّد دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تحبكم فأثنأ يقول :

كف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طيبي
فأخذت الروححة لأروحه فقال كيف يجد ربح الروححة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول :

القلب يحترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقافق
يارب إن يك شيء فيه لي فرج فامتنع عليّ به مادام لي رفق

وحكي أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأثنأ يقول :
إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج وجيئك الأموال حجتا
يوم يأتي الناس بالهيج لا أتاح الله لي فرجا يوم أدعو منك بالرج

وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيّد في وقت زعجه فلم عليه فلم يجبه ثم أحاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجل ما أخبرتك به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلمها مر فيه غير الله حبيته عنه وحكي عن العتمة قال كنت فيمن حضر الحسك بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان قد ذكرت محاسنه فأفاق فقال من الشك؟ فقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لي إني بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلنا فقال يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا ألتلق ولا أجزع وإني لا أعلم أتى صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأصحابه لهذا الرجل الصالح علف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله وعن النازلي قال دخلت على شيخ من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يتكلم أن تعمل ما يزيد فارق بي . ودخل بعض الشاذلي عن محمد الدينوري في وقت وفاته فقال له فضل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على اللجنة بما فيها لما أعرتها طرفي . وقيل لرويم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لا أحسن غيره ولما حضرت الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل المزني على الشافعي رحمه الله عليه بما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا حلالا ولاخوان مفارقا لسوء عملي ملاقيا ولكأس الية شاربيا وطى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال
قال فارسي : علم اليقين
لا اضطراب فيه
وعين اليقين هو
العلم الذي أودعه
الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نعت
اليقين كان علما
بشيء فاذا انغم
إليه اليقين كان علما
بلا شبهة وحق اليقين
هو حقيقة ما أشار
إليه علم اليقين وعين
اليقين . وقال الجنيّد
حق اليقين ما يتحقق
البعد بذلك وهو
أن يشاهد القيوب
كما يشاهد المراتب
مشاهدة عيان
ويحكم على القلب بفخر
عنه بالصدق كما أخبر
الصدق حين قل لما

ولسا قسا قلی وصات مذاهبی جملت رجائی نحو غفوک سلا
تصاظمی ذنبی فلما فرسته بسفوک ربی کان غفوک أعظم
فلما زلت ذا غفو عن الذنب نزل تجود وتغفو منة وتكرما
ولولاک لم بنوی بإبلیس عابد فكيف وقد أغوی صنيک آدم

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لأدري أينفتح بالسعادة أو الشقاوة فأن لي أوان الجواب فنهض أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحلم فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للعصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل النفقة فالتأنيذ بهم مشاهدتها بالإقصاد لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لبعالة على الجنائز يعمدون ويحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يشكرون أن الممولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانيهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدّر تحسه محولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعه في غدا أو بعد غدا . ويروي عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر . وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا راغمون موعظة بلغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له . وقال أسيد بن حضير مشاهدت جنازة فحدثني نفس شيء سوى ما هو مفقود به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرنت إليه ولا أعلم ما دامت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نغزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا ندري إلا متحنا با كيا فكذلك كان خوفهم من الموت والآل لا ينظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثروا يضحكون ويلهون ولا يشككون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الجلبه التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه النفقة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونفعل ونشتغل بما لا ينينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه النفقة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكائهم على الميت ولو غفلوا السكوا على أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الثيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترجمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أحوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الحاتمة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن الصلاح : جلست إلى جرير وهو يعلى على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

نروعا الجنائز مقبيلات ونلوه حين تذهب مدبرات
صكروعة ثلة لمعار ذئب فلما قاب عادت راتمات

فمن آداب حضور الجنائز التمسك والتنبه والاستعداد والتي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا وإساءة الظن بالنفس ومن كان ظاهرها الصلاح فان الحاتمة خطيرة لا تندري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أبيئت لبيالك » قال الله ورسوله وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للوأم وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين للحواص الأولياء وحق اليقين للأتبياء عليهم الصلاة والسلام وحق اليقين انخص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (ومنه الوقت) والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جوارته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله بأبنا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذي خطايا ، وعجى أن رجلاً من قديميكم في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم يجد امرأته من بينها على حمل جنازته إذ لم يدرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتا إلى الصلي فحاصل عليه أحد خدمتها إلى الصحراء فدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالتنظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد زل يصلى على فلان فخرج أهل البلد فصرى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلت عليه فانه مغفوره فزادته حب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولاً جرب الحجر فقال انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يغرق من سكره وقت الصبح يبذل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشغل بالفسق ، والثاني أنه كان أبداً لا يخلو بيته من بيتي أوثيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم ، والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يسمى نفسه قاصراً الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تخرج منها تخرج من ذي عظمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

(بيان حال القبر وأقاربهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهّد الناس قال من لم ينس القبر والي وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبق على ما يفي ولم يبدّ غداً من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور ^(١) . وقيل لم يترك الله وجهه ما شأنك جاورت للقبرة قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ «مارأيت منظرًا إلا والقبر يقطع منه» ^(٢) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فيبكي ويبكي فقال ما يبكيك فلنا بكربا لك قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ^(٣)»

(١) حديث الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهّد الناس قال من لم ينس القبور والي (٢) الحديث تقدم (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر أمّني بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي الحديث وتقدم في آداب الصحبة أيضاً ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هاني ضعه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

ما على العبد وقته فانه كالسيف بعض الوقت يحكه ويقطع وقد يراد بالوقت ما يجمع على العبد لا يكبه فيتصرف فيه فيكون يحكه يقال فلان يحكم الوقت يسمى مأخوذاً عما منه بما للحق . (ومن القصة والشهود) فالشهود هو الحضور وقتا بنت الرافقة ووتسا بوصف الشاهدة في إدام العبد موصوفاً بالسمود والرعاية فهو حاضر فإذا قصد حال الشاهدة والرافقة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد ينون بالقصة

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحية فمثل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد» وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فنزل وصلى ركعتين فقبل له هذا ثم لم تسكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلمك ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الله وبيت الوحدة وبيت العزبة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فلما أعددت لي . وقال أبو ذر أبلغكم يوم قفري يوم أضع في قبري وكان أبو الذر داء يقعد إلى القبور فقبل له في ذلك فقال أجلس لي قوم يذكرون معادي وإذا قتلت لم يتأبوني وكان جعفر ابن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا أهل القبور مالي إذا دعوتكم لتجيئوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جواني وكأني بـ أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع النجور . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرتقت الليلة أنضكر في القبر وما كنت إنك لورأيت لبيت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنىس منك به ولأرأيت بيتا يحول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتغترقه الدبدبان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح وتقاء الثوب قال ثم شق شقة خر مشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيها القبور في حفرته والتخلي في القبر ووحده للسناس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشرت والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بخوانه للتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يغور الثور وقال حاتم الأصم من مر بالقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول بأمانه ليتك كنت بي غنياً إن لايتك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه إن أجبت من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلت وإن أجبت من قبرك منعته وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القابر يقول ما أحسن ظواهركم إنما النواهي في بواطنكم وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول يا أهل القبور من قوم أمواته وعائنت أعمالكم فواعلموا ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك ذأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجدته روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدته حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً فسكن إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجون لى أعمل صالحاً فبأ تركت يرددها ثم يرد على نفسه يارب رب ارجعتك فاعمل وقال أحمد بن حنبل تعجب الأرض من رجل يهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بنى أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في دنائهم وعيشهم أما زام صرعى قد حلت بهم الملائك واستحك فيهم البلى وأصاب الهوام مقبلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمّن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت القابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائلاً يقول يا ثابت لا يفر منك صوت أهلها فكفر

الغيبه عن الأشياء
بالحق فيكون على
هذا المعنى حاصل ذلك
راجعا إلى مقام الفناء
(ومنها الذوق والشرب
والرى) فالذوق لإيمان
والشرب علم والرى
حال فالذوق الأرباب
البواده والشرب لأرباب
الطوالع والسوائج
والاوامع والرى لأرباب
الأحوال وذلك أن
الأحوال هي التي تستقر
فما لم يستقر فليس
بمال وإنما هي لوازم
وطوالع وقيل الحال
لا تستقر لأنها تحوّل
فاذا استقرت تكون
مقاما (ومنها المحاضرة
والكشفة والشاهدة)
فالمحاضرة لأرباب
التساوين والشاهدة

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحية وفيه إن القبر أول منازل الآخرة التي تمضي وحسنه وابن ماجه والحاكم ومحمد وتقدم في آداب الصلوة .

من نفس مغمومة فيها ، وروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فظلت وجهها وقالت :

وكانوا رجالاً ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا القسطاط ودخلت
المدينة فسمعوا صوتاً من جانب البقيع أهل وجدوا ما قصدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعروا
فاقبلوا . وقال أبو موسى التيمي : توفيت امرأة الفرزدق غمرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم
الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منسختين سنة
فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني أشد من القبر التهاباً وأضيافاً
إذا جاءني يوم القباسة قائداً عفيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولادكم من مشي إلى النار مغلول القلادة أزرقا
وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على سائلها من منكم للتمود في ظلماتها
ومن للعصر منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لدى اليون فواحد لا يستبيز الفضل في درجاتها
لو جابوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما الطبع فتازل في روضة يفضي إلى ماشاء من دوحاتها
والجبرم الطاغى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسمى إليه فروجه في شدة التعذيب من لدعاتها
ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا
فكيف أذوق طعام السكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابنه بأى خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشياً عليه . وول مالك بن دينار
مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أبيت القصور فادبتها فأبى العظم والمختر
وأبى الدل بسلطانه وأبى الزكي إذا ما افتخر
قال فرديت من بينها أصمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

تفانوا جميعاً فما خبر وماتوا جميعاً ومات الخبر
تروح وتندو بات الترى فتمحو محاسن تلك الصور
قياساً على عن أناس مضوا أما لك فيها ترى معتبر

قال فرجعت وأنا بالك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوباً على قبر :

تاجيك أجدات وهن صود وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لتسير بلاعه لمن تجمع الدنيا ومات موت

لأرباب التحسين

وللكاشفة بينهما إلى
أن تستقر فالشاهدة
والمحاضرة لأهل العلم
وللكاشفة لأهل العين

والشاهدة لأهل الحق
نبي حق اليقين (ومنها)
الطوارق والبوايدى
والبأساء والواقع
والقاصد والطواليع
واللوامع واللاواعج
وهذه كلها ألفاظ

مقاربة للمعنى ويمكن
بسط القول فيها
ويكون حاصل ذلك
راجعا إلى معنى واحد
يكثر بالعبارة فلا فائدة

فيه والقصد أن هذه
الأسماء كلها مبادئ
الحال ومقدماته وإذا
صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيها غاتم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع القبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه بينهم

وقال ابن السكك مررت على القابر فاذا على قبر مكتوب :

يعر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفوا
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديوى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فبالله أسرع ما نسو

ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب يختلس لا ينسج اللوت يوتاب ولا حرس
فكيف تفسر بالدينا ولقتها بأمن يد عليه اللفظ والنفس
أصبحت باغافلا فى النفس منفسا وأنت دهرك فى اللذات منفسى
لا يرمى اللوت ذا جهل لفرته ولا الذى كان منه السلم يقتبس
كم أخرس اللوت فى قبر وقت به عن الجسواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف قهرك اليوم فى الأجدات مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأيت عيناى بينهم مكانى
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل صار لقمان إلى رسمه
فأين ما بوصف من طبه وحذقه فى الساء مع جسسه
هبات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل نصر بى عن بلوغه الأجل
فلتلق الله ربه رجلا أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى قلت حيث ترى كل إلى مثله سيقفل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتعصير سكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصر هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستمد للحقوق بهم ويبلغ أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم ولينحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضى له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بخلافها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تنصيره فيتخلص من العقاب وليستزبد الوفاق به ربته فيضاعف له الثواب فانهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقضاءه حسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة وأهلك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضى لها فوطن نفسك على التضرع على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتداء قد قال بعض الصالحين رأيت أخا لى فى الله فيها يرى النائم قفلا يفلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يسى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفوننى لأن لانا

هذه الأسماء كلها

ومعانيها .

(ومنها التلويح

والتمكين)

التلويح لأرباب

القلوب لأنهم تحت

حجب القلوب وللقلوب

تخلص إلى الصفات

والصفات تعدد بتعدد

جهايتها فظهر لأرباب

القلوب بحسب تعدد

الصفات تلويحات ولا

تجاوز للقلوب وأربابها

عن عالم الصفات وأما

أرباب التمكين

تفرجوا عن مشائم

الأحوال وخرقوا

حجب القلوب

وباشروا أرواحهم

سبطوع نور الذات

فارتفع التلويح لعدم

قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أندر على أن يسليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها .

(بيان أقوالهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أوفرب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة الموكنا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا ينظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به في القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلقى التأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسمها وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يمزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله (١)» وإنما ذكر السقط تنبيها بالأذى على الأهل وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لدواد عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فبقي له ما كان عدله عنده قال ممل الأرض ذهابا قيل له فان لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنتان قال أو اثنتان (٢) ويلخص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرحم دعاء وأقرب إلى الإجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم . ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد ذهبت له ما صبر فيه من برى فهب له ما صبر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعني به مامتنعي ووقيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت أؤتمنه طاعتك وطاعتك اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي قد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تمذه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ماعليا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فاقدم مضينا وتركنك ولواقتنا ما نضعناك . ونظر رجل إلى امرأة البصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يبركني فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عبد الأحمى وكان لي صبيان مليحان بابن فقال أكرها للآخر أزيد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شمرنا به إلا متشجعا في دمه فلما ارتفع الصراع هرب القلام فاجأ إلى جبل فرمقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فبات عطشا من شدة الحر قالت فأرادني الدهر كما ترى فأثقال هذه المصائب ببني أن تتذكر عند موت الأولاد ليقضى بها عن شدة الجزع فإمن مصيبة إلا ويصور ما هو أعظم منها وما يفهمه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكير والاعتبار بقبور الصالحين مستحبة لأجل التبركع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله ثم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلى من فارس أخلفه خنفي (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم الحديث تقدم في السكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كنت نهيكم عن زيارة القبور فزورها» ما فيها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا (١) وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ (٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار (٣) كأوردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقيمت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقيمت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسي على قبرها قالت نعم ثم أمرها (٤) ولا ينبغي أن يتمسك بهذا يؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فانهن يكنن المخرج رءوس المقابر فلا يبي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزيارعة فكيف يعتدل ذلك لأجلها ، نعم لأبأس خروج المرأة في ثياب بدلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاختصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زار القبور تذكر بها الآخرة واغسل اللوتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنازة لعل ذلك أن يعزرك فان الحزين في ظل الله (٥)» وقال ابن أبي مليكة قال رسول ﷺ «زوروا موتاكم وسلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة (٦)» وعن نافع أن ابن عمر كان لا يبر قبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فصلى وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًا (٧)» وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين (٨)» وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث علي كنت نهيكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له وإيقل أحمد وأبو يعلى غير أن لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جعدان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري صلص وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأحسن متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا مع قريمان ألفوا كتاب وفيه أنه يأذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنتني أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقيمت عائشة يومان من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقيمت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسي عليها قالت نعم ثم أمرها ابن أبي الدنيا في القبور راسد جد (٥) حديث أبي ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل اللوتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم إسناده جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلوا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا في هكذا مرسلًا وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًا الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان رفته وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزرائ عن محمد بن جعدة

أن ما كوشف له من الحقيقة لا يوارى عنه أبدا ولا يمتاخص بل يزيد وصاحب التسليو قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون يسوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للممتنى والوقت للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه إشارة منه إلى أن المبتدى يطرقة من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والتمنى صاحب نفس

« من زار قبري قد وجبت له شفاعتي » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محتسبا كنت له غنيا وشهدا يوم القيامة » (٢) وقال كعب الأجار: مامن جبريطلع إلا زلسمون ألقامن لللائكة حتى يغفوا بالقبور يضربون بأجنحتهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط منهم صنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج من سبعين ألفا من اللائكة يوقرونه. والستجب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجه البيت وأن يسلم ويسلم القبر ويسلمه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى. قال نافع ابن عمر رأيتهم مرة قفاؤا كثيرا يمشون إلى القبر فيقولون السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي بن مسعود وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه اقتنع الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » (٣) وقال سليمان بن سعيد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفعلهم قال نعم وأورد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجعدي رأيت عاصم في منامي يمد يده بيديني قلت أليس قد كنت قال بلى قلت أين أنت فقال أنا واقف في روضة من رياض الجنة أنا وقرن من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله الذي فتلا في أخباركم قلت أجاؤكم أم أراؤكم قال هيأت إلي الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تملكون زيارتنا إياكم قال نعم نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخبرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن اللواتي يملكون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر أبل طلع الشمس يوم السبت علم البيت زيارته قبل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يخلف إلى الحياطة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب القابر فقال أنس الله وحشتكم ورحم غريبتكم ونجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فأنصرفت إلى أهلي ولم آت القابر فأدعوا كما كنت أدعو فينأ أنا نائم إذا بنحاي كثير قد جاءني قلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل القابر قلت ما جاءكم بكم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند أنصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب النجرائي رأيت رابعة المدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشر بن غالب هداياك تأتيها على أطباق من نور حمرة بتبادل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخرم بتبادل الحرير ثم أتى به البيت فقيل له هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما البيت في قبره إلا كالنريق الثوث ينتظر دعوة تلتحق من آية

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس ومجهم بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حدث من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة محتسبا كنت له غنيا وشهدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن ميمون ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه ومعه عبد الحق الشيبلي .

متمكن من الحال
لا يتناوب عليه الحال
بالنية والخصور بل
تكون الواجبه
مقرونة بأفانسه مقبیه
لا تتناوب عليه وهذه
كلها أحوال لأربابها
ولهم منها ذوق وشرب
والله ينفع ويركهم
آمين

[الباب الثالث
والستون في ذكر
شئ من البدييات
والتهليات ومهمها]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهرودي قال أنا
الشریف أبو طالب
الحسين بن محمد الزبي
قال أخبرنا كريمة
الروزية قالت أخبرنا
أبو الهيثم محمد بن مكي

أخيه أوصديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هديا الأحياء للأموال
الدعاء والاستغفار^(١) . وقال بعضهم مات أنح لى فرأيت في المنام قفلة ما كان حالك حيث وضعت
في قبرك قال أنأتى آت بشهاب من نار فولا أن داعيا دعائى لرأيت أنه سيضربى بهومن هذا يستحب
تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي «شهدت أبأمامة الباهلى وهو في
الترج فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إدامات أحدكم
فسوئتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب
ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا
رحمك الله ولكن لاتسمعون فيقول له اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنتك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا والقرآن
إماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا بقعدنا عندنا وقد لقن حبيته
ويكون الله عز وجل حبيبه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى
حواء^(٢) . ولا بأس بقراءة القرآن على القبر روى عن بن عمر موسى الحداقال: كنت مع أحد بن
حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضربه بقبره عند القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أحمد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال قل هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن
اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقله بقرأ . وقال محمد
ابن أحمد الروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلت المقابر فاقرأ فاتحة الكتاب والمواعظ وقل
هو الله أحمدوا وجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقيمت من الشام إلى البصرة
فزلزلت الحفنة فظهرت وصليت ركعتين بابل ثم وضعت رأسي على قبر فسمعت ثم نهبت فإذا صاحب القبر
يشتمكبي يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لاتعدون ونحن نعلم ولا تقدر على العمل ثم قال للركتان
اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خير أقرهم السلام فانه قد يدخل
علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالله صود من زيارة القبر للزائر الاعتبار بها وللزور الانتفاع بدعائه
فلا ينبغي أن يفعل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور
في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبيت من قبره وأنه على القبر سيلعب به كما روى
عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت محجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل
تحزمت ثم قامت إلى المهراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبر فليغنى بها عتبت في كثرة آياتها للمقابر

الكشعبي قال أنا
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القبري قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن ابراهيم
البخاري قال حدثنا
الحسين بن علي بن
سفيان بن عيينة قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأنصاري قال أخبرني
محمد بن ابراهيم النيسبي
أنه سمع عاتمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله
عنه يقول على التبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
«إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت
هجرته إلى الله
ورسوله فحجرتها إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ماليك في قبره إلا كالتفرق للفوت ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه وأصدق له
الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن
عبد الواحد قال الذهبي حدث عن هشام بن عمار بحدث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت أبأمامة الباهلى وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسوئتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا باسناد ضعيف .

قالت إن القلب القاسى إذا جفأ لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآنى القبور فكأنى أنظرو قد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه النضرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجناف الذمعة فيألفها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنسل مرارتها للأفئس وأشد ثلما للأبدان بل يبنى أى يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فمجب من تغير صورته لشدة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لورأيتى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت المحدثان فسألتا على الحدين وتقلعت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفثع الفم وتآ البطن ففلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من الناخرارأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب التناء على الميت والأبذكر لإلجاليل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تنفوا فيه»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فانهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار لحسبهم ما هم فيه»^(٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها ثرا فقال عليه السلام وجبت ومرو بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأه عمر بن ذلك فقال إن هذا أنتميت عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أنتميت عليه ثرا فوجبت له النار وأنتم شهداء لله فى الأرض»^(٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البديوت فىنى عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى ملائكتك أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى ونجاوزت عن على فى عبيدى»^(٥)

(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى فحة الصور)

(بيان حقيقة الموت)

اعلم أن الناس فى حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عقاب للعير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للحددين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه بعد الموت ولا يتألم يعقاب ولا يتنعم بشواب مادام فى القبر إلى أن يعاد فى وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لاتنعدم بالموت وإنما الثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبث ولا تنحصر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تنفوا فيه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جيد مقتصر على ما ذكر منه هنا يلفظ هلنكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها ثرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة إن البديوت فىنى عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من حيراته الأدين بخير لإلقال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبادى على ما علموا وغفرت لهم أعلم.

(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر)

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١) أولة العمل ومحسبها يكون العمل وأهم ما للمريد فى ابتداء أمره فى طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزأ بزهم ويجالس طائفتهم لله تعالى فإن دخوله فى طريقهم هجرة حاله ووقته. وقد ورد «الهاجر من هجر ما نهاه الله عنه» وقد قال الله تعالى - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله - فالمريد يبنى أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامة بدنية وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها تتبطل باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد تنأى بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فينتقل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يعود أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يعود أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج شع فيه وبسدة تنع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح المعالة للعائلة للمدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استصغى عليها بعضها للموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام القوم ولذلك الأفرح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفرح والعلوم ولا بطل منها قبولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو المعنى الذي يدرك للعلوم والآلام والذات وذلك لا يموت أى لا ينعدم ومعنى للموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمان خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالوقت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية . نعم تغير حاله من جهتين : أحدهما أن تسلب منه غيبه وأذنه ولسانه وبدنه ورجله وجميع أعضائه وتسلب منه أهله وولده وأقارب وسائر معارفه وتسلب منه خيله ودوابه وغلاته ودوره وعقاره وسائر أملاكه والآخر بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فإن اللوم هو القراق والقراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبي الرجل عن الملك والملك والألم واحداً من الجانبين ، وإنما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحمره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقتها بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجهه وعقاره حتى إلى قرص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا يذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ دخل بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكتشفاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكتشفاً له في النوم والباس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسنه وسيئانه وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران القراق أعنى فراق ما كان يطعمه إليه من هذه الدنيا القانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ التصديق

يخرج إلى طريق القوم فله تعالى فانه إن وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمثل وإن أدرك الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخيراً تأبوزرعة إجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الخليلي قال سمعت الجنيدي يقول أكثر العوائق والحوائل والوائع من فساد الابتداء فالمرید في أول سلوكه هذا الطمـريق يحتاج

بفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لئنه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد سبق عنه ويكون حال النتم بالدنيا المظلمين إليها كحال من تتم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمة اعتياده على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتساهل من قبض أوصاله فأخذه الملك بنته وعرض عليه جريدة قد دوت فيها جميع فواحشته وجناباته ذرة ذرة وخطوة

خطوة والملك قاهر مبسلط وغور على حرمه ومنتم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى هذا للأخذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك بمن الخوف والحجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الليث الفاجر للفتن بالدنيا المظلمين إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نمود بالله منه فإن الحزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال الليث عند الموت شاهدها وأولو البصائر عشايدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف القلاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى (١) » فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما لأدون فهذا كحال الروح بعد الموت ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فريحين - ولما قتل صناديل قريش يوم بدر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فبلى وجدتم ما وعد ربكم حقاً فبلى يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أنهم لا يسمع لهذا الكلام منك إلا أنهم لا يقدرون على الجواب (٢) » فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة ما يتغير حاله فقط وأن ماسيكون من شقاوة الليث وسعاضته يتعجل عند الموت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال (٤) »

(١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح ، تنق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويستلونك عن الروح - وقد تقدم (٢) حديث ندائه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً الحديث مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفرة النار وروضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجاء والخوف (٤) حديث أنس الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغدوة والعشية الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام النية وإحكام النية تزويجها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك . وكتب بعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصعب من يله حسن النية . قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع عاقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال على كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر وغدى ورشح عليه برزقه من الجنة (١) » وقال مسروق ما غبط أحدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمشي يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما تحب لمن قال الموت قلت قال لم يمت قال يقل ماله وولده وإن أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن والموت إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا والأنس بمن لا يد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوى الله وذكره والأنس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل يلقى في سجن فأخرج منه فهو يتنفس في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من نجى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوه ومعاشاة التبهات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعم والهدايا وأكل الذات للتبذير الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله وأرضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا وبالآخره وبالبايع لا يابست قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه ما أفل التفاته إلى ما باعه إذا فارقته وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدرك الموت عليه فينتير والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة فلماذا عظم النعم لدفع النعم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعاني ذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعم يدركه الشهيد كما أنقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحداث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أذكرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى يشرك الله بالخير فقال إن الله عز وجل قد أحياك وأبقاه بين يديه وقال تمن على عبدی ما شئت أعطيك قال يارب ما عبادتك حتى عبادتك أتى عليك أن تردني إلى الدنيا فأناقتك مع نبيك فأنتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إلى الإلحاق (٢) » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا ثلاثة واحدة فكنت أشتهي أن أزد فأقتل فيه ثلاث . واعلم أن المؤمن يشكك له عقيب الموت من سعة جلاله الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

الريد المبتدئ التبري
من الحركات للذمومة
ثم النقل إلى الحركات
المعومة ثم التردد
لأمر الله تعالى ثم
التوقف في الرشاد ثم
التيب ثم البيان ثم
القرب ثم المناجاة ثم
المصاداة ثم الموالاة
ويكون الرضا والتسليم
مراده والتفويض
والتوكل حاله ثم ين
الله تعالى بعد هذه
بالمعرفة فيكون مقامه
عند الله مقام للتبرين
من الحول والقوة
وهذا مقام حملة العرش
وليس بعده مقام
هذا من كلام سهل
جمع فيه ما في البداية
والنهاية ومعنى تحمك
الريد بالصدق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر ابن ماجه بسند ضيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا فان (٢) حديث عائشة ألا أذكرك يا جابر الحديث وفيه إن الله أحيا أباك فأقمه بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في الموت باسناد فيه ضعف ولترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أذكرك بما لقي الله به أباك قال بلى يارسول الله الحديث وفيه قال يا عبدی تمن على أعطاك قال يارب تحييي فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجعون.

إلى بستان واسع الأكثاف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً قال لرجل مات «أصبح هذا مرتعلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قدرضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسره أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه» (١) «فرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عجزه حتى إذا رأى الضوء وضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه» (٢) وكذلك المؤمن بمجرد أن يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلاناً قد مات قال مستريح أو مستراح منه» (٣) وأشار بالمستريح إلى المؤمن والمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب الشفا مرتباً ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا ترى شيئاً وإنما الأرواح التي تعاقب وتتاب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليسلوه ويكفونوه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلات تذهب حيث شاءت وقال الثعالب بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على التبر يقول ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل اللباب يمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض على أوليائكم من أهل القبور» (٤) ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إن أعوذ بك أن أعمل عملاً آخرى بعد عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في حواصل طير يبيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فان كان قدرضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسره أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عجزه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بنية عن جابر بن عاثم السلفي عن سليم بن عامر الجائزي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قد مات قال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة بالفظ مرّ عليه بجملة قال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في اللوث باللفظ الذي أورده للصف (٤) حديث الثعالب بن بشير ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل اللباب يمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدّى عن الثعالب عن قول الله الله ورواه بكاه الأزدي في الضعفاء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في المرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية عن مالك بن أدّى وهمل عن أبيه أن كلا منهما يجهول قال الأزدي لا يصح إسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدّى (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم ببيات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والحاملي بإسناد ضعيف وأحمد من رواية من سمع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث .

والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحق صدقه وإخلاص شيء مثل متابعة أمر التبرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على أهل البدايات لوضع نظرم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغراً» إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقبيل بآدابهم . قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغراً» إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقبيل بآدابهم .

صلى الله عليه وسلم يقول «إن للبت يعرف من يسلمه ومن يحمله ومن يدلّه في قبره» (١). وقال صالح المري بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم كيف كان ما واكله وفي أي الجنتين كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن حمير أهل القبور يترقبون الأخبار فإذا أتاهم اللبت قالوا ماض فلان ؟ فيقول ألم تأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إن الله وإنا إلهираجون سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كاستقبل الغائب . وقال مجاهد: إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره . وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يلتقي البشرى في الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال ما قبل قالوا إن الله وإنا إلهираجون ذهب به إلى أمه الهاوية» (٢).

(بيان كلام القبر للبت)

وكلام الموتى إما بلسان القال أو بلسان الحال التي هي أفصح في فهم الموتى من لسان القال في فهم الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للبت حين يوضع فيه يحكي بإذن آدم ما غرك في ألم تعلم أتى بيت الفتنة وبيت الظلة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك في إذ كنت تحمى فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه عجيب القبر فيقول أرايت إن كان يأمر بالعرف ووفيهي عن التكر فيقول القبر إنى إذا انحول عليه خضرا ويود جسده نورا وتعد روحه إلى الله تعالى» (٣). والقذاذهو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى . وقال عبيد بن حمير اللبتى ليس من ميت عوت إلا ناداته حفرة التي يدفن فيها أنا بيت الظلة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دحلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثيرا . وقال محمد بن صبيح بلسان الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من اللوى أيما التخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبرا أما كان لك في متقدمنا أيما فكرة أمارأيت انقطاع أعمالنا عناوات في الهمة فهلا استدركت ما فات إخوانك وتنادى بقاع الأرض أيما للقر بظاهر الدنيا هلا عبرت عن عيب من أهللك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قلبك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا لها داء أجنته إلى المنزل الذي لا بد له منه . وقال يزيد الرقاشى بلغنى أن اللبت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله لم أنطقه الله فقالت أيما العبد التفرد في حفرة انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا تيس لك اليوم عندنا . وقال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجى ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليك عن غفلة سبيل لكم عليه قد أطال في القيام لله

الصدق فان الله تعالى

مع الصادقين وقد ورد

في الخبر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

«الصدق يهذى إلى

البر» ولا بد للمريد

من الخروج من الحال

والجاء والخروج عن

الحلق بقطع النظر

عنهم إلى أن يحكم

أساسه فيعلم دقائق

الموى وخماياتهنوات

النفوس وأشنع شئ

للمريد معرفة النفس

ولا يقوم بواجب حق

معرفة النفس من له

في الدنيا حاجة من

طلب الفضول

والزيادات أو عليه

من الموى بقية . قال

زيد بن أسلم: خصلتان

هما كمال أمرك تصبح

عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسيول لكم عليه قد أطال ظمأه في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه قد أنصب أنفسوا نيب بدنه وحج واجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقفت في يد الله تعالى ابتداء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فيفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويضع له في قبره مد بصره ويؤتى بتبديل من الجنة فيستغفره . بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن حمير في جنازة بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يسمع خطو مشيعه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرني وحذرت شقي وتنتي وهولي ودودي لماذا أعددت لي (١) » .

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبره من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى الله عليه وسلم ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يجب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروهم ما أعددت لهم من الكرامة فإني وعدته منها فخافناكم وفيها نعيذكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناله من إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبى محمد ﷺ قال فيقبره انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى - ثبت الله الذين آمنوا بالنار والالتفات - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فيشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول أنا عبدك الصالح والله ما علمت إن كنت لسيما إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجاءك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة واغشوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم محل جمل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبره من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لئنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وعلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكبره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نند وقل أي رب عبدك فلان لم تقبله ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروهم ما أعددت لهم من الشر إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نعيذكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناله من إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منثنى الريح قبيح الثياب فيقول أشر ببسخط من الله وببذاب أليم مقيم فيقول يشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عبدك الحبيث والله إن كنت لسيما في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن حمير بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يسمع وهو يسمع خطو مشيعه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورواه ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلقي ولم يرضه .

لاهم لله بمصيبة تسمى
ولا نهم لله بمصيبة فإذا
أحكم الزهد والتقوى
انكشفت له النفس
وخرجت من حجبها
وعلم طريق حركتها
وخفي شسوماتها
ودساتها وتلبساتها
ومن تمسك بالصدق
قد تمسك بالعروة
الوثقى . قال ذوالنون
فه تعالى في أرضه
سيف ما وضع على شيء
إلا قطع وهو الصدق
وهل في معنى الصدق
أن عابدا من بني
إسرائيل راودته
ملكة عن نفسه ،
فقال اجعلوا لي مادي
الحلال أنتظف به ثم
صعد على موضع في
القمر فمرى نفسه

فيقول وأنت جزاء الله شرأتم بقبض له أسمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع علي الثقلان لي أن يلقاها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضرب بها ضربة فيصير ترابا ثم تمود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسميها من على الأرضين ليس الثقلان قال ثم نادى ماذا أن افروا له لو حين من نار واتحوا له بابا إلى النار فيقرى له لو حان من نار ويغتنح له باب إلى النار (١) وقال محمد بن علي ما من ميت يموت إلا مثل له عند لوث أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسنة ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحجرة فيها مسك وبنثار الرمان فقتل روحه كانسل الشجرة من الجبن ويقال : أتتها النفس اللطيفة أخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضمت على ذلك المسك والرمان وطويت عليها الحريرة وبث بها إلى عليين وإن السكار إذا احتضر أتته الملائكة بمعج فيه بحجرة فتخرج روحه انزعاجا شديدًا وقال : أتتها النفس الجبشة أخرجي ساخطة ومسحوظا عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضمت على تلك الجرة وإن لها نقيشا ويطوى عليها السح ويزب بها إلى سبعين (٢) » وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لم لأعمل صالحا فإني تركت » قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتقرس القراس وتبنى البنين وتنفق الأنهار قال لا لملي لأعمل صالحا فإني تركت قال فيقول الجبار : كلا إنها كلة هو قال يا أي ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « للؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا وضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فياذا أزلت » فان له معبنة ضكنا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلب عليه تسعة وتسعون تفتنا هل تدرون ما التفتين ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رهوس يغشونه ويلجسونه ويغشون في جسمه إلى يوم يبعثون » ولا ينبغي أن يشجب من هذا العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بسدد الأخلاق للتمومة من الكبر والرياء والحسد والقتل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تشجب منها فروع معدودة ثم تقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعينها هي الهلكات وهي بأعينها تغلب عقاب وحيات قالوا في منها يبلغ لبغ التبتن والضعيف يبلغ لبغ القرب وما بينهما يؤدى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصرة هذه الهلكات والشباب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر محيية وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة وتراثبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف الشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا أحدها وهو الأظهر والأسمى

فَأَوْسَىٰ أَهْلَهُ تَعَالَىٰ إِلَى
مَلِكِ الْمَوَدَّ أَنَّ الزَّم
عَبْدِي قَالَ فَوَضَعَهُ
وَوَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ
وَمَعًا رَافِقًا قَبِيلَ
إِبْلِيسَ أَلَّا تُغْوِيَهُ
فَقَالَ لَيْسَ لِي سُلْطَانُ
عَلَى مَنْ خَالَفَ هَوَا
وَبَدَلَ نَفْسَهُ فَهُ تَعَالَى
وَبَيْنِي لِلْعَرِيدِ أَنَّ
تُكُونُ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
نَبِيَّةٌ فَهُ تَعَالَى حَتَّىٰ فِي
أَكَلِهِ وَشَرِبِهِ وَمَوْلُوعِهِ
فَلَا يَبْلِسُ إِلَّا هُوَ وَلَا
يَأْكُلُ إِلَّا هُوَ وَلَا يَشْرِبُ
إِلَّا هُوَ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا أَنْ
هَذِهِ كَلِمَاتُ أَهْلِ رَافِقِ
أَدْخَلَهَا عَلَى النَّفْسِ
إِذَا كَانَتْ هِيَ لَا تَلْتَاصِي
النَّفْسَ وَتَحِبُّ إِلَى
إِمْرَأَةٍ مِنْهَا مِنَ الْعَامِلَةِ
فَهُ وَالْإِخْلَاصُ وَإِذَا

(١١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكساً رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكامله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً (١٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا حضر أته اللانكة محررة فبها أمسك وضائراً الرمان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والزائر باقظ للصنف (١٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً الحديث ورواه ابن حبان

والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهى تلغى لى وللك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور للكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم المكنوت أما ترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بزلزل جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحى أم عليك وإن كنت أنت بوجوز أن يشاهد النى ما تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا فى لى وكا أن الملك لا يشبه الأديين والحيوانات فالحيات والغراب التى تلغى فى القبر ليست من جنس حيات علنا بل هى جنس آخر وتدر ك بحاسة أخرى [لقام الثانى] أن تذكر أمر النائم وأنه قد يرى فى نوم حية تلغى وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح فى نومه ويسرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويتأذى به كما يتأذى البقطان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواله حية والحية موجودة فى حق والعذاب حاصل ولكنه فى حق غير مشاهد وإذا كان المذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تخيل أو تشاهد [لقام الثالث] أنك تعلم أن الحية نفسها لا تؤلم بل الذى يلقا منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك فى الأثر الذى يحصل فىك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفى وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يفضى إليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الواقع مثلا من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة لتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لغيره لانه هذه الصفات للمساكنات تغلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لبغ الحيات من غير وجود حيات واغلب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المشوق فانه كان لئذا فطرات حالة مار اللذبة بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يمتنع عنه أن لم يكن قد تدمر بالعشق والوصال بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب اللى فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشد عذابه ويتنى ويقول لىته لم يكن فى مال قط ولا جاه قط فكنت لا تأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرض إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاتته من نعم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله محببه عن لقاء الله والنعم به فى نواله عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرتة على ما فاتته من نعم الآخرة أبدأ الآداد وذلل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يمدب به لإدخاله نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأمن بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فبهم أودعهم على محبته وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعم مع الأمن من الزوال أبدأ الآباد ولعل ذلك فليعمل العاملون والقصد أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلغى عنه غرق آثر الصبر على لدغ القرب ، فاذا لم فراق القرب عنه أعظم من لدغ القرب وجهه للفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليست هذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وتبيله بل يأخذ منه ميمم وبصره وأعضائه ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فاذا لم يحب سواء وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل فى شئ من رفق
النفس لأنه بغير نية
صالحة صار ذلك وبالاً
عليه وقد ورد فى الخبر
«من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيامة وريحه
أطيب من السك الأذفر
ومن تطيب لغير الله
عز وجل جاء يوم
القيامة وريحه أنقى
من الجيفة» . وقيل
كان أنس يقول طيبوا
كفى بمسك فان ثابتاً
يصالحي وقيل يدى
وقد كانوا يحسبون
اللباس للصلاة متفرقين
بذلك إلى الله يبتهم
فالمرء يذبحى أن يتفقد
جميع أحواله وأعماله
وتسواله ولا يسمع
نفسه أن تتحرك
بحركة أو تسلك
كلمة إلا أنه تعالى

من العقارب والحيات وكأ لوأخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عذابه فكذلك إذا مات لأن قدينا أن
 للتي الذي هو للمرك للآلام والفتات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأسباب
 يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولاسلوة
 بعد الموت إذ قد انسد عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قيس له ومنديل قد أحبه بحيث
 كان يشق عليه لوأخذ منه فإنه يتي متأسفا عليه ومعذبا به فان كان غضا في الدنيا سلم وهو للتي
 بقولهم نجا المخفون وإن كان مثقلا عظم عذابه وكأ أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من
 يسرق منه عشرة دنائير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو للتي بقوله
 صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين» (١) وما من شيء من الدنيا
 يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكر وإن شئت فاستقل
 فان استكرت فلست بمستكر إلا من الحسرة وإن استقلت فلست تخفف إلا عن ظهر لك وإما استكر
 الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فوراها وأطاعوا ألبها
 فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عذابه . رأى أبو سعيد الحدرى
 أبنا له قد مات في المنام فقال له يابني عظمي قال لا تخاف الله تعالى فيا يريد قال يابني زدني قال يا ب
 لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قيما فبالس قيما ثلاثين سنة . فان قلت فما الصحيح
 من هذه القامات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وانكر ما بعده ومنهم من أنكر
 الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإما اتفق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار
 أن كل ذلك في حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لفيق حوصله وجهله بانواع قدراته
 سبحانه ومجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأمن به وآلمه وذلك جهل وقصور بل
 هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يقاب بنوع واحد من هذه
 الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نموز بالله من عذاب الله قلبه وكثيره ، هذا
 هو الحق فصدق به تقليدا فيعز طي بسط الأرض من يعرف ذلك تحقيا والذي أوصيك به أن
 لا تنكر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشغل بعرضه بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان
 فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وحبه ليقطع يده
 ويجمع أنه فأخذ طول الليل يفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بوعسى وأهل طريق
 الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن البعد لا يخو بعد
 الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فاما البحث عن تفصيل
 العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

(بيان سؤال منكر ونكير وصورتها وضئطة القبر وقيمة القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أمه ملكان أسودان أزرقان يقال
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله
 ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم مسح له
 في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم فيقول دعوني أروح إلى أهلي
 فأخبرهم فيقال له ثم فيقام كنزومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعث الله من مضجعه
 ذلك وإن كان مناقها قال لأدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم

وقد رأينا من أصحاب
 شيخنا من كان ينوي
 عند كل لقعة ويقول
 بلسانه أيضا أكل
 هذه اللقعة لله تعالى
 ولا ينفع القول إذا لم
 تكن النية في القلب
 لأن النية عمل القلب
 وإما اللسان ترجمان
 فما لم تشتمل عليها
 غريزة القلب لله
 لا تكون نية وتنادى
 رجل امرأته وكان
 يروح شعره فقال
 هات للمدى أراد
 الميل ليفرق شعره
 فقالت له امرأته أجي
 بالمسدى وللرأة
 فسكت ثم قال ثم
 فقال له من معه سكت
 وتوضعت عن للرأة
 ثم قلت نعم فقال إنى

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسبا من صاحب الدرهمين لم أجده أصلا .

أنت تقول ذلك ثم يقال للأرض الشمس عليه فتلتزم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يمشه الله من مضجعه ذلك ^(١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاموا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك ففسادك وكفنوك وحطوك ثم احتملوك حتى يصفوك فيهم يملأ عليك القرب ويدفونك فإذا انصرفوا عنك أنك فتانا القبر منكروا ونكبر أصواتهما كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الحاطف يحران أشعارهما ويبحران القبر بأنيابهما فتلاك وترراك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ فقال عمر ويكون معي مثل عقل الآن ؟ قال نعم قال إذن ؟ كفيكم ^(٢) وهذا صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا لما بالآلام والذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تآثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الخلد والمدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكامله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحل له الموت ولا يطرأ عليه الدم . وقال محمد بن السكندر بلغني أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة بحمار صاوي يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه فتنتبه ولا تسمع صوته فتزحفه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فتحوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت البدان والله لقد كان يسقطي للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه وإن جاء من قبل يده جاءه كركه وصيامه وكذلك تنقب الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خلا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان تجاحش عنه أعماله الصالحة كما تجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم قاله عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فتم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال قال كناعم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة يجلس على رأس القبر ثم جل ينظر فيه ثم قال « يصفط المؤمن في هذا ضطة ترد منه حائله ^(٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لقبر ضطة ولو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ ^(٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما اتينا إلى القبر فدخله انقم وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا ثم ذلك ؟ قال ذكرت ضطة ابنتي وشدة عذاب القبر ، فأثبت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر ولآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاموا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلان ورواه ثقات قال البيهقي في الاعتقاد رويته من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسل . قلت ووصله ابن بطه في الأمانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد خرد به مفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أريد الإناء عو لنا فقال نعم كفيتم اليوم فقال عمر في الحجر (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فيجلس على رأس القبر ثم جل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بن حنبل في حديث عائشة إن لقبر ضطة ولو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات المدرى
بنية فلما قالت والمرأة
لم يكن لي في المرأة نية
توقفت حتى هيا الله
تعالى لي نية فقلت
نعم وكل مبتدئ
لا يحكم أساس بدايته
بمهاجرة الآلاف
والأصدقاء والمعارف
وبتمسك بالوحدة
لا تستقر بدايته ، وقد
قيل من قلة الصدق
كثرة الخطاء وأتبع
ماله لزوم الصمت وأن
لا يطرئ سمعه كلام
الناس فإن باطنه يتغير
ويتأثر بالأقوال المختلفة
وكل من لا يصلح كمال
زهده في الدنيا وتمسكه
بخفائيق التقصوى
لا يعرف أبداً فإن عدم

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام)

معرفة لا تخف عليه
خيرا ويواطن أهل
الابتداء كالشمع قبل
كل شئ وربما
استغفر المبتدئ بمجرد
النظر إلى الناس
ويستغفر بفضل
النظر أيضا وقبول
الشئ فيقف من
الأشياء كلها على
الضرورة فينظر
ضرورة حق أو شئ
في بعض الطريق فيجد
أن يكون نظره إلى
الطريق التي يسلكه
لا يلتفت بينه وبينه
ثم يبقى موضع نظر
الناس له وإحساسهم
منه بارتعابوا احتراز
فإن علم الناس منه
بذلك أضرم عليه من
ضوء الاستحقاق وقبول

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من سنة وأربعين جزءاً من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالبطارية عنه الزوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعا فتوضأ وضوءك صلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الزوم ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسل.

علاوة على علم للعامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك القصد وهو أن تعلم أن القلب مثال مثل مرآة تراهي فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور وثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوحة وتارة بالكتاب البين وتارة بإمام بين كما ورد في القرآن لطيف ما جرى في العالم وما يجري مكتوب فيه وموقوف عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغذ أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كتبت تطلب له مثلا بقره إلى فهمك فاعلم أن ثبوت القادر في اللوح ضاهي ثبوت كليات القرآن وحروره في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو فقت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن تفهم كون اللوح منه وشا جميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوحة في المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تراهي في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالتاب مرآة تقبل رسوم العلم واللوحة مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته وتفضي حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت ، فان هبت ربح حركت هذا الحجاب ورففته تالاً في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظ فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ، ومعنى النوم أن تحرك الحواس عليه فلا تورده على القلب فاذا غلب منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارضع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كانفع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا لخيال عن عمله وعن تحريكه لما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاك به عقال بقره وتكون التخييلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا اتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالتماسة التي بين التخييل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وبكتيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خاتما أخت به أفواه الرجال وفروج النساء قالت مؤذن مؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الحتم هو المع والجله يراد الحتم وإنما يكشف لقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه ما نال من الأكل والشرب وإسكن الخيال ألب المنع عند الحتم بالحتم تمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعن ولا يقيم في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه نبذة بسيرة من يمر علم الرؤيا الذي لا تنحصر بحال وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو حجب من الصنائب وهذا لأنه يشبه من وجه متعيب أن ترى كشف العطاء عن عالم اليب حتى صار التأم يعرف ما سيكون في المستقبل لماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف العطاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند المقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محذوفة بالأنسكال والمجازي والضائع خوفاً منه من ذلك وإما مكتوفاً بنعيم مقبم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال لا إشياء وقد انكشف العطاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاء فبصرك اليوم حديد - ويقال - أقصر هذا أم أتم لا تبصرون أصاها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم إنما تبصرون ما كنتم تعملون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - وبإلهام من الله ما لم يكونوا يحسبون -

المشي فان كل شيء من
قوله وفعل ونظر وسامع
خرج من حد
الضرورة جر إلى
الفضول ثم يجر إلى
تضييع الأصول . قال
سفيان : إنما حرموا
الوصول بتضييع
الأصول فكذلك من
لا يمسك بالضرورة في
القول والفعل لا يقدر
أن يقف على قدر
الحاجة من الطعام
والشراب والنوم ومضى
تسدى الضرورة
تداعت عزائم قلبه
وأخلت شيئا بعد شيء
قال سهل بن عبد الله
من لم يعبده اختيارا
يبدد الخلق اضطرابا
ويضيع على البسند
أبواب الرضى

فأعلم الماء وأحكم الحكاء. يتكف له غيب اللوث من المعائب والآيات ما لم يحظر قطيباه ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقب ثم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماداً يرتفع وبالماء يتكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة كان ذلك كافياً في استنراق جميع الصبر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأبائنا وذريتنا بأعضائنا وسمنا وبصرنا مع أننا لم نغفرك جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه يقول مقال لسيد النبيين «أحب من أحببت فانك مفارقة وعش ماشئت فانك ميت وأعمل ماشئت فانك مجزي به» (١) فلاجزم لما كان ذلك مكتوباً له بين اليقين كان في الدنيا كما برسيل لم يضع لينة على لينة ولا نصبة على نصبة (٢) ولم يتخذ حبيلاً ولا خيلاً نعم قال «لو كنت متخذاً خيلاً لأخذت أبابكر خيلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن» (٣) فإن خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبه قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب وقد قال لأتمة - إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - فانما أتمته من أتيمه وماتيمه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه ماداً إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة قد سلكت سبيله الذي سلكه وقد مر ما سلكت سبيله قدما أتيمته وبقدر ما أتيمته قد صرت من أتمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابته والتحت بالدين قال الله تعالى فيهم - فاما من ملنى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى - فلو خرجت من مكن التورود وأنصفت نفسك بأرجل وكلنا ذلك الرجل لعلت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لانسى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لما جل الدنيا ثم تطمع أن تكون غداً من أتمته وأتباعه ما أبدلتك وما أبدطعك أنفج السليكن كالجرمين ما لم كيف تحمكون - ولترجع إلى ما كنا فيه وبصده قد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولذكر الآن من اللامات الكاذبة لأحوال اللوث ما يظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت البشرات وليس ذلك إلا اللامات.

(بيان منامات تكشف عن أحوال اللوث والأعمال النافعة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رأى في المنام قدراً رأى خفاً فان الشيطان لا يمثل بي» (٤) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيت لا ينظر إلى قتل يارسل الله ماشاً في فائض إلى وقال ألت القبل وأنت صائم قال والذي نفسى بيده لا أنقل امرأة وأنا صائم أبداً. وقال العباس رضى الله عنه كنت وذا لعمر فاشتريت أن رأيت في المنام فما رأيت إلا عند رأس الحول فرأيت يحس المرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراخى إن كان عرشى ليد لولا أنى لقيته رءوفاً رحماً. وقال الحسن بن علي قال لي رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنع لى اليلة في منامى قتل يارسل الله مائتين من أمك قال ادع عليهم قتل اللهم أبادنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم لى من هو شرهم لى بخرج فضرى ابن ملجم وقال بسن الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يارسل الله استغفر لى فأعرض عنى قتل يارسل الله إن

والاستماع وبهلك مع
المالكين ولا ينبغي
لهبتدى أن يعرف
أحدًا من أرباب
الدنيا فان معرفته لهم
سم قاتل. وقد ورد
«الدنيا مبسوطة الله
فمن تمسك بمجل منها
قاده إلى النار» وما
جل من جالها إلا
كأنيابها والطالين
لها والمحبسين فمن
عرفهم انجذب إليها
هاه أو آهى وعجز
اللبتدى عن جمالة
الغفراء الذين لا يقولون
قيام الليل وصيام
التبار فانه يدخل عليه
منهم أشر ما يدخل
عليه بجمالة أبناء
الدنيا وربما يشيرون
إلى أن الأعمال غفل

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعى أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم.
- (٢) حديث لم يضع لينة على لينة ولا نصبة على نصبة تقدم أيضاً (٣) حديث لم يخلف ديناراً ولا درهما تقدم أيضاً (٤) حديث لو كنت متخذاً خيلاً لأخذت أبابكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن تقدم أيضاً (٥) حديث من رأى في المنام قدراً رأى فان الشيطان لا يتخيل في منقح عليه من حديث أبي هريرة.

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر بن محمد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل عليّ قال غفر الله لك ^(١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرني إياه في المنام قال فرأيت يلقب ناراً فسألت عن حاله قال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام واليالي قلت وكيف ذلك قال وله في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني أميمة فبشرني بولادة أمّنة إياه ففرحت به وأعنت وليدة لي فرحاً به فأناهي الله بذلك أن رضع عني العذاب في كل ليلة الاثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجاً فصبحت رجل كان لا يقوم ولا يمشي ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألت عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال قممت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك التم إذ غلبني عيني فمست فاذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أميمة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين تويين أخضرين قال لهم تتحوا لفسح وجهه يده ثم أتاني فقال قم قد يرض الله وجهه أريك قلت له من أنت بأبي أنت وأمي قال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم جالسين عنده فمست وجلست فبينما أنا جالس إذ أتني بلي ومعاوية فأدخلاني وأجيب عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن أخرج على رضي الله عنه وهو يقول فتش لي وزب الكعبة وما كان بأسرع من أن أخرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستقيظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم قال ألا تعلم ما صنعت أمي بدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرزفها إلى الله تعالى فبها الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بمثله في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تحول أبداً في لسانك هذا أوردني اللوارد لماذا فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة .

(بيان منامات للشايخ رحمة الله عليهم أجمعين)

قال بعض الشايخ رأيت منما الدورى في المنام قلت يا سيدي ما فعل الله بك قال يدبرني في الجنان قيل لي يا منما هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي قال لو استحسنت منها شيئاً لو كنتك إليه أو صلكت إلى دروي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله الزباز في النوم قلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه ففكر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فاني استحييت أن أقربه أو تفني في العرق حتى سقط لحم وجهي قلت ما كان ذلك القنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن ذكره وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقهاء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فزول ملكان أحدهما يده طلعت ويد الآخر إبريق فوضع الطلعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطلعت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن النكدر عن جابر ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

التعبدين وأن أرباب
الأحوال ارضوا عن
ذلك . وبني الفقير
أن يتصر على الفقراء
وصوم رمضان لحسب
ولا ينبغي أن يدخل
هذا الكلام صه رأساً
فانا اخترنا وما رنا
الأموال كلها وجالسا
الفسراء والصالحين
ورأينا أن الذين يقولون
هذا القول ويرون
الفسراض دون
الزيادات والنوافل
تحت القصور مع كونهم
أصحاء في أحوالهم فعل
العبد التمسك بكل
فرصة وفضيلة فذلك
يثبت قدمه في بدايته
وراعى يوم الجمعة
خاصة وبجملته تعالى
خالصاً لا يمزجه به

قال أحدنا للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم قلت يارسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت «الرمع من أحب» قال بلى قلت يارسول الله فأنى أحبك وأحب هؤلاء القوم قال صلى الله عليه وسلم صب على يده فإنه منهم وقال الجنيدي رأيت في المنام كأنى أنكم على الناس فوقك على ملك فقال أقرب ما تقرب به للقرىبون إلى الله تعالى ماذا قلت عمل خفي بيزان وفي قولى للملك وهو يقول كلام موفق والله ورؤى مجمع في النوم قليل له كيف رأيت الأمر قال رأيت الزاهد بن في الدنيا ذهبوا بحجر الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام لعمام بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فزول عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمراً فصمت منه فأشخص رجلاً يتنلى . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر للؤمن ولا تفره وقال صالح بن بشر رأيت عطاء السلي في النوم قلت له رحمك الله لقد كنت طويل الخزن في الدنيا قال أما والله لقد أغشى ذلك راحة طوية وفرحاً دائماً قلت في أى الدرجات أنت - فقال مع الذين أنعم الله عليهم من الصييين والصديقين - الآية . وسئل زرار بن أبي أوفى للناس أى الأعمال أفضل عندك فقال الرضا وضرر الأمل وقال يزيد بن مذكور رأيت الأوزاعي في المنام قات ياباً عمرو دلى على عمل أنظر به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المهزوين قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فبزل يسكى حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى في المنام قلت لأخى ما ضل الله بك فقال كل ذنب استغفر منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال على الطلسي رأيت في المنام امرأة لاتبته نساء الدنيا قلت من أنت قالت جواراء قلت زوجيني نفسك قالت اخطيني إلى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن أقاتها وقال إبراهيم بن إسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقيل لها ما ضل الله بك قالت غفرتي قلت لها بما أشتقت في طريق مكة قالت أما التفقات التي أنفقتها راجعت أجورها إلى أبي ربابها وغفرتي بنيتي ولما مات سفيان الثوري رؤى في المنام فقيل له ما ضل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت فيها يرى النائم جارية ماراً رأيت أحسن منها وكان يتلأأ وجهها نورا قلت لها لماذا ضو وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضو وجهي كما ترى وقال السكتاني رأيت الجنيدي في المنام قلت له ما ضل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا لحر ركتين كنا نصلهما في الليل ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها ما ضل الله بك قالت غفرتي لهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أنفى بها عمرى لا إله إلا الله أدخل بها نبرى لا إله إلا الله أخلجها وحيدى لا إله إلا الله التي بها ربي ورؤى بشر في المنام فقيل له ما ضل الله بك قال ردحتي في عز وجل وقال يا بشر أما استحييت منى كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤى أبو سليمان في النوم فقيل له ما ضل الله بك قال ردحتي وما كان ضو أضمر على من إشارات القوم إلى وقال أبو بكر السكتاني رأيت في النوم شاباً باراً أحسن منه فقلت له من أنت قال التنوي قلت فأين تسكن قال كل قلب حزني ثم التفت فإذا امرأة سوداء هفت من أنت قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح منى فإذا تابت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن إبليس وبني على فأخذت الصا لأضربه فلم يزع منها فنهت بن هانف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت إبليس في النوم يعني عرياناً قلت ألا تستحي من الناس قال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألبسهم طرفي التهار كما يتلاعب الصبيان بالسكره بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخزاز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي

من أسوأه فسه
وبآبها ويسكر إلى
الجامع قبل طلوع
الشمس بعد الغسل
للجمعة وإن اغتسل
قريبا من وقت الصلاة
إذا أمكنه ذلك غسن
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « يَا أَيُّهَا
هَرَّةُ اغْتَسِلْ لِلْجُمُعَةِ
وَلَوْ اشْتَرَيْتَ لِلْمَاءِ
بِشَاتِكَ وَمَا مِنْ
نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَمَرَهُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَغْتَسِلَ
لِلْجُمُعَةِ قَانَ غَسَلَ
الْجُمُعَةَ كَفَّارَةً لِلذَّنُوبِ
مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » وَيَسْتَنُّ
بِالصَّلَاةِ وَالتَّضَرُّعِ
وَالدُّعَاءِ وَالتَّلَاوُعِ وَأَنْوَاعِ
الذِّكْرِ مِنْ غَيْرِ قُرْآنٍ
إِلَّا أَنْ يَسْلِيَ الْجُمُعَةَ
وَيُعْلِسَ مَسْكُفًا فِي

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فجاء فوقفت على وأنا أقول شيئا من
الأسوات وأدق في صدرى قال شر هذا كثر من غيره. وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم
كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول للمثل هذا فليعمل العالمون فقلت له أوصني قال أقلل من معرفة
الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قيس بن عتبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضى عنك يا ابن سعيد
قد كنت قواما إذا أظلم الهدى بعيرة مشتاق وقلب عميد
قدونك فاخترني قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

وروى الشبلبي بعد موته بثلاثة أيام قيل له ما فعل الله بك قال ناكتني حتى أبيت فلما رأى بأسى تمدني
برحمته وروى مجنون بن حمار بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي وجملي حجة على
المحبين وروى الثوري في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رضى حقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال
هو من بلغ لي به في كل يوم مرتين وروى بعضهم فمثل عن حاله فقال: حاسبو نافذ قواهم سمنوا
فاعتقوا وروى مالك بن أنس قيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان
رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت وروى في الليلة التى مات فيها الحسن
البصرى كان أبواب السماء مفتحة وكان ناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو
عنه راض وروى الجاحظ قيل له ما فعل الله بك فقال :

ولا تكتب محظك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجندب إبليس في المنام عريانا فقال ألا تستحي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أنوام في
مسجد الشوزية قد أمتنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجندب فلما انتهت غدوت إلى المسجد
فرايت جماعة قد وضوا رءوسهم على ركبهم يشكرون فلما رأوني قالوا لا يشركك حديث الحبث
وروى الصراباذى بكلمة بعد وفاته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم
نوديت يا أبا القاسم أريد الاتصال انفصال فقلت لا بأذا الجلال لما وضعت في اللحد حتى لحقت برى ورأى
عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أذاك عاشقة فانظر لأتعمل من الأعمال شيئا
فيجال بينى وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لأرجع لى عليها حتى ألتاك وقيل رأى أيوب
السجستاني جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يضى عليها فرأى الليث بعضهم في المنام قيل له ما فعل
الله بك قال غفرت لي وقال قل لأيوب- قل لو أنتم تعلمون خزائن رحمتي وإدائكم خشية الاتفاق-
وقال بعضهم رأيت في الليلة التى مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدم روحه وقال أبو سعيد الشعام
ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدم روحه وقال أبو سعيد الشعام
رأيت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشيع قلت تلك الأحوال التى شاهدتها
فقال لمن عانا فقلت ما فعل الله بك قال غفرت لي بمسائل كان يسأل عنها المجزوق قال أبو بكر الرشيدى
رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصغار المؤدب :

وكنا على أن لا نعلم عن الهوى فقد وحياة الحب حلتهم وماحلتنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزر هذه الجمعة وقال ابن رشد رأيت
ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت ليس قد مات قال بلى قد مات صنع الله بك لغفرت لي مغفرة فأحاطت
بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال لا يخرجك ذلك - من الذين نهم الله عليهم من النبيين والصدقيين- الآية
وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمه الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت أيها عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصلى
فرض العصر ونية
النهار يشغله بالتسبيح
والاستغفار والصلاة
على النبي صلى الله عليه
وسلم فانه يرى بركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من يضبط
أحواله وأقواله وأفعاله
جميع الأسبوع لأنه يوم
المزيد لكل صادق
ويكون ما يجده يوم
الجمعة معيارا يحتسب به
سائر الأسبوع الذى
مضى فانه إذا كان
الأسبوع سليما يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأنوار والبركات وما يجد
في يوم الجمعة من الظلة
وسكينة النفس وقلة

قال أجلس على كرسى من ذهب وشرب على الخمر وأمر أن يرفع من أصحاب الحسن البصري ليلقنات الحسن كأن مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في منامى رجلا آدم طوا والوال الناس يتبعونه قتل من هذا قالوا أوبس القربى فأثبته قتلته أوصنى رحمك الله فكلح في وجهي قتلته مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر قهقهة عند معصيته ولا تخطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بصر الحضرى قتل ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قتلته فأبى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعمة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرأها . وبها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدما على أمر عظيم نمل ولا نعمل ونعملون ولا نلعبون والله لندسيحة أو نسيحان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام قتل ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بثلث الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت يا هادي المضلين ويا راحم الدينين ويا مقبل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والسليين كلهم أجمعين واجلنا مع الأحياء الرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة قتلته يا أبا عبد الله ثم نلت هذا فقال بالورع قتلته فقال قال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كبايرى السكوك ورأى رجلا من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظمي قال نعم من لم يفتقد النقص فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له . وقال الشافعي رحمه الله عليه دهمني في هذه الأيام أمر مضى وآلني ولم يطلع عليه غيري عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامى فقال لي يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لأملك لنفسى نقما ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا ألقى إلا ما أوقعتني اللهم فوفني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طبقا وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليك بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من الكاشفات تدل على أحوال اللوتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى . فلنذكر بعدها ما بين يدي اللوتى من ابتداء نقخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال البيت من وقت نقخة الصور إلى آخر الاستقرا في الجنة أو في النار وتفصيل ما بين يديه من الأهل والأحاطة] كوفي بيان نقخة الصور وصفة أرض المحشر وأهل وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودوابها وأسماءها وصفة السالة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الحصاد ورد اللظام وصفة الصرط وصفة الشفاعة وصفة الخوض وصفة جهنم وأهلها وأنسائها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطاتها وأثمارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة نقخة الصور)

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال البيت في سكرات اللوت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشطر الثاني من وقت نقخة الصور)

الانصراف فلا ضيع
في الأسبوع يعرف
ذلك ويعتبره ويتقى
جدا أن يلبس لباس
لما للرفع من الثياب
أو ثياب النقش في ليرى
بين الزهد قى ليس
لترفع لباس هوى وفي
لبس الحشن رياء فلا
يلبس إلا الله . بلغنا
أن سفيان ليس
القميص مقبولا ولم يعلم
بذلك حتى ارتفع النهار
ونبه على ذلك بعض
الناس فهم أن يخلع
ويشير ثم أمسك وقال
لمسته بنية الله فلا غيره
فألبسه بنية لباس فليعلم
البعد ذلك وليعتبره
ولا بد للبتدى أن يكون
له حط من تلاوة القرآن
ومن حفظه فيحفظ

وإبدانه ثم لشكر ونكير وسؤالهما ثم لذاب القبر وخطره إن كان منضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفع الصور والبهت يوم النشور والعرض على الجبار والتؤال عن القليل والكثير ونصب للزيان لحرقة القادير ثم جواز الصراط مع دقة وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالاستعداد وإما بالاشتغال فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها إيماناً بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبت من قلبك دواعي الاستعداد لها وإكثار الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويده أقدنهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر العصف ورد الشتاء ونهاهم بحر جهنم وزمهرير هاضع ما تنكتفه من اللصاعب والأهوال بل إذا استلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مديده لتأوله كان مصداقاً لبسائه وكذباً بصدقه وكذب العمل بلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ «قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينشئ له أن يشتمني وكذبني وما ينشئ له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولها وأما تكذبه فقله لن يصدقني أبداً» (١) «وإنما تقرر البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم الأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان نوال الحيوانات وقيل له إن صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الأدمي الصور العاقل التكلم التصرف لا تشد غور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى «أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين» - وقال تعالى «أعجب لأنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مئى ثم كان علقة مخلوق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» - في خلق الأدمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب بيته وإعادته في فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فتو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلاً وأسهل منها وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر ألا فيما يفرع مع سكان القبور من شدة نفع الصور فانها صيحة واحدة تنفجر بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك متغيراً بدنك من فرقك إلى قدمك من رآب قبرك مبهوتا من شدة الصمقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزهجم القزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من المغموم والعموم وشدة الانظار لعابية الأسر كما قال تعالى - وتنفع في الصور فضعف من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم شغل فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وهم آخضون له الكافرين غير يسر - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا لصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وتنفع في الصور فإذا هم الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بئسنا من فرقنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتق قانها نفخة وصيحة يسمع بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف أتم وصاحب الصور قد التقم القرن وحش الجبهة

(١) حديث قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينشئ له أن يشتمني وكذبني وما ينشئ له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أصل أو أكثر كيف أمكن ولا يصح إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه بعد تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم الريد ذكرها واحداً ليجتمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تضيده التلاوة والصلاة أو في ما يفيد الذكر الواحد فإذا سئم في بعض الأحيان يصانع النفس على الذكر معانسة وينزل من التلاوة

وأسمى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينبغ ^(١) قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام وضع فاه على القرن كهيئة البوق وداثرة رأس القرن كمرض السموات والأرض وهو شامخ بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينبغ النفخة الأولى فإذا شفع صعد من في السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يابث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحجى الله إسرائيل فيأمره أن ينبغ الثانية فنلك قوله تعالى - ثم شفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالفتح ألا فاقفوا النفخة ^(٢) فتفكر في الخلائق وذلم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبياء خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من معادة أو عقوبة وأنت فيها بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من الترفهين والأغنياء التمتعين ثلوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم بوطئون بالأقدام مثل الدرة وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أقبلت الشياطين للردة بعد تمردها وعتوها وأذغت خاشعة من هيئة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لعنشرهم والشياطين ثم لنحضرهم حول جهنم جثا - فتفكر في حالك وحال قالك هناك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور خفافا غفرا لا إلى أرض المحشر أرض يضاء قاع مصفص لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها روبة يخفى الإنسان وراءها ولا وهدة ينخض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لاغاوت فيه يساقون إليهم زمرا فصيحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق تلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء غفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد ^(٣) »

(١) حديث كيف أنعم وصاحب الصور قد التزم القرن وحتى الجبهة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبي القرن بأيديهما أو بأيديهما قرنان : لاحتظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه (٢) حديث حين يبعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضعهم على فيه شاخص يبصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخارى ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش خافعة أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان وإسنادها جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء غفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد

إلى الله كره فانه أخف على النفس وينبغى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يمتد به كل الاستعداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوساوس وحديث النفس فانه مفروءاء عضال فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكأن أن التلاوة على اللسان هو مشعرل بها ولا يزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يزج به حديث النفس وإن كان أعجميا لا يعلم

قال الراوى : والعفرة يبيض ليس الناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم لا يلبأ بستر ولا فتاوت برد البصر ، ولا تنظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها إلا فى الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة يفسك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسهما وقمرها فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدة فانه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لمجود سراجها فينبأهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدة خمائفة عام ولللائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في سمك وباهية ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدة ثلج نهار وتبيل كالفضة اللذابة تغاطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالملح وصارت الجبال كالعين واشتدك الناس كالفراس للثبوت وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآدان . قالت سودة زوج النبی صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - ^(١) » فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ^(٢) » فى طبع الآدمى إنكار كل مالم يأمن به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تسمى على بطنها كالبرق الحافظ لأنكر تصور الشئ على غير رجل وللشئ بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل الشهادة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشورا ذليلا مدحورا متعرجا مبهونا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالمعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة العرق)

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشیطان ووحش وسبع وطير فأشرفت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقواب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يكن من الاستغلال به إلا القربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضج لحر الشمس قد صهرته بخرها واشتدكر به ونغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع

متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفضل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فعلمهم من قول سهل وغيره وأوردجها مسلم فيه ^(١) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآدان قالت سودة رواية الحديث واسوأناه الحديث الثعلبى والبخارى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة واسوأناه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة واسوأناه ^(٢) حديث أبى هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس ألقى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشفل باطنه بمطالعة نظره إليه مكن حديث النفس فان الدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة. قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك الريد بهذه الأصول وليس -عن- بدوام الافتقار إلى الله بذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الانجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليهم شدة الحجلة والحباء من الانقضاح والاختراة عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحترق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شجرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أيديهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد ينيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه^(١)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يبرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجهم ويبلغ آذانهم^(٢)» وكذا رواه البخاري . وسلم في الصحيح وفي حديث آخر «قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجهم العرق من شدة الكرب^(٣)» وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ غلظه ومنهم من يبلغ خصرته ومنهم من يبلغ فاهه وأشار يده فألجها الله ، ومنهم من يقطعه العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا^(٤)» فأمل ما يسكن في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحمني من هذا الكرب والانتظار ولولئى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجته مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو لم يكن ابن آدم من الجهل والغرور لعل أن تعب العرق في تحمل مصائب «طاعات» أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منقطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم يقفون ثلثائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجردون فيه روح نسيم . قال كعب وقادة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلثائة عام بل قال عبد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في السكانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم^(٥)» وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يبرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً الحديث أخرجاه في الصحيحين كما ذكره للصف (٣) حديث قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا ظن أن كان يعتمد السكند بل لكن لطف تشبه عليه (٤) حديث عقبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمر رواه هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في السكانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبد الله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولا يذكره ابن أبي حاتم رواه غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحمد ومصرى والثلاثة الآخرون شاميون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق التسوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا ينقش بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلقت عن مراعاة الله والافتقار فيها لا تقب خسراً قطعاً علماً ذلك وتعقباته . وقال سهل من اتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيها لا يمينه وتركه ما يمينه . وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه الدهر ثم رجع إلى

لأيا يكون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لجهنم فلما بلغ المهجود منهم الملائكة لهم به كلم بعضهم بضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حتمهم فلم يتلقوا بشي إلا دهمهم وقال دعوني نفسى نفسى هفتلى أمرى عن أمر غيرى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يمكن الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن العاصي في عمرك المختصر. واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا لعل الموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا» (١) فاجتنب أن تكون من أولئك المؤمنين فإمام يبق لك نفس من عمرك فالأمريك والاستعداد يدريك فاحمل في أيام قصار لأيام طوال ترجع ربعا لامتنبى لسروره واستحق عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان رحلك كثير أو تبك يسيرا.

(صفة يوم القيامة ودواحيه وأساميه)

فاستمد يأسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهرة سلطاناه القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انقطرت، والسموات كسرت، والنجوم الزواهر قد انكسرت، والشمس قد كورت، والجيال قد سيرت، والشار قد عطلت، والوحوش قد حشرت، والبيجار قد سحرت، والنفس إلى الأبدان قد زومت، والجحيم قد سمرت، والجنة قد أزلقت، والجيال قد نسفت، والأرض قد مدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيزال الهاء وأخرجت الأرض أنفثاها، يومئذ يصدر الناس اثنتا ليروا أعمالهم، يوم تعمل الأرض والجيال قد كتنا ذكرا واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، ولللك على أرجائها، ويحمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبزوا، يوم تراه الواحد القهار، يوم تنسف فيه الجبال نسفا فترك قاطا صفصفا لا ترى فيها عرجا ولا أمتا، يوم ترى الجبال تحسبا جامدة وهي تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنسى ولا جان، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يستل فيه عن الإجماع بل يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تجد كل نفس ماعلمات من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، يوم تلم في كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت، يوم تجرس فيه الألسن

(١) حديث مثل عن طول ذلك اليوم فقال والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا أو يولي البيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ابن ليعية وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لمية وهو حسن ولا يعل من حديث أبي هريرة بإسناد جيد بهون ذلك على المؤمن كتندي الشمس للغروب إلى أن تشرق ورواه البيهقي في الشعب إلى أن قال أظنه رخصه بانظر إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طول كوت صلاة مفروضة.

نفسه وقال غالى وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تعني وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لمنه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا. أخسبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا عمرو الأعرج يقول سمعت الجندب يقول لو أبطل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فات من الله أكثر مما نالوا وهذا

وتعلق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال «شيتى هودواخواتها»^(١) وهى الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت؛ فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءة كتابك أن تجميع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تروى لكنت جديرا بأن تنشق ما جرت لك منه شعريد المرسلين وإذا اقتضت بحركة اللسان افتقد حرمت غمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرها أسماها لتنف بكثرة أسماها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسماء تكرير الأسماء والألقاب بل الغرض تنبيه أولى الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نستمن نعوها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجعل لك أسماها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاسبة ويوم المسألة ويوم السألة ويوم المناقشة ويوم اللانفاسة ويوم الزلزلة ويوم البسمة ويوم الصاخة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجعة ويوم الرادة ويوم الناشئة ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم الساق ويوم القصاص ويوم الناد ويوم الحساب ويوم اللآب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم القاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم العيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الحزى ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم الدين ويوم النشور ويوم الصير ويوم النفخة ويوم الصبغة ويوم الرفعة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم القزع ويوم الجزع ويوم التنتهى ويوم للأوى ويوم للثبات ويوم للبقاء ويوم للرصاد ويوم للقلق ويوم العرق ويوم الانتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الثعابين ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا يرب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأصفار ويوم لا يفي مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يحبون في النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر الله من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيمتدرون يوم لا مرد له من الله يوم هم يارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء العذاب يوم ترد فيه العاذر وتبلى السرائر وتظهر الضائير وتكشف الأستار يوم تنحس فيه الأصفار وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهم الأنبياء وشيخ الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلج اللحم وزفرت النار وبش السكفار وسعرت التيران وقهرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا أيها الانسان ما غرك برك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرغيت السور واستترت عن الخلائق قهارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك قوليل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب للدين ونحبرنا بهذه الصفات من نعوث يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اتقرب لباس حساسهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة

الجليلة يحتاج للبدى
أن يحكمها والتبى
عالم بها عامل بمقاتتها
فالمستبدى صادق
والتبى صديق قال
أبو سعيد القرشى
الصادق الذى ظاهره
مستقيم وباطنه يميل
أحيانا إلى حظ النفس
وعلامته أن يجد
الحلاوة في بعض
الطاعة ولا يجدها في
بعض وإذا اشتغل
بالذكر نور الروح
وإذا اشتغل بحلوظ
النفس يحجب عن
الأذكار والصديق
الذى استقام ظاهره
وباطنه سيد الله تعالى
يتسلون الأحوال
لا يجيبه عن الله
وعن الأذكار أكل

(١) حديث شيبتي هودا أخواتها والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وانشق القمر - إنهم يرونه بعيدا ويراها قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا تتدبر معانيه ولا تنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأسمائه ولا نتمتع بالتخلص من دواهيه فنمود بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

(صفة المسألة)

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير رحمان فتسئل عن القلب والكبير والنفير والقطمير فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا نواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فزع ووجل ملكا ما بين شفرى عيينه مسيرة مائة عام (١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة اسألو إيلك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منسكبين لشدة اليوم مستعصرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأقدامهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذون فهذا حال المترين لما ظنك بالمصافاة المجرمين وعند ذلك يدار أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفكم ربنا وذلك لعظم موكلهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لحاقهم عن أن يكون فيهم فتادوا بأصواتهم منزهين لملكهم عما توهه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفحا قنين بالخلق من الجوانب وعلى جهمهم شعار الدل والحضوع وهيئة الخوف والهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن للرسل لنقصن عليهم بعلومنا كنا غائبين - وقوله - فو ربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون - فيبدأ سبحانه بالأنبياء - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيبت قالوا لا أعلم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيأشدة يوم تنفعل فيه يقول الأنبياء وتنمى علوهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجيبت وقد أرسلتم إلى الخلق وكانوا قد فعلوا قد هضى عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادفون إذ طارت منهم العقول وأتمعت العلوم إلى أن يقوهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتي هل بلغت فيقولون ما أنا من نذير ديوئى بيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذوني وأسمى الهين من دون الله فينقى متشظا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيالمظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء يمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائض وتضطرب الجوارح وتهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبايح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملائكة الخلق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرقت الأرض بنور ربها - وأيقن قلب كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه التصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل اتقني بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل أحيى خالقك وملكك فصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلق وشقت ومع الخلق تليظها وزفيرها وانتهت خزنتها متوثبة إلى الخلق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ببالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فاستاقطوا احتياجا على الركب

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا ما بين شفرى عيينه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ.

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصدى
يريد منه الله وأقرب
الأحوال إلى النبوة
الصدقية . وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء . وإعلم
أن أرباب النهايات
استقامت بواطنهم
وظواهرهم لله
وأرواحهم خلصت
عن ظلمات النفوس
ووطئت بساط القرب
ونفوسهم متقادة
مطوعة سالحة مع
القلوب عجيبة إلى كل
ما تجيب إليه القلوب
أرواحهم متعلقة
بالمقام الأعلى انطفأت
فيهم نيران الهوى
وتخمر في بواطنهم

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جالبة - وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى الصائغون الظالمون بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فينبا هم كذلك إذ زفرت النار فترها الثانية فتضاعف خوفهم وتحاذلت قوام وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة ففاسقا ط الخلاقين وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع واتمضت عند ذلك قلوب الظالمين فلبثت الحناجر كالخيلين وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتهم فإذا رأوا ما قد أقام من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة فصر الوالد من ولد الوالد من أخيه وألزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاهها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها حجاب قالوا لا » قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب قالوا لا » قال فوالذي نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وتربع فيقول العبد بل فيقول أظننت أنك لا تقي فيقول لا فيقول فأناب أنساك كما نسيتي (١) فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت للامسكة بضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب فقيا ذا ألبنت ألم أمهل لك في العمر فقيا ذا أفتيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وقيا ذا أفتقته ألم أكرمك بالعلم فإذا عملت فباعته فكيف ترى حياتك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وآيابه ومساوئك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضي الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضعك ثم قال أندرون ثم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجزني من الظلم قال يقول بل قال فيقول فاني لا أجيز على نفسى إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبوا بالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانته انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بدا لكن وسحقا فضكن كنت أنا ضل (٢) فعوذنا فمن الاتضاح على ملائحة الحق شهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمنين بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك في الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا إنصاري لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستر عن غيرك أليس قد ستر عنك الله الداء إلى المعرض فيكذلك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتشاهد قوادك مضطربا وملك طائر وفرأئك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والمأم عليك من عدة المول مظلم قاصر

صرح العلم وانكشف
لهم الآخرة كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حق أبي
بكر رضي الله عنه « من
أراد أن ينظر إلى ميت
يمشي على وجه الأرض
فليتنظر إلى أبي بكر »
إشارة منه عليه
الصلاة والسلام إلى
ما كوشف به من
صرح العلم الذي
لا يصل إليه عوام
المؤمنين إلا بعد الموت
حيث يقال - فكشفنا
عنك غطاءك فصرح
اليوم حديد - فأرباب
النهايات ماتت أهونهم
وخلصت أرواحهم .
قال يحيى بن مازة وقد
سئل عن وصف
العارف فقال رجل

- (١) حديث أبي هريرة هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها حجاب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وتربع فيقول العبد بل فيقول أظننت أنك لا تقي فيقول لا فيقول فأناب أنساك كما نسيتي (٢) حديث أنس رضي الله عنه (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى الحديث روى مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتغرق الصفوف وتقاد كقناد القرس الجنوب وقد رفع الخلاق إليك أبصارهم فوهم نفسك أنك في أيدي اللوكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم أدن مني فدنوت، منه بقلب خائف خجول وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فحكم من فاحشة نسبها فذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آقاتها فأنكشف لك عن مساوئها فحكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وهجز فليت شعري بأي قدم تغف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تفعل ما تقول ثم تفكر في عظم حياضك إذا ذكرك ذنوبك شغافا إذا يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزني بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظري غيى ألم أنعم عليك فإذا غرك في أنانيت أنى لا أراك وأنت لا تلقانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا ويسأل الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليفتن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتيك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فيلارى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليقل أحدكم النار ولو بشرق عرفة فإن لم يجد فكلمة طيبة» (٢) وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخبره الله عز وجل به كما يخبر أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك في يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أحببت للرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تتنظر بها إلى مالا يحمل لك ألم أكن رقيبا على أذنك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا أفترقه فأعظم بأمنسكين حياضك عند ذلك ونحطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فندد ذلك بعظم سرورك وفرحك وبغضبك الأولون والآخرون وإيمان يقال لله لا تسكنه غدوا هذا العبد السوء فقلوه ثم الجحيم صاوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما ابت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك.

(صفة اللّيزان)

ثم لا تختلف عن الفسرك في اللّيزان وتطير السكب إلى الأيمان والشمال فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم في النار فتبتهلهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسمادة بعدها وقسم آخر لاسميتهم فينادى مناد ليتم الحادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم ينزل تشبه نجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لاشقاوة بعدها وينتقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعده عند العقاب فتطير الصحف والكتب منظوبة على الحسنات والسيئات وينصب اللّيزان وتشخص الأبصار إلى السكتب أتمع في الجين أو في الشمال ثم إلى لسان اللّيزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأل رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبي حاتم بلفظ إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليفتن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخارى من حديث عدى بن حاتم .

مهم بأن منهم وقال مرة عبد كان فإن فأرباب التهايات هم عند الله بمخبيقتهم معوقين يتوفيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدى وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم مغمور بالعلم . قال ذو النون علامة العارفة ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ولا يستقد باطننا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار عارم الله فأرباب التهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضى الله عنها فنفس فذكرت الآخرة فبككت حتى سال دعما ففقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتبه فقال ما ييكك يا عائشة ؟ ذلت ذكرت الآخرة هل تذكر أن أهلكم يوم القيامة قال والذي نفسى بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذ وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أيمنه يأخذ كتابه أو شماله ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤلى ابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي میزان ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق - سيد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان - سعادة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابست النار فيقول وكم بشت النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبسوا حتى ما أوضوا أبا حكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال أعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لحليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتا مع من هلك من بني آدم وبني إبليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال بأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال أعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالحرقلة في ذراع الدابة (٢) »

(صفة الحساء ورد للظالم)

قد عرفت هول میزان وخطره وأن العين شاحصة إلى لسان میزان - فأما من تقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية - واعلم أنه لا ينجو من خطر میزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الذرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإلما حاسبه لنفسه أن يتوب عن كل مصيبة قبل اللوث توبة نصوحا ويستدرك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد للظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيّب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد للظالم أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتماق بلبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في النية بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأنصأت جوارى وهذا يقول عاملتني فقتشتني وهذا يقول بايعتني فبغيتني وأخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر

كل ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكل ازدادوا دنيا ازدادوا قربا وكل ازدادوا جاه ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة - أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين - وكل اتاوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا يتناولون الشهوات نارة رقبا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالبيد ويهدى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يمنون نفوسهم بالشهوات تأميا بالأنبياء واختيارهم التقليل من الشهوات الدينية قال

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبككت الحديث وفيه فقال ما ييكك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكر أن أهلكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواة الحسن أنها ذكرت النار فبككت فقال ما ييكك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نصرت إسناده جيد (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فابست النار فيقول وكم بشت النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا لما أطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عن قدهانت الظالم وما راعيتني ، فيينا أنت كذلك وقد أنشب الحياء فيك غناهم وأحسوا في تلايتك أيديهم وأنت مهوت متعير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة غيبية أو خيانة أو نظر بين استحقاق وقد منعت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجا إلى سيدك وولاك لعله يغاصك من أيديهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لأظلم اليوم - فعد ذلك ينخلع قلبك من الحية وتوقن نفسك بالوار وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحسن الله غفلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم يوم تشخص فيه الأبصار مهملين مغترين رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس الآلة بما أشد فحرك اليوم بتضعضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عدرا فعد ذلك تؤخذ حسناك التي تبت فيها عمرك وتنقل إلى خصامتك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمق من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (١) ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكاييد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طوية ابتدرها خصاؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقام الليل لمت أنه لا ينقص عنك يوم إلا ويجزى على لسانك من غية المسلمين ما يستوفى جميع حسناك فكيف يبقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من الظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ، فقد روى أبو ذر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين يتطحنان فقال يأبأ ذر أتدرى فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن الله يدري ويسقي بينهما يوم القيامة (٢) » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم - إنه يحشر الحاق كلهم يوم القيامة بهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت ترابا فكنت أنت يامسكين في يوم ترى حيفتك خالية عن حسنات طال فيها تسبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى حيفتك خصامتك وترى حيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبت واشتد بسبب الكف عنها عماؤك فتقول يارب هذه سيئات ما قرأتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في البايسة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والذاكرة والمدارسة وسائر أسنات العامة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع الحديث تقدم (٢) حديث : يأبأ ذر أتدرى فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن ربك يدري ويسقي بينهما أحمد من رواية أبي شيبة لم يسعوا عن أبي ذر .

يجي بن معاذ الدنيا
عروس تطلبها ماشطها
والزاهد فيها يسبح
وجهها ويتفشمها
ويحرق ثوبها والعارف
بالله مشتغل بعبده
ولا يلتفت إليها .
واعلم أن انتهى مع
كال حاله لا يستغنى أيضا
عن سياسة النفس
ومنهما الشهوات وأخذ
الحظ من زيادة الصيام
والقيام وأنواع البر
وقد غاظ في هذا
خلق وطوائف التبي
استغنى عن الزادات
والنوافل ولا على قلبه
من الاسترسال في
تناول اللذات والشهوات
وهذا خطأ لا من حيث
إنه يحب العارف
عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يشئ أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن صيرنى منك بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى اللوقات فانقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليحىء يوم القيامة بأمثل الجبال من الطاعات فيرى أنهم سينبئونها بما يزال عبد يحىء فيقول رب إن فلانا ظلمنى بمظلة فيقول امح من حسناته لما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم لخطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإني أنا ميتون ثم إنك يوم القيامة عند ربك تختصمون - قال الزبير : يارسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطة ولا عن كفة حتى ينتقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر العباد عراة غبرا بما قال : قلنا ما بها قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلة حتى أقصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أقصه منه حتى الأظمة قلنا وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بما قال بالحسنات والسيئات (٣) » فانقوا الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الظالم فليس أكثر من حسناته ليوم القصاص وليس بعض مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استئصال أرباب الظالم فليس أكثر من حسناته ليوم القصاص وليس بعض الحسنات بينه وبين الله بكال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله تعالى بذلك إلى الله تعالى فيقال به لطفه الذى ادخره لأحبابه للؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذا أتاه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحك يارسول الله أبى أنت وأمى قال رجلان من أمى جثا بين يدى رب المزة فقال أحدهما يارب خذنى مظلة من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلة فقال يارب لم يق من حسناته شيء فقال الله تعالى للطالب كيف صنع ولم يق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزارى قال وقاض عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يجعل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

بوقف عن مقام الزبد
وقوم لما رآوا أن هذه
الأشياء لا تؤثر فيهم
فسوة ولا تورثهم حجة
ركنوا إليها واسترسلوا
فيها وقنعوا بأداء
القراض واتسعوا في
الكل والشرب وهذا
الانسياط منهم بقية
من سكر الأحوال
وتقيد بنور الحال
وعسدم التخاص
بالكلية إلى نور الحق
ومن تخاص من نور

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن صيرنى منك بما هو دون ذلك المحقرات وهى اللوقات فانقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليحىء يوم القيامة بأمثل الجبال من الطاعات فيرى أنهم سينبئونها بما يزال عبد يحىء فيقول رب إن فلانا ظلمنى بمظلة فيقول امح من حسناته لما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم لخطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإني أنا ميتون ثم إنك يوم القيامة عند ربك تختصمون - قال الزبير : يارسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطة ولا عن كفة حتى ينتقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر العباد عراة غبرا بما قال : قلنا ما بها قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلة حتى أقصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أقصه منه حتى الأظمة قلنا وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بما قال بالحسنات والسيئات (٣) » فانقوا الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الظالم فليس أكثر من حسناته ليوم القصاص وليس بعض مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استئصال أرباب الظالم فليس أكثر من حسناته ليوم القصاص وليس بعض الحسنات بينه وبين الله بكال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله تعالى بذلك إلى الله تعالى فيقال به لطفه الذى ادخره لأحبابه للؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذا أتاه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحك يارسول الله أبى أنت وأمى قال رجلان من أمى جثا بين يدى رب المزة فقال أحدهما يارب خذنى مظلة من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلة فقال يارب لم يق من حسناته شيء فقال الله تعالى للطالب كيف صنع ولم يق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزارى قال وقاض عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يجعل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

مرفضة وقصورا من ذهب مكللة بالؤلؤلأى نى هذا؟ ولأى صدق هذا ولأى شهيد هذا؟ قال بن أعطاني
 الفخ قال يارب ومن ملك مثله قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إني قد عفوت
 عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك انقروا الله
 وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين ^(١) وهذا تنبيه على أن ذلك إيمان بالخلق بأخلاق
 الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتذكر الآن في نفسك إن خلت صهيبتك عن الظالم أو تظلم
 لك حتى عنفائك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع
 عليك خلة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها فناء وبنعم لا بدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار
 قلبك سرورا وفرحا وياض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فقوم بختك بين الخلائق
 راضا راسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونصرة نسيم الريح وبرد الرضا تلاءم جبينك وخلق الأولين
 والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويقطونك في حسنك وجهالك ولللائكة عشون بين يدك ومن
 خلفك وينادون على رموس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سمد سعادة لا يشقى
 بعدها أبدا أتقري أن هذا لشعب ليس بأعظم من السكينة التي تتألف في قلوب الخلق في الدنيا برأيتك
 ومداهنتك وتصمتك وتزكك فان كنت تعلم أنه خير منه بل لانسبة له إليه فوسل إلى إدراك هذه
 الرتبة بالأخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فان تدرك ذلك الإبهوان تسكن الأخرى
 والياذ بالله بأن خرج من صهيبتك جربة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فتشكك لأجلها فقال
 عليك لعني بأبعد سوء لأتخذل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا وبسود وجهك ثم تعضب
 لللائكة تعضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنفك إليك الزبانية
 وقد غضبت لتعصب خالقها فأقدمت عليك بظاظتها وزعارتها وصورها للشكره فأخذوا بتأصيتك
 يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
 تنادى بالويل واليبور وهم يقولون لك لا تنزع اليوم ثوبوا واحدا وادع ثوبوا كثيرا وتنادى لللائكة
 ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعجزه ولمنه بجامع مساويه فسقى شقاوة لا يسد
 بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للسكينة في قلوبهم أو خوفا من
 الانتفاض عندهم لما أعظم جهلك إذ تمترز عن الانتفاض عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا
 للفرصة ثم لا تحصى من الانتفاض العظيم في ذلك اللا العظيم مع التمرض لسطوة الله وغلبة الأليم والسياف
 بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى - يوم نحشر النقيين إلى الرحمن وفدا ونسوق الجحيم
 إلى جهنم وردا - وفي قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم - وقومهم إنهم مسئولون - فالتاس بعدهذه
 الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فمن
 استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
 وأهمل ظهرك بالأوزار وعصى تشرقي أوله قدم من الصراط وتردى تفكر الآن فيما يعمل من الفرع فؤادك
 إذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بمرك على سواد جهنم من تحت ثم قرع صمك شقيق النار وتغيظها

(١) حديث أنس يينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأياه ضحك حتى بدت ثناياه فقال
 عمر ما أضحكك يا رسول الله بأني وأمي قال رجلان من أمي جيا بين يدي رب العالمين الحديث بطوله
 ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
 ينهب عنه فناء
 السكر وبوقف نفسه
 مقام العبيد كأحد
 عوام المؤمنين يتقرب
 بالصلوة والصوم وأنواع
 البر حتى يأماته الأذى
 عن الطسرق ولا
 يتكبر ولا يستكبر
 أن يسود في صور
 عوام المؤمنين من
 إظهار الإرادة بكل
 ر وصلة في تناول
 الشهوات وقتا رقا

وكانت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهرك بالأوزار الساعية لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطرت إلى أن ترفع القدم الثانية والخالق بين يديك يزولون ويموتون وتداولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف يتكسبون فتسفل إلى جهة النار ردوسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أنظمه وصرتي ما أصعب وما أشفقة فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصدد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت بيننا وشمالا إلى الخلق وهم يهاتون في النار والرسول عليه السلام يقول «يا رب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلاق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقتل هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياقي باليتي اتخذت مع الرسول سيلا يولبنا ليتني لم آخذ فلانا خيلا باليتي كنت ترابا باليتي كنت نسياما نسيا ياليت أُمي لم تلدني ، وعند ذلك تخطفك النيران والعاذ بالله وينادي النادى اخشعوا فهاها لتكسبون فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا والاستعداد له متهاونا فما أعظم خسارتك وطغيانك وماذا يفعلك إيمانك إذا لم يسمعك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو يكن بين يديك إله هولاء الصراط وارتياح قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلت فهاهيك به هولاء وفراور عاير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجز بأمتهم من الرسل ولا يتكلم بموتهم إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل أيتهم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فهاها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم رعيظهم إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق ببعده ومنهم من يجرده ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس بيننا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يحب حيوًا ومنهم من يزحف زحفا فهاها أهل النار الذين هم أهانها فلا يعنون ولا يحبون وأماناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيجترئون فيكونون لحما ثم يؤخذ في الشاة^(٢) وذكر إلى آخر الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فرفعوا رؤوسهم فعطهم نورهم على قدر أجسامهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسمى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إهام قدمه فيضي مرة ويجو مرة فإذا أضاء فمن قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فنهض من

بالنفس للظهور للركاة
للقادة المطوعة لأنها
أسيرته ويعتبرها
الشهوات وقتا لأن
في ذلك صلاحها
واعتبر هذا سواء
بحال الصى فانه إن
جاوز حد الاعتدال
من إعطاء السراد
وقتا ومنه وقتا
اضمد طبعه لأن
الجليلة لابد من قهها
بسياسة العلم ومادامت
الجليلة باقية لابد من

يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانهض الكواكب ومنهم من يمر كشدة القمر ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره إلى إيهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه انثار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيته فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيقتل (١) « وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن اللاتسكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لاخذ بحجزى وإن لأقول يا رب سلم لم فلا لون والزلات يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائم مطول فيه فذكر أن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعنى بالخوف رقة كرفة النساء تدمع عينك وبرق قلبك حال السجاع ثم تنساه على القرب وتعود إلى الهوك ولبيك فإذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجح إلا خوف يمتنعك عن معاصي الله تعالى ويمكنك على طاعته وأباعدك من رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله فلوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فاشيطان يشحك من استعاذتهم كما يشحك على من يقصده سبع ضار في جهراء ووراء حصن فادارأى أبواب السبع ووصلته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأسئلتهم بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يفتنى عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا لأول لا إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا ممدود غيره ومن أخذ ليله هوام فهو بعيد من الصدق في توحيد وأمره محط في نفسه فإن عجزت عن ذلك كله فكن بحبال رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تنظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فسلك أن تال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى يفضله قبل فيهم شفاعة الأنبياء والمصدقين بل شفاعة الطاء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عبادته فأمل الذي تزدبر عينك هو لى الله ولا تستصغر مصيبة أصلا فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل منته الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبا رضاء في طاعته فلعل رضاء فيه ولو السكاسة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجرى مجراء وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيا ما أربعين سنة شاخته أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر مسجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقى في الشعب وقال هذا إسناد ضيف قال وروى عن زياد الجبى عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهى رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهجة .

سياسة السلم وهذا باب غامض دخل في الهابات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الرككون وانسد به باب الزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك في الأعمال والمخطوط في الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال كأحد الصادقين وتارة يترك

روى عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب إنهم أضلن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقله ما بيك فأنه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به قال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إناس مني في أمتك ولا نسوءك^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي القتائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا ورايا بها طهورا فأعزأ رجل من أمتي أذرك الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع يدي لواء الحمد تحت آدم فمن دونه^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة^(٥) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويتنبرأ لا يجلس عليه قاتما بين يدي ربي منتصبا تحافة أن يبعث بي إلى الجنة ويتنبرأ أمتي بسدي فأقول يا رب أمتي يقول الله عز وجل يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاً رجال قد بعثهم إلى النار وحق إن ما لكما خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لغيري أمتك من بقية^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر^(٧) » وقال أبو هريرة « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه القدرع وكانت تحببه فيش منها شهية ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون من ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي ويفزعهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من النهم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس

زادة الأعمال رقعا
بالنفس وتارة يأخذ
المحظوظ والشهوات رقعا
بالنفس وتارة يتركها
اختفاداً للنفس بحسن
السياسة فيكون في
ذلك كله مختاراً فمن
ساكن ترك المحظوظ
بالكلية فهو زاهد
تارك بالكلية ومن
استرسل في أخذها
فهو راغب بالكلية
وللتنهي عمل الطرفين
فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه وسلم رب إنهم أضلن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى صلى الله عليه وسلم - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه . ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إناس مني في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النسخ (٢) حديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطيت الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الحديث (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويتنبرأ لا يجلس عليه قاتما بين يدي ربي منتصبا الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت الباني ضعيف (٦) حديث إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر أحمد والطبراني من حديث ريدة بسند حسن .

بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهى عن الشجرة فصعبت نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويدكرها نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فذلك رسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وإن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نساما وأمر بقتل نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وكتب الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطق فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من محامده وحسن انشاء عليه شيئا لم يتجه على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطوا واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول آمين يا رب يقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة هم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذى نفسى بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كباين مكه وخيبر أو كباين مكه وبصرى (١) وفى حديث آخر هذا السياق بينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله فى السكوا كب هذا ربه وقوله لا تهتم ليه كبرهم هذا وقوله لى سقم فيه شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحاديثه من العلماء والصالحين شفاعته أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قبل أن يفلان فاشفع فيه يوم الرجل يشفع للقبيلة

(١) حديث أبى هريرة أن أبى صلى الله عليه وسلم أتى بليم فرقع إليه الذراع وكان يجره فترش منها نهشة ثم قال أبى سعيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجهما مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر وروينا فى جزء أبى عمر بن السكك من حديث أبى أسامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان وإسناده حسن ولزمضى وإن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجداء يدخل الجنة لشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

واقف على الصراط
بين الافراط والتفريط
فمن ردت إليه
الأقسام فى الالهية
فأخذها زاهدا فى
الزهد فهو تحت قهر
الحال من ترك الاختيار
وتارك الاختيار الواقف
مع فعل الله تعالى عقيد
بالحال وكان الزاهد
مقيد بالترك تارك
الاختيار فكذلك
الزاهد فى الزهد الآخذ
من الدنيا ماسيق إليه

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فينادي رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستقيتني شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إلى أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ فقلت لا من أنت فقال أنا الذي استقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بشوا وأنا خطيهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا بشوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا غير (٣) « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عيني العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (٤) « وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه يخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبنا إن الله عز وجل أخذ من خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كله تنكيا ، وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله فنرجع عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سميت كلامكم وتمجبتكم إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا غير وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) «

(صفة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه لم ينظما أبدا . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرقع رأسه متجبا فقالوا له يا رسول الله لم ضحكك ؟ فقال آية أنزلت على أنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعديني

(١) حديث يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أممي من يشفع للقبائل ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن وللبرار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فينادي رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستقيتني شربة فسقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو بصير الدبلي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجا إذا بشوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب (٤) حديث فأكسي حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عيني العرش الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبنا إن الله أخذ من خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا الحديث رواه الترمذي وقال غريب .

لرويته فعل الله مقيدا بالأخذ وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختيارا من اختيار الله ويأخذ وقتا واختيارا من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتي بها وقتا ويسمح للنفس وقتا له مختارا صحيح في الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر

ربى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمي يوم القيامة آتته عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يينا أنا أسير في الجنة إذا نهر حافاه قباب الؤلؤ الموقف قلت ماهذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فحضر الملك يده فاذا طينه منك أدرك» وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وعمان» وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب شرابه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل الؤلؤ والمرجان» وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البقاء ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أو ك الناس ورودا عليه قنطرة الله جبريل قال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله؟ قال ثم الشئ رهوسا الذي يابا الذين لا ينسكون للنعمة ولا يفتح لهم أبواب السدد» قال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت للنعمة فاطمة بنت عبد الملك وفتح لي أبواب السدد لأن ربحني الله لأجرم لأدهن رأسي حتى شمت ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسحق وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آتية الحوض؟ قال والذي نفسي محمد يده لآتية أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة للضجة من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طول ما بين عمان وأبنة ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل» وعن حمزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يقبأون أبهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» (٢) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغتريا وهو يظن أنه راج فان الراجي الحصاد من ثمر البذر وثق الأرض وسقاها الماء ثم جلس رجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحرانة أو الزراعة وثقة الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرقع رأسه متمبها فقالوا له يارسول الله لم تنحكت فقال آية نزلت على آغا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس يينا أنا أسير في الجنة إذا نهر حافاه قباب الؤلؤ الموقف الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وعمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب الحديث الترمذي مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب إلى لفظ الصنف (٥) حديث ثوبان إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البقاء الحديث الترمذي وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبي ذر قلت يارسول الله ما آتية الحوض قال والذي نفسي يده لآتية أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث حمزة إن لكل نبي حوضا وإنهم يقبأون أبهم أكثر واردة الحديث الترمذي وقال غريب قال وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم رسلا ولم يذكر فيه عن حمزة وهو واضح

ويستقيم بشا كل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم القليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله فغير رمضان ويتناول الشبهوات ولما قال الرجل إنني عزم أن لا أكل اللحم قال فإني أكل اللحم وأجبه ولو سألت

فهذا مغر ومتمنّ وليس من الراجين في شيء. وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحقى لمود الله
من التور والنفلة فإن الاعتقاد بالله أعظم من الاعتقاد بالدنيا قال الله تعالى - فلا تنركم الحياة
الدنيا ولا ينركم بالله التور -

(القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالتها)

يا أيها العاقل عن نفسه التور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا للشرقة على الاهشاء والوزوال
التفكر فيها أنت مرتحل عنه وأصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد لجميع إذ قيل -
وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جياشا - فانت
من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشر في قلبك هول ذلك المورد فساك تسندك جاقته
وتأمل في حال الخلاق وقد قاموا من دواهي القيامة ماقاسوا فيها ثم في كربها وأهوالها وما يفتنظرون
حقيقة أنبأها وتشفيق شعاعها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب
وجمعا لها زفير وجرجرة تنفص عن هدة القيط والضب فند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجشت
الأمم على الركب حتى شفق البراء من سوء القلب وخرج للناسي من الزبانية قائلا : أين فلان
ابن فلان للسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل للضيع عمره في سوء العدل فيبادر به بتقاع من
حديد ويستبقونه بظلم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قبر الجحيم
ويتولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا هارا ضيقة الأرجاء مظلة السالك بهمة الهالك
يخد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ويستقرهم الزبانية تقدمهم والهاوية
تجمعهم أنانيهم فيها الهلاك ومالم منها فسلك قد شدت أقدامهم إلى التواصي واسودت وجوههم
من ظلمة العاصي ينادون من أكنافها ويسبحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا
الوعيد يا مالك قد أقتلنا الحديد يا مالك قد فضحت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لاعود فنقول
الزبانية هيات لاتي حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاحسوا فيها ولا تسلكون ولو أخرجتم
منها لكدتم إلى مانيهم عنه تمودون فند ذلك يفتنون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا
ينجيهم الندم ولا يفيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم
والنار عن أيانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعمهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار
ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القامع وتقل السلاسل فهم يتجلبجون
في مضائقها ويتعطمون في دركاتنا ويضطربون بين غواشيتنا تقي بهم النار كفتى القدور ويمننون
بالويل والويل ومهما دعوا بالتبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتجر الصديد من أفواههم وتقطع من البطش أكبادهم
وتسيل على الحدود أحداقهم ويسقط من الوجنا لحوها ويستعطن الأطراف شعورها بل جلودها
وكلا نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم بقيت الأرواح منوطة
بالعروق وعلاقى المصب وهي تنش في لفتح تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون الموت فلا يوتون فكيف
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أصارهم وأبكت أنسهم
وقصت ظمورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وعلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصهم وأقدامهم وهم يشون على النار بوجوههم ويطنون حاك الحديد بأحداقهم
فلهيب النار سار في بواطن أجسادهم وحيات الهاوية وقارها مشبقة نظواهر أعضائهم هذا بعض

(القول في صفة جهنم)

ي. أن يطعم كل يوم
لأطعمى وذلك يدك
على أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
عنتا في ذلك إن شاء
أكل وإن شاء لم يأكل
وكان يترك الأكل
اختيارا وقد دخلت
الفتنة على قوم كلما
قيل لهم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فعل كذا يقولون كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشرفا وهذا إذا

جملة أهوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتذكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعبة في كل شعبة سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا يبتسى الكافر والثاقف حتى يواقع ذلك كله » ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي أوجب الحزن قال واد في جهنم تمود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعداه الله تعالى للقراء الرائيين » ^(٢) فلهذا سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعوبها وعدد أبوابها بمدد الأعضاء السبعة التي بها يعض البعد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم المعبر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية لانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شحوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعظم منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا جحر أرسل في جهنم من سبعين عاما الآن انتهى إلى فرعها » ^(٣) ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضلا فلكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك كالعريق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقدم عذابا لعرضت عليه الدنيا بخلافها لا تقيدها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتمثل بنلين من نار يلفي دماغه من حرارة تليه » ^(٤) فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار قرب أصبعك من النار وقل ذلك به ثم اعلم أنك أعطيت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيأت لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاظوا طائفتين من نارها هم فيها وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافت أهل الدنيا » ^(٥) بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » ^(٦) وقال ^(٧) « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي سقيني

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعبة في كل شعبة سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا يبتسى الكافر والثاقف حتى يواقع ذلك كله كما أجده هكذا يجعله وسأني بعده ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تمودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهاني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وصفه ابن عدى وتقديم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة الحديث وفيه هذا حجر أرسل في جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من يتمثل بنلين من نار الحديث متفق عليه من حديث الترمذي عن ابن بشر (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافت أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد وللبز من حديث أنس وهو ضعیف وما وصلت إليكم حتى أحسبها قال نعمت بالله أقتنى عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت الحديث تقدم

قالوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والمزعة التأسي بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفعله لأرباب العزائم ثم إن التمسى بما حكمه حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل

نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من زهرها (١) ، وقال أنس بن مالك يؤتى بأنهم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغسوه في النار غسمة ثم يقال له هل رأيت نسيا قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس شرا في الدنيا يقال اغسوه في الجنة غسمة ثم يقال له هل رأيت شرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لما توارى وقد قال بعض العلماء في قوله - تلغف وجوههم النار - إنها جهنم لهجة واحدة فلما أثبت لحا على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نين الصديق الذي يسيل من أبدانهم حتى ينفرون فيه وهو التساق ، قال أبو سعيد الحدرى قال رسول الله ﷺ « لو أن دلو من غساق جهنم ألقى في الدنيا لأنن أهل الأرض » (٢) فهذا شرابهم إذا استنقوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيئه وبأية اللوث من كل مكان وما هو بيت وإن يستنقوا يثاقوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقا . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى

- ثم إنكم أيها الضالون المكذوبون لا تكون من شجر من زقوم فثالوث منها البلون فثاربون عليه من الحميم فثاربون شرب الحميم - وقال تعالى - إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه ردوس الشياطين فأنهم لا تكون منها فثالوث منها البلون ثم إن لهم عليها ثوبا من حميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم - وقال تعالى - تصلى نارا حامية تسقى من عين آية - وقال تعالى - إن لدينا أنكلا وجعجا وطعاما ذا غصا وعذابا أليما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله ، من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثها عليكم » (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقي على أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيثاقون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يخنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيثاقون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يميزون القصص في الدنيا شراب فيستغيثون بشراب فيفرض إليهم الحميم بلبالب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال يدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون ولم تكن تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بل قالوا فادعوا وادعوا الكافرين إلى إفق ضلالة فيقولون ادعوا مالكم فيدعون فيقولون يا مالك ليقتض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ما تكون » (٥) وقال الأعمش أنبئت أن

ما كان جند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يتمسده فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيامه الزائد لا يخلو إما أنه كان ليقنّدي به وإما أنه كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقنّدي به فالتنهي أيضا مقتدى به ينهى أن يأتي بتدل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشكتك النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الحدرى لو أن دلو من غساق ألقى في الدنيا لأنن أهل الأرض الترمذى وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم الحديث الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا مما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إلا سندا (٥) حديث أبي الدرداء يلقي على أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذى من رواية عمرة ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمى والناس لا يعرفون هذا الحديث وإنما روى عن الأعمش عن عمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلأحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجننا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجهر اخشوا فيها ولا تسكدهون قال فمعد ذلك يشقوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يقرَّب إليه فيسكره فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقت فروقه رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حما قطع أمعاءهم - وقال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١) » فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة صومها وعظم أشخاصها وفضاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغربت بهم فهي لا تفر عن البش واللذغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بله زمره يعني أشداته فيقول أنا مالا أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا تحسبن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله الآية - (٢) » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجعد حومتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبعال اللوكفة يلسعن اللسعة فيجعد حومتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفي ذلك وفي هذه الحيات فلم يمتثل له (٣) » ثم تفسر بهذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يترابذ غذاهم بسببه فيحسون بلفح النار ولفح العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه (٥) » وقال عليه السلام «إن الكافر ليحمر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦) » ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار حمرات فيجعد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها - قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا . ثم تفسر الآن في بكاء أهل النار وشبهتهم ودعائهم والويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في أول إقامتهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون لهم حتى يرى في وجوههم كثرة الأشخود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء

- (١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه (٣) حديث ابن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث ابن الكافر ليحمر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب وأبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

عليه وسلم لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجيلة . قال الله تعالى خطايا له - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استعدادا من الحضرة الإلهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن

والتهريق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلمهم فيه مستروح ولكنهم ينعون أيضا من ذلك ^(١) قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون - ربنا آمنا اثنتين وثلاثين أئمة فاعتزنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول الله تعالى جميعا لهم - ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا وصممنا فأخرجنا نعمل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - وألم تكونوا أنفسكم من قبل ما لكم من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - فيجيبهم الله تعالى - وألم نعمكم ما يذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا عذاب الظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون - فيجيبهم الله تعالى - اخشوا فيها ولا تكلمون - فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله رضى عنه : قال يزيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا وماتمة - ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا - وقال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال لأهل الجنة خلود بلا موت ويأهل النار خلود بلاموت ^(٢) » وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام ولتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهو يكي قيل له لم يكي قال أخشى أن يطرحني في النار ولا يئالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل نحوها وأجزاءها وحسرتها ولها نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من هذه العذاب حسرة فوفت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بشئ من دراهم معدومة إذ يقولون ذلك إلا شهوات خفية في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت بكثرة منقصة فيقولون في أنفسهم وأحسرتنا كيف أهلكنا أنفسنا بهصيان ربنا وكيف نكفأ أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد اقتضت عنا أيامه وبقيتنا الآن في جوار رب العالمين متنعين بالرضا والرضوان فيالحرسة هؤلاء وقد قاتمهم ما قاتمهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا وإن ادعاهم لنهم لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ « يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا تصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما يرجع الأتوكون والآخرون يمثلون فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما لربنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائكم كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم نارزخوني بالعظام وإذا قيمتم الناس لقيتموهم غيتين تراءون الناس بخلاف ما تعطون من قلوبكم هيتهم الناس ولم تهابوني وأجلتم الناس ولم تحبوني وتركتهم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب القيم ^(٣) » قال أحمد بن حنبل إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام لكم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود الهللي لا صبر لي على حرشكم فكيف صبري

عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا إليه ولا اتصفوا به وبين قسمة الطاهرة وقسوس الأتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ورباطة التأليف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا روائحها الحديث رويناه في الأربعين لأنني هدية عن أنس وأبو هدية إبراهيم بن هدية هالك .

على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك وانظري ما يمكن في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى - وأنذرهم يوم الحسرة إذ نفضى الأمر وهم لا يؤمنون - ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أول الأزل ولكن أظهر يوم القيامة سبق به القضاء والعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحركات الدنيا ولست تتدري أن القضاء بماذا سبق في حقا ؟ فان قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلى ومرجى وما الذى سبق به القضاء حتى فلك علامة تتأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأيسر فانك بعد عن النار وإن كنت لا تقصير إلا لا تحيط بك المواقف قد فضه ولا تصد شرا إلا فييسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على الساقية كدلالة الطر على النبات ودلالة الدخان على النار قد قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم وإن التجار لفي جحيم - فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من الدارين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغومها تقابلها دار أخرى تأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدها استمر لاحتلاله في الأخرى فاستمر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستمر الرجاء بطول الفكر في النعيم التميم الوعود لأهل الجنان وسقى نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوهم نصرة النعيم يسقون من رحيق مخنوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من البقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالحر والصل عصفوفة باللعان والولدان مزينة بالجور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرحان لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جان يشين في درجات الجنان إذا خالت إحداهن في مشيها حمل أعطاها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتتجير فيه الأبصار مكملات بالتيجان الرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنا من الحر والبرص ومقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأشكال اللؤلؤ السكون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نصرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربههم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب التوفيق آمنون فهم فيها يتمتعون وبأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أراضينها من فضة وحبابها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحب فيها من ماء اللسرين على كسبان السكاوير ويؤتون بأكواب وأي أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كواب فيه من الرحيق المختوم مخزوم به السلسيل العذب كواب يشرق نور من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه قته وحرته لم يصنع آدمي قبة مصر في نسوة صنعتها ونحسين صنعته في كنف خادم يحكي ضياء وجهه الفس في إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصدائه

أنت آخا كما أن
الأرواح أنت أولا
ولكل روح مع
نفسه تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفوس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديم
العمل لتصفية نفسه
وقوس الأتباع لها
احتاج إليه نفسه من
ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلى خوس

وملاحة أحواله فيأخينا لمن يؤمن بدار هذه صفها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولاخلل التجاعل من نزل غنايا ولايتنظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأتي بدار قد أذن الله في خرابها وبنينا بيتي دونها والله لو لم يكن فيها إلاسلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والبطش والسرأساف الحدان لكان جدرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها بالانصرم والتشم من ضروره كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون فيها كل مايشتهون وهم في كل يوم ببناء العرش حضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ويثابون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعم الجنان ولايشفقون وهم على الدوام بين أسفاف هذه المصيرقة دون وهم من زوالها آمنون قال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأتىعداد بأهل الجنة إن لكم أن تصحوا ولا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحموا ولا تلحقوا أبدا وإن لكم أن تشعوا فلا تمهروا أبدا وإن لكم أن تصموا فلا تأبوا أبدا فذلك قوله عز وجل - ونودوا أن تلکم الجنة أو رشحوا بما كنتم تعملون» (١) ومهما اردت أن تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان وأقرأ من قوله تعالى ولن خاف مقام ربك جنتان - إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن اردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فأقبل الآن ضحيلي بعد أن اطمت على جنتها وتامل أو لا تعد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولن خاف مقام ربك جنتان قال «جنتان من قنة آتيتها وما فيها وجنتان من ذهب آتيتها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الإرداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» ثم انظر إلى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كالن أبواب النار بحسب أصول للمعاصي قال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها ولجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد قال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحسن ضرورة من أبها دعى فويل يدعى أحد منها كلها» قال ثم نوارج أن تكون منهم» (٢) وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فظمي أمرها ذكر الأخطال ثم قال «يسوق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمر - حتى إذا اتسوا إلى باب من أبوابها وجدوا عندهم جنة يخرج من تحتها عتبان مجريان فصودوا إلى إحداها كما أمروا به فحسروا منها فأذهبت ماني بطونهم من أفضي وأبأس ثم عمدوا إلى الأخرى فخطروا منها فحرت عليهم نضرة النعم فلم تتغير أثمارم بعدها أبدا ولا تشب رءوسهم كأنما ذهبن بالهذهن ثم اتسوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين ثم تقامم الإردان يطبقون بهم كاطييف ولما ن أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غية يقولون له أجزر أعد الله لك من الكرامة كذا قاله فينطلق غلام من أولئك الإردان إلى بسى أزواجه من الحور الذين يقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا يقول أنت ربتي فيقول أنا ربته وهو بأمرى فيستخفي الفرح حتى يحوم إلى أسكفة بابها فإذا اتسوا إلى منزله نظروا إلى سقفها فإذا جند الأول فوقه صر صر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رءسها فينظر إلى سقفها فإذا

الأمة وهكذا انتهى
مع الأصحاب والأتباع
على هذا المعنى فلا يخلف
عن الزيادة والتوافل
ولا يسترد في الشهوات
والذات إلا إبدالة
نفس النفس ولا يعطى
الاعتدال حقه من
ذلك إلا بتأييد الله تعالى
ونور الحكمة وكل
من يحتاج إلى حبة
البلوة فليسر لا بد له
من خطوة صحيحة
بالحق حتى تكون

(١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جتان من فضة أنتجها وما فيها وجتان من ذهب أنتجها وما فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أشق زوجين من أهالي سبيل الله دعي من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولأن الله تعالى قدره لآل أن يذهب بصره ثم يطأطأ رأسه فإذا أزواجه وأكواب موضوعة وبنمارق مصفوفة وزراني مشونة - ثم استكمل - الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد نعيمون فلا تهمتون أبدا وتقيمون فلا تظنون أبدا وتصحون فلا تيمضون أبدا - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لافتح لأحد قبلك^(١)» ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكان ابن عباس في الطلعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيها يحازون به تفاوتا ظاهرا فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يبتك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالمسابقة والنافسة فيها فقال تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أوجب الله لك زيادة درهم أو بعول بناء هل عليك ذلك وضاق به صدرك وتمنى بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك لمطافئ لا وازيها الدنيا بخلافها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون السكوك النائر في الأفق من الشرق إلى الغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يليقها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين^(٢)» وقال أيضا «إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كاترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأمنما^(٣)» وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأحدنكم بنرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمننا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله أولئك هذه الغرف قال لمن أفضى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلت يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال أمي تطبق ذلك وأسأخركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه وأورد عليه فقد أفضى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى المشاء الآخرة وصلى العداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام^(٤)» يعني اليهود والنصارى والمجوس . «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - وما كن طيبة في جنات عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من باقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زهره أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخمر العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوتان من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويسمى اللؤلؤ في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع^(٥)».

(١) حديث أتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كاترون السكوك الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كاترون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر الأحدنكم بنرف الجنة قلت يا رسول الله بأبينا أنت وأمننا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث سئل عن قوله تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن جابر في كتاب العظمة والآجر في كتاب النصيحة

جلوته في حياطة خلوته
ومن يتراى له أن
أوقاته كلها خلوته وأنه
لا يحب شيء وأن
أوقاته لله والله ولا يرى
تقصانا لأن الله حافظه
لحققة الزيد فهو
صحيح في حاله غير أنه
تحت قصور لأنه مائة
لسياسة الجيلة وما عرف
سر تخليك الاختيار
وما وقف من البيان
على البيضاء النقية وقد
نقلت عن الشايع كلمات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهاها)

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها فلناعتبه بالدنيا عوضا عنها قد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك» (١). «وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل الحرف في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣) «وأشجار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للسك» (٤) «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما عليها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعا» (٥) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها لقروا إن شئتم - وظل محمود -» (٦) وقال أبو أمامة: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفض بالأعراب ومساثلهم أقبل أعرابي قال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكا فقال قد قال الله تعالى - في سدر مخضود - يخضد الله شوكة فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتح الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر» (٧) وقال جرير بن عبد الله: «زلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تلتفه فقلت للنعلم انطلق بهذا النعظ فأظله فأنطق فأظله فها استيقظ فإذا هو سلمان فأنيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع له فإن من تواضع لله في الدنيا رضى الله يوم القيامة هل تدري ما للظلمات يوم القيامة قلت لأدري قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عويذا لا أكاد أراه من

فها موضع اشتباه قد يسمها الإنسان ويبنى عليها والأولى أن يفخر إلى الله تعالى في أي شاة يسمها حتى يسمها الله من ذلك الصواب . هل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت التفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التميز ومثل هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة عن قول الجمهور (١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذي بلفظ وبلاطها المسك وقال ليس إسناده بذلك القوي وليس عندي بتصل ورواه البزار من حديث أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن مسعود سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الحرف في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولقمان بإسناد صحيح : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الحرف في الدنيا لم يشربها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للسك الغبيل في الضعفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما عليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي قال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سلم بن عامر مرسل من غير ذكر لأبي أمامة .

صفه . فقال يا جبريل لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها القزوين والذهب وأعلىها التمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة يتم لباسا لا يلبى ثيابه ولا يفتى ثيابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(١) » . وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلق أم نسج نسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تم تسجكون من جاهل سألت عالما » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينسج عنها ثمر الجنة ^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفون فيها ولا يتخبطون ولا يتخطون وأنتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورجلهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى منق ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حلة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها ثقي » ما بين الشرق والغرب ^(٤) » وقال ﷺ « الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها المؤمن أهل لإبراهيم الآخرون ^(٥) » رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض ^(٦) »

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من النواكه والطيور والبان والفلن والسواوي والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلاً رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة يتم ولا يلبس لا يلبى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لا عين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلقا أم تسج نسج الحديث النسائي من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها ثقي ما بين الشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا يعرفه إلا من حديث رشدين سعد (٥) حديث : الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاء الصنف البخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض الترمذي بلفظ : ارتضاعها لكما بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لا يعرفه إلا من حديث رشدين سعد .

لا يفتى بغير بين الحلو
والجلوة وبين القيام
بصور الأعمال وبين
تركها ولم يفهم منه
أن القائل أراد بذلك
معنى خاصا يعني أن
حظ الفرد لا يتغير
بحال من الأحوال
وهذا صحيح لأن
حظ الفرد لا يتغير
ولا ينتقل إلى التميز
وتستوى الأحوال فيه
ولكن حظ الفرد
يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه خبر من أجباز اليهود فذكر أشقة إلى أن قال فمن أول إجازة يعنى على الصراط ؟ فقال قفراء المهاجرين ، قال اليهودى لما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الحوت ، قال لما غداؤهم على أزهارها ؟ قال ينحرم لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها . قال لما شربهم عليه ؟ قال من عين فيها تسمى سلبلا . فقال صدقت (١) » وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال له اصحابه إن أقرئ بها خصمتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليصلى قوة مائة رجل فى الطعام والشرب والجماع ، فقال اليهودى فان الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل للسك فاذا البطن قد ضم (٢) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك تنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا (٣) » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لناعمة يارسول الله . قال أنتم منها من يأكلها وأنتم ممن يأكلها ياأبا بكر (٤) » وقال عبدالله بن عمر فى قوله تعالى - بطاف عليهم بصحاف - قال يطاف عليهم بصفحة من ذهب كل صفحة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من تسنيم - قال يترج لأسحاب الجين ويشربه القربون صرغا . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : فى قوله تعالى - ختاهم مسك - قال هو شراب أبيض مثل القصة يخمون به آخر شرابهم لوأن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذوروج إلا وجد ريح طيبها .

(صفة الحور العين والولدان)

قد تسكر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه، روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدم أوموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولوأن امرأة من نساء أهل الجنة طامت إلى الأرض لأحداث ولألت ما بينهما رائحة ولنصفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها (٥) » يعنى الحار وقال

(١) حديث ثوبان جاء خبر من أجباز اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعنى على الصراط فقال قفراء المهاجرين قال اليهودى لما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت الحديث رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود قال ياأبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل للسك البخاني فى السكبرى باسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك تنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا البزار باسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس باسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير لناعمة قال أكلنا أنتم منها قالها ثلاثا وإنى أرجو أن تسكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر السكوت وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجوز قال عمر : إن هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لأنى بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخارى من حديث أنس .

التبيز وليس فى هذا الكلام وأمثاله ما ينافى ما ذكرناه . قيل لحمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الحصة التى كلفت بها الحسن كلها ألاوهى الاستقامة وكل من كان أنتم معرفة كان أنتم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على الجماع والبدد فى الابتداء مأخوذ فى الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الحدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهن - الباقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أنسى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضي ما بين الشرق والغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ^(١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى البديع عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر قلن السلام عليك يا رسول الله قلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - ^(٢) وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة - قال من الحيف والفاط والبول والبصاق والخامة والقي والولد . وقال الأوزاعي - في شغلها كونهن - قال سفيان الثوري - قال أبو بكر . وقال رجل يا رسول الله - أياض أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك ^(٣) وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسقى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف ثيب يعانق كل واحدته منهن مقدار عمره في الدنيا ^(٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم - إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لهن من الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلهن يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له ^(٥) وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي سعيد الحدرى في قوله تعالى - كأنهن - الباقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أنسى من المرأة الحديث أبو بوسل من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بن جابر عن رواده أحد قوف ابن لمبة ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} مرسل دون ذكر أبي سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى يياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ^(٢) حديث أنس لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه أن جبريل قال هؤلاء المقصورات في الخيام وفيه طفقةن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط لم أجده هكذا بتمامه وللترمذى من حديث طي إن في الجنة لهن من الحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلهن يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولأبي الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث ^(٣) حديث قال رجل يا رسول الله - أياض أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى ومحمد بن جابر من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع فقيل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة ^(٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف ثيب يعانق كل واحدته منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات الهدى وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى لأنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقتهن وإسناده ضعيف وتقدم قبله حديث ^(٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه في موضعين من حديث طي وقد تقدم بوضعه قبل هذا الحديثين .

عن الأحوال وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد عجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا تعجبه الأعمال عن الأحوال بالأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم . سئل الجني عن الثبات قال هي الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجني فقال معناه أنه كان في ابتداء أمره في جبل ثم وصل إلى

« إنَّ الخور في الجنة يتنقن نحن الخور الحسن خبثاً لأزواج كرام ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجرون - قال الساج في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الخور العين يشيانه بأحسن صوت ممه الانس والجن » وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتهدية ^(٢) .
(بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشمر لجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور بتلاً » وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حجرة وضعة في مقام أبداً وضرة في دار عالية هبة سليمة قالوا نحن الشمر لهما يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه ^(٣) « وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل فاتها تنجني » قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء نظير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تعجبي فهل في الجنة من إبل ؟ قال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما تشتهي تفك ولدت عيناك ^(٤) وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حملاً وفضلاً وشباباً في ساعة واحدة ^(٥) » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الأخوان إلى الأخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا يقول يا يحيى تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل ففعلنا ^(٦) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يبيض جماد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله مستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

لفرفة ثم رد إلى التعبير والجهل وهو كالطغولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئاً - وقال بعضهم : أعرف الخلق بالله أشدهم تحميراً فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه يادی الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون لهنهني

(١) حديث أنس إن الخور في الجنة يتنقن فيقول نحن الخور الحسن خبثاً لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للسكري قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الخور العين يشيانه بأحسن صوت ممه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتهدية الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد « ألا هل من مشمر لجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فاتها تعجبي الحديث الترمذي من حديث بريد مع اختلاف لفظ وفيه السموي يختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مر ساقاً قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى للدين عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له محبة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حملاً وفضلاً ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قالوا وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى ولأحمد من حديث أبي رزين يلد ويمل مثل قدامتكم في الدنيا ويتلدن بك غير أن لا تولد (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الأخوان إلى الأخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس وقال لا تله بروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الاستناد فخره به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدورواه الأصفياني في الترغيب والترهيب مرسلان ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يبيض جماد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله يبيض جماد دون قوله على خلق آدم إلى آخره

وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كابين الحماية إلى منعماء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها تفضي ما بين الشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم «نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها تكلف البعير للقتب وإذا طيرها كالبعث وإذا نهارها جارية باجارية لمن أتت؟ قالت يزيد بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (٢) وقال كعب: خلق الله تعالى آدم عليه السلام يده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة يدهم قال لها تسكني قالت: قد أفلح المؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تفصيلاً، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جلتها قال: إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لاهلها بين لا تسفه الأحلام ولا تصنع منها الردوس وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء كل جرد ممد قد آمنوا المذابح وأطعمت بهم الدار وإن أنهارها تجري على زفرات من ياقوت وزبرجد وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وتمارها لا يعلم عليها إلا الله تعالى وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيالات وإلا هفاة رحالها وأزنتها وسروجها من ياقوت يتأرون فيها وأزواجهم الخور العين كأنهن يرضى مكنون وإن المرأة تأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى من ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو جشاء ورشح مسك لهم وزقهم فيها بكربة وعشا أما إنه ليس ليل يكر العدو على الروح والروح على العدو وإن آخرهم يدخل الجنة وأدنام منزلة ليجده في جبره وملكة مسيرة مائة عام في صور من الذهب والنضو فيخام اللؤلؤ ويضع له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يرضى عليهم سبعين ألف صفعة من ذهب وبراق عليهم يمشيها في كل صفحة لون ليس في الأخرى مثله ومجد طعم آخره كما يجد طعم أوله وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صمد ولا تقب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرضهم التي ينظر إلى ربها للعداة والشئ. وقال سعيد بن السبب: ليس أحسن أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها العتياء إذا مشيت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصفة وهي تقول أين الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد من ترك الدنيا مهر الآخرة، وقال أيضاً طلب الدنيا نال الفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيها بما لمن يختار الدنيا في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - ولذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة مختصراً أهل الجنة جرد مرد كل واحد وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم عتقون ذراعاً (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعاً من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان ومن هنا يستأنه أيضاً قال لانه في الأمن حديث ربه بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها كالبعير للقتب وإذا طيرها كالبعث الحديث رواه الطبري في تفسيره من رواية أبي هريرة العدي عن أبي سعيد وأبو هريرة اسمه حمارة بن حريث صنف جدوا في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعدمت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

المراد الأخوة في طريق
المحبوبين تجذب
روحه إلى الحضرة
الالهية وتستبج
القلب والقلب يستبج
النفس والنفس تستبج
القلب فيكون بكيته
قائماً بالله ساجداً
بين يدي الله تعالى
كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«سجد لك سواي
وحياتي» وقال الله تعالى
- ولله يسجد من في

الكبرى التي ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب الهبة وقد عهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يفتقد أهل البعثة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون وبكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ » وسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيحين عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى بأهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم ينزل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار قال فرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فاعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) » وقدرى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما مضى من النعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة لقاء منتهى بل لآسنة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء ، وقد أوجزنا في الكلام هنا لما مضى في كتاب الحق والحق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة المبدن من الجنة بشيء سوى لقاء الولي . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البرية للسرعة في الرعى .

(نغم الكتاب يباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاضل بذلك)

قد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل (٣) » وليس لنا من الأعمال ما نرجوه للثمرة فتعنى رسول الله ﷺ في التفاضل ونرجو أن نغم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى قد قال الله تعالى - إن الله لا يفرق بين شركه وبين فرادى ذلك لمن يشاء - وقال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو ظلما يؤظم نفسه ثم يستغفر الله يمد الله غفورا رحيم - ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طمى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدین الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدها به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في مصيبتنا ونستغفره من كل تصرع وتبرع بقصان ناقص ونقص مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى صنع وتكلف تربنا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفتدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولبن طالع كتابنا هذا أو كتبنا أو سمعنا أن نكرم بالثمرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون وبكم الحديث هو في الصحيحين كما ذكره المصنف (٢) حديث صيب في قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره المصنف .

(باب في سعة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث : ويسمى الفأل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة : وغيرها الفأل قالوا وما الفأل ؟ قال الكلمة الصالحة بسمها أحكم .

السماوات والأرض
طوعا وكرها وظلالهم
بالصدور والآمال -
والقلال القوال تسجد
يسجدوا الأرواح وعند
ذلك تسرى روح الهبة
في جميع أجزائهم
وأبوابهم فيفتدون
ويتممون بذكر
الله تعالى وتلاوة
كلامه بحجة وودا
فيحبه الله تعالى

فان السكرم عميم والرحمة واسعة والجلود على أصناف الخلائق فاشق ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى ما تمر رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والحوام فيها يتعاطفون ويهايمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» (١) وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار بهودياً أو نصرانياً» (٣) وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف» (٤) وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى» (٥) وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافى في مقام» (٦) وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قولوا في أمر بأخرجهم من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» (٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشقية بولدها» (٨) وقال جابر بن عبد الله

(١) حديث ابن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسنان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتاباً من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمى سبقت غضبي لفظ البخارى وقال مسلم كتبى كتابه على نفسه إن رحمى تطلب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار بهودياً أو نصرانياً مسلم من حديث أبى موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم بهودياً أو نصرانياً فيقول هذا قد أؤك من النار ولأبى داود أئمتى أمعرو حومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبرانى من حديث أبى موسى أيضاً يتجلى الله ربنا لنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول ارفعوا رءوسكم فلايس هذا يوم عبادة وفيه لى بن زيد ابن جدهان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبرانى من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم الحديث أحمد والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافى في مقام الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - النساء في الكبرى من حديث جابر بنحوه بإسناد صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشقية بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت سبياً في السبي فأخذته فألصقته بيظنها فأرضعته .

وعجيبهم إلى خلقه
نعمه منه عليهم وفضلا
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السرورى رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزبى قال أخبرتنا
صكرية السروزية
قالت أنا أبو الهيثم
الكشميهنى قال أنا
عبد الله الفريرى قال
أنا أبو عبد الله البخارى

من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثمل ظهره ويرى أن الله عز وجل دله لموسى عليه السلام ياموسى استغاث بك فارون فلم تفسد وعزنى وجلالى لو استغاثت فى لأغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤمس يوم القيامة بأخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت لىديكما وما أنا بظلام للعبيد وبأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمهما وينلكا الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن ضالهما فيقول الذى عادى إلى النار قد حذرت من وبال الحصبة فلم أكن لأعرض لسخطك ثانية ويقول الذى نلكا حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لا تردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ماكان لى قلبكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمى (١) » ويرى أن أعرابيا مع ابن عباس يقرأ - وكنت على شفاعرة من النار فأخذت كمنها - فقال الأعرابى والله ماأنتذكم منها وهو يريد أن يوتقكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قية وقال الصنابجى دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض اللوت فيكبت فقال مهلا إنكسى أفوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه لإحدىنا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار (٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ «إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتسكن من هذا شيئا أظنك كنىتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أنلك عذر فيقول لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تنظم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وتلفت البطاقة فلا يتقل مع اسم الله شئ (٣) » وقال رسول الله ﷺ فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط إن الله يقول لللائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن من صدقنى بهذا الحديث فافردوا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما -

(١) حديث ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ماكان لى قلبكم فقد غفرت له لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة رحمى رويته فى سباعات أبى الأسعد القشبرى من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخى قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابجى عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار مسلم من هذا الوجه وانفقا عليه من غير رواية الصنابجى بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب .

قال حدثنى إسحق قال حدثنا جسد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأحبه فيحبه جبريل
ثم ينادى جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأحبه
فيحبه أهل السماء
ويؤمّن له القبول في

(١١) حديث إن الله يقول للأبلى تكفمن وجدتم في قلبه متقال وبادر من خبر فأخرجوه من النار فخرجون خلقا كثير الحديث في إخراج اللوحدين وقوله تعالى لأهل الجنة: فلا مضطجع بعدكم أبد أخرجاه في الصدين كما ذكر الصنف من حديث أبي سعيد (٢) حدث ابن عباس عرضت على الأمر عمر النبي مع الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد الحديث في قوله سبحانه: بها كاشف زواجر الينا نخاري (٣) حديث عمر بن حزم الأضاري: قتب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا: أخرج الإصلا مكتوبة ثم يرجع وفيه إني ربي وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لحساب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البهيقي في البعث والنشور ولأحمد وإني بطي من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رحل لبيس ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر: فلا استزده فقال: قد استزده فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر: فلا استزده قال قد استزده فاعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه فقال عبدالله: وبسط باعني وحني عليه وفيه موسى بن عبيدة الرندي ضامف .

فهرس

- ١١٥ الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الأسباب
الموصلة للأطمحة إليك
- ١١٦ الطرف السادس في إصلاح الأطمحة
الطرف السابع في إصلاح المصلحين
- ١١٧ الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق
الملائكة عليهم السلام
- ١٢٠ بيان السبب العارف للخلق عن الشكر
- ١٢٤ الزكن الثالث من كتاب الصبر
- ١٣١ بيان فضل الصفة على البلاد
- ١٣٢ بيان الأفضل من الصبر والشكر
- ١٣٨ (كتاب الخوف والرجاء)
- ويشتمل على شطرين أما الشطر الأول فيشتمل على
- ١٣٩ بيان حقيقة الرجاء الخ
- ١٤١ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
- ١٤٢ بيان دواء الرجاء والنبيل الذي يحصل منه حال
الرجاء ويطلب
- ١٥٢ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف
- ١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- ١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
- ١٥٧ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
- ١٦١ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء
أو اعتدالهما
- ١٦٤ بيان الذي به يستجلب حال الخوف
- ١٧٠ بيان معنى سوء الحاتمة
- ١٧٧ بيان أحوال الأفياء والملائكة عليهم الصلاة
والسلام في الخوف
- ١٨٠ بيان أحوال الصعابة والتأبين والسلف والمالين
في شدة الخوف
- ١٨٥ (كتاب الفقر والزماد)
- السطر الأول من الكتاب في الفقر
- ١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسامه
- ١٨٩ بيان فضيلة الفقر مطلقاً
- ١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراسين والفاقرين
والصادقين
- ١٩٦ بيان فضيلة الفقر على التقى
- ٢٠١ بيان آداب الفقير في فقره
- ٢٠٢ بيان آداب الفقير في قبول الصاء الخ
- ٢٠٥ بيان محرم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير
للضطر فيه
- ٢٠٩ بيان مقدار التقى المحرم للسؤال
- (كتاب التوبة)
- ٢ الزكن الأول في نفس التوبة الخ
- ٤ بيان حقيقة التوبة وحدها
- ٦ بيان وجوب التوبة وفضلها
- ٧ بيان أن وجوب التوبة على القور
- ٩ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال
فلا يترك عنه أحد التنة
- ١٢ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة
- ١٥ الزكن الثاني فيا عنه التوبة وهي القروب
- ٢٢ بيان أقسام القروب بالإضافة إلى صفات المبد
- ٢٤ بيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات في الآخرة على
الحسنات والسيئات في الدنيا
- ٣٢ بيان ما تعظم به الصائتر من القروب
- ٣٤ الزكن الثالث في تمام التوبة الخ
- ٤٣ بيان أقسام الصادق في دوام التوبة
- ٤٦ بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب الخ
- ٤٩ الزكن الرابع في دواء التوبة الخ
- ٥٩ (كتاب الصبر والشكر)
- ٦٠ الشطر الأول في الصبر
- بيان فضيلة الصبر
- ٦١ بيان حقيقة الصبر ومناه
- ٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
- ٦٦ بيان الأسامي التي تتجدد لصبر الخ
- ٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
- ٦٧ بيان مظاهر الحاجة إلى الصبر الخ
- ٧٣ بيان دواء الصبر وما يشتمل به عليه
- ٧٨ الشطر الثاني من الكتاب في الفكر
- الزكن الأول في نفس الفكر
- بيان فضيلة الفكر
- ٧٩ بيان حد الفكر وحدته
- ٨٣ بيان طريق كشف النقاء عن الفكر في حق الله تعالى
- ٨٧ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
- ٩٦ الزكن الثاني من أركان الفكر الخ
- بيان حقيقة النعمة وأقسامها
- ١٠٦ بيان وجه التوحد في كثرة نعم الله تعالى وتسللها
وخروجها من المحصر
- ١٠٧ الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب
الإدراك
- ١٠٨ الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات
- ١٠٩ الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة
وآلات الحركة
- ١١٣ الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الأصول التي
تحصل فيها الأطمحة الخ

ملح

- ٢١٠ بيان أحوال السالكين
 ٢١١ الشطر الثاني من الكتاب في الزهد
 بيان حقيقة الزهد
 ٢١٤ بيان فضيلة الزهد
 ٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ
 ٢٢٤ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
 ٢٢٦ بيان علامات الزهد
 ٢٢٨ (كتاب التوحيد والتوكل)
 بيان فضيلة التوكل
 ٢٤٠ بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب
 ٢٥٣ الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل الخ
 بيان حال التوكل
 ٢٥٧ بيان ما لله الصيوخ في أحوال التوكل
 ٢٥٨ بيان أعمال المتوكلين
 ٢٦٥ بيان توكل المبل
 ٢٦٨ بيان أحوال المتوكلين في الصلوك بالأسباب بضرب مثال
 ٢٧٤ بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم
 ٢٧٩ بيان أن ترك التداوي قد يبعد في بعض الأحوال ويصل على قوة التوكل الخ
 ٢٨٣ بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال
 ٢٨٥ بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكفاته
 ٢٨٦ (كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)
 بيان شواهد الصريح في حب المبدقة تعالى
 ٢٨٨ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة المبدقة تعالى
 ٢٩٣ بيان أن اللسحق للمحبة هو الله وحده
 ٢٩٩ بيان أن أجل اللذات وأعلها معرفة الله تعالى الخ
 ٣٠٣ بيان السبب في زيادة النطق لفة الآخرة على المعرفة في الدنيا
 ٣٠٧ بيان الأسباب القوية لمحبة الله تعالى
 ٣١١ بيان السبب في تفاوت الناس في المحب
 ٣١٢ بيان السبب في قصور أنهم الملق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
 ٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
 ٣١٨ بيان محبة الله تعالى للمبدق ومناحا
 ٣٢٠ القول في علامات محبة المبدقة تعالى
 ٣٢٩ بيان معنى الأنس بالله تعالى
 ٣٣١ بيان معنى الانبساط والإدلال الفنى شمره خلقه الأنس
 ٣٣٣ القول في معنى الرضا بقضاء الله الخ
 ٣٣٤ بيان فضيلة الرضا
 ٣٣٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف القوي
 ٣٤١ بيان أن الدعاء غير متنافس للرضا

ملح

- ٣٤٤ بيان أن القرار من البلاد التي هي مطلق للامس ومشتها لا يقدح في الرضا
 ٣٤٥ بيان جهة من حكايات المحبين وأقوالهم وكلماتهم
 ٣٤٩ غائبة الكتاب بكلمات متفرقة تتلخظ بالحكمة ينتفع بها
 ٣٥٠ (كتاب التبة والإخلاص والصدق)
 ٣٥١ الباب الأول في التبة
 بيان فضيلة التبة
 ٣٥٣ بيان حقيقة التبة
 ٣٥٥ بيان سر قول صل الله عليه وسلم : لا للؤمن خير من عمله
 ٣٥٧ بيان تفصيل الأعمال الصالحة بالتبة
 ٣٦٢ بيان أن التبة غير داخلة تحت الاختيار
 ٣٦٤ السباب الشافي في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته
 فضيلة الإخلاص
 ٣٦٧ بيان حقيقة الإخلاص
 ٣٦٩ بيان أقوال الفيوخ في الإخلاص
 ٣٧٠ بيان درجات القواب والآفات للكسرة للإخلاص
 ٣٧٢ بيان حكم العمل للشرب واستحقاق الثواب به
 ٣٧٤ الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته
 فضيلة الصدق
 ٣٧٥ بيان حقيقة الصدق ومناه ودرجاته
 ٣٨١ (كتاب الرقابة والمحاسبة)
 المقام الأول من الرابطة المشارطة
 ٣٨٤ الرابطة الثانية المراقبة
 ٣٨٥ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
 ٣٩١ الرابطة الثالثة محاسبة النفس الخ
 فضيلة المحاسبة
 ٣٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
 ٣٩٣ الرابطة الرابعة في محاسبة النفس على تقصيرها
 ٣٩٥ الرابطة الخامسة المجاهدة
 ٤٠٣ الرابطة السادسة في توبيخ النفس ومناحتها
 ٤٠٩ (كتاب التفكير)
 فضيلة التفكير
 ٤١٠ بيان حقيقة التفكير ومثمره
 ٤١٣ بيان مجازي التفكير
 ٤٢٠ بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى
 ٤٢٣ (كتاب ذكر الموت وما بعده)
 الشطر الأول في مقدمته وتوابه الخ
 ٤٣٤ الباب الأول في ذكر الموت الخ
 بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان
 ٤٣٦ بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب
 ٤٣٧ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طول وكيفية ما يلج

- صفحة
- ٤٨٦ بيان سؤال منكر ونكير وصورتها ومنطقه القبر
ورغبة القول في عذاب القبر
- ٤٨٨ الباب الثامن في أحوال الموتى بالكسفة والناس
- ٤٩٠ بيان منامات تكشف من أحوال الموتى والأعمال
النافعة في الآخرة
- ٤٩١ بيان منامات الشياخ رجة الله عليهم أجمعين
- ٤٩٤ الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت
من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة
أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأمور والأخبار
وفيه بيان نفخة الصور الخ . صفة نفخة الصور
- ٤٩٦ صفة أرض المحصر وأهله
- ٤٩٧ صفة العرق
- ٤٩٨ صفة طول يوم القيامة
- ٤٩٩ صفة يوم القيامة ودواهبه وأسايبه
- ٥٠١ صفة المسألة
- ٥٠٣ صفة الميزان
- ٥٠٤ صفة الحصاة ورد النظام
- ٥٠٧ صفة الصراط
- ٥٠٩ صفة التفاحة
- ٥١٢ صفة الخوص
- ٥١٤ القول في صفة جهنم وأموالها وأنكلماتها
- ٥١٩ القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها
- ٥٢٢ صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها
- ٥٢٣ صفة لباس أهل الجنة ونرثهم وسرورهم
وأرائكهم وخيامهم
صفة طعام أهل الجنة
- ٥٣٤ صفة الحور العين والزمان
- ٥٢٦ بيان جبل مفرقة من أوصاف أهل الجنة ورددهم
بها الأخبار
- ٥٢٧ صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .
نظم السكيات باب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل
التفاؤل بنقل
- ٥٢٨ باب في سعة رحمة الله تعالى
- صفحة
- نفضة عصر الأمل
- ٤٤١ بيان الحب في طول الأمل وعلاجه
- ٤٤٢ بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
- ٤٤٣ بيان للمادة إلى الصل وحذر آفة التأخير
- ٤٤٥ الباب الثالث في سكرات الموت وعدته وما يستحب
من الأحوال عنده
- ٤٥٠ بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
- ٤٥١ بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمحكات حرب
لسان الحال عنها
- ٤٥٣ الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين من بعده
- وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٤٦٠ وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
- ٤٦٢ وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
- ٤٦٣ وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
- ٤٦٤ وفاة علي كرم الله وجهه
- الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخفاء
والأسماء والصالحين
- ٤٦٥ بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من
الصحابه والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف
رضي الله عنهم أجمعين
- ٤٦٨ الباب السادس في أقوال المارئين على الجنائز والمقابر
وحكم زيارة القبور
- ٤٦٩ بيان حال القبر وأقوالهم عند القبور
- ٤٧٣ بيان أقوالهم عند موت الولد
- بيان زيارة القبور والدعاء للميت الخ
- ٤٧٧ الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه
الميت في القبر إلى نفخة الصور
- بيان حقيقة الموت
- ٤٨٧ بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان القتال
أو بلسان الحال
- ٤٨٣ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

